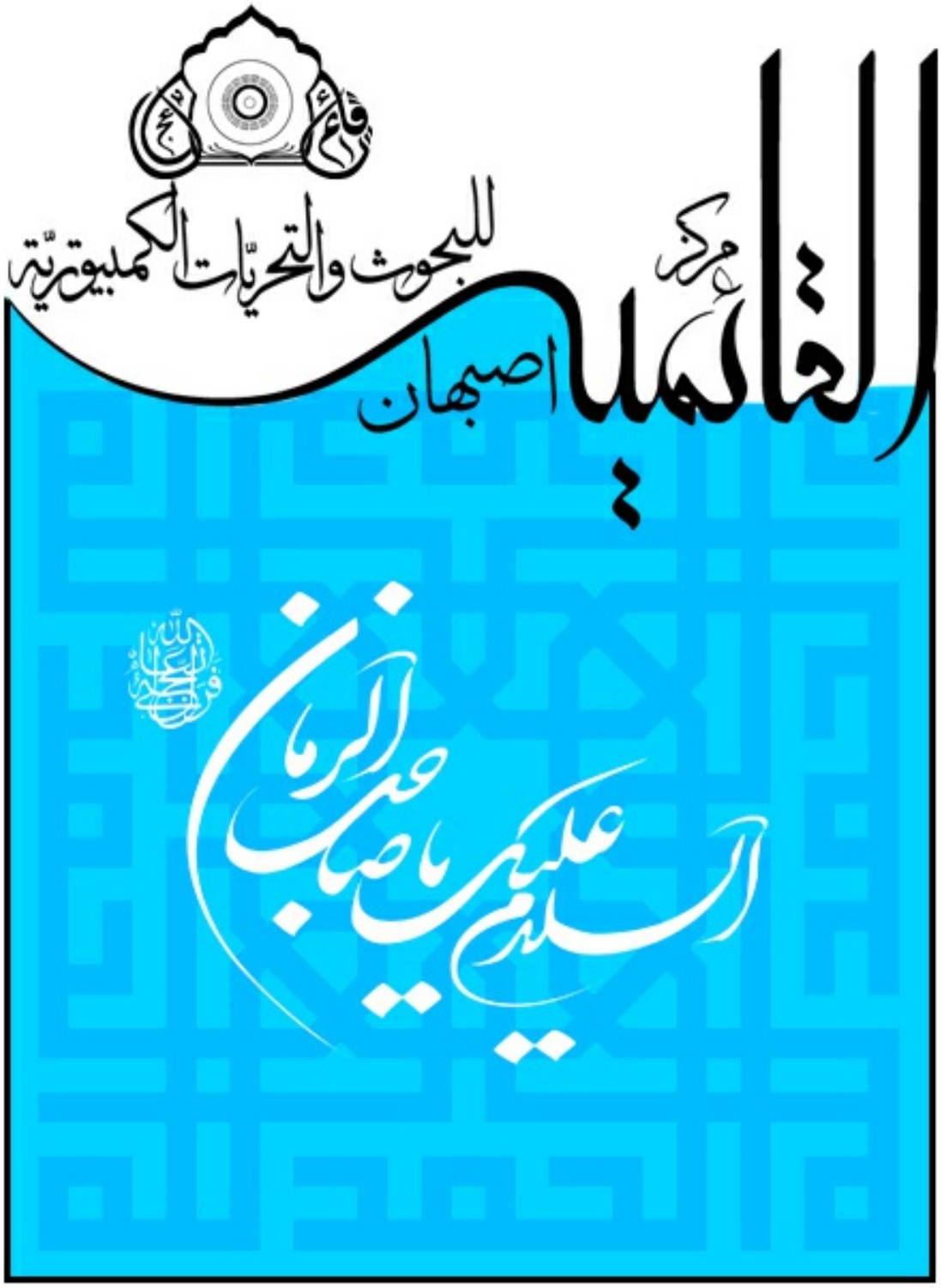

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

التوحيد
في المشهد الحسيني
ودلالته على حاكمية الإسلام ومعالم نظرته
مباحث في العقيدة والفقه

آية الله العظمى
السيد محمد الشيرازي
دام ظله

مؤسسة الفكر الإسلامي
الطبعة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحیم

التوحيد فى المشهد الحسينى و انعكاسه على خارطة مسؤوليات العصر الراهن

كاتب:

رافد الزبيدى

نشرت فى الطباعة:

موسسة وارث الانبياء للدراسات التخصصية فى النهضة الحسينية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
التوحید فی المشهد الحسینی ----- ۱۸
اشاره ----- ۱۸
اشاره ----- ۱۸
مقدمه الطبعه الثانیه ----- ۲۰
مقدمه الطبعه الأُولی ----- ۲۴
مقدّمه المقرّر ----- ۲۶
تمهید ----- ۳۲
القسم الأول: التوحید فی المشهد الحسینی (مباحث فی العقیده) ----- ۳۶
وفیه ثلاثه فصول: ----- ۳۶
اشاره ----- ۳۶
القضاء والقدر فی المشهد الحسینیّ ----- ۳۸
المدخل ----- ۳۸
الفصل الأوّل :البَداء الأعظم ----- ۴۲
اشاره ----- ۴۲
البَدَاءُ الأعْظَم ----- ۴۴
نتائج مُهمّه فی الجبر والاختیار ----- ۴۸
جدلیّه العلاقه بین الإبرام والبَداء ----- ۵۰
قوم یونس ----- ۵۲
الفصل الثانی:حتمیّه القضاء والقدرفی مفهوم النهضه الحسینیّه ----- ۵۶
اشاره ----- ۵۶
حتمیّه القضاء والقدر فی مفهوم النهضه الحسینیّه ----- ۵۸
حتمیه البَداء ----- ۵۹
البَداء ولیله القدر ----- ۶۰

صور البَداء فی القضیه الحُسینیّه ---- ۶۳
إحسان التقدیر وإحکام التدبیر ---- ۶۶
أدیب الله ---- ۶۶
أدّبنی ربّی ---- ۶۷
سعه البَداء فی سلوک النَّبی| ---- ۶۸
الحُسینُ أُمَّهٌ ---- ۷۰
مطمئنهٌ بقدرک ---- ۷۰
إنَّها شقشقه ---- ۷۲
ضابطهٌ جعفریّهٌ فی القضاء والقدر ---- ۷۶
حربٌ باردهٌ لا تُنافی حتمیّه القضاء ---- ۷۸
عِبَر ودروس مِنْ حیاه الإمام الصادق(علیه السّلام) ---- ۷۹
تناسب التقدیر بین الإنسان الصغیر والکبیر ---- ۸۶
مُهذّب خائف رغم حتمیّه النصر ---- ۸۸
المُهذَّب الخائِف ---- ۸۸
شجاعهُ التدبیر لا تُنافی الحذرَ ---- ۹۱
خفاء التدبیر بلا خفاء للمدبّر ---- ۹۳
کمالُ التدبیرِ الیقظهُ والحذرُ ---- ۹۶
أحلاس البیوت ---- ۹۶
الفصل الثّالث:لا حَسم سابق ولا حَتم فی التداعیات بدون إمکانیّه البَداء ---- ۹۸
اشاره ---- ۹۸
لا حَسْم سابق ولا حَتم فی التداعیات بدون إمکانیّه البَداء ---- ۱۰۰
التفاؤل فی میزان القضاء والقَدَر ---- ۱۰۲
تفاءلوا بالخیر ---- ۱۰۲
تدبیر الخیر لمستقبل الأُمّه ---- ۱۰۳
قمّه النشاط مَعَ حتمیّه الشهاده ---- ۱۰۷
تفاؤل الحسین(علیه السّلام) ---- ۱۰۷

التفاؤل المعاكس (المذموم) ---- ١٠٩
معالم أُخرى للأمل فى تدبيره× ---- ١١١
الإغراق فى لطافه وإتقان التدبير ---- ١١١
تدبيره(صلّى الله عليه و آله وسلّم) الخير لأُمّته ---- ١١٤
المبالغه فى المداراه مَعَ قمّه الحذر واليقظه ---- ١١٥
لِنْتَ لَهُمْ ---- ١١٥
الانفتاح التفاعلى مَعَ المُجْتَمع مَعَ الحفاظ عَلَى سرّيه الحقائق الخطيره ---- ١١٧
أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا ---- ١١٧
تبدُّل الهزيمه إلى نصر ---- ١١٩
تدبيرٌ عظيمٌ فى ظرفٍ عسير ---- ١٢٣
المضائق ---- ١٢٣
مضائق عسيره ومواطن خطيره ---- ١٢٥
يوم حُنَيْن ---- ١٢٨
المَعْلَمُ الجبرى مِنْ جديد ---- ١٣٠
غُلّت أيديهم ---- ١٣٠
المسلک الجبرىّ أنواعٌ وأنماط ---- ١٣٣
الجَبريّه الصُوفيّه ---- ١٣٣
المنطق الحُسينىّ يُحاكم الجَبريّه ---- ١٣٤
مراتب النجاح فى الابتلاء الإلهى ---- ١٣٥
النشاط والحركه الحُسينيّه ---- ١٣٨
النشاط والحركه اليونسيّه ---- ١٤٠
شجاعهُ إدارهِ الأزماتِ وإمامه الأُمّه ---- ١٤٢
شجاعهُ التدبير ---- ١٤٢
الغصّه والفرصه ---- ١٤٣
حتميّه عدم النصر لا تنافى إمكانيه الفتح ---- ١٤٦
شهاده الفتح ---- ١٤٦

فتحُ الحسين أم حسينُ الفتح ---- ۱۴۸
القسم الثانی: خارطه مسؤولیّات العصر الراهن ---- ۱۵۲
وفیه ثلاثه فصول: ---- ۱۵۲
اشاره ---- ۱۵۲
الفصل الأوّل:خارطه المسؤولیّات فی النشاط الوظیفیّ الدینیّ والسیاسیّ والاجتماعیّ ---- ۱۵۴
اشاره ---- ۱۵۴
سبع قواعد منهجیّه وخاتمه ---- ۱۵۶
مقدّمه ---- ۱۵۸
القاعده الأُولی ---- ۱۵۹
(کُنْ حِلْساً) والأحلاس فِی البیوت ---- ۱۵۹
اشاره ---- ۱۵۹
(کُنْ حِلْساً مِنْ أحلاس بیتک) ---- ۱۵۹
المعانی اللغویه للحِلْس ---- ۱۶۱
نتائج مُهمّه مِنْ معنی الحِلْس ---- ۱۶۳
ما هُوَ معنی (البیت) الذی وَرَدَ فِی الروایه: ---- ۱۶۴
موسی(علیه السّلام) حِلْس البیوت ---- ۱۷۰
فهم جدید لمعنی (حین) التی وردت فی الزیاره ---- ۱۷۲
القضیه الحِینیّه ---- ۱۷۲
الوسطیّه فی میزان العمل ---- ۱۷۲
الدور المنقذ لتوازن سفینه المؤمنین والمسلمین عن الغرق المتطرّف ---- ۱۷۲
الوسطیّه فی قوام العمل حین عَجْز الأُمّه ---- ۱۷۳
المُعادِل الموضوعی ---- ۱۷۳
العامل المشترک الأکبر ---- ۱۷۳
الوسطیّه بمعنی (بیضه القبّان) ---- ۱۷۳
أیُّها المؤمن ---- ۱۷۴
الصَبْر والتصبُّر ---- ۱۷۴

القاعده الثانيه ---- ١٧٦
إعداد القوّه ---- ١٧٦
وأعدّوا... ---- ١٧٦
القاعده الثالثه ---- ١٨٢
طَلَبُ العِلْمِ ونَشْرُه ---- ١٨٢
القاعده الرابعه ---- ١٨٣
(كلُّكم راعٍ) ---- ١٨٣
القاعده الخامسه ---- ١٨٥
التقيّه الذكيّه وترقيه تنامى الحسّ الأمنى ---- ١٨٥
مقدّمه ---- ١٨٥
الإعداد الأمنى ---- ١٨٦
التقيّه والكتمان حارس الإعداد ---- ١٨٧
تقيّه الكتمان مراتب ودرجات ---- ١٩١
التقيّه من الجهلاء أشدّ من الأعداء ---- ١٩٣
المذيع جاحد ---- ١٩٥
الكتمان والإذاعه... المذيع سرّنا كقاتلنا عمداً ---- ١٩٧
الجندى الخفى (المجهول) ---- ٢٠٠
يكتم إيمانه ---- ٢٠٠
أصحاب الكهف ---- ٢٠٢
قاعده أُخرى (تقيّه الاصطناع) ملازمه لقاعده (التقيّه الذكيّه) ---- ٢٠٤
اشاره ---- ٢٠٤
الخضر(عليه السّلام) والتقيّه الذكيّه ---- ٢٠٥
المنهج أهمّ وأوْلى ---- ٢٠٦
خفاء أم اختفاء ---- ٢٠٧
التقيه الذكيّه عند الإمام الصادق(عليه السّلام) ---- ٢٠٨
التقيّه الذكيّه فى سلوك إبراهيم(عليه السّلام) ---- ٢٠٩

القرآن يكشف عن أربع مهام سرّيه لأهل الكهف(عليهم التلام) ---- ٢١٠
أسرار (التقيّه التدبيريّه) فى سوره الكهف ---- ٢١١
برنامج أمنى للإمام الصادق(عليه التلام) ---- ٢١٤
كيف يتعامل الإمام مع مَن يكشف الأسرار ---- ٢١٤
دور المؤمن فى الحكومه الخَفيّه أعظم ---- ٢١٨
أُطروحه جديده فى معنى الظهور بعد الغَيْبَه ---- ٢١٨
دوله الخفاء وخفاء الدوله ---- ٢١٨
دوله الغَيْبَه وغَيْبَه الدوله ---- ٢١٨
القاعده السادسه ---- ٢٢٥
المرونه والمناوره فى المسير والمسار ---- ٢٢٥
سعه الحكمه فى صيرفه تدبير وإداره الأُمُور ---- ٢٢٧
جدليّه العلاقه بين البراغماتيّه والمبدأيّه ---- ٢٣٢
جدليّه الثابت والمتغيّر ---- ٢٣٢
تغيير الواقع بين الإفراط والتفريط ---- ٢٣٢
جدليّه حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغيّر ---- ٢٣٢
المناوره بين الواقعيّه الراهنه والقيم الشعاريّه ---- ٢٣٢
الثابت النظامى والمتغيّر الإصلاحى ---- ٢٣٣
للبيت ربٌّ يحميه ---- ٢٣۴
دروس فِى مناوره عبد المطلب(عليه التلام) ---- ٢٣۵
مناوره حُسينيّه فى قوالب زينبيّه ---- ٢٣٧
مناوره ومران الخيارات والأساليب فى النهضه الحسينيّه فى موكب السَّبى... ---- ٢٣٧
اشاره ---- ٢٣٧
همزه الوصل ---- ٢۴٠
هَلْ الوسيله ثابته أم مُتغيّره ---- ٢۴٠
تصريف الكلام ---- ٢۴٢
وينتصر عَلىّ(عليه التلام) ---- ٢۴٢

متانه الدّین وسماحه الشَّریعه ---- ۲۴۳
الصُلح خَیر ---- ۲۴۴
تعدد الخیارات ---- ۲۴۵
تعدد السیناریو ---- ۲۴۵
تصریف الکلام ---- ۲۴۶
تغیُّر اللفظ لا یعنی تبدُّل المعنی ---- ۲۴۶
الغایه لا تُبرّر الوسیله ---- ۲۴۹
الوسیله لا تُصحّح الغایه ---- ۲۴۹
المحجّه الصحیحه مراتب ---- ۲۵۱
للوفاء مَوَاطن ---- ۲۵۲
هَلْ الحقیقه مُطلقه أم نسبیّه؟ ---- ۲۵۴
القاعده السابعه ---- ۲۵۶
ضروره توازن القِوی مع العدو ---- ۲۵۶
خاتمه نفیسه فی تخادم العلوم ---- ۲۵۸
نظریه ترابط وتعاون وتخادّم العلوم ---- ۲۵۸
الفصل الثانی:خارطه المسؤولیّات فی النشاط الوظیفیّ الدینیّ للمؤمنین تجاه حرکات الانحراف الدینیّ ---- ۲۶۲
اشاره ---- ۲۶۲
مقدّمه ---- ۲۶۴
السفیانی بین الحَتم والبَداء ---- ۲۶۴
أهمیه الموضوع ---- ۲۶۶
قبل البَدء: قاعده عَلویه بصیاغه رَضویّه ---- ۲۶۹
قاعده منهجیّه فی المنهج ---- ۲۶۹
مسالک الانتظار ---- ۲۷۱
الشجره الملعونه ---- ۲۷۴
خطوره المنهج ---- ۲۷۶
اشاره ---- ۲۷۶

النقطه الأُولی: (الشجره الخبیثه) ---- ۲۷۶
النقطه الثّانیه: (لا یذکرون الله) ---- ۲۷۶
النقطه الثّالثه: (بنو أُمیّه نهج وسلوک) ---- ۲۷۶
النقطه الرّابعه: (سعد الخیر) ---- ۲۷۷
النقطه الخامسه: (اللّعن للمؤسسین أشدّ) ---- ۲۷۷
النقطه السّادسه: (أخطر المناهج) ---- ۲۷۹
النقطه السّابعه: (إسلام وأصنام) ---- ۲۷۹
النقطه الثامنه: (بنو العباس) ---- ۲۷۹
مَن هو السُّفیانی؟ ---- ۲۸۱
حادثه مُثیره ---- ۲۸۵
معالم مشروع السُّفیانی ---- ۲۸۹
السُّفیانی ویأجوج ومأجوج ---- ۲۹۲
الرجعه قُبَیل الظهور ---- ۲۹۹
هی محور أدوار مسرح أحداث الظهور ---- ۲۹۹
السُّفیانی بین المحتوم والموقوف ---- ۳۰۴
دروس تربویّه فی البَداء ---- ۳۰۷
البَداء وإخفاق مشروع السُّفیانی ---- ۳۱۰
روایات البداء بلسان البشاره ---- ۳۱۰
رجفه الشام ---- ۳۱۲
روایات (البَداء) بلسان أنَّ السُّفیانی نقمه للمؤمنین ---- ۳۱۳
الإعلام المزیَّف للسُّفیانی ---- ۳۱۴
الخسف عنوان للبَداء فی حرکه السُّفیانی ---- ۳۱۷
الوظیفه الأولیّه للمؤمنین هی المقاومه ---- ۳۲۰
البَداء فی خاتمه السُّفیانی ---- ۳۳۰
أمرهم(علیهم السّلام) بالوجوب العینی والتعیُّنی ---- ۳۳۲
لتصدی شیعه العراق بالخصوص للسُّفیانی بقوّه وحزم ---- ۳۳۲

الشُّعوب كُلّها ضدّ السُّفیانی ---- ۳۳۴
الرایات المُناهضه لمشروع السُّفیانی ---- ۳۳۷
القیام بالمسؤولیه ---- ۳۳۷
الرایات المُمهِّده للسُّفیانی ---- ۳۳۹
اشاره ---- ۳۳۹
الشیصبانی ---- ۳۴۰
حکومه بنی العباس ---- ۳۴۰
شخصیّات فی مسرح الظهور ---- ۳۴۲
نفاق الإیمان (البتریه) ---- ۳۴۲
علی طرفی نقیض ---- ۳۴۳
الغایه مِنْ استعراض روایات سنه الظهور ---- ۳۴۷
دور المؤمن فی عصر الفتن وخصوصاً فتنه السُّفیانی ---- ۳۵۰
مقاطع مختاره ---- ۳۵۴
خلاصه الفصل الثانی ---- ۳۵۵
الفصل الثالث :خارطه المسؤولیات فی النشاط الوظیفی الدینی العسکری خارطه المسؤولیات فی النشاط الوظیفی الدینی العسکری ---- ۳۶۰
اشاره ---- ۳۶۰
قواعد أساسیه فی مراتب الجهاد الدفاعی ---- ۳۶۲
وظیفه تقدیس المُقدّسات ---- ۳۶۲
مُقدّمه ---- ۳۶۴
الجهاد الدفاعی ---- ۳۶۵
قواعد أساسیه فی مراتب الجهاد الدفاعی ---- ۳۶۵
اشاره ---- ۳۶۵
القسم الأوّل: الدفاع الوقائی الرادع عَنْ عدوان المعتدی ---- ۳۶۵
القسم الثانی: الدفاع العلاجی ---- ۳۶۵
القسم الثالث: الدفاع الاقتصاصی ---- ۳۶۶
القسم الرابع: الجهاد الدفاعی الاستباقی ---- ۳۶۹

اشاره ----- ۳۶۹
قواعد لا محیص عنها فی الدفاع عَنْ المُقدّسات ----- ۳۷۱
اشاره ----- ۳۷۱
نظام تعدد مراتب الدفاع طولیاً متعاکساً مع قاعده الرفق المرن ----- ۳۷۱
القسم الخامس: الجهاد الاقتصاصی فی الدفاع عَنْ المقدّسات ----- ۳۷۲
القسم السادس: الجهاد الدفاعی الاستباقی عَنْ المُقدّسات ----- ۳۷۳
القسم السابع: الجهاد الاقتصاصی تعصباً لأهل البیت× ----- ۳۷۳
اشاره ----- ۳۷۳
أهمیّه ذات المعصوم کرکن مِنْ أرکان الدین ----- ۳۷۴
بیت المقدس قُدّس لوجود الأنبیاء فیه ----- ۳۷۸
المعصوم(علیه السّلام) مِنْ مُقدّسات الدّین ----- ۳۸۱
سب المعصوم(علیه السّلام) ارتداد عَنْ الدین کما عَنْ جماعه مِنْ الأصحاب ----- ۳۸۳
تعطیل الحدود یُؤثر فی التکوین والتشریع ----- ۳۸۴
موقف زینب العقیله(علیهاالسّلام) مِنْ وجوب أخذ الثأر ----- ۳۸۷
استمرار برنامج الثأر والثوره ----- ۳۸۸
ما ورد فی الإذن والحثّ علی الأخذ بثأر الحسین(علیه السّلام) ----- ۳۸۹
طلب الثأر لآل مُحمَّد(صلّی الله علیه و آله وسلّم) ----- ۳۹۱
القسم الثامن: الجهاد المواساتی ----- ۳۹۲
اشاره ----- ۳۹۲
أوَّلاً: التغایر الثبوتی (الماهوی) ----- ۳۹۴
ثانیاً: التغایر الإثباتی ----- ۳۹۴
اشاره ----- ۳۹۴
أعظم المواساه مواساه أبی الفضل(علیه السّلام) ----- ۳۹۷
المُقدّسات رکن الدین ----- ۳۹۹
جهاد بلا دم ----- ۳۹۹
سلاح السلام لا الاستسلام ----- ۴۰۰

الدفاع عَنْ المقدّسات واجب مِنْ أُصول الاعتقاد ---- ۴۰۲
وليس مِنْ مستحبات الشَّريعه ---- ۴۰۲
اشاره ---- ۴۰۲
بِشَارَةٌ وَنذارةٌ ---- ۴۰۵
ركنيّه الأراضى المُقدَّسه ---- ۴۰۷
الأرض المُقدَّسه ---- ۴۰۷
نتائج مهمّه من الآيات المُتقدّمه ---- ۴۱۰
اشاره ---- ۴۱۰
الدفاع عَنْ المُقدّسات بتعظيم باب حطّه ---- ۴۱۲
منهجيّه تربويه يرسمها رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) ---- ۴۱۴
كيف نُقدّسهم ---- ۴۱۶
العناصر الكليّه لخارطه مسؤوليات العصر الراهن ---- ۴۲۶
اشاره ---- ۴۲۶
قاعده: إعداد القوه ---- ۴۲۶
قاعده: (كلّكم راعٍ) وعموم المسؤوليّه على الجميع ---- ۴۲۷
قاعده: الصبر لا يعنى الجمود ---- ۴۲۷
قاعده: للوفاء مواطن ---- ۴۲۷
قاعده: ضروره توازن القوى مع العدو ---- ۴۲۸
المعصوم لنا قدوه ---- ۴۲۸
مقاطع مختاره ---- ۴۳۲
اشاره ---- ۴۳۲
عقيده البَداء أهم مقوّمات النشاط الدينىّ والسياسىّ والاجتماعىّ للأئمّه^ ---- ۴۳۴
الإيمان بالبَداء فى النتائج والتداعيات المُترتبه عَلَى الحدث ---- ۴۳۷
التفاؤل رجاءً بسعه البَداء ---- ۴۳۸
الفتح الحسينى ---- ۴۳۹
فى معنى الجِلْس ---- ۴۴۱

قاعده إعداد القوّه ---- ۴۴۳
برنامج التقيّه الأمنيّه والإعداد الخفيّ (الذكى) ---- ۴۴۳
الحذر أنواع ومراتب ---- ۴۴۴
جدليّه حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغيّر ---- ۴۴۵
الوسطيه فى المسير والمسار ---- ۴۴۷
معنى نسبيّه الحقيقه ---- ۴۴۷
الوفاء مع أهل الغدرِ غدرٌ عند الله ---- ۴۴۸
نظريه تخادم القواعد ---- ۴۴۸
المعنى الصحيح لمفهوم الانتظار ---- ۴۴۹
والمنهج الصحيح يتّضح بضوابط ثلاث: ---- ۴۵۰
أ) ضابطه معرفه المنهج: ---- ۴۵۰
ب) ضابطه النظره المجموعيّه: ---- ۴۵۰
ج) ضابطه فى كيفيّه قراءه روايات علامات الظهور بالعلامه المركزيّه (محوريّه الرجعه): ---- ۴۵۱
إرهاصات الظهور ---- ۴۵۳
الرايات المُناهضه لمشروع السُّفيانى ---- ۴۵۳
(القيام بالمسؤوليّه) ---- ۴۵۳
الرايات المُمهِّده للسُّفيانى ---- ۴۵۴
الشيصبانى ---- ۴۵۴
حكومه بنى العبّاس ---- ۴۵۴
السفيانى وداعش ويأجوج ومأجوج وجوه لعمله واحده ---- ۴۵۵
شخصيّات فى مسرح الظهور نفاق الإيمان (البتريّه) ---- ۴۵۷
عَلَى طرفى نقيض ---- ۴۵۷
صور عديده للبَداء فى مشروع السفيانى ---- ۴۵۹
الجهاد الدفاعى ---- ۴۶۲
اشاره ---- ۴۶۲
القسم الأوّل: الدّفاع الوقائى الرادع عَنْ عدوان المعتدى: ---- ۴۶۲

القسم الثّانِی: الدِّفاع العلاجی: ---- ۴۶۲
القسم الثّالث: الدِّفاع الاقتصاصی: ---- ۴۶۲
القسم الرّابع: الجهاد الدفاعی الاستباقی: ---- ۴۶۳
اشاره ---- ۴۶۳
رکنیه الأراضی المُقدَّسه ---- ۴۶۷
باب حطّه ---- ۴۷۰
کیف نُقدِّسهم ---- ۴۷۱
أخیراً هذا الکتاب ---- ۴۷۵
فهرس الکتاب ---- ۴۸۴
تعریف مرکز ---- ۵۰۷

التوحید فی المشهد الحسینی

اشاره

التوحید فی المشهد الحسینی

و انعکاسه علی خارطه مسؤولیات العصر الراهن

مباحث فی العقیده الفقهیه

محاظرات المحقق: آیت الله الشیخ محمد السند

بقلم الشیخ رافد الزبیدی

بیانات النشر: النجف، العراق: العتبه الحسینیه المقدسه - قسم الشؤون الفکریه والثقافیه - مؤسسه وارث الأنبیاء للدراسات التخصصیه فی النهضه الحسینیه، ۱۴۳۶ه- ق ۲۰۱۵م.

ص: ۱

اشاره

مقدمه الطبعه الثانيه

تُعد النهضه الحسينيه من أهم المنعطفات التاريخيه التى أحْيت الدين الإسلامى فى مرحله حساسه وخطيره كادت تودى بأهم أُسسه ومعالمه الإلهيه؛ لأنّ الله تعالى يأبى إلّا أن يُتم نوره، من خلال النهضه العظيمه والتضحيه الكبيره التى قام بها الإمام الحسين(عليه السّلام)، مع ثلّه من خيره أصحابه.

فهى نهضه إصلاحيه، تربويه، علميه، توعويه، فكريه، عقائديه، معرفيه، سياسيه، اجتماعيه... استطاعت أن تغيّر الكثير من مجريات التاريخ ومختلف الأحداث، وبقيتْ حيّه طريّه حيويه مدى الدهور والقرون، وستبقى كذلك؛ لأنّها متوافره على جميع المقوّمات الإيجابيه للخلود.

هكذا نهضه حريه بالبحث والتنقيب والدراسه والتحقيق، بشكل منهجى تخصصى يتناول مجمل الأبعاد والآثار والتأثيرات لهذه النهضه القدسيه.

من هذا المنطلق؛ ولأجل تحقيق هذه الأهداف بأفضل وجه قامت الأمانه العامه للعتبه الحسينيه المقدسه بإنشاء مؤسسه وارث الأنبياء للدراسات التخصصيه فى النهضه الحسينيه، لكى تغطّى أكبر مساحه من القضايا المتعلقه بالنهضه الحسينيه المباركه.

وقد قامت المؤسسه بالعمل الدؤوب على تأسيس مجموعه من الأقسام والمشاريع الحسينيه التخصصيه، منها:

۱- قسم التحقیق، والعمل فیه جار علی تحقیق موسوعه حول التراث المکتوب عن الإمام الحسین(علیه السّلام) ونهضته المبارکه، ما یشمل المقاتل والتاریخ والسیره وغیرها، وسواء التی کانت بکتاب مستقل أو ضمن کتاب. وکذا العمل جار فی هذا القسم علی متابعه المخطوطات الحسینیه التی لم تُطبع إلی الآن؛ لجمعها وتحقیقها، ثم طباعتها ونشرها.

۲- قسم التألیف، والعمل فیه جار علی تألیف کتب حول الموضوعات الحسینیه المهمه التی لم یتم تناولها بالبحث والتنقیب أو التی لم تُعطَّ حقها من ذلک، کما ویتم استقبال الکتب الحسینیه المؤلفه خارج المرکز ومتابعتها علمیاً وفنیاً من قِبَل اللجنه العلمیه، وبعد إجراء التعدیلات والإصلاحات اللازمه یتم طباعتها ونشرها.

۳- مجلّه الإصلاح الحسینی، وهی مجلّه فصلیه متخصصه فی النهضه الحسینیه، تهتم بنشر معالم وآفاق الفکر الحسینی، وتسلیط الضوء علی تاریخ النهضه المبارکه وتراثها، وکذلک إبراز الجوانب الإنسانیه والاجتماعیه والفقهیه والأدبیه فی تلک النهضه المبارکه.

۴- قسم ردّ الشبهات، ویتم فیه جمع الشبهات المثاره حول الإمام الحسین(علیه السّلام) ونهضته المبارکه، ثم فرزها وتبویبها، ثم الردّ علیها بشکل علمی تحقیقی رصین.

۵- قسم الموسوعه العلمیه من کلمات الإمام الحسین(علیه السّلام)، وهی موسوعه تجمع کلمات الإمام الحسین(علیه السّلام) فی مختلف العلوم وفروع المعرفه، ثم تبویبها حسب التخصصات العلمیه، ووضعها بین یدی ذوی الاختصاص؛ لیستخرجوا لنا نظریات علمیه واضحه تمازج بین کلمات الإمام الحسین(علیه السّلام) والواقع العلمی.

۶- قسم دائره معارف الإمام الحسین(علیه السّلام)، وهی موسوعه تشتمل علی کل ما

يرتبط بالنهضه الحسينيه من أحداث ووقائع ومفاهيم ورؤى وأسماء أعلام وأماكن وكتب وغير ذلك من الأمور، مرتبه حسب حروف الأف باء، كما هو معمول به فى دوائر المعارف والموسوعات، وعلى شكل مقالات علميه رصينه تراعى فيها كل شروط المقاله العلميه، ومكتوبه بلغه عصريه وبأُسلوب سلس ومقروء.

٧- قسم الرسائل الجامعيه، والعمل فيه جار على إحصاء الرسائل الجامعيه التى كُتبت حول النهضه الحسينيه ومتابعتها من قِبل لجنه علميه متخصصه؛ لرفع النواقص العلميه وتهيئتها للطباعه والنشر. كما ويتم إعداد موضوعات حسينيه تصلح لكتابه رسائل وأطاريح جامعيه تكون بمتناول طلّاب الدراسات العليا.

٨- قسم الترجمه، والعمل فيه جار على ترجمه التراث الحسينى باللغات الأُخرى إلى اللغه العربيه.

٩- قسم الرصد، ويتم فيه رصد جميع القضايا الحسينيه المطروحه فى الفضائيات والمواقع الإلكترونيه والكتب والمجلات وغيرها؛ مما يعطى رؤيه واضحه حول أهم الأُمور المرتبطه بالقضيه الحسينيه بمختلف أبعادها، وهذا بدوره يكون مؤثّراً جدّاً فى رسم السياسات العامه للمؤسسه، ورفد بقيه الأقسام فيها، وكذا بقيه المؤسسات والمراكز العلميه بمختلف المعلومات.

١٠- قسم الندوات، ويتم من خلاله إقامه ندوات علميه تخصصيه فى النهضه الحسينيه، يحضرها الباحثون والمحققون وذوو الاختصاص.

١١- قسم المكتبه الحسينيه التخصصيه، حيث قامت المؤسسه بإنشاء مكتبه حسينيه تخصصيه تجمع التراث الحسينى المطبوع.

وهناك مشاريع أُخرى سيتم العمل عليها قريباً إن شاء الله تعالى.

كتاب التوحيد فى المشهد الحسينى

التوحيد هو أساس العقيده الإلهيه وركنها الحصين، وعليه تبتنى جميع الأُصول الأُخرى، ومنه تتفرّع تفاصيل المعتقد؛ لذلك فإنّ البحث عن التوحيد وفى التوحيد يُعتبر بحثاً محورياً ومفصلياً للعقيده الإلهيه، وقد حاز أهم المراتب التحقيقيه العلميه فى مجمل مفاصل العقيده.

ثمّ إنّ التوحيد تاره يبحث كعقيده نظريه لها ارتباط وثيق بحياه الإنسان، وأُخرى يبحث كظاهره حياتيه يعيشها الفرد المؤمن، وإذا أردنا أن نسلّط الضوء على النوع الثانى نجد أنّ حياه المعصوم هى أفضل بيان وأتمّ مظهر لعقيده التوحيد؛ من هنا جاء هذا الكتاب - عزيزى القارئ - لبيان مظاهر التوحيد بتمامها وأتمّها فى حياه شخصيه ورثت تمام صفات الأنبياء والمرسلين، فكانت المظهر الأبرز لتوحيد الله تعالى.

وقد احتوى هذا الكتاب على مظاهر توحيديه عديده مع تحليلات علميه وربط دقيق وعميق بين مفاصل الحياه التى تحكمها العقيده والمنطق والبرهان، وقد حاز هذا الكتاب على قبول واسع من مختلف شرائح المجتمع العلميه والثقافيه؛ ممّا أدّى إلى نفاده من الأسواق فى فتره قياسيه، فكان لا بد من إعاده طبعه فى حلّه جديده، ليكون بمتناول يد الباحثين والمحققين.

نسأل الله تعالى أن يبارك لنا فى أعمالنا إنّه سميع مجيب.

اللجنه العلميه فى مؤسسه وارث الأنبياء للدراسات التخصصيه فى النهضه الحسينيه

مقدمه الطبعه الأولى

العلم والقراءه والكتابه بالقلم، قواعد المجد، ومفاتيح التنزيل، وديباجه الوحى، ومشرق القرآن الكريم، بها يقوم الدين، وتُدوّن الشرائع، وتحيى الأُمم، وتُبنى الحضارات، ويُكتب التاريخ، ويُرسم الحاضر والمستقبل، وبها تتمايز المجتمعات، وتختلف الثقافات، ويُوزن الإنسان، ويتفاضل الناس، ويزهو ويفتخر بعضهم على البعض الآخر.

فى ضوء هذه القيم والمبادئ الساميه، ومن منطلق الشعور بالمسؤوليه، وبالتوكل على الله تبارك وتعالى، بذلت الأمانه العامه للعتبه الحسينيه المقدّسه جهوداً كبيره واهتمامات واسعه لدعم الحركه العلميه والفكريه والثقافيه، وتطوير جوانب الكتابه والتأليف والتحقيق والمطالعه، وذلك عن طريق الاهتمام بالشؤون الفكريه، وافتتاح المؤسسات ومراكز الدراسات العلميه، وبناء المكتبات التخصّصيه، والتواصل مع الأساتذه والعلماء والمفكّرين، وتشجيع النّخب والكفاءات والطاقات القادره على بناء صروح العلم والمعرفه.

وتُعد مؤسسه وارث الأنبياء للدراسات التخصّصيه فى النهضه الحسينيه فى النجف الأشرف وقم المقدسه، امتداداً لتلك الجهود المباركه، وقد عملت منذ تأسيسها وبأقسامها ووحداتها المتنوّعه على إثراء الواقع العلمى والفكرى، وذلك من خلال تدوين البحوث، وتأليف الكتب وتحقيقها ونشرها، وإصدار المجلات المتخصّصه، والمشاركه الفاعله مع شبكه التواصل العالميه، وإعداد الكوادر العلميه القادره على مواصله المسيره.

ومن تلـك الأمور المهمّه التى تصـدّت مؤسّسـتنا المباركه للقيام بها وتفعيلها بشـكل واسع - فى إطار وحـده التأليف والتحقيق - هى الاهتمام بنشر التراث العلمى والنتاج الفكرى والكتابات التخصّصيه للعلماء والمحقّقين والباحثين، وذلك بهدف فسح المجال وفتح الأبواب والنوافذ أمام قرّاء الفكر، وطلاب العلم والحقيقه.

ومن تلك النتاجات العلميه القيّمه، هذا السـفر الماثل بين يديك عزيزى القارئ، وهو كتاب (التوحيد فى المشهد الحسينى) وهو عباره عن بحوث لسماحه الفقيه المحقق آيه الله الشيخ محمد السند (دامت بركاته)، بقلم الشيخ رافد الزبيدى.

ويعتبر هـذا العمل من الأعمال المهمه فى الأوساط العلميه؛ حيث تناول أبعاداً معرفيه عميقه فيما يرتبط بعقيـده التوحيد من خلال المشـهد الحسـينى، كاشفاً بذلك زوايا جديده لهذه النهضه المباركه. وتُعدّ هذه الرؤيه وهذه القراءه فريده من نوعها حيث قامت على تحليل الحركه الحسينيه تحليلاً كلامياً فى سياق التوحيد، والمقصود من التوحيد جميع مظاهره التى تتجلّى فى مجمل العقائد الإلهيه. وسيلمس هذا المعنى القارئ بوضوح إذا ما طالع الكتاب مطالعه فاحصه ودقيقه.

وفى الختام نتمنى دوام التوفيق لجميع خدمه الإمام الحسين(عليه السّلام) وخدمه القضيه الحسينيه، ونسأل الله تعالى أن يبارك لنا فيص أعمالنا إنه سميع مجيب.

اللجنه العلميه فى مؤسسه وارث الأنبياء للدراسات التخصصيه فى النهضه الحسينيه

مقدّمه المقرّر

الكثير كَتب عَنْ الإمام الحسين، والكثير قرأ الملحمه الحسينيّه، ومِن الطبيعى أنْ تتفاوت القراءات؛ لتفاوت الأفهام، وَمِنْ الاعتيادى أنْ نجد الكثير مِنْ القراءات الغيبيّه للحركه الحسينيّه، كما لا نعدم وجود الكثير مِنْ القراءات السطحيّه الساذجه، فى مقابل ذلك نجد القليل مِن القراءات العقائديه الصحيحه لحركه سيّد الشهداء(عليه السّلام) الَّتِى تتجاوز السطح وتغور فى العُمق الفكرى والتحليلى، وأقل مِنْ ذلك القراءات التوحيديّه لمسرح عاشوراء.

ولعلَّ مِنْ باب الحمل عَلَى الصحّه - لِمَنْ وقف عَلَى السطح ولم يتجاوزه- هُوَ أنَّه توهَّم أنَّ سبر الأغوار معرفياً فى واقعه كربلاء يكون مِنْ الاجتهاد مقابل النصّ - أى: نصَّ الحسين(عليه السّلام)- لأنَّه(عليه السّلام) صرَّح بسبب الخروج أمام الاستفهامات المتنوِّعه، وأسباب اصطحاب النساء والأطفال وغيرها، وما دام قدْ صرَّح فلماذا التحليل والتعليل؟! فالقضيه تعبّديه.

والناظر الفَطن يرى ذلك أيضاً، ولكنَّه لا يختصر الفتح المُحمدىّ عَلَى يد الحسين(عليه السّلام) بذلك البُعد الواحد، فنجد أنَّ مثل شيخنا الأُستاذ المُحقّق مُحمَّد السّند يرى أنَّ بعض تلك الأجوبه تُبيِّن بَعْض زوايا الحقيقه لا كلّها، تتناسب مَعَ مُستوى إدراك السامع، وَمِنْ هُنا أفاض شيخنا الأُستاذ فى أهمّيه الرؤيه التوحيديّه والقراءه المنظوميّه لواقعه كربلاء، بتحليل الحركه الحسينيّه مِنْ خلال قراءتها قراءه كلاميّه فى سياق التوحيد، وهى تشكِّل قراءه توحيديّه

مُبتكره فيتناول واقعه كربلاء وحركه الحسين(عليه السّلام).

والتوحيد المقصود فى هَذا البحث، لَيسَ التوحيد كيفما اتّفق، بلْ هوَ التوحيد الذى يشكِّل رأس الهرم للمعارف الدينيّه عموماً، ابتداءً مِنْ أُصول الدِّين مروراً بالفضائل الأخلاقيه وانتهاءً بفروع الدِّين - وَهَذا بحدِّ ذاته يحتاج إلى شرح ليس هذا محله-.

ولذا؛ فإنَّه قدْ يستغرب القارئ الكريم لأنَّه عندما ينظر إلى عنوان الكتاب وَهُوَ (التوحيد فى المشهد الحسينىّ) يتصوّر أنَّ الحديث سيكون عَنْ معانى التوحيد، وأنَّ الحسين مِنْ خلال قتاله وشهادته وَحَّدَ اللهَ، وبذلك ينبغى أنْ تكون العناوين تحمل عنوان التوحيد، أو ما هُوَ قريب مِنْ هَذا المعنى، وإذا بالقارئ يجد نفسه أمام مفردات وعناوين - كأنَّها- لا صله لها بعنوان الكتاب، لأنَّ عنوان الكتاب هُوَ (التوحيد فى المشهد الحسينىّ) وعناوين بحث الكتاب تتحدّث عَنْ البَداء، ولكن بَعْدَ القراءه والتأمُّل سيرى أنَّ الإيمان بالبَداء هُوَ مظهر مِنْ مظاهر التوحيد، بلْ مِنْ أعظمها؛ لأنَّ الحديث الشريف يقول: «ما عُبِدَ الله بشىء مثل البَداء»(١)، وكذلك: «ما عُظِّم الله بمثل البَداء»(٢).

فإذاً؛ البَداء عبوديّه وتوحيد عمليٍّ واعتقادى، ثمَّ إنَّه قدْ يبدو استغراب آخر وَهُوَ أنَّ عناوين البحوث الرئيسه تتحدّث عَنْ البَداء، بينما نجد العناوين الفرعيّه تتحدّث عَنْ القضاء والقدر، والجبر والتفويض، والحتميه والتدبير،

١- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج١، ص١۴۶. الصدوق، محمد بن على، التوحيد: ص٣٣٢.

٢- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج١، ص١۴۶.

واليقظه والحذر، والمسؤوليه والتفاؤل ... فما هُوَ الربط والجامع لهذه العناوين؟

فنقول: إنَّه بـالنَّظر البسـيط - وللوهله الأُولى- يمكن أنْ يكون هُنـاك تفرُّق وتفكـك فى هـذهِ العناوين، أمَّا بالـدقّه لَيسَ هُناك تفرُّق، بلْ هُناك كمال الأُلفه؛ فإنَّ مثل التفاؤل وإنْ كَانَ عنواناً أخلاقياً ومعنى باطنياً، إلّا أنَّه ينطوى عَلَى حُسن الظَّن بالله والتوكُّل عليه، فيمكن أنْ يرتبط بالبحث مِنْ جهتين، وهُما: أنَّ هَـذا المعنى الباطنى الأخلاقى يمكن أنْ يكون عملاً ظاهرياً بـدنيّاً؛ وبالتالى يمكن أنْ يرتبـط (التفاؤل) بعناوين توحيـديّه عديـده، منها التوكُّل الاعتقادى والعمليّ الصـحيح، وَمِنْ جهه أُخرى بمعنى وحقيقه التدبُّر الصحيح الذى يرتبط بحقيقه الإيمان والإراده لدى الفرد، وَهَذا يتّصل بمعنى الجبر والاختيار.

وبالتالى؛ يرتسم بارتسامها معنى القضاء والقـدر والبَـداء وتتشـكَّل منها أُطر التوحيـد الصـحيح، كذلك (التوكُّل) فإنَّ نفس معنى التوكُّل بعنوانه الأخلاـقى له حقيقه عُليـا وهى الإيمان بحُسن التـدبير وسـعه القضاء والقـدر الإلهيين، وله حقيقه أعلى وهى السـعه الوجوديّه التى هى معنى البَداء، والبداء الأعظم الذى هُوَ مظهر لحقيقه التوحيد الأعظم.

وعَلَى هَذا؛ يمكن للقارئ اللبيب أنْ يُرجِعَ كُلَّ العناوين لجذورها العقائديّه وحقائقها التوحيديّه، سواء كانت مُتمازجه أو مُنفصله، وَمِنْ سرّ وأسرار هذهِ البحوث المعرفيه التى بيَّنها أهل البيت(عليهم السّلام) - (ونحنُ نعيش عَلَى

فُتـات موائـدهم)- أنَّهـا لو دُمجت بعضـها مَعَ البعض الآـخر سوف تصـل بها إلى التوحيـد، ولو حلَّلت التوحيـد لوصـلتَ إلى كُلّ المعانى العقائديه والأخلاقيه،

قوس صعود ونزول، يبدأ بنقطه ويرجع إلى نفس النقطه التى بدأ منها.

وهـذهِ نُكته وسرّ توحيدىّ لمْ يكن ليظهر لولا بيانات أهل البيت(عليهم السّلام) مِنْ الوحى، ويمكن للناس أنْ يفهموا وينهلوا منه إذا أحسنوا شكر النعم - شكراً عمليّاً- وأعظمها وأجلاها هى نعمه الولايه، قال تعالى - عَلَى لسان يوسف(عليه السّلام)-: « ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ »(۱)، وجدير بهذهِ الرؤيه أنْ يُقرأ سيد الشهداء(عليه السّلام) فى منجزه مِنْ خلالها.

ثمَّ قد يبدو هناك استغراب ثالث: وهو ما علاقه (التوحيد فى المشهد الحسينىّ) الذى هو عنوان هذا البحث بعنوان (السفيانى بين الحتم والبَداء) وعنوان (قواعد منهجيه فى النشاط...) وعنوان (قواعد الجهاد الدفاعى)؟!

والعلاقه: أنّ التوحيد فى المشهد الحسينىّ الذى هو البحث الأُم -المحورى (المركزى)- يتحدَّث عن مراتب البَداء فى مشهد الطف، وهذا البحث له كامل الصله مع بحث (السفيانى بين الحتم والبَداء) لوجود عنصر البَداء المشترك بينهما.

كما أنّ عنوان (قواعد منهجيه فى النشاط الدينى والسياسى والاجتماعى) هى قواعد تُمنهج نشاط المؤمنين - وخصوصاً فى الظرف الراهن- زمن غيبه الإمام.

وبالتالى؛ هى لها علاقه ببحث السفيانى باعتبار أنّها تُبرمج وتنظِّم عمل المؤمنين فى كيفيّه

۱- يوسف: آيه ۳۸.

مواجهه حركات الانحراف - التى منها حركه السفيانى- كما أنَّ قواعد الجهاد الدفاعى تبيِّن نشاط المؤمنين فى الجانب العسكرى فى كيفيّه مواجهه حركات الانحراف - عسكرياً- إذا وُجِدت مبررات الجهاد العسكرى.

فإذاً؛ قواعد نشاط المؤمنين الوظيفى الدينى السياسى والاجتماعى والعسكرى لها أبعاد فى مواجهه حركات الانحراف والفتن، وخصوصاً فتنه السفيانى. وكلّ هذه البحوث الثلاثه محورها مشهد الطفّ؛ لأنّ التوحيد فى المشهد الحسينى عنوان كلّى مهيمن يمنهج كلَّ نشاطات المؤمنين بشكل نَظْمٍ منظومى هيمنى ترابطى.

وهُنا أُمور مُهمّه تتّصل بمنهج البحث ينبغى بيانها للقارئ الكريم وحاصلها:

أوَّلاً: إنَّ المُخ الأساس لهذا البحث هُوَ جواب سؤال مفاده: إنَّ الحسين(عليه السّلام) كَانَ يعلم بقتله، ومَعَ ذلك نراه - كأنَّه- يتصرَّف على عكس ما يعلم، حيث قاتل قتال الموعود بالنصر، ودبّر إداره الأحداث تدبير المتطلِّع للنصر القريب، وليسَ الموعود بالقتل، وكانت الأجوبه قدْ توزَّعت عَلَى شكل مباحث.

ثانياً: إنَّ هَذا البحث عباره عَنْ خمس مُحاضرات ألقاها سماحه الأُستاذ المُحقّق آيه الله الشَّيخ مُحمَّد السّند فى مجلس درسه المُبارك فى الصحن الحيدرى الشريف فى مسجد عمران بن شاهين، ابتداءً مِنْ ٢٥ ذى الحجّه لسنه ١۴٣٣ه- لغايه ٢٩ منه، فبدأ تدوين البحث فى محرَّم لسنه ١۴٣۴ه-، وتمَّ الانتهاء منه فى ربيع الآخر لسنه ١۴٣٥ه-، وقدْ شكّلت المحاضره الأُولى منه مدخلاً للبحث.

ثالثاً: إنَّ هَذا البحث تقريرات مُباشره لما أفاده الشَّيخ الأُستاذ فى مجلس

درسه، وكَانَ تبييض هذه التقريرات يستدعى إعاده صياغه لمفردات البحث تقديماً وتأخيراً ونحوها؛ ضروره الاختلاف بين الدرس المُلقى والبحث المكتوب، مُضافاً إلى إحاله النصوص إلى مصادرها.

وأيضاً نتيجه المُراجعه المُستمرّه مَعَ سماحه الأُستاذ المُحقّق (دام ظله) تمَّ إضافه العديد مِنْ الأفكار والموضوعات إلى البحث الأساس.

ولا أنسى أنْ أتقدَّم بالشكر لأُستاذى (دام ظله) الذى منحنى مِنْ وقته وجهده، وأيضاً أشكر كُلّ مَنْ ساعدنى فى إخراج هَذا الكتاب.

هَذا، وابتهل إلى العلى القدير أنْ أكون قدْ وُفِّقت فى تقرير دروس شيخنا الأُستاذ بالمستوى اللائق فى بيان أفكاره، وإيصالها إلى القارئ الكريم مصونه عَنْ كُلّ لَبْس، وأنْ يعفو عَنْ زلّاتى وأخطائى، بحق مُحمَّد وآل مُحمَّد.

والحمد لله رب العالمين بدءاً وختاماً.

النجف الأشرف ربيع الثانى/ ١۴٣۵ رافد الزبيدى

تمهید

بحث التوحید فی المشهد الحسینی کان منبثقاً ومتولِّداً من سؤال عن السبب الذی ولَّد النشاط المتزاید للإمام الحسین(علیه السّلام) فی معرکه الطفّ.

وهناک ثلاثه أجوبه عباره عن فصول ثلاثه تدور حول الإجابه عن السؤال، کلّ جواب فی مبحث.

وجمیع الأجوبه - الثلاثه- تُشیر إلی سبب واحد هو الذی ولَّد ذلک النشاط وهو (البَداء)، ولکن الأجوبه اختلفت فی مستویاتها تبعاً لاختلاف مستویات البَداء، فالجواب الأول - الذی فی الفصل الأول- یُشیر إلی أنَّ سبب النشاط المتزاید هو البَداء الأعظم؛ لأنَّ القتل لسیّد الشهداء(علیه السّلام)، وإن کان محتوماً، إلّا أنَّ ذلک الحتم هو لما دون من العوالم، کلوح القضاء والقدر، أمّا عالم المشیئه فهو عالم أوسع یمکن من خلاله حدوث البَداء المعروف، ولذا أسمیناه بالبَداء الأعظم.

أمّا الجواب الثانی - الذی فی الفصل الثانی- فقد فسَّر سبب النشاط الحسینیّ بالبَداء، ولکن لیس البَداء الأعظم، بل البَداء فی تفاصیل الواقعه - الجزئیه- وتمّ توضیح الجواب من خلال شواهد من حیاه المعصومین(علیهم السّلام) ؛ إذ کان فعل رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) مع أصحابه وأعدائه فی أحیان کثیره بلحاظ سعیه لحصول البَداء فی مرتبته الجزئیه، فقد کان یفعل ذلک مع الکفّار والمنافقین، وکان یربّی أصحابه علی ذلک، وهو أدب إلهی وتربیه إلهیه قبل أن تکون تربیه

نبويّه، كما حصل فى فعل الله مع إبليس، وهكذا كان فعل أمير المؤمنين(عليه السّلام) فى حروبه - فى مقارعته للأبطال- وفى صبره حين غُصبت منه الخلافه.

كذلك تتّضح الإجابه أكثر فى نشاط الإمام الصادق(عليه السّلام)؛ فقد رسم لنا ضوابط فى المعرفه الثاقبه بالقضاء والقدر، وقد تمّ من خلال ذلك معرفه الأُمور التاليه: أين تكمن موقعيّه النشاط؟ وأين هى موقعيّه الرضا والصبر؟ وأين ومتى يكون الإلحاح فى الدعاء؟ ومتى يكون الرضا والسكون؟

وأيضاً يمكن تفسير النشاط الحسينىّ من خلال سلوك الإمام الغائب، بل وفى سلوك أنصاره ووزرائه - لكن بشكل معاكس لأنّهم موعودون بالنصر وليس بالقتل- وكيف أنّهم خائفون (حاذرون) رغم حتميّه النصر، وأنّ شجاعتهم لا تنافى حذرهم، وأنّ شجاعتهم شجاعه تدبير لا شجاعه على المستوى الفردى، بل إنّ الأمر يصل إلى أهمّيه ذلك التدبير فى حياه المؤمن حين يأمره المعصوم(عليه السّلام) أن يكون من أحلاس البيوت، فيظهر أنّ معنى الحلس هو كمال اليقظه والحذر مع الثبات فى بيت المنهج والعقيده، وبذلك نترجم فلسفه النشاط الحسينىّ فى مشهد الطفّ من زاويه وجهه أُخرى تختلف عن الأُولى .

وبعد أن يتمّ توضيح الجواب الثانى تصل النوبه إلى الجواب الثالث، حيث لم يفسِّر النشاط الحسينى بالبَداء الأعظم، ولم يفسِّره بالبَداء فى تفاصيل الواقعه، بل فسَّره بالبَداء فى النتائج، حيث كان نشاطه - بهذا التفسير- لرسم أفضل النتائج غير المحسومه ولا المحتومه.

وفى هذا الجواب يتمّ استعراض نشاط المعصومين(عليهم السّلام) مع أصحابهم بحثاً عن أفضل النتائج التى لا حسم ولا حتم فيها، ويتمّ استعراض القاعده

النبويّه العظيمه (تفاءلوا بالخير تجدوه)، وهى قاعده عظيمه وواضحه فى سلوك المعصومين(عليهم السّلام) ، بل هى عظيمه النتائج فى حياه كلِّ الناس لو أحسنوا فهمها وتطبيقها، وكيف أنَّها تصنع المعجزات فى حياه الأفراد والأُمم.

ثمَّ نعرِّج بعد ذلك على المضايق التى مرّت فى الإسلام، والتى لولا تدبير النَّبِىّ(صلّى الله عليه و آله وسلّم) والوصى(عليه السّلام) - والأوصياء الاثنى عشر(عليهم السّلام) - لما بقى للإسلام اسم ولا رسم، وكيف أنّهما حرصا بتدبير استنفارى متواصل رغم وعد الله بالنصر لهما ولدين الإسلام وأنّ الله سيُظهره على الدين كلّه.

كذلك فى الجواب الثالث بيان توضيحى للمعلم الجبرى اليهودى وللمعلم التفويضى، وكيف أنّ التوحيد فى مشهد الطفّ كشف زيف كلا المنهجين، ثمَّ كيف حوَّل الهزيمه إلى نصر، والغصّه إلى فرصه، وكيف تحقق له النصر فى الابتلاء الإلهى بنجاحه فى مراتب الابتلاء الإلهى، ثمَّ فى آخِر البحث تسليط الضوء على الفتح الحسينىّ.

ص: ١٧

القسم الأول: التوحيد فى المشهد الحسينى (مباحث فى العقيده)

وفيه ثلاثه فصول:

اشاره

الفصل الأوّل: البَداء الأعظم.

الفصل الثانى: حَتميّه القضاء والقَدَر فى مفهوم النهضه الحسينيّه.

الفصل الثالث: لا حَسم سابق ولا حتم فى التداعيات بدون إمكانيه البَداء.

ص: ١٩

المدخل

انفتقت مباحث هَذا الكتاب عَنْ سؤال عَنْ مشهد مِنْ مشاهد عاشوراء، والسُّؤال هُوَ:

إنَّنا نرى المعصوم سواء سيّد الأنبياء(صلّى الله عليه و آله وسلّم) أو أهل بيته(عليهم السّلام) يتفاعل مَعَ الحدث، وكأنّه لَيسَ هُناك مِنْ أمر محتوم، بلْ يسعى وكأنَّ النتيجه غَير محسومه وغير محتومه، فيما تُشير الأدلّه إلى أنَّ الله أطلعهم عَلَى ما كَانَ وما يكون مِنْ الأحداث الَّتِي تجرى عليهم، فنجد أنَّ فعلهم كأنَّه فعل مَنْ لمْ يعلم أو يرجو غَيْر ما علم.

ولذا يُقَال: إنَّ الله لا يُطلع الناس عَلَى مصائرهم؛ لأنَّه يؤدِّى بهم إلى الجمود والشلل إمَّا بسبب الإياس؛ لأنَّهم - بحسب الاطّلاع المُشار إليه- سوف ينتهون إلى جهنّم، أو بسبب الفرح والبطر؛ لأنَّهم سوف يذهبون إلى الجنّه.

القُرآن الكريم يخبرنا عَنْ بعض الأنبياء مثل (نوح(عليه السّلام)، أو يونس(عليه السّلام)، أو غيرهما)، أنَّه أصابهم فتور نسبى بسيط فى التدبير، وَهُوَ ما يُسمّى (ترك الأَولى)، وليسَ هُوَ مِنْ المعصيه الَّتِي يرتكبها الناس؛ وذلك بسبب العلم بما سيكون، فيونس(عليه السّلام) ترك الأَولى، حيث كَانَ الأَولى أنْ لا يفعل ذلك رغم أنَّه لمْ يرتكب محرّماً، كَانَ الأَولى أنْ لا يترك قومه بَعْدَ أنْ عَلِمَ وأُخبر بوقوع

العذاب عليهم، كذلك نوح بَعْدَ أنْ أخبره الله بنجاته هُوَ وأهله أخذ يطلب مِنْ الله نجاه ابنه، قال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}(۱). أى: أنَّ وعدك حقّ لا ريب فيه، وأنت وعدتنى بنجاه أهلى، وأنَّ ابنى مِنْ أهلى، فلماذا لا ينجو؟ فأتاه الجواب: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}(۲) {فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِين}(۳).

أمَّا أهل البيت(عليهم السّلام) ، فالأمر مُختلفٌ تماماً، فنلاحظ سلوكاً معرفيّاً سطّره سيّد الشهداء مِنْ خلال الطفّ، تأخذ منه الأفراد والمُجتمعات والدول مفهوماً توحيديّاً، وهكذا كُلّ المعصومين(عليهم السّلام) ، فهَذا سيّد الأوصياء فى كُلّ حركاته وفى كُلّ حروبه، ولو نظرته فى معركه الجمل - مثلاً- كَانَ يُقاتل مِنْ جهه الحيطه والحذر قتال مَنْ لا يقين له بالنصر رغم يقينه بالنصر.

والأمر أوضح بكثير فى سيره سيّد الأنبياء(صلّى الله عليه و آله وسلّم)؛ حيث كَانَ يُجاهد ويُكابد مُنْذُ بدء الدعوه إلى رحيله المُبارك، رغم البشارات الكثيره الكثيره بالنصر، كما نقرأ - فى زيارته- : «السَّلام عَلَى المنصور المؤيد...»(۴).

بلْ هُوَ موعود بالفتح وإظهار الدِّين عَلَى الدِّين كُلّه، قال تعالى: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}(۵)، مَعَ ذلك نراه يُجاهد ويُكابد،وكأنّه لمْ يُخبَر

۱- هود: آيه۴۵.

۲- هود: آيه۴۶.

۳- هود: آيه۴۶.

۴- المشهدى، محمّد بن جعفر، المزار: ص۲۰۶.

۵- التوبه: آيه۳۳.

بشیء، فهل هَذا تصنُّع وتمظهر، أم ماذا؟

الجواب: إنَّ النشاط والحرکه الـدؤوبه الَّتِی أبداها الحسـین(علیه السّـلام) فی معرکه الطفّ - والَّتِی أُخبِر فیها مِنْ قِبل جدِّه رسول الله(صـلّی الله علیه و آله وسـلّم) بـأنَّه مقتول فی هـذهِ المعرکه- یعود إلی أُمور عدیـده، یمکن أنْ نجعلها أجوبه تفسـیریّه لنشاطه اللامتناهی وحیویّه تحرّکه عنفوانیاً، ومثابرته(علیه السّلام) المتوقّده، والسطور القادمه تتکفّل عرض هذه الأجوبه.

ص: ۲۳

الفصل الأوَّل :البَداء الأعظم

اشاره

ص: ۲۵

البَدَاءُ الأعْظَم

إنَّ الإيمان بالبَـداء الأعظم فی أصل الشـهاده - وأصل الحدث والواقعه والنقطه المرکزیه وحُسن الظَّن بسـعه رحمه الله- هُوَ الذی ولّد النشاط اللامتناهی للحسـین(علیه السّـلام) فی عرصه کربلاء، فالإیمان بالبَداء الأعظم مولِّد ومُفجِّر لعنفوان الرجاء، ودافع إلی الأمل بالخیر.

وهذهِ معرفه بالغه وقراءه نیّره للتوکُّل علی الله تعالی والرجاء لرحمته تفوق الإیمان بالقضاء والقدر.

وَهَذا الجواب إجمالی، ولا بدَّ مِنْ بسط الکلام بشکل تفصیلی، ولکن قبل البسط، لا بدَّ مِنْ بیانٍ لمعنی البَداء.

البداء فی اللُّغه: «بَدا الشیء بدواً وبداءً أی: ظهر ظهوراً بیّناً، قال تعالی: {وَبَدَا لَهُم مِنَ الله مَا لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُون}(۱)»(۲).

والبـداء فی الاصـطلاح له عِـدَّه معانٍ، منها: هُوَ ظهور الشـیء مِنْ الله تعالی لِمَنْ یشاء مِنْ خلقه بَعْـدَ إخفائه عنهم - أی: أُبـدی لله تعالی شأن أو حکم

۱- الزمر: آیه۴۷.

۲- الراغب الأصفهانی، الحسین بن محمد، المفردات فی غریب القرآن: ص۴۰، مادّه (بَدا).

تبعاً لمصلحه العبد- ومنها: البَداء معنی یساوق النسخ، فالبَداء نسخ تکوینیّ.

ومنها: البَداء بحسب ما نری هُوَ السعه الوجودیّه، قال الله تعالی: {وَکَانَ الله وَاسِعاً حَکِیماً}(۱)، وَهُوَ عباره عَنْ سعه قدرته وعلمه ورحمته وأفضاله.

فعن أمیر المؤمنین(علیه السّلام) أنَّه قال: «لولا آیه فی کتاب الله لأخبرتکم بما کَانَ وبما یکون وما هُوَ کائن إلی یوم القیامه، وهی هذهِ الآیه: {یَمْحُو الله مَا یَشَاء وَیُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْکِتَاب}(۲)»(۳).

وهُناک آیات کثیره تُشیر إلی أنواع ومراتب البَداء؛ لأنَّ بعضها یتحدّث عَنْ بدء الخلق، قال تعالی: {أَوَلاَ یَذْکُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ یَکُ شَیْئاً}(۴)، وکذلک قوله تعالی: {وَهُوَ الَّذِی یَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ}(۵)، ویقول: {بَدِیعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}(۶)، ویقول عَزَّ وَجَلَّ: {وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِین}(۷). وَهُوَ نوع بَداء؛ لأنَّ مُطلق المخلوق أو الإنسان أو السماوات والأرض لَمْ تکُ ثمَّ کانت، وأمَّا قوله تعالی: {یَزِیدُ فِی الْخَلْقِ مَا یَشَاء}(۸). فهُنا

البَداء فی الزیاده فإنَّ هُناک خلق والله یبدو له فی زیادته.

۱- النساء: آیه ۱۳۰.

۲- الرعد: آیه۳۹.

۳- الطبرسی، أحمد بن علیّ، الاحتجاج: ج۱، ص۳۸۴. المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۴، ص۹۷.

۴- مریم: آیه۶۷.

۵- الروم: آیه۲۷.

۶- البقره: آیه۱۱۷.

۷- السجده: آیه۷.

۸- فاطر: آیه۱.

وأمَّا قوله تعالى: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ الله إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ}(۱)، فإنَّ الإرجاء نوع مِنْ البَداء ومرتبه منه مُخْتلِفه عَنْ المراتب الأُخرى، فهى لَيسَ فى بـدء الخلق ولا فى الزياده فى الخلق، بلْ هِىَ فى الإرجاء لأمر الله، فإمّا أنْ يعـذبَهم أو يعفو عنهم، وأمَّا قوله تعالى: {وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِى كِتَابٍ}(۲). فَهُوَ لأجل بيان أنَّ زياده عمر أو نقصانه لا يكون إلّا بكتاب وإنَّ أمر الكتاب بيده تعالى إنْ شاء زاد فى الكتاب عمره فيزيد فى الواقع الخارجى، أو نقص فى الكتاب فينقص(۳).

وَقَد أُشـير إلى بيان ارتباط هذه الآيات بالبَداء فى حديث سـليمان المروزى مَعَ الإمام الرضا(عليه السّـلام): «قال سـليمان: لأنَّه قدْ فرغ مِنْ الأمر، فليس يزيد فيه شـيئاً. قال الرضا(عليه السّـلام): هَذا قول اليهود، فكيف قال تعالى: {ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ}(۴). قال سليمـان: إنَّمـا عنى بـذلك أنَّه قـادر عليه. قـال(عليه السّـلام): أفيعـد ما لا يفى به؟ فكيف قال(عليه السّـلام): {يَزِيـدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشَاء}، وقال عَزَّ وَجَلَّ: {يَمْحُو الله مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَاب}، وقدْ فرغ مِنْ الأمر؟ فلم يجد جواباً»(۵).

ولعلَّه يكون هُناك استغراب مِنْ التعريف الذى قدّمناه؛ فإنَّ الآيه الَّتِى

۱- التوبه: آيه۱۰۶.

۲- فاطر: آيه۱۱.

۳- وهـذهِ الآيات فى معنى البـداء مقتبسه مِنْ مناظره الإمام مَعَ سـليمان (متكلم خراسان)؛ حيث سأله عَنْ آيات البَـداء فأورد هذهِ الآيات السبع مُبيّناً مِنْ خلالها أنَّ البَداء أنواع ومراتب.

۴- غافر: آيه۶۰.

۵- الصدوق، محمّد بن على، عيون أخبار الرضا(عليه السّلام): ج۱، ص۱۶۷. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۱۰، ص۳۳۶.

تُذکر فی تعریف البَداء - بحسب نصّ الروایات(۱)- هی: {یَمْحُو اللهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْکِتَاب}(۲).

فإنَّ معنی السعه لمْ یتّضح مِنْ بیان الآیه، فهل تعریفنا مُخالف لبیان الآیه ومفاد الروایات، أم ماذا؟

فنقول: لَیسَ هُناک مخالفه، کما أنَّ کُلّ روایه لیست فی معرض بیان التعریف الکامل للبَداء، بلْ لتوضیح زاویه وجهه مِنْ جهات البَداء الذی خُصَّ فی روایات أُخری بأعظم وصف، ففی صحیح زُرَاره عَنْ أحدهما(علیهاالسّلام): «ما عُبِدَ الله بشیء مثل البَداء»(۳). وفی صحیح هشام بن سالم، عَنْ أبی عبدالله(علیه السّلام): «ما عُظِّمَ الله بمثل البَداء»(۴).

ویظهر ممّا تقدَّم أنَّ للبَداء - بحسب الآیات والروایات- جهات وزوایا عدیده یمکن أنْ یُعرف بها، وهی تُشیر للسعه الوجودیه، قال تعالی: {وَالسَّمَاء بَنَیْنَاهَا بِأَیْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُون}(۵).

فالوجود الواسع یُهَیْمِن عَلَی الوجود الضیِّق، والوجود الأوسع یُهَیْمِن عَلَی الواسع وهکذا، کُلّ واقعیه تُغرِق ما هُوَ دونها مِنْ الواقعیات فیها، فإذا کَانَ حکم مِنْ الأحکام التکوینیّه تولّد تبعاً لموضوعه فإذا جاء الموضوع الأعلی

۱- اُنظر: الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۱، ص۱۴۶. القمی، علی بن بابویه، فقه الرضا(علیه السّلام): ص۴۵.

۲- الرعد: آیه۳۹.

۳- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۱، ص۱۴۶. الصدوق، محمد بن علی، التوحید: ص۳۳۲.

۴- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۱، ص۱۴۶.

۵- الذاریات: آیه۴۷.

هیمن عَلَی الأدنی، وکَانَ حکمه هُوَ النافذ وزال الحُکم الأوَّل.

إذاً؛ الإیمان بالبَداء الأعظم واحتمال التغییر هُوَ الذی ولّد النشاط اللامتناهی للإمام الحسین(علیه السّلام)؛ حیث إنَّه یتوقّع حدوث البَداء فی کُلّ لحظه وفی کُلّ آن، فکُلّ شیء واقع تَحْتَ سلطه وهیمنه الباری القدیر الواسع اللامتناهی، یمکن أنْ یتغیّر کُلّ شیء فی (کُنْ فَیکون)، کما فی الروایه عَنْ الإمام الصادق(علیه السّلام) قال: «ما بَدا لله بَداء کما بَدا له فی إسماعیل أبی؛ إذْ أمر أباه بذبحه، ثمَّ فداه بذبح عظیم»(۱).

فلیسَ هُناک قانون حتمی فوق سلطان الله وهیمنته، ولو کَانَ هُوَ عالم القضاء والقدر، ولَیسَ هُناک قُدْره حتمیه تفوق قُدْره الله، ولا حاکم عَلَی الله، بلْ هُوَ أحکم الحاکمین، قال تعالی: {أَلَیْسَ الله بِأَحْکَمِ الْحَاکِمِین}(۲).

نتائج مُهمّه فی الجبر والاختیار

یترتَّب عَلَی هَذا الجواب بالصیاغه المذکوره عِدَّه نتائج مُهمّه:

۱. إعلان رفض کامل للمَعْلَم الجبری - وَهُوَ مَعْلَمٌ یهودی- حَیْثُ رفضه القُرآن بَعْدَ أن بیّنه بقوله تعالی: {وَقَالَتِ الْیَهُودُ یَدُ الله مَغْلُولَهٌ غُلَّتْ أَیْدِیهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ یَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}(۳).

۲. إنَّ القلم لمْ یجفّ ولَنْ یجفّ، وأنَّ القُدره واسعه ولیست ضیّقه.

۳. إنَّ الله تعالی غَیر مسلوب القُدره، والاعتقاد بالبَداء هُوَ اعتقاد

۱- الصدوق، محمد بن علی، التوحید: ص۳۳۶. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴، ص۱۰۹.

۲- التین: آیه۸.

۳- المائده: آیه۶۴.

بالقُدره اللامتناهيه.

۴. إنَّ نشاط الحسين(عليه السّلام) عباره عَنْ رجاء، وتعطيل شيء مِنْ النشاط يعنى تعطيلًا لعنوان الرجاء؛ فلا بُدَّ أنْ يبقى مَعَ بقاء عنوان الخوف بموازاته كموازنه بين الخوف والرجاء، كما نصّت الروايات.

۵. النشاط الحسينىّ يُشير إلى العباده الحقيقيه العمليّه، فيكون السكون والبرود شركاً بالله، نَعَمْ هُوَ شرك خفى وليسَ بجلى.

۶. الحسين(عليه السّلام) لمْ يتجاوز قانون الأسباب والمُسببات مِنْ خلال نشاطه وحركته الدؤوبه فى الطّف، بلْ كَانَ يرجو بمكابده التدبير والتوكّل سبباً فوق الأسباب، وسبباً مُسبّباً مِنْ قِبل مُسبِّب الأسباب.

۷. الحسين(عليه السّلام) ينطق بفعله وسيرته ويرسم بتفاعله لنا مبدأ الأمر بين الأمرين، ويُريد بيان أنَّ المؤمن بين دعامتى الخوف والرجاء والرغبه والرهبه بين الأمان واللا أمان، بين الحتم واللا حتم، لا أمان ولا لا أمان، بَلْ أمر بين أمرين.

۸. منهاج كربلاء يرفض المسلك الجبرى الذى يُحدّد ويُقيّد قدره الله، وَمِنْ المُلفت للنظر أنَّ القائل: إنَّ كُلّ الأُمور والمُمارسات تَحْتَ سلطان وهيمنه الله. قدْ وقع فى الجبر مِنْ حيث لا يشعر، عندما تصوّر عدم التغيير وعدم البَداء.

۹. منهاج كربلاء يرفض التوجّه الجبرى فى كلمات قالها ابن عربى فى فصوصه - وإنْ كنّا لا نُريدُ تقييم الأشخاص بقدر تقييم المناهج- لأنَّه فى كثير مِنْ تصويراته للقضاء والقدر الإلهى يُريد أنْ يصوِّر لنا أنَّ محاوله نسبه أىّ شيء

لغير الله هُوَ شركٌ وفرارٌ مِنْه، مِنْ الشرك - حسب تصوّره- وذهاباً للتوحيد

الخالص وقع فی محذور الجبر مِنْ حیث لا یشعر، وَهُوَ منطق (یدُ الله مغلوله)، وَهُوَ أعظم محاذیر الجبر، ولیسَ کما یُظن أنَّ أعظم محاذیره إلجاء العبد.

۱۰. منهاجه(علیه السّلام) القول باختیاریه العبد الَّتِی هی فی طول قُدْره واختیاریه الله، وتَحْتَ هیمنه الله، فیکون القول باختیاریه المخلوق ضمن القُدره الإلهیه أعظم توحیداً مِنْ نفی ذلک.

۱۱. إنَّ مسأله الأمر بین الأمرین لَیسَت مُختصه بأفعال المخلوقین، بلْ هی قاعده ونظام وجودی فی کُلّ علاقه بین الخالق والمخلوق، وفی کُلّ وجوده وشؤوناته المُتّصله بخالقه هی أمر بین أمرین، وَهَذا هُوَ دین التوحید الخالص الذی رسمه لنا أهلُ البیت(علیهم السّلام) .

جدلیّه العلاقه بین الإبرام والبَداء

عَنْ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) فی وصایاه لعلیٍّ(علیه السّلام): «الصَّدقه تردُّ القضاء الذی قدْ أُبرِم إبراماً»(۱)، والبرم کما یقول الراغب الأصفهانی: «الإبرام إحکام الأمر، قال تعالی: {أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُون}(۲)، وأصله مِنْ إبرام الحبل وَهُوَ ترديد فتله، قال الشاعر: عَلَی کُلّ حال مِنْ سحیل ومبرم. والبریم المُبرم، أی: المفتول فتلاً مُحکماً»(۳).

وعَنْ حماد بن عثمان، قال: سمعته یقول: «إنَّ الدُّعاء یردُّ القضاء

۱- الصدوق، محمد بن علی، مَنْ لا یحضره الفقیه: ج۴، ص۳۶۸. الحلی، ابن إدریس، مستطرفات السرائر: ص۶۲۰.

۲- الزُّخرف: آیه۷۹.

۳- الراغب الأصفهانی، الحسین بن محمد، المفردات فی غریب القرآن: ص۴۴ مادّه (برم).

وينقضه كما ينقض السلك وقدْ أبرم إبراماً»(۱).

كذلك عَنْ عبد الله بن سنان، قال: سمعت الإمام أبا عبد الله(عليه السّلام)، يقول: «الدعاء يردّ القضاء بعد ما أُبرم إبراماً، فأكثر مِنْ الدُّعاء؛ فإنَّه مفتاح كُلّ رحمه، ونجاح كُلّ حاجه، ولا يُنال ما عِنْدَ الله إلّا بالدُّعاء، وإنَّه لَيسَ باب يكثر قرعه إلّا يوشك أنْ يُفتح لصاحبه»(۲).

وأيضاً عن الإمام أبى عبد الله(عليه السّلام)، قال: «إنَّ الدُّعاء يردّ القضاء، وإنَّ المؤمن ليأتى الذنب فيُحرم به الرزق»(۳).

وَوَرَدَ فى الدُّعاء بَعْدَ زياره الإمام الرِّضا(عليه السّلام): «أسألك بالقُدره النافذه فى جميع الأشياء وقضائك المُبرم الذى تحجبه بأيسر الدُّعاء»(۴).

فإذاً؛ الإبرام هُوَ الإحكام، وإبرام القضاء يعنى إحكامه مِنْ الله إحكاماً، فهل يتصوّر زواله وتبدّله والبَداء فيه؟! هذهِ الروايات تقول: نَعَمْ، حتّى القضاء المُبرم إبراماً، وليسَ فقط المُبرم يمكن البَداء فيه.

هكذا كَانَ يعيش أهل البيت(عليهم السّلام) فى علاقاتهم مَعَ الله، لَيسَ فى الأوقات العصيبه فقط، بلْ فى كُلّ أوقاتهم يعيشون حاله الأمر بين الأمرين، وحاله التوازن بين الخوف والرجاء.

وَمِنْ الأمثله الَّتِى تُذكَر فى هَذا المجال قصّه قوم يونس(عليه السّلام)، قال تعالى: {فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَهٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلّا قَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ

۱- الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج۲، ص۴۶۹.

۲- الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج۲، ص۴۷۰.

۳- المجلسى، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۷۰، ص۳۴۹.

۴- المصدر نفسه: ج۹۹، ص۵۵.

الخِزْيِ فِی الْحَیَاهَ الدُّنْیَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَی حِین}(۱).

فالآیه تُبیِّن أنَّ أقوام الأنبیاء العُصاه مِنْ کُلّ القُری بَعْدَ عصیانهم لأنبیائهم - وعدم استجابتهم لدعوه الأنبیاء- قدْ تدرکهم لحظات الإیمان، ولکن القُرآن یقول إنَّ إیمانهم لا ینفع، لماذا؟ لأنَّه بَعْدَ فوات الأوان (بَعْدَ أنْ عاینوا نزول العذاب)، مَعَ یأسهم وعصیانهم، إلّا قوم یونس(علیه السّلام) لمّا آمنوا کشف الله عنهم عذاب الخزی فی الحیاه الدُّنیا.

قوم یونس

فی تفسیر (علی بن إبراهیم): أبی، عَنْ ابن أبی عُمیر، عَنْ جمیل، قال: قال لی أبو عبد الله(علیه السّلام): «ما ردّ الله العذاب إلّا عن قوم یونس، وکَانَ یونس یدعوهم إلی الإسلام فیأبون ذلک، فهمّ أنْ یدعو علیهم وکَانَ فیهم رجلان عابد وعالم، وکَانَ اسم أحدهما ملیخا والآخر روبیل، فکَانَ العابد یُشیر عَلَی یونس بالدعاء، وکَانَ العالم ینهاه، ویقول: لا تدعُ علیهم؛ فإنَّ الله یستجیب لک ولا یحبّ هلاک عباده. فقَبل قول العابد ولم یقبل قول العالم، فدعا علیهم، فأوحی الله إلیه: یأتیهم العذاب فی سنه کذا وکذا. فلمّا قرب الوقت خرج یونس(علیه السّلام) مَعَ العابد وبقی العالم فیها، فلمّا کَانَ فی ذلک الیوم نزل العذاب، فقال العالم لهم: یا قوم، افزعوا إلی الله، فلعله یرحمکم فیردّ العذاب عنکم. فقالوا: کیف نفعل؟ قال: اخرجوا إلی المفازه، وفرّقوا بین النساء والأولاد، وبین الإبل وأولادها، وبین البقر وأولادها، وبین الغنم وأولادها، ثمَّ أبکوا وادعوا. فذهبوا وفعلوا ذلک وضجّوا وبکوا، فرحمهم الله وصرف ذلک عنهم

۱- یونس: آیه۹۸.

وفرّق العذاب عَلَى الجبال»(۱).

وقطعاً الروايه حين تقول: العابـد يُشـير عَلَى يونس بالـدُّعاء عليهم. لا يعنى أنَّ النَّبى(عليه السّـلام) كَانَت له مشوره فيما يخصّ أمر الوحى، بلْ النَّبى يتصـرّف بحسب وحى السـماء، وبحسب ما أُعطى مِنْ صـلاحيات - لو صحَّ التعبير- وأمَّا دُعاؤه عَلَى قومه، فهَذا أمر طبيعى جـداً، كما دعا كثير مِنْ الأنبياء عَلَى أقوامهم بالهلاك عندما اسـتحقوا المُجازاه بالعِناد واللِّجاج، نَعَمْ هُوَ(عليه السّـلام) ترك الأَولى الذى هُوَ الصَّبر أكثر، ولذلك يوصى القُرآن نبينا(صلّى الله عليه و آله وسلّم): {وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُوم}(۲).

وهُنا روايه تُبيِّن أنَّ البـداء بالرحمه الإلهيه شـمل قوم النَّبى(صـلّى الله عليه و آله وسـلّم) كما شـمل قوم يونس(عليه السّـلام)، عَنْ مُحمَّد بن مُسْـلِم، عَنْ أبى جعفر(عليه السّـلام) - فى قوله: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَهٍ أَوْ نُنسِـهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}-: «قال: الناسخ: ما حُوِّل. ومـا ينسـيها: مثل الغيب الـذى لمْ يكن بَعْـدُ، كقوله: {يَمْحُو الله مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِنـدَهُ أُمُّ الْكِتَاب}. قال: فيفعل الله ما يشاء ويحوِّل ما يشاء، مثل قوم يونس؛ إذْ بَدا له فرحمهم، ومثل قوله: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُوم}، قال: أدركتهم رحمته»(۳).

إذاً؛ العـذاب رُفع عَنْ قوم يونس وقـدْ أُبرم إبراماً، حيث أظلّهم قريباً منهم؛ لأنَّهم تضـرّعوا ودعوا ربَّهم دعاء المُضـطرّ، والله يجيب المُضْطر إذا دعاء ويكشف السوء، فهم كانوا فى موقف المُتفائل برحمه الله غَير اليائس، وَهُوَ إيمان

۱- القمّى، على بن إبراهيم، تفسير القمّى: ج۱، ص۳۱۷.

۲- القلم: آيه۴۸.

۳- العيّاشى، محمّد بن مسعود، تفسير العيّاشى: ج۱، ص۵۵. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴، ص۱۱۶.

عظيم بعظمه تـدابير الله، وبالتـالى هُوَ إيمـان بعظمه الله؛ لأـنَّ التعظيم خُلق عظيم ينحـدر عَنْ عقيـده صـحيحه، وعظمه ذلـك أنَّهم عنـدما نظروا مُقـدّمات العـذاب، وقـدْ تحقّقت أجزاء منهـا وإنَّ المُخبر بالعـذاب صادق؛ لأنَّه نبى مِنْ الأنبياء مَعَ ذلك ظنّوا أنَّ الله أعظم مِنْ ذلك وَمِنْ الأسباب الطبيعيه.

ص: ٣٧

الفصل الثانِی:حتمیّه القضاء والقدرفی مفهوم النهضه الحسینیّه

اشاره

ص: ۳۹

حتميّه القضاء والقدر فى مفهوم النهضه الحسينيّه

إنَّ الحسم والحتم فى أصل الواقعه والحدث - والتقدير الكُلِّى والعنوان الكُلِّى- لما يحدث لا- يعنى الحسم والحتم فى العنوان الجزئى، أى: فى التفاصيل الجزئيه لملابسات الحدث والواقعه؛ فيمكن الحركه والحراك والنشاط فى صياغه وقوع التفاصيل للحدث، بنحو تقلِّل مِنْ نتائج الخساره، وتصاعد أرقام الفتح والكيفيّات الإيجابيه فى الظروف المحيطه بالواقعه، وبذلك يتصاعد عنفوان النشاط والحراك والرجاء، ويرقى تفاؤل الخير بتصاعد الأمل، وهذهِ معرفه عميقه وقراءه ثاقبه لمعنى التوكُّل على الله تعالى والرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء والقدر.

وَهَذا الجواب (الثّانِى) يحتاج إلى بيان، وَهُوَ:

إنَّه لا- بدَّ أنْ نعرف معنى الحتميّه والحتم، فالحتميّه تعنى فيما تعنيه: أنَّ الإنسان لَيسَ له إراده فى رسم مصيره، إنَّما أمره محتوم ومكتوب مُنْذُ الأزل، وقدْ جرى القلم بما كَانَ وما يكون، فلا تغيُّر ولا تبدُّل، فقدْ جفّ القلم.

ولهذا الاتّجاه مدارس كثيره، وحقيقه هذا الاتّجاه قديماً وحديثاً ترجع إلى المسلك الجبرى، ولعلَّ بعض الاتّجاهات الصوفيه وقعت مِنْ حيث تشعر أو لا تشعر فى عقيدتها بالإراده الإلهيه فى مسلك الحتميه الجبرى، وهُم يتصورون

أنَّه مِنْ المراتب العاليه للتوحيد.

مقابل هَـذا المسلك الجبرى مسلك آخر عَلَى الضدّ تماماً، وهو مسلك الإراده المُطلقه للإنسان، وأنَّ الإنسان بيده كُلّ شىء، وأنَّ إراده الإنسان كفيله بتغيير وجه الأحداث وبتغيير مجرى التاريخ، وليسَ مِنْ إراده فوق إراده الإنسان، وَهَـذا المسلك هُوَ المُنتشر اليوم عِنْدَ ما يُعرف بالحداثه، فأهل الحداثه والعلمانيون يرون الأصاله للإنسان ولا يرون فوق الإنسان أو الواقع المنظور شيئاً آخر، وهذهِ هى النظره التفويضيه الَّتِى ترى أنَّ كُلّ شىءٍ تَحْتَ إراده الإنسان ومفوّض له كُلّ شىء.

حتميه البَداء

بين الحتميه الجبريه مِنْ جهه، والتفويضيه مِنْ جهه أُخرى، هُناك حقيقه أُخرى، ونظره ثالثه، وهى حتميه البَداء وبدائيه الحتم - وهُنا نُكّته لطيفه ينبغى الالتفات إليها- فحتميه البداء لا ترى حتماً وحسماً فى شىء إلّا للبداء؛ فيكون كُلّ شىء خاضعاً لحتميه البداء فلا حتميه إلّا له، أو قُلْ - بعباره أُخرى-: إنَّ الحتميات تنصهر فى الحتميه الكُبرى (حتميه البَداء)، الحتم الأصغر يذوب فى الحتم الأكبر للبَداء، (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين).

وَهَـذا الجواب - الثّانِى- يختلف عَنْ الجواب الأوَّل؛ وذلك لأنَّ الجواب الأوَّل يرى البداء فى الأمر الكُلّى، وَهَـذا الجواب ناظر للبَداء فى الأمر الجزئى، فمفاده: أنَّهُ مَعَ التنزُّل عَنْ الجواب الأوَّل واعتبار الحتم فى القضيه الحسيّه بعنوانها الكُلِّى، فلا يوجب ولا يستدعى ذلك الحَسم والحَتم فى الأمر الجزئى. وبعباره أُخرى: إذا كَانَ هُناك حتم فى الأمر إجمالاً فليس هُناك حتم فى الأمر تفصيلاً وتعييناً لمصاديقه.

البَداء وليله القدر

مِنْ المعلوم لـدى جميع المُسْـلمين - وكمـا صـرَّح القُرآن الكريم بـذلك أكثر من مرّه- أنَّ ليله القـدر ليله يُكتب فيها للإنسان ما يجرى عليه فى سنته، قال تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم}(۱).

مِنْ جهه أُخرى، وَرَدَ أنَّ هُناك بعض القضايا المُهمّه المفصـليّه تُكتب عَلَى الإنسان فى ليله الخامس عشـر مِنْ شعبان - ليله ولاده الإمـام الثّـانِى عشـر- كمـا أنَّ هُنـاك روايات تُشـير إلى أنَّ بعض الأُمور تُكتب فى ليالى الجُمعات، بلْ وفى كُلّ ليله، فهل هُناك تنافٍ أو تدافع بين هذهِ الأُمور الأربعه؟

وفى مقام الجواب نقول: لَيسَ هُناك مِنْ تدافع أو تنافٍ، بلْ إنَّ هُناك تناسـباً بين هذهِ الموارد؛ فإنَّ الأمر ينزل فى ليله القدر كُليّاً - جملياً- ثمَّ يفصَّل فى ليالى الجُمعات أو فى كُلّ ليله، وَهَذا شبيه بما تقدَّم مِنْ أنَّ الأمر إذا كَانَ حَتميّاً مِنْ حيثه الكُلِّى فليس مِنْ اللازم حتميّته مِنْ حيثه الجزئى، فلو طبَّقنا ذَلِكَ على قضـيه الإمام الحسـين(عليه السّلام) وافترضنا أنَّ قتله كَانَ مُحكماً أو حتميّاً لا يتغيَّر ولاـ بَـداء فيه، فهَـذا لاـ يعنى أنَّ القتـل فى عرصه كربلاء مكان محتوم، ولا يعنى أنَّ العاشـر من محرّم - أيضاً- زمن محتوم للقتل، فيمكن فيه البَـداء أيضاً. ولو تنزّلنا وَقُلْنا: إنَّ قتله فى الزمان والمكان المُعيّن أيضاً مِنْ المحتوم الذى لا بَداء فيه، فإنَّه فى أىّ ساعه مِنْ ساعات النَّهار غَير محتوم، وكيفيّه القتل غَير محتومه بنحو لا بَـداء فيها. ما هُوَ العـدد الذى يبقى معه؟ كم يُقتل منهم؟ ما هى أسماؤهم؟ ما هُوَ عدد السبايا؟ ما هُوَ دورهم؟ كُلّ ذلك غير محتوم.

۱- الدخان: آيه۴.

كـذلك الله (عَزَّ وَجَـلَّ) أحكم فى ليله القـدر، ثمَّ فصَّل فى الليـالى الأـخرى، فيكون الإحكـام الكَلِّى عين التفصـيل الجزئى، رغم إمكـان البـداء فى الجزئى، فلاـ تـدافع. والقُرآن الكريـم يصـف نفسـه بقـوله: {كِتَـابٌ أُحْكِمَـتْ آيَـاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}(۱).

وَهَذا ما يتّضح بجلاء مِنْ خلال مناظره للإمام الرضا(عليه السّـلام) مَعَ سليمان المروزى (متكلِّم خراسان)، وهى مناظره طويله جداً أوردنا منها موضع الفائده المتّصله بالمقام:

«ثمَّ التفت إلى سـليمان، فقـال: أحسـبك ضـاهيت اليهود فى هَـذا البـاب. قـال: أعوذ بـالله مِنْ ذَلِكَ، وما قالت اليهود؟ قال: قالت اليهود: {يَـدُ الله مَغْلُولَةٌ}. يعنون: أنَّ الله تعالى قـدْ فرغ مِنْ الأمر فليسَ يُحـدث شـيئاً، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: {غُلَّتْ أَيْـدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ}، ولَقَدْ سـمعت قوماً سألوا أبى موسـى بن جعفر(عليه السّـلام) عَنْ البَداء، فقال: وما ينكر الناس مِنْ البَداء وأنْ يقف الله قوماً يرجيهم لأمره»(۲).

وكذلك فى مقطع آخر: «قال: سـليمان: ألّا تخبرنى عَنْ {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَهِ الْقَدْر}، فى أىّ شىء أُنزلت؟ قال الرضا(عليه السّلام): يا سـليمان، ليله القدر يُقدِّر الله (عَزَّ وَجَلَّ) فيها ما يكون مِنْ السـنه إلى السـنه، مِنْ حياه أو موت، أو خير أو شرّ أو رزق، فما قدّره فى تلك السنه فَهُوَ مِنْ المحتوم»(۳).

۱- هود: آيه۱.

۲- الصدوق، محمد بن على، التوحيد: ص۴۴۴. الصدوق، محمد بن على، عيون أخبار الرضا(عليه السّلام): ج۱، ص۱۶۱.

۳- الصـدوق، محمـد بـن على، عيـون أخبـار الرضـا(عليه السّـلام): ج۱، ص۱۶۱. المجلسـى، محمـد بـاقر، بحـار الأـنوار: ج۱۰، ص۳۳۰-۳۳۱.

وَمِنْ المعلوم أنَّ الحتم هُنا لَيسَ الحتم المُطلق، وإلّا كَانَ كقول اليهود، فإنَّ لله فيها - أی: فی لیله القدر- البَداء مِنْ قبل ما هُوَ فوقها، کما فی الروایه الآتیه.

عَنْ حمران قال: «سألت أبا عبد الله(علیه السّلام) عَنْ: {يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}. فقال: یا حمران، إنَّه إذا كَانَ لیله القدر ونزلت الملائکه الکتبه إلی السماء الدُّنیا، فیکتبون ما یُقضی فی تلک السنه مِنْ أمر، فإذا أراد الله أنْ یُقدِّم شیئاً أو یؤخره أو ینقص منه أو یزید أمر الملک فمحا ما یشاء، ثمَّ أثبت الذی أراد. قال: فقلت له: عِنْدَ ذلک فکُلّ شیء فَهُوَ عِنْدَ الله فی کتاب؟ قال: نَعَمْ. فقلت: فیکون کذا وکذا، ثمَّ کذا وکذا حتّی ینتهی إلی آخره؟ قال(علیه السّلام): نَعَمْ. قلتُ: فأیّ شیء یکون بیده - بعده-؟ قال: سُبْحَانَ الله، ثمَّ یحدث الله أیضاً ما شاء تبارک وتعالی»(۱).

وهذهِ الروایه تفسِّر الروایه السابقه الَّتِی قالت: إنَّ ما قُدِّر فی لیله القدر، هُوَ مِنْ المحتوم.

فإذاً؛ الحُکم الکُلِّی (الفوقانی) یُنزَّل فی لیله القدر، وفی داخل هَذا الحُکم أو الأمر المُحکم کلیّات أقل إحکاماً تنزّل کُلّ لیله جمعه - مثلاً- ثمَّ فی کُلّ لیله تفاصیل أکثر مِنْ ذلک، فالجزئی اللیلی - لو صحَّ التعبیر- ینضوی تَحْتَ الکُلِّی الأسبوعی، والکُلِّی الأسبوعی ینضوی - یطوی- فی المُحکم الأکبر الذی هُوَ لیله القدر؛ لأنَّ الکُلِّی الذی یُکتب عَلَی الإنسان فی کُلّ لیله جمعه، هُوَ کلی مِنْ جهه ما هُوَ تحته - أی: ما یُکتب فی اللیالی الأُخری- ولکنَّه جزئیٌ ولیسَ کلیّاً، ومُفصّلاً ولیسَ مُحکماً، مِنْ حیث الکُلِّی الفوقانی الأکبر الذی هُوَ فی لیله القدر.

۱- العیاشی، محمد بن مسعود، تفسیر العیّاشی: ج۲، ص۲۱۶. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴، ص۱۱۹.

صور البَداء فی القضیه الحُسینیّه

یمکن تصوّر اجتماع الحتم الکلّی مَعَ البَداء الجزئی فی القضیه الحسینیّه بعدّه تصورات:

التصوُّر الأوَّل: أنْ یکون اجتماع الحتم والحسم بالقتل لسیّد الشهداء(علیه السّلام)، مَعَ عدم الحتم والحسم فی المکان (مکان القتل)، هَلْ هُوَ فی المسجد الحرام، أو فی المدینه، أو فی الیمن، أو فی الصحراء، أو غَیر ذلک؟ فَعَلَی الرغم مِنْ أنَّ الحتم والحسم بالأمر الکُلِّی إلّا أنَّه لَیسَ هُناک مِنْ حسم وحتم فی اختیار المکان المُنَاسِب الذی یحقّق لسیّد الشهداء الفتح.

التصوُّر الثّانِی: أنْ یکون الحتم والحسم فی الأمر الکُلِّی وَهُوَ القتل، وکذلک فی المکان وَهُوَ کربلاء، ولکن لَیسَ هُناک حسم وحتم فی الزمان، فالزمن المُنَاسِب یختاره سیّد الشهداء لتحقّق أعلی المکاسب المُستقبلیّه، وَهَذا المستوی مِنْ البَداء ذکرته مضامین روایات عدیده، منها عَنْ أبی حمزه الثمالی، قال: «قلت لأبی جعفر(علیه السّلام): إنَّ علیاً(علیه السّلام) کَانَ یقول: إلی السبعین بلاء. وکَانَ یقول: بَعْدَ البلاء رخاء. وقدْ مضت السبعون ولم نرَ رخاءً! فقال أبو جعفر(علیه السّلام): یا ثابت، إنَّ الله تعالی کَانَ وَقَّتَ هَذا الأمر فی السبعین، فلمّا قُتل الحسین(علیه السّلام) اشتدّ غضب الله عَلَی أهل الأرض فأخَّره إلی أربعین ومائه سنه، فحدّثناکم فأذعتم الحدیث وکشفتم قناع السِّر، فأخّره الله ولم یجعل له بَعْدَ ذلک وقتاً عندنا: {یَمْحُو الله مَا یَشَاء وَیُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْکِتَاب}. قال أبو حمزه:

وقلتُ ذلک لأبی عبد الله(علیه السّلام) فقال: قدْ کَانَ ذاک»(۱).

التصور الثّالث: الحتم والحسم فی الأمر الکُلِّی وَهُوَ القتل، وافترض أمراً آخر وَهُوَ الحسم والحتم أیضاً فی الزمان والمکان، ولکن لَیسَ هُناک حسم وحتم فی الکیفیّه، فهُناک قتله فاضحه لبنی أُمَیَّه، وهُناک قتله خفیّه لا یتعرّف علیها ولا یتفاعل معها أحد، هُناک قتله حارّه، وهُناک قتله بارده لَیسَ فیها إثاره وتحریک للضمائر، فالحسین(علیه السّلام) یختار القتله الحاره الفاضحه لبنی أُمَیَّه. فالبداء فی الکیفیّه بحسب هذهِ الصوره.

التصور الرَّابع: الحتم والحسم إذا کَانَ فی القتل، وفی مکانه، وکونه فی أرض کرب وبلاء، وإذا کَانَ فی زمانه المُعیَّن، فلا حسم ولا حتم فی الأُسلوب والطریقه، فهُناک أُسلوب یؤدِّی بنتیجته إلی إضعاف بنی أُمَیَّه شیئاً فشیئاً، وهُناک قتله لا تضعفهم ولا تُبیِّن زیفهم.

أیضاً یمکن أنْ نتصوّر البداء فیمَن یقاتل الحسین ومَنْ یُقتل معه، فعن أبی عبد الله(علیه السّلام) أنَّه سُئل عَنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ: {ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَهَ الَّتِی کَتَبَ الله لَکُمْ}(۲)، فقال: «فقد قال الله: {ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَهَ الَّتِی کَتَبَ الله لَکُمْ} فلم یدخلوها، ودخلها الأبناء. أو قال: أبناء الأبناء»(۳). فهذهِ الروایه تصوِّر لنا أنَّ البَداء لم یکن فی الأمر الکُلِّی، وَهُوَ دخول الأرض المُقدّسه، بلْ

۱- الطوسی، محمد بن الحسن، الغیبه: ص۴۲۸. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴، ص۱۱۴، ح۳۹.

۲- المائده: آیه۱۲۱.

۳- العیّاشی، محمد بن مسعود، تفسیر العیّاشی: ج۱، ص۳۰۳. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۱۳، ص۱۷۹.

كَانَ فى الجزئى وَهُوَ الأفراد الداخلون.

وهُناك صور أُخرى، يمكن أنْ تُتَصوّر للبَداء الجزئى المُجْتَمِع مَعَ الحتم الكُلِّى نتركها - اختصاراً- للقارئ اللبيب.

ص: ٤٨

إحسان التقدير وإحكام التدبير

أديب الله

بَعْدَ أنْ بيّنا الجواب الثّانِی - أو الاحتمال الثّانِی- لنشاط الحسین(علیه السّلام) فی عرصه کربلاء لا بدَّ بشیء مِنْ بسط الکلام، ببیان بعض المفردات الحیاتیّه، الَّتِی کَانَ یمارسها المعصوم(علیه السّلام)، ابتداءً مِنْ رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، ووصولاً- إلی إمام الزمان وَخُلَّص أصحابه وأنصاره، حتّی تتّضح الفکره فی الجواب الثّانِی أکثر، وحتّی یتبیّن لنا کیف أنَّ المعصوم(علیه السّلام) کَانَ فی کثیر أحیانه - مَعَ وجود الحتمیّه فی الأمر الکُلِّی- یسعی لحصول التغییر فی الأمر الجزئی.

فإنَّ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) یصف نفسه بقوله: «أدّبنی ربِّی فأحسن تأدیبی»(۱). وکذلک یقول(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «أنا أدیب الله وعلیّ أدیبی»(۲). وهذا القول منه(صلّی الله علیه و آله وسلّم) لا- یدلُّ عَلَی أنَّه لمْ یؤدِّب فاطمه(علیهاالسّلام)، کیف وهی بضعته وروحه، وهی تلمیذه النُّبوه الأُولی، وأدیبه النُّبوه کما هُوَ واضح مِنْ سیره النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وسنته، بلْ وَمِنْ آیات القُرآن الکریم، قال تعالی: {هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِّنْهُمْ یَتْلُو عَلَیْهِمْ آیَاتِهِ وَیُزَکِّیهِمْ وَیُعَلِّمُهُمُ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَهَ وَإِن کَانُوا مِن قَبْلُ لَفِی ضَلَالٍ مُّبِینٍ}(۳).

۱- الطبرسی، الفضل بن الحسن، مجمع البیان فی تفسیر القرآن: ج ۱۰، ص۸۶. المتّقی الهندی، علی، کنز العمال: ج ۱۱، ص۴۰۶.

۲- الطبرسی، الحسن بن الفضل، مکارم الأخلاق: ص۱۷. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۱۶، ص ۲۳۱.

۳- الجُمعه: آیه۲.

فعلیٌ(علیه السّلام) التلمیذ الأوّل للمُعلِّم الأوّل الذی علّم الناس، بلْ حتّی الملائکه والمخلوقات الأخری، وعلیٌ(علیه السّلام) هُوَ المعلم الثّانِی، وفاطمه(علیهاالسّلام)، تلمیذه أُولی ومعلِّمه ثانیه، وهکذا کُلّ سلسله المعصومین(علیهم السّلام) صالح بَعْدَ صالح وصادق بَعْدَ صادق، وَمِنْ الواضح أنّ تأدیب النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) لعلیٍّ وفاطمه(علیهاالسّلام) - أو أحد المعصومین للمعصوم الآخر- لَیسَ مِنْ قبیل التأدیبات الخُلقیه المعروفه مِنْ حسن الخُلق، لأنَّ هذهِ أدنی درجات التأدیب، بلْ التأدیب هُوَ عَلَی مُستوی الظاهر والباطن، بلْ کُلّ طبقات الباطن بما لا یمکن إدراکه، ولذلک المؤدِّب یصف خلق الأدیب فی الکتاب الکریم: {وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیم}(۱).

أدّبنی ربِّی

وإذا وصف القُرآن العظیم شیئاً بأنَّه عظیم، فیا تری ما هی عظمته ...؟(۲) وقوله(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «أنا أدیب الله»(۳) فیه إشاره إلی حدیث آخر، وَهُوَ قوله(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «تخلّقوا بأخلاق الله»(۴)، فالله جَلَّ جَلَالَهُ له منظومه مِنْ الخُلق العالی العظیم فی مقام فعله لا ذاته، وکَانَ أعظم مَنْ طبّقها وسار علیها هُوَ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وأهل بیته(علیهم السّلام) ، فالقرآن الکریم یکشف لنا شیئاً مِنْ تلک المنظومه الخُلقیه والتأدیبیه الإلهیه

۱- القلم: آیه۴.

۲- مِنْ الواضح أنّا نتکلَّم عَنْ المعصوم بلا تفصیل واستدلال بیّن؛ باعتبار أنَّ هذهِ الأُمور تُعدّ مِنْ المُسلمات مِنْ جهه، وَمِنْ جهه أُخری نحنُ لا نُریدُ الإطاله الَّتِی تخرج بنا عَنْ المُراد.

۳- الریشهری، محمد، میزان الحکمه: ج۱، ص۵۸.

۴- المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۸، ص۱۲۹.

اللامتناهيه فى العديد مِنْ الآيات، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَهِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِين}(۱)، فالآيه القُرآنيه ترسم لنا صوره أمر الله بالسجود لآدم(عليه السّلام)، وسجود الملائكه وامتناع إبليس عَنْ السجود، وَمِنْ الواضح الجلى أنَّ الله تَبارَك وتَعالى يعلم بسجود الملائكه وامتناع إبليس، ولكن (لا قصاص قبل الجريمه)، فالله تعالى لا ولَنْ يطرد إبليس مِنْ رحمته قبل صدور العصيان، وإنْ كَانَ يعلم بصدور العصيان، وَهَذا أصل عظيم وقاعده أساسيه وَمِنْ مُحكَمات المنظومه الخلقيه التأديبيه الإلهيه فى تعامل البعض مَعَ البعض الآخر.

سعه البَداء فى سلوك النَّبى |

وَهَذا الأصل الذى هُوَ أحد بنود المنظومه الإلهيه الخُلقيه التأديبيه، طبّقه النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) بشكل عجيب وغريب، وبصبر لا مُتناهى، حيث كَانَ يتعامل مَعَ مَنْ يعلم بأنَّه مُنافق أو فاسق أو فى قلبه مرض، يتعامل معه بشكل اعتيادى، ويصبر عَلَى أفعاله، ويعطى الفرصه والفرصه والأمل فى رحمه الله ويُطمِع الآخرين - حتّى الكافر والمنافق- فى رحمه الله الواسعه، حتّى مَعَ علمه أنَّ هَذا مِنْ أهل النار؛ لأنَّه يُريد أنْ يُقلّل - لا أقل- مِنْ درجته التسافليه.

والشواهد عَلَى هَذا المسلك النبوى والتربيه المستمرّه منه(صلّى الله عليه و آله وسلّم) لأصحابه عَلَى معرفه البَداء والتسليم المُطلق لأمر الله كثيره، منها حادثه صلح الحُدَيْبِيَه، قال تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء الله آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ

۱- البقره: آيه۳۴.

فَتْحاً قَرِیباً}(۱).

فإنَّ الله أری رسولَه(صلّی الله علیه و آله وسلّم) فی الرؤیا دخول المسجد الحرام، ولکن بَدا لله فی ذلک، وَهَذا البَداء فی الزمن، حیث اتّفق النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) مَعَ قریش أنْ یرجع فی عامه الذی جاء فیه عَلَی أنْ یعود فی عام قابل، والقصّه موجوده فی مصادر کثیره أوردنا منها الفکره المطلوبه، مَنْ شاء فلیراجع(۲).

وفی مناظره للإمام الرضا(علیه السّلام) مَعَ سُلیمان المروزی - وهی مناظره طویله جداً- یُسلِّط الإمامُ الضوءَ بشاهد آخر عَلَی سعه الرحمه بالبَداء فی الأُمّه.

قال سُلیمان: «هَلْ رُوّیتَ فیه شیئاً عَنْ آبائک؟ قال: نَعَمْ، رُوّیت عَنْ أبی، عَنْ أبی عبد الله(علیه السّلام)، أنَّه قال: إنَّ لله (عَزَّ وَجَلَّ) عِلْمَین: عِلماً مخزوناً مکنوناً لا یعلمه إلّا هُوَ، مِنْ ذلک یکون البَداء، وعِلماً عَلَّمه ملائکتَه ورسولَه، فالعلماء مِنْ أهل بیت نبینا یعلمونه.

قال صلوات الله علیه: قول الله (عَزَّ وَجَلَّ) لنبیه(صلّی الله علیه و آله وسلّم): {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُوم}(۳) أراد هلاکهم، ثُمَّ بَدا لله تعالی فقال: {وَذَکِّرْ فَإِنَّ الذِّکْرَی تَنفَعُ الْمُؤْمِنِین}(۴)»(۵).

۱- الفتح: آیه۲۷.

۲- اُنظر: الطوسی، محمد بن الحسن، التبیان فی تفسیر القرآن: ج۹، ص۳۳۰. الطبرسی، الفضل بن الحسن، مجمع البیان فی تفسیر القرآن: ج۹، ص۱۸۱. ابن هشام، عبد الملک، السیره النبویّه: ج۳، ص۷۷۴. الواقدی، محمد بن عمر، کتاب المغازی: ج۲، ص۶۰۶ و۶۰۹.

۳- الذاریات: آیه۵۴.

۴- الذاریات: آیه۵۵.

۵- الصدوق، محمد بن علی، التوحید: ص۴۴۳. الصدوق، محمد بن علی، عیون أخبار الرضا(علیه السّلام): ج۱، ص۱۶۰-۱۶۱. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۱۰، ص۳۳۰.

وخُلقه العظيم يتجلّى أكثر حينما كَانَ(صلّى الله عليه و آله وسلّم) يمرّ بصعوبه أو ضائقه - أو يُصاب بألمٍ لحادثه مُعيّنه- لا يصبّ جام غضبه عَلَى الآخرين، ولا يَخلُط الأوراق، بلْ ولا يبدو منه أقل التأثُّر، وكأنَّ شيئاً لمْ يكن، فكُلّ شيءٍ عنده بمقدار، بلْ عَلَى العكس يُبدى الاستبشار برحمه الله أكثر مِنْ الحال الاعتيادى.

الحُسينُ أُمَّهٌ

القُرآن يُشير لحقيقه وهى: أنَّ إبراهيم(عليه السّلام) كَانَ أُمَّهً، ويمكن انتزاع معانٍ عديده مِنْ هَذا المعنى (أُمومه وأُمَميّه إبراهيم(عليه السّلام)) منها: كونه إنساناً لكلِّ الناس، وأُمَّه لكلِّ الأُمم، قال تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّهً قَانِتاً لِله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِين}(1).

مطمئنهٌ بقدرک

إنَّ الأئمّه(عليهم السّلام) خير الخَلق عَلَى الإطلاق بَعْدَ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، فهم بالتالى خير مِنْ كُلّ الأنبياء والمُرسَلين، وهم كذلك خير مِنْ جدّهم إبراهيم(عليه السّلام)، فإذا كَانَ إبراهيم أُمَّهً فعليٌّ(عليه السّلام) أُمَّهٌ، وإذا كَانَت أفعال إبراهيم(عليه السّلام) أُمَّه كذلك أفعال عليٍّ(عليه السّلام) أُمَّه، إذا كانت شجاعه إبراهيم(عليه السّلام) أُمَّه كذلك شجاعه عليٍّ(عليه السّلام). فإنَّ شجاعته ليست كشجاعه الشُّجعان الآخرين، بلْ أنَّ شجاعته أُمَّه - شجاعه توحيديّه- عندما قاتل وقتل الأبطال وناجز الشُّجعان، ولذلك هُوَ تارهً يُعبِّر أنَّه ما قلعت باب خيبر بقوّه بشريّه، بلْ بقوّه ربّانيه، وتارهً يتأخَّر عَنْ قتل ابن عبد ودّ؛ لأنَّه بصق فى وجهه، فلم يرد أنْ يقتله غضباً لنفسه، بلْ غضباً لربّه، فإنَّ يده(عليه السّلام) لا تتحرّک غضباً لنفسه، فى تلک الظروف العصيبه، وفى ذلک

١- النحل: آيه ١٢٠.

الموقف الرهيب الذى ينسى الإنسان المؤمن كُلّ شىء، وَهُوَ موقف قُدْره وهيمنه وسيطره مِنْ جهه، وموقف سرور وتعجل بالخير وإدخال السرور عَلَى قلوب المؤمنين - بلْ وحتّى الملائكه والملأ الأعلى- مِنْ جهه أُخرى.

ولنا أنْ نتصوّر كيف كَانَ المُسْلمون يُراقبون الموقف ويتعجّلون عليّاً(عليه السّلام) فى قتل ابن ودّ؛ كى يخرجوا مِنْ المضيق الصعب الذى امتحنوا فيه.

وكأنَّ عليّاً(عليه السّلام) يجيبهم: كلا، وألف كلا، إنِّى قانت لربّى، ولم أكُ مِنْ المشركين شاكراً لأنعمه، اجتبانى وهدانى إلى صراط مستقيم، لا أقتلُ إلّا له وحده جَلَّ جَلَالهُ.

كَانَ(عليه السّلام) أُمَّه فى تحمّله المسؤوليه، وفى حركته، يحمل الإنسانيه وهمومها بين جنبيه حين يقاتل، وحين يأكل ويشرب، حين ينام، وحين تولّى زمام الحُكومه الظاهريه. فالذهب والفضه اللذان تقاتلت عليهما الشعوب والأُمم، وأُزهقت فيهما النفوس يسميهما (صفراء وبيضاء)!! «يا صفراء، ويا بيضاء... غُرّى غيرى»(١)، بلْ قال ذلك للدُّنيا بأجمعها: «لَا حَانَ حِينُكِ، هيْهَات! غُرِّى غَيْرِى، لَا حاجَهَ لِى فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَهَ فِيهَا»(٢).

وَمِنْ طريف ما يُقَال مِنْ الكلام أنَّ الصبى رُبَّما يطلق كلمه صفراء وبيضاء، لو رأى دراهم الفضه ودنانير الذهب، لأنَّه لا يعرف قيمه ومنفعه

١- الصدوق، محمّد بن علىّ، الأمالى: ص٣٥٧. الثقفى، إبراهيم بن محمّد، الغارات: ج١، ص ٥٧. النيسابورى، محمّد بن الفتّال ، روضه الواعظين: ص١١٧.

٢- خطب الإمام علىّ(عليه السّلام)، نهج البلاغه: ج۴، ص١٧. اُنظر: القاضى المغربى، النعمان بن محمّد، شرح الأخبار: ج٢، ص٣٩٢. الكراجكى، محمد بن على ، كنز الفوائد: ص٢٧٠.

الـذهب والفضّه، لأـنَّه جاهل بهما، أمَّا علىٌّ فَهُوَ مُتجاهل لهما - وليسَ جاهلاً بهما- أو بالأحرى: مُتعالٍ عليهما، ولـذلك سـمّاهما بذلك الاسم.

وهكـذا الحسـين(عليه السّـلام) - كَـانَ أُمَّةً قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ مِنْ المشـركين- فلم تبـدو منه التفاته للـدُّنيا، ولم يظهر منه قيد شعره مِنْ فتور، فقـدْ طلّق الـدُّنيا كجـدِّه وأبيه وأُمّه وأخيه، وأيضاً طلَّق الهزيمه والتراجع والضـعف والخنوع والـذلّه، فإنَّ عـدوه لمْ يترك له خيـاراً؛ فقـدْ ركز بين اثنتين كمـا يصف ذلـك الحُسـين(عليه السّـلام): «ركز بين اثنتين: بين السِّله والـذِّله، وهيهـات منّا الذِّله»(١)، بـلْ لنا العزّه؛ لأنَّها لله ولرسوله وللمؤمنين. الحسـين(عليه السّـلام) قال: هيهات منّا الـذِّله، ولم يقل: إنّى اخترت الموت. لأنَّ الموت وإنْ كَانَ هُوَ الخيار الوحيـد الـذى جُعِلَ مِنْ قِبل العـدو، ولكن الحسـين(عليه السّـلام) حتّى هَذا الخيار الوحيد كَانَ لا يختاره بكيفيّه الذلّه، بلْ يختار العِزّه فِى كيفيّه وقوعه، يختار أبواب الرحمه الإلهيه الواسعه العديده.

إنَّها شقشقه

وَرَدَ فى الأـثر أنَّ النَّبى مُحمَّداً(صـلّى الله عليـه و آله وسـلّم) - فى قـوله لعلىٍّ(عليه السّـلام)- قـال: «لَيسَ الشديـدُ بالصـرعه، إنّما الشديد الذى يملك نفسه عِنْدَ الغضب»(٢). أى: إنَّ الإنسان يُسـمّى شديداً إذا ملك أعصابه عِنْدَ الغضب، وليسَ الشديد هُوَ مَنْ يصرع الأبطال ويناوش الذؤبان.

١- الحلى، ابن نما، مثير الأحزان: ص ٤٠. ابن طاووس، على بن موسى، اللهوف فى قتلى الطفوف: ص ٥٩.

٢- مالك بن أنس، الموطأ: ج ٢، ص ٩٠٦. السيوطى، جلال الدين، الديباج عَلَى مُسْلِم: ج ٣، ص ١١٩.

وَمِنْ المواقف الواضحه والجليّه لامتلاك عليٍّ(عليه السّلام) نفسه عِنْدَ الغضب حين بصق فى وجهه المبارك ابنُ عبد ودّ العامرى، فتركه بُرهه مِنْ الزمن حتّى سكت عَنْ أميرنا الغضبُ فقتله لله.

لكن الموقف الآخر الأصعب والأكثر غموضاً هُوَ حين غُصبت منه الخلافه؛ لأنَّه ملك نفسه لسنين طويله وعديده لا يطيقها ولا يتحمّلها مَلك مقرَّب ولا نبىّ مرسل؛ حيث رأى تراثه نهباً، وَهُوَ البطل الضرغام الذى لا يُشقّ له غبار.

وتعالَ معى لنراه كيف يصف حاله، فى الخطبه المعروفه بالشقشقيه، قال(عليه السّلام): «أَمَا وَاللهِ، لَقَدْ تَقَمَّصَها ابن أبى قحافه أخو تيم، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّى مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّى السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَىَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِى بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَه عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فيهَا الكَبيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرتُ وَفى الْعَيْنِ قَذىً، وَفى الحَلْقِ شَجاً، أرى تُرَاثى نَهْباً... فَصَبرتُ عَلَى طُولِ المُدّه وَشِدّه المِحْنه»(1).

والخطبه أوضح مِنْ أنْ نُعَلِّق عليها، فهُنا الإمام يُبيّن جانب الصبر، وَيَبيِّن كيف مسك أعصابه، وصبر مَعَ طول المُدّه، وليسَ ذلك فقط، بلْ صبر عَلَى ما أُحدِث بَعْدَ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) مِنْ تحريف للدين، فهُنا تظهر الشدّه مَعَ قُوّه وشدّه الغضب؛ كى يتسنّى لَهُ حُسن المعالجه والإداره لدفع سلبيات الحدث، والقُدره عَلَى إداره الأزمات ممّا كَانَ يديرها فى زمن رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) معه، شعاره

۱- الصدوق، محمّد بن علىّ، علل الشرائع: ج۱، ص ۱۵۰-۱۵۱.

عمق التدبير وحسنه، وشعار الطرف الآخر الهزيمه، والشواهد كثيره عَلَى همّه الطرف الأوَّل ونكوص الطرف الآخر، حيث نُقل: أنَّ عثمان جاء بَعْدَ هزيمته مِنْ أُحد بثلاثه أيّام مِنْ الواقعه، فقال له رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «لَقَدْ ذهبت فيها عريضه!»(۱)، فالشجاعه فی إداره الأزمات وأخذ زمام المُبادره فی حلّ المُعضلات ينبئ عَنْ عُمق وثبات اليقين وشدّه الرجاء لرحمه الله.

وهكذا كَانَ الحسين(عليه السّلام) - كَانَ شديداً- حَيْثَ لمْ يَعرف الزمان أزمه أو شدّه أشدّ مِنْ يوم عاشوراء، فی المقابل لمْ تَظهر قُوّه وبساله وشدّه مِنْ شديدٍ كالحسين(عليه السّلام)، لمْ تَظهر منه مُجرَّد فكره فی التراجع، أو الانسحاب أو التقهقر أو اليأس مِنْ روح الله، ولذلك هُوَ لمْ يختر الموت فراراً مِنْ ثقل المسؤوليّه، بلْ اختار الابتعاد مِنْ الهزيمه، حَيْثَ قال: «إنَّ الدّعی ابن الدّعی قدْ ركز بين اثنتين: بين السلّه والذلّه، وهيهات منّا الذلّه»(۲)، فَهُوَ يبتغی العزّه؛ لأنَّ العزّه لله ولرسوله وللمؤمنين - كما ذكر القُرآن- فالحسين(عليه السّلام) اختار العزّه وابتعد عَنْ الذلّه.

ومنطقه: إذا كَانَ الموت وسبی العيال والقتل والمثله - الَّتِی لمْ يُقتل ولم يُمثّل لأحد فيها مِنْ قَبلی ولا مِنْ بعدی- فيه العزّه، وفيه (هيهات منّا الذلّه)، فأنا اختاره.

وبَعْدَ أنْ أسس شعار (هيهات مِنَّا الذلّه) طلب الموت الذی هُوَ حياه، حَيْث قال(عليه السّلام): «إنِّی لا أری الموتَ إلّا سعادهً والحياهَ مَعَ الظالمين إلّا برماً»(۳).

۱- المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد: ص۸۴.

۲- ابن طاووس، علیّ بن موسی، اللهوف فی قتلی الطفوف: ص۵۹. وأُنظر: الطبرسی، أحمد بن علیّ، الاحتجاج: ج۲، ص۲۴.

۳- ابن شهر آشوب، محمد بن علی، مناقب آل أبی طالب: ج۳ ، ص۲۲۴. الهيثمی، علی بن أبی بكر، مجمع الزوائد: ج۹، ص۱۹۳. الطبرانی، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج۳ ، ص۱۱۵.

وإلّا فالوضع الطبيعى، بلْ والوضع الشديـد لا يطلب فيه المعصوم(عليه السّـلام) لنفسه الموت، وبَعْـدَ يقينه أنَّ عـدوه قـدْ عزم عَلَى الاـثنين بلا ثالث (السـلّه والـذلّه) قال: «خُطّ الموت عَلَى وُلـد آدم مخطِّ القلاده عَلَى جيـد الفتاه، وما أولهنى إلى أسـلافى اشتياق يعقوب إلى يوسف»(۱).

فَهُوَ هُنـا يصوِّر جمـال الموت بعزّه، بـأنَّه كالقلاـده الَّتِى تُزيِّن جيـد الفتـاه، فالموت العزيز جميل ولذيـذ، وَهُوَ مِنْ جهه يُرجعه إلى العيش الكريم ويجمعه مَعَ مَنْ غاب عَنْه مِنْ إسلافه صلوات الله عليهم.

۱- الحلى، ابن نما، مُثير الأحزان: ص۲۹. الزرندى، محمد بن يوسف، معارج الوصول إلى معرفه فضل آل الرسول: ص۹۴.

ضابطهٌ جعفريّهٌ فی القضاء والقدر

رُوی أنَّ الإمام الصادق(علیه السّلام) کَانَ فی أحد الأیّام فی بیته یدعو ویتضرَّع بشدّه، ویبکی بإلحاح کبیر، وَبَعْدَ ذلک دخل بعضَ بیوته، ثمَّ خرج بغیر الحال الَّتِی کَانَ علیها، فسأله أصحابه عَنْ سبب بکائه وتضرّعه بتلک الدرجه الَّتِی خافوا علیه منها، ثمَّ بَعْدَ ذلک سکن واستبشر، فأجاب بأعظم جواب، هُوَ عباره عَنْ قاعده نفیسه فی التوکُّل والرضا بقضاء الله، والقصَّه یرویها عِدَّهٌ، منهم العلاء بن کامل، قال: «کنت جالساً عِنْدَ أبی عبد الله(علیه السّلام) فصرختْ الصارخهُ مِنْ الدار، فقام أبو عبد الله(علیه السّلام)، ثمَّ جلس فاسترجع، وعاد فی حدیثه، حتّی فرغ منه، ثمَّ قال: إنّا لنحبّ أنْ نُعافی فی أنفسنا وأولادنا وأموالنا، فإذا وقع القضاء فلیس لنا أنْ نحبَّ ما لمْ یحبّ الله لنا»(۱).

وعَنْ قُتیبه الأعشی: قَالَ: «أتیت أبا عبد الله(علیه السّلام) أعود ابناً له، فوجدته عَلَی الباب، فإذا هُوَ مُهتمٌّ حزین، فقلت له: جُعلت فداک، کیف الصبی؟ فَقَالَ: والله، إنَّه لما به. ثمَّ دخل فمکث ساعه، ثمَّ خرج إلینا وقدْ أسفر وجهه وذهب التغییر والحزن، قَالَ: فطمعت أنْ یکون قدْ صلح الصبی، فقلت: کیف الصبی جُعلت فداک؟ فَقَالَ قدْ مضی لسبیله، فقلت: جُعلت فداک، لَقَدْ کنتَ وَهُوَ حیٌّ مُهتمّاً حزیناً، وقدْ رأیتُ حالک الساعه وقدْ مات غَیر تلک الحال،

۱- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۳، ص۲۲۶، ح۱۳. الحر العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۳، ص۲۷۶، ح ۳۶۴۰.

فكيف هَذا؟ فَقَالَ: إنّا أهل بيت إنَّما نجزع قبل المصيبه، فإذا وقع أمر الله رضينا بقضائه وسلَّمنا لأمره»(۱).

وَقَدْ جسّد الإمام الحسين(عليه السّلام) بشكل مُميّز - هَذا المعنى- وصوّر لنا كيف يتفاعل الإنسان مَعَ الحدث إلى آخر لحظه قبل وقوع القضاء بالتضرُّع والدعاء؛ لأنَّ الدعاء يردّ القضاء وقدْ أُبرم إبراماً.

نَعَمْ، الدعاء لا ينحصر بأنْ يكون بلسان المقال، بلْ بلسان الحال، وَهُوَ فى غالب أحيانه أشدّ مِنْ لسان المقال.

فَهُوَ(عليه السّلام) فى حين خاطب القوم بلسان المقال ونصَحَ لهم، هُوَ يخاطب الله بلسان حاله فى نفس الوقت ويطلب مِنْ الوسيع رحمته فتح سُبُلِه ودرجات تكامله له، ولكلّ مَنْ كَانَ فى المشهد، فمَنْ كَانَ مؤمناً يتحرّى الإمام له زياده الإيمان، ومَنْ كَانَ مُنحرِفاً يُريد أنْ يُقلّل مِنْ درجات تسافله، ويرفعه مِنْ أسفل درك الجحيم إلى ما هُوَ أخفّ منها لعلَّهُ يحظى برحمه مِنْ الرحمات الإلهيه.

وَمِنْ جهه ثالثه: هُوَ(عليه السّلام) يرسم سُبل التكامُل - أيضاً- إلى عياله وأهل بيته ويُعطى الدروس الكثيره فى التضحيه والهمّه العاليه والحِنكه والشّجاعه.

وَمِنْ جهه رابعه: هُوَ يدير الحدث بما يصبّ مَعَ الغايات البعيده الهادفه.

۱- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج۳، ۲۲۵، ح۱۱. الحرّ العاملى، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج۳، ص۲۷۵، ح۳۶۳۹.

حربٌ باردةٌ لا تُنافى حتميّه القضاء

إنَّ الأساليب الَّتِى اتّخذها أئمّه أهل البيت(عليهم السّلام) فِى مواجهه أعدائهم عديدةٌ، وأغلبها كانت عباره عَنْ حرب بارده، وَهَذِهِ الحرب لا تنافى إيمانهم بسعه الرحمه وسعه البُداء وحتميّه القضاء، وَقَدْ خفيت عَلَى كثير مِنْ السطحيين الأساليبُ المتنوّعه - العديده والكثيره- الَّتِى كَانَ يواجه بها الأئمّه(عليهم السّلام) أعداءهم، وخصوصاً الإمام الصادق(عليه السّلام).

مِنْ الأُمور الَّتِى ينبغى أنْ نُسَلِّط الضوء عليها هى أنَّ الإمام الصادق(عليه السّلام) لَيسَ كما يظهر لنا مِنْ الأحداث، أو يُشاع عَنْه أنَّه مشغول حصريّاً فى تأسيس الحوزات العلميَّه ولا دخل له - ولو مِنْ بعيد- فى السياسه، وأنَّ الظروف الَّتِى كانت فى عصره تطلبت ذلك، كما أنَّ ظروف الإمام الحسين(عليه السّلام) كانت توجب عليه الخروج إلى كربلاء، وليسَ الواجب دوماً عَلَى المعصوم(عليه السّلام) مواجهه السُّلطه وتحدّى الوضع القائم، فضلاً عَنْ الخروج بالسيف، وأنَّ عليه أنْ يترك التحدّى نتيجه الظروف.

وهَذا التحليل وَهَذا الكلام غَير دقيق ولا سديد، بلْ غَير صحيح؛ حَيْث يذكر المُؤرِّخون أنَّه(عليه السّلام) واجه الوضع القائم آنذاك وجاهد بالكلمه حتّى أنَّه تعرَّض للقتل مِنْ قِبل أبى جعفر الدوانيقى مرّات كثيره، حَيْث أرسل عليه فى تلك المرات وَهُوَ حاقد عليه، وأسمعه غليظ الكلام، وكَانَ يهمّ فى قتله، ولكن تحول دونه الظروف المُختلفه.

وَهَـذا وغيره مِنْ الإشارات تُشير إلى أنَّ الإمام(عليه السّـلام) كَانَ يستخدم أسلوب التقيّه الأمثل فى التحرُّك والنشاط؛ ممّا يقلق السُّلطه العباسيّه الَّتِى تتحسّـس وتستشعر نمو قُوّهٍ مناهضه لدى الإمام الصادق(عليه السّـلام)، تشكِّل خطوره عَلَى بقاء السُّلطه العباسيّه، فتقيته ليست سلبيّه، (سكون وضعف واستكانه ووهن)، بلْ كَانَ يستعمل أُسلوب الحرب البارده، حَيْث كَانَ فى معرض توزان القوّه أو المواجهه مَعَ المنصور بين الحين والآخر، كُلّما توفَّر ظرف العمل والكلام ليُعطى درساً لكلِّ الأجيال: أنَّ التقيه هى عنوان ثانوى (عنوان اضطرارى) وحكم اضطرارى، فلا تستلزم عدم رعايه الواجب الأوَّلى قدر المستطاع، وبقدر المتاح مِنْ آليات متنوّعه خفيّه لا يهتدى إليها الخصم العدو، فضلاً عمّا إذا ما ارتفع ظرفها فِى بَعْض الجهات والزوايا أو المراحل، وزالت شرائطها أو بعض شرائطها، فتعود العناوين والأحكام الأوليه إلى الرعايه التامّه. فالضرورات تقدّر بقدرها ولا تزعزع ملاكات المصالح الأصليه فى الدِّين والشرع.

وتقدير هذهِ الظروف تبقى للمؤمن الواعى الحركى المُلتزم بمسؤوليته، وَهُوَ الذى يقدِّر الزمان ويوازن بين التقيّه والحفاظ عَلَى النفس مِنْ جهه، وَمِنْ جهه الحفاظ عَلَى الدِّين والمذهب.

فلينظر المؤمن المُتفرِّس فى هذهِ القصص ليرى كيف كَانَ الإمام(عليه السّـلام) دؤوباً فِى البناء والتدبير، ويواجه ويُجاهد ليقابل نظام عدوه كُلّما وُجدت طُرق وأساليب تشكِّل فُرَصاً بالغه الأهمّيه.

عِبَر ودروس مِنْ حياه الإمام الصادق(عليه السّلام)

وهُنا نذكر قصّه للإمام(عليه السّـلام) فى حياه أبيه الباقر(عليه السّـلام) بتوجيه منه(عليه السّلام) حَيْث خطبَ الناسَ فى موسم الحجّ خطبه سياسيّه، هى بمثابه إعلان لحرب بارده

ضدّ السُّلطان المُنحرِف، ولذلك اضطرّ الخليفه بسبب تأثير تلك الخطبه أنْ يرسل فی طلب الإمامين(عليهاالسّلام)، والقصّه: ذكر الطبری بإسناده، عَنْ الصادق(عليه السّلام)، قال: «حجّ هشام بن عبد الملك بن مروان سنه مِنْ السنين، وكَانَ قدْ حجّ فی تلك السنه مُحمَّد بن علیّ الباقر وابنه جعفر بن مُحمَّد(عليهم السّلام) فقال جعفر بن مُحمَّد(عليهماالسّلام): الحمد لله الذی بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً وأكرَمَنا به، فنحنُ صفوه الله عَلَی خلقه وخيرته مِنْ عباده وخلفائه، فالسعيد مَنْ اتّبعنا والشقیّ مَنْ عادانا وخالفنا.

ثمَّ قال أبو عبد الله جعفر بن محمد(عليه السّلام): فأخبر مسيلمه أخاه بما سمع، فلم يعرض لنا حتّی انصرف إلی دمشق وانصرفنا إلی المدينه، فأنفذ بريداً إلی عامل المدينه بإشخاص أبی وإشخاصی معه فأشخصنا، فلمّا وردنا مدينه دمشق حجبنا ثلاثاً، ثمَّ أذِن لنا فی اليوم الرَّابع فدخلنا، وإذا قدْ قعد عَلَی سرير الملك وجنده وخاصته وقوفاً عَلَی أرجلهم سماطين متسلحين...»(۱).

ويظهر مِنْ خلال هذهِ الروايه مدی عُمق المواجهه الَّتِی كَانَ يواجهها الإمام(عليه السّلام) لعدوه ومدی خشيه عدوه منه، سواء فی زمن أبيه (زمن بنی أُمَيَّه) أو زمن الدوله العباسيه.

وفی هذا المجال أيضاً ما ورد عن أبی بكر الحضرمی قال: «لما حُمل أبو جعفرٍ(عليه السّلام) إلی الشام إلی هشام بن عبد الملك وصار ببابه، قال لأصحابه - ومَن كان بحضرته من بنی أُمَيّه-: إذا رأيتمونی قد وبّختُ محمّد بن علیّ ثمَّ رأيتمونی

۱- الطبری، محمد بن جرير، دلائل الإمامه: ص۲۳۳. ابن طاووس، علی بن موسی، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان: ص۶۶. القصّه طويله أوردنا منها موضع الاستشهاد.

قد سكتُّ فليَقبِل عليه كلَّ رجل منكم فليوبِّخه. ثمَّ أمر أن يؤذن له، فلمّا دخل عليه أبو جعفر(عليه السّلام) قال بيده: السلامُ عليكم. فعمّهم جميعاً بالسلام، ثمَّ جلس، فازداد هشام عليه حنقاً بتركه السلام عليه بالخلافه، وجلوسه بغير إذنٍ، فأقبل يوبِّخه ويقول فيما يقول له: يا محمّد بن عليّ، لا يزال الرجل منكم قد شقّ عصا المسلمين ودعا إلى نفسه، وزعم أنّه الإمامُ سفهاً وقلّه علم. ووبّخهُ بما أراد أن يوبِّخه، فلمّا سكتَ أقبل عليه القوم رجلٌ بعد رجلٍ يوبِّخه حتى انقضى آخرهم، فلمّا سكتَ القوم نهض(عليه السّلام) قائماً، ثُم قال: أيّها الناس، أين تذهبون وأين يُراد بكم، بنا هدى الله أولكم، وبنا يختم آخرَكم، فإن يكن لكم ملكٌ معجَّل فإنّ لنا ملكاً مؤجّلاً، وليس بعد ملكنا ملكٌ؛ لأنّا أهلُ العاقبه، يقول الله (عز وَجَلَّ): {والعَاقِبَهُ للمُتَّقِين}. فأمر به إلى الحبس، فلمّا صارَ إلى الحبس تكلَّم، فلم يبقَ فى الحبس رجلٌ إلّا تَرشَّفَه وحنّ إليه، فجاء صاحبُ الحبس إلى هشام فقال: يا أمير المؤمنين، إنّى خائفٌ عليك من أهل الشام أن يحولوا بينك وبين مجلسك هذا. ثُمَّ أَخْبَرَه بِخَبَرِه، فَأَمَرَ بِه فَحُمِلَ عَلَى الْبَرِيدِ هُوَ وأصحَابُه لِيُرَدُّوا إِلى المدينه، وأَمَرَ أَنْ لَا يُخْرَجَ لَهمُ الأَسْوَاقُ، وحَالَ بَيْنَهُم وبين الطّعَام والشّرَابِ، فَسَارُوا ثلاثاً لا يَجِدُونَ طَعَاماً ولَا شَرَاباً، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَدْيَنَ، فَأُغْلِقَ بَابُ الْمَدِينَهِ دُونَهُمْ؛ فَشَكَا أَصْحَابُه الْجُوعَ والْعَطَشَ، قَالَ: فَصَعِدَ جَبَلاً لِيُشْرِفَ عَلَيْهِمْ فقالَ بِأَعلَى صَوْتِه: يَا أَهْلَ الْمَدِينَهِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، أَنَا بَقِيَّهُ الله؛ يَقُولُ الله: {بَقِيَّتُ الله خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} (۱)، قالَ: وكانَ فِيهِمْ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَأَتَاهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَومِ، هذه - والله- دَعْوَهُ شُعيبٍ النبيِّ، والله، لَئِنْ لَمْ تُخْرِجُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ بِالأَسواق لَتُؤخَذُنَّ مِنْ فَوْقِكُم ومِن

۱- هود: آیه۸۶.

تَحتِ أَرْجُلِكَم، فَصَدِّقُونِی فِی هَذِه المرَّهِ وأَطیعُونِی وکَذِّبُونِی فیما تَسْتَأْنِفُونَ، فَإِنِّی لَکَمْ نَاصِحٌ. قَالَ: فَبَادَرُوا فَأَخرَجُوا إِلَی مُحَمَّدِ بْنِ عَلِیٍّ وأَصْحَابِه بِالأَسْوَاقِ، فَبَلَغَ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِکِ خَبَرُ الشَّیْخِ فَبَعَثَ إِلَیْه فَحَمَلَه، فَلَمْ یُدْرَ مَا صَنَعَ به»(۱).

یُلاحظ من هذه الروایه:

۱. هکذا کانت أکبر دوله إسلامیه تتخوَّف وتتحسس من الإمامین الباقر والصادق(علیهاالسّلام)، کما یبیِّن هذا الموقف من الإمامین الصادقیَن(علیهاالسّلام) توازن مسیرهما السیاسیّ، فلم یکونا فی الانتماء المُعلَن موالین للسلطه بحیث یغیب صراط الشرعیّه عن وعی الأُمّه.

۲. مع کلّ هذا لم یستطع رئیس هذه السلطه أن یبرّر سبب اعتقاله للإمامین(علیهاالسّلام)؛ ولذلک کان مضطراً لإطلاق سراحهما وإرجاعهما إلی المدینه سالمین غانمین، لکن بسبب حقده وعدائه الشرس علی آل مُحمَّد(صلّی الله علیه و آله وسلّم) أوعز إلی المُدن التی یمرّ من خلالها موکب الإمامین(علیهاالسّلام) بالفرض علی أهالیها بإغلاق أسواقهم ومقاطعه التعامل مع الإمامین.

۳. إنّ موقف مولانا الباقر(علیه السّلام) لم ینکسر ولم ینثنِ عن بیان حصر الشرعیّه فی الحکم بأهل البیت(علیهم السّلام) ، رغم أنّ هذا الإعلان السیاسی فی مقرّ القصر الرئاسی لبنی أُمَیّه .

۴. عدم تقریره(علیه السّلام) للحاکم الأُمَویّ بالخلافه وعدم اکتراثه به، وعدم تهیبه من بطش العصابه الأُمَویّه، وإقدام الحاکم الأُمَوی علی حبسه(علیه السّلام).

۱- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۱، ص۴۷۱، ح۵. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴۶، ص۲۶۴.

۵. قیامه(علیه السّلام) فی الحبس بالتأثیر علی السجناء بجذبهم لمسار أهل البیت(علیهم السّلام) ، وتهیّب السلطه من بقائه، کلّ ذلک یوضِّح حقیقه سیره الباقر(علیه السّلام) والصادق(علیه السّلام) فی المسار السیاسی وطبیعه تعاملهم مع السلطه الأُمَویّه فی حین أنّهما(علیهماالسّلام) لم یعتمدا الحرب الساخنه معها.

کذلک روایه أبی نعیم المرویّه فی حلیه الأولیاء «إنَّ المنصور استدعی الإمام الصادق یوماً وأجلسه إلی جانبه بکُلِّ إجلال واحترام، فوقع الذُّباب عَلَی وجه المنصور، ولم یزل یقع عَلَی وجهه وأنفه حتّی ضجر منه المنصور، فقال: لِمَ خلق الله الذُّباب یا أبا عبد الله؟ فقال الصادق: لیذلُّ به أنف الجبابره. فوجم المنصور وتغیّر لونه، ولم یتکلَّم معه بما یُسیء إلیه کلمه واحده»(۱).

کذلک نُقل أنَّ المنصور عاتب الإمام عَلَی عدم مجیئه إلیه، وعلّل المنصور قائلاً: تَصحبُنا لتنصحَنا. فردّ علیه الإمام(علیه السّلام) بقوله: «مَنْ یُرد الدُّنیا لا ینصحُک، ومَنْ یُرد الآخره لا یصحبُک»(۲).

وأیضاً عَنْ مُحمَّد بن أبی حمزه قَالَ: «قَالَ أبو عبد الله(علیه السّلام): - وذُکِرَ هؤلاء عِنْدَه وسوء حال الشیعه عندهم، فَقَالَ:- إنِّی سرت مَعَ أبی جعفر (المنصور) وَهُوَ فی موکبه وَهُوَ عَلَی فرس، وبین یدیه خیل وَمِنْ خلفه خیل، وأنا عَلَی حمار إلی جانبه، فَقَالَ لی: یا أبا عبد الله، قدْ کَانَ ینبغی لک أنْ تفرح بما أعطانا الله مِنْ القوّه وفتح لنا مِنْ العزّ، ولا تخبر الناس أنَّکَ أحق بهذا الأمر منّا وأهل بیتک فتغرینا بک وبهم. قَالَ: فقلت: ومَنْ رفع هَذَا إلیک فَقَدْ کَذَبَ. فَقَالَ أتحلف

۱- اُنظر: الذهبی، محمد بن أحمد، سیر أعلام النبلاء: ج۶، ص۲۶۴. الصفدی، خلیل أیبک، الوافی بالوفیات: ج۱۱، ص۱۰۰.

۲- الإربلی، علی بن أبی الفتح، کشف الغُمّه فی معرفه الأئمّه: ج۲، ص۴۲۷.

عَلَى ما تقول؟ قَالَ: فقلت: إنَّ الناس سحره يعنى - يحبّون أنْ يفسدوا قلبك علىّ- فلا تمكّنهم مِنْ سمعك؛ فإنّا إليك أحوج منك إلينا.

فَقَالَ لى: تذكر يَومَ سألتك هَلْ لنا مُلكٌ؟ فقلت: نَعَمْ، طويلٌ عريضٌ شديدٌ، فلا تزالون فى مُهله مِنْ أمركم وفسحه مِنْ دنياكم، حتّى تصيبوا دماً حراماً فى شهر حرام.

فعرفت أنَّه قدْ حفظ الحديث، فقلت: لعلَّ الله (عَزَّ وَجَلَّ) أنْ يكفيك، فإنّى لمْ أخصّك بهذا، إنَّما هُوَ حديث رويته، ثمَّ لعلَّ غيرك مِنْ أهل بيتك أنْ يتولّى ذلك. فسكت عنّى»(۱).

وفى موقف له مَعَ والى المنصور عَلَى المدينه، عَنْ المُفيد، عَنْ ابن قولويه... عَنْ عبد الله بن سلمان التميمى، قال: «لمّا قُتل مُحمَّد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن(عليه السّلام) صار إلى المدينه رجلٌ يُقَال له: شبه بن عقال، ولّاه المنصور على أهلها، فلمّا قدمها، وحضرتْ الجمعهُ، صار إلى مسجد النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) فرقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمَّا بَعْدَ، فإنَّ على بن أبى طالب شقّ عصا المُسْلمين، وحارب المؤمنين، وأراد الأمر لنفسه، ومنعه أهله، فحرّمه الله عليه وأماته بغصَّته، وهؤلاء وُلده يتّبعون أثره فى الفساد، وطلب الأمر بغير استحقاق له، فهم فى نواحى الأرض مقتولون، وبالدماء مُضرّجون. قال: فعظم هَذا الكلام عَلَى الناس ولم يجسر أحدٌ منهم ينطق بحرف.

فقام إليه رجلٌ عليه إزار قومسى سحق، فقال: ونحنُ نحمد الله ونُصلّى عَلَى مُحمَّد خاتم النبيين وسيّد المُرسلين، وعَلَى رسول الله وأنبيائه أجمعين، أمَّا ما

۱- الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج۸، ص۳۷. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۵۴.

قلتَ مِنْ خير فنحنُ أهله، وما قلتَ مِنْ سوء فأنت وصاحبُك به أوْلى وأحرى، يا مَنْ ركب غَير راحلته، وأكل غَير زاده، ارجع مأزوراً. ثمَّ أقبل عَلَى الناس، فقال: ألا أُنبئكم بأخلى الناس ميزاناً يوم القيامه، وأبينهم خسراناً، مَنْ باعَ آخرته بدنيا غيره، وَهُوَ هَذا الفاسق. فأسكت الناس وخرج الوالى مِنْ المسجد لمْ ينطق بحرف، فسألتُ عَنْ الرَّجُل فَقِيْلَ لى: هَذا جعفر بن مُحمَّد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليهم»(۱).

۱- الطوسى، محمد بن الحسن، الأمالى: ص ۵۰-۵۱. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴۷، ص۱۶۵. وفى نفس هَـذا الجزء والصفحه وما بعدها روايات كثيره فى أُسلوب الحرب البارده للإمام الصادق(عليه السّلام) مَعَ السُّلطه الحاكمه.

تناسب التقدير بين الإنسان الصغير والكبير

هَلْ يُتصوّر الجبن أو الخنوع أو الخضوع أو الضعف، أو حتّى ترك الشأن السّياسي وعدم السعي فِي بناء تكوين منهاج الحَقّ والجهر به فى ظرفه المُنَاسِب مِنْ رجلٍ يقول ولو بالتلويح لوالى المنصور: أنت فاسق، أو يقول للمنصور نفسه: أنت جبّار، أو لا نفع فى نصحك لأنّك مِنْ أهل الدُّنيا.

هذهِ السنّه مِنْ الإمام الصادق(عليه السّلام) ترسم للمؤمن منهاجاً حياتيّاً يقول لَهُ: إنَّكَ إنسان صغير والدِّين إنسان كبير، والمُهمّ هُوَ الحفاظ عَلَى الإنسان الكبير، وتكون المحافظه عَلَى الإنسان الصغير بالتّبع - بتبع محافظته عَلَى الإنسان الكبير- فإذا ما جاء الخطر عَلَى الإنسان الكبير (الإنسان الأهمّ)، وهو الدِّين وجب عَلَى الإنسان الصغير التضحيه دونه، والعكس صحيح، أى: إذا جاء الخطر عَلَى الإنسان الصغير وجب عَلَى الإنسان الكبير المحافظه عَلَى أتباعه - الإنسان الصغير- ولذلك شرَّع له التقيّه، فقد وَرَدَ: «التقيّه دينى ودين آبائى، ولا دين لِمَنْ لا تقيّه له»(1) وكذلك يوجب عليه المحافظه عَلَى نفسه فى مختلف الظروف والموارد الَّتِى لا يكون فيها خطر عَلَى الدِّين.

وممّا مرَّ يظهر لك جهاد الإمام الصادق(عليه السّلام) وما خَفىَ مِنْ نشاطه كَانَ أعظم، ناهيك عَنْ تربيته لأصحابه، فكما كَانَ له فى الفقه مثل زُرَاره وأضرابه، وكذلك عنده هشام بن الحَكَم وهشام بن سالم والمعلى وأمثالهم، وكما كانوا

۱- المفيد، محمّد بن محمّد، أوائل المقالات: ص۲۱۶.

عُلماء كَانَ لهم جهاد بالكلمه - لا الانهماك فى أبواب السُّلطان- وأمر بالمعروف ونهى عَنْ المنكر، ومواقف مُشرِّفه كاشفه عَنْ الدور التربوى والسلوكى العظيم، الذى كَانَ ينتهجه الإمام(عليه السّلام) فى حياته ومَعَ أصحابه.

ولذلك اُغتيل الإمام(عليه السّلام) كآبائه شهيداً مسموماً، ولو لمْ يكن نشاطه المُتنامى يقلق السُّلطه لمَاتَ حتف أنفه. وهذهِ سيره كُلّ الأئمّه والأنبياء بين يديك طافحه بذلك، ولذلك شُرِّدوا وأُوذوا وقُتلوا فى سبيل الله. والإمام(عليه السّلام) وَكُلّ المعصومين(عليهم السّلام) أفضل بدرجات مِنْ سائر بقيه الأنبياء، وهم أحرى مَنْ سلك مسالك الجهاد والدِّفاع عَنْ الدِّين بأساليب مُخْتلِفه بارده وخفيّه ومتنوّعه.

والخُلاصه: إنَّ الإمام الصادق(عليه السّلام) لمْ يترك الخيارات الأُخرى مَعَ تمسّكه بخيارات معيّنه، ففى حين كانت الظروف مؤاتيه لتأسيس الحوزات، لمْ يغفل(عليه السّلام) جوانب الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عَنْ المُنكر بآليات مُتكثّره، فكَانَ يواجه أعداءه بحرب بارده مُبَاشره أو بصوره غَير مُبَاشره بواسطه أتباعه كُلّما سنحت الفرصه وتوفَّر الظرف.

مُهذّب خائف رغم حتميّه النصر

وَهَذا مشهد عكس مشهد سيّد الشُّهَداء(عليه السّلام)، فرغم حتميّه الشهاده لمْ يسكن عَنْ النشاط والسعى الحثيث للوصول إلى الهدف بأيِّ درجه ممكنه، وفى المشهد الحالى رغم حتميّه النصر فلا يدعوه إلى السكون عَنْ النشاط أيضاً، وَهَذا مِنْ بديع معرفه الأئمّه بالقضاء والقدر وعلمهم بالبَداء الإلهى الأعظم.

المُهذَّب الخائِف

عباره وَرَدَت فى السَّلام عَلَى الإمام المهدى فما معنى ذلك؟ هَذا السُّؤال أجابت عَنْه روايات كثيره جدّاً، تَدلُّ عَلَى عِدَّه معانٍ وأوصاف، أحدها: أنَّ الإمام يخرُج مِنْ المدينه خائفاً يترقَّب إلى مكَّه حين يقترب ظهوره، عَلَى سُنّه موسى بن عمران(عليه السّلام)، وهُنا تتبادر الأسئله عَنْ معنى الخوف، ولماذا يخاف لو كَانَ مِنْ المحتوم نصره؟ فليترك الحبلَ عَلَى الغارب، وليذهب برجله إلى المنون؛ فإنَّه لا يموت لأنَّه موعود بالنصر، وإنَّ الدِّين سيظهر عَلَى الدِّين كُلّه بيده المُباركه ولو كَرِهَ المشركون.

فما معنى الخوف؟ فُسِّر الخوف بأنَّه لَيسَ خوفاً عَلَى النفس، بلْ هُوَ خوف عَلَى المشروع الإلهى، كما أنَّ موسى(عليه السّلام) حينما خرج مِنْ مدينه مِصر {خَائِفاً يَتَرَقَّبُ}(1) لمْ يكُن خائفاً عَلَى نفسه لنفسه مِنْ القتل، أو حصول الأذى،

١- القصص: آيه١٨.

بـلْ هُوَ خـائف عَلَى نفسه لأجل خوفه عَلَى إقامه الـدِّين وعَلَى أداء الرساله وَمِنْ غلبه الجُهّال عَلَى الأمر. كـذلك الإمام المهـدى، وَهَذا جواب إجمالى - رغم صحته- ولا بدَّ مِنْ التفصيل، فنقول:

رغم أنَّ هُناك وعـداً جازماً بحصول النصـر ونجاح المشـروع الإلهى قضاءً وقـدراً، وأنَّ ذلك محتومٌ لا ريب فيه، إلّا أنَّ زمنه غَير محتوم، والنهايه معروفه لكن متى سـتحصل؟ هَلْ بَعْدَ يوم أو بَعْدَ سـنه أو بَعْدَ مائه سنه؟ فينبغى المحافظه عَلَى النتائج الَّتِى حصلت لأجل عـدم تأخُّر المشـروع الإلهى؛ لأنَّه لا حتم فيه مِنْ حَيْث الزمن والتفاصـيل والكيفيّات الأُخرى، فالمكاسب الَّتِى حصـلت عِنْدَ صـاحب المشـروع يجب المحـافظه عليهـا، وَهُوَ مـأمور بـالحرص عليهـا والخوف عليها مِنْ الضـياع، (يخاف عَلَى شـىء فيتحرّك للمحـافظه عليه برجاء المحافظه عليه)، وَهَـذا هُوَ الصـحيح مِنْ الموازنه بين حتميّه القضاء والقـدر وبين مسؤوليّه الاختيار والسـعى للتكامل، فيبقى بين الرجاء والخوف (كما فى الحديث)، محافظاً عَلَى ما حصل عليه، وسيحصل عليه.

وهكـذا كَانَ الحسـين(عليه السّـلام) يخاف عَلَى ضـياع جهوده وجهود أبيه وجدِّه وَأُمِّه وأخيه(عليهم السّـلام) ، وما أسّـسه لنجاح المشـروع الإلهى، فَهُوَ (خائف يترقّب) حين خرج مِنْ مدينه جدّه الرسول(صـلّى الله عليه و آله وسـلّم)، خوفاً عَلَى الدِّين وحرصاً منه عَلَى الجهود الَّتِى بـذلها جـدُّه وأبوه وأُمُّه وأخوه(عليهم السّـلام) ، بـلْ جهود كُـلّ الأنبياء السابقين، بلْ وأكثر من ذلك فكَانَ يخـاف عَلَى ضـياع الجهود الَّتِى سـيبذلها الأئمّهُ مِنْ وُلـده بعـده وَمَنْ تبعهم بإحسان مِنْ المؤمنين، فالخوف ممـدوح لِمَعِيِّه الرجاء معه؛ ولذلك فخوف موسى - بلْ خوف القائم وخوف

الحسين(عليه السّلام)- خوفٌ معه الرجاء؛ لأنَّه لَيسَ فيه قعود وتخاذُل وقنوط ويأس مِنْ روح الله، بلْ التحرُّك عَلَى طبق الخوف لدفعه أو رفعه وَهَذا هُوَ الرجاء العملى.

ص: ٧٣

شجاعهُ التدبیر لا تُنافی الحذرَ

سوره الکهف الَّتِی اصطلحنا علیها سوره الإمامه(۱)، (وفعلاً هی کذلک)، فهی تُعطی أربعه نماذج مُهمّه تُبیِّن حیثیّات وسلوکیات الإمامه وهی:

۱) قصّه آدم(علیه السّلام) کخلیفه وإمام.

۲) نموذج أصحاب الکهف.

۳) نموذج العبد الصالح.

۴) نموذج ذی القرنین.

کذلک تؤکِّد الروایات أنَّ أصحاب الکهف والعبد الصالح الذی هُوَ الخضر(علیه السّلام)، سیکونون مِنْ أنصار الإمام المهدی، أی: أنَّ هؤلاء لهم الأهلیّه للعیش فی آخر الزمان، أی: لهم الأهلیّه للقیاده العسکریّه والسیاسیّه، التدبیریّه والاجتماعیّه فی الزمن اللاحق (المُتقدِّم) المتطوِّر علمیّاً وحضاریّاً؛ ممّا یکشف لنا عَنْ علوِّ علمهم، وعن عمق عقیدتهم، وصفاء نیتهم، وعمق تدبیرهم وخبرویتهم، وأنَّ علمهم لَیسَ مِنْ سنخ العُلوم المعروفه، بلْ هُوَ علم لَدُنّی کما أَخبرنا القُرآن فی قصّه الخضر.

نَعَمْ، القُرآن لمْ یخبرنا عَنْ سنخ علم أصحاب الکهف، بلْ قال: {إِنَّهُمْ

۱- السند، محمّد، الإمامه الإلهیه: ج۳، ص۴-۵. بیّن سماحه الشَّیخ (دام ظله) فی کتاب الإمامه الإلهیه قراءه مُمیّزه للنماذج المذکوره.

فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}(۱)، ولعلَّ أحد القرائن عَلَى أنَّ علمهم لَدُنِّى - بالإضافه إلى الآيه: {وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}- هُوَ نفس أهليّتهم للقياده الإداريه والتدبيريّه فى آخر الزمان.

الأمر الآخر المُهِم الذى يجب أنْ نُسلِّط الضوء عليه - لبيان ميزاتهم الَّتِى سبّبتْ أهليّتهم للقياده فى آخر الزمان، بَعْدَ أنْ عرفنا أنَّ سنخ علمهم لَدُنّى- هُوَ الجانب الأمنى أو الحسّ الأمنى (كما يُعبَّر فى العصر الحاضر)، والقُرآن يُبيّن لنا ذلك فى مقطع صغير خفيٍّ يتّضح بالتدبُّر وبالتأمُّل، فعن أصحاب الكهف، يقول: {فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـذِهِ إِلَى الْمَدِينَهِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً}(۲).

فَمِنْ قوله: {وَلْيَتَلَطَّفْ}. وقوله: {وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً}. استدلَّ بعضٌ بها عَلَى مشروعيّه التقيّه إلّا أنَّه فيها جانب عظيم وخطير مِنْ تدريب النفس عَلَى الحسّ الأمنى والتدبير؛ فإنَّ (التلطّف) الذى طلبه أصحاب الكهف مِنْ صاحبهم الذى أرسلوه إلى المدينه فيه جانب عظيم وخطير مِنْ تدريب النفس عَلَى الحسّ الأمنى والتدبير، وهُوَ نوع خفاءٍ، للمتلطِّف حين مواجهته للناس.

فاللطافه كما يقول الراغب الأصفهانى: «ويعبِّر باللطافه واللطف عَنْ الحركه الخفيفه وعن تعاطى الأُمور الدقيقه»(۳)، إذاً؛ التلطُّف هُوَ الخفّه فى

۱- الكهف: آيه۱۳.

۲- الكهف: آيه۱۹.

۳- الراغب الأصفهانى ، الحسين بن محمد، المفردات فى غريب القرآن: ص ۴۵۰ مادّه (لطف).

التعاطى والتعامل، والخفّه لا يُقصد بها سرعه الحركه، بلْ هى تُشير إلى عدم الثقل له لدى الآخرين، وهُوَ عدم الوزن، أى: لا يُقام لهذا المُتعاطى وزناً، وكأنَّ العين لا تحسب له حساباً ولا تُقيم له وزناً، وَهَذا معنى عظيم وحسّ أمنى خطير لا يمكن أنْ يعمله كُلّ أحد، وهو فى الحقيقه هبه إلهيه وسرّ إلهى.

وفى كثير مِنْ القصص الَّتِى تروى عَنْ أشخاص تشرَّفوا برؤيه الإمام صاحب الزمان، أنَّهم إنّما التفتوا إلى أنَّ هَذا هُوَ الإمام بَعْدَ أنْ ذهب أو اختفى عنهم، وَأنَّهُ لمْ يشعرهم أنَّه هُوَ الإمام، والإمام أعطاهم إشارات خفيّه أو لطيفه، ولكن للطفاتها ودقّتها لمْ يلتفتوا إليها.

نَعَمْ، مَنْ يدّعى الرؤيه بداعى إظهار أنَّه وسيط مَعَ الإمام فَهُوَ كاذب مُفترٍ.

خفاء التدبير بلا خفاء للمدبِّر

كذلك اللطف هُوَ عباره عَنْ تعاطى لمعانٍ دقيقه، لا يفهمها كُلّ أحد فالعبارات اللطيفه الدقيقه الَّتِى تُلقى لا يفهمها عامّه الناس، بلْ يفهمها الخواص أو خواص الخواص؛ فيكون التلطّف هُوَ فِى الكلام بقدر السُّؤال مَعَ عدم الزياده، والكلام بشكل إجمالى ومُقتضب، أو بشكل بسيط وسلس وغير مُعقّد؛ لأنَّ التعقيد يزيد السُّؤال.

فالتلطّف وعدم إشعار الآخرين هُوَ إشاره للحسّ الأمنى العالى الذى مارسه أصحاب الكهف، وكذلك الخضر(عليه السّلام) حينما جاء إليه موسى(عليه السّلام) يتعلّم منه، حَيْث كَانَ بين موسى(عليه السّلام) وبين الخضر(عليه السّلام) موعد، ولا يُتصور أنَّ الخضر تخلّف عَنْ الموعد، كما لمْ يتخلّف موسى(عليه السّلام)، ولكن الذى حصل أنَّ موسى(عليه السّلام) لمْ يطّلع عَلَى العَلامه حين وقوعها وهى اتّخاذ الحوت سبيله سرباً، وحينها كَانَ

الخضر(علیه السّلام) جالساً فی نفس المکان، ولم یُشر إلی موسی(علیه السّلام)، ولم یحرِّک ساکناً لشدّه حیاطته الأمنیه رغم أنَّه عرف موسی(علیه السّلام) حسب المقرر.

فتلاقی موسی والخضر(علیهاالسّلام) وإنْ کَانَ وعداً إلهیاً وقدراً محتّماً وقضاءً مُبرماً إلّا أنَّ ذلک لمْ یدع موسی والخضر(علیهاالسّلام) یتوانیان عَنْ تحمّل أعلی المسؤولیه وإتیان قمّه النشاط، ومراعاه أشدّ الحذر وأدقّ الترقُّب مَعَ أنَّ الخضر(علیه السّلام) قدْ شرب مِنْ عین الحیاه ومضمون البقاء إلی یوم الظهور المُقدّس للإمام، إلّا أنَّ حذره مُتصاعد حتّی مَعَ مثل موسی(علیه السّلام) نبی مِنْ أُولی العزم.

وَمِنْ ثَمَّ قال له - حیطهً وحفاظاً عَلَی برنامج مسؤولیاته الخفیّه-: هَذا فراق بینی وبینک. والسبب لأجل أنْ یبقی فی معایشه تامّه لأُسلوب الحیاطه الأمنیه - التقیّه المُکثّفه- حتّی فی الحالات الاعتیادیه، قال تعالی: {قَالَ أَرَأَیْتَ إِذْ أَوَیْنَا إِلَی الصَّخْرَهِ فَإِنِّی نَسِیتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِیهُ إِلّا الشَّیْطَانُ أَنْ أَذْکُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِیلَهُ فِی الْبَحْرِ عَجَباً}

(۱). وهذهِ التقیّه مِنْ الإمام وأصحابه - والبرنامج الأمنی المُکثّف- لَیسَ تشکیکاً فی وعد الله المحتوم بالنصر والعیاذ بالله، ولا تشکیکاً فی قُدْره الله، بلْ هُوَ عَلَی العکس تماماً زیاده فی الإیمان بمدی سعه القدره والمشیئه الإلهیه، وزیاده فی المعرفه بمشیئه الله وسعه قدرته الَّتِی هی البداء وبسعه قُدْره الله وسعه علمه.

وإنَّ الاحتراز مِنْ مثل الخضر(علیه السّلام) أو أصحاب الکهف(علیهم السّلام) هُوَ أکثر تسلیماً لمشیئه الله الواسعه، مِنْ استسلامهم للقضاء والقدر اللذین هُما أضْیَق

۱- الکهف: آیه۶۳.

مِنْ سعه المشیئه، ألا تری قول نبی الله إبراهیم(علیه السّلام): {وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِکُونَ بِهِ إِلَّا أَن یَشَاء رَبِّی شَیْئاً وَسِعَ رَبِّی کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً}(۱). فرغم یقینه إلّا أنَّه استثنی مشیئه الله لسعه علم الله بکُلِّ شیء.

وبعباره أُخری: رغم کون الخضر(علیه السّلام) حیّاً إلی آخر الزمان إلّا أنَّ اتّباع الأسالیب والطُّرق الأمنیه شیء أساسی، وَهُوَ أشدّ تسلیماً لله حَیْث سلّم بسعه مشیئه الله وعلمه وقدرته، ولم یغترّ بحتمیّه القضاء والقدر، ولذلک المخلصون عَلَی خطر عظیم ووَجَلٍ کبیر؛ لتهیّبهم مِنْ سعه المشیئه والعلم والقُدره والبَداء، فبقدر ما لدیهم مِنْ رجاء ومعرفه بالجمال لدیهم خوف ومعرفه بالجلال، وَهُوَ ما یُشیر إلیه سید الشُّهداء فی دعاء عرفه: «إلهی، إنَّ اختلاف تدبیرک وسرعه طواء مقادیرک منعا عبادک العارفین بک عَنْ السکون إلی عطاء، والیأس منک فی بلاء»(۲).

فعدم سکونهم لعدم اقتصارهم بلا خوف وإنْ أُعطوا، وَلَیْسَ سوء ظنٍّ بالله تَعَالَی، بَلْ توازن شدّه الرجاء مَعَ شدّه الخوف، وَهُوَ تجلّ لعظمه الربوبیه مَعَ شدّه عبودیّه وشدّه خضوع، وعدم یأسهم وعدم اقتصارهم عَلَی الخوف بدون رجاء فی البلاء؛ لکون خوفهم مَعَ رجاء، وَهَذا معنی دقیق بحاجه إلی تدبُّر.

۱- الأنعام: آیه ۸۰.

۲- ابن طاووس، علی بن موسی، إقبال الأعمال: ص۳۲۹-۳۵۰. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۹۵، ص۲۲۵.

أحلاس البيوت

وَرَدَت روايـات عديـده ذكرت عنـوان (الحِلْس)، وأُسـيءَ فهـم هَـذا العنـوان كـثيراً، وتصـور الكـثير أنَّه يعنى الجمـود وترك المسؤوليات؛ فلا بُدَّ هُنا أنْ نُسَلِّط الضوء عَلَى هَذا العنوان.

عَنْ أبى عبد الله(عليه السّلام)، قال: «... فكونوا أحلاس بيوتكم، والبدوا ما أَلبدنا، فإذا تحرَّك مُتحرِّكنا فاسعوا إليه ولو حَبواً»(۱). وعن أبى الجـارود، عَنْ أبى جعفر(عليه السّلام)، قال: «قال: قلتُ له(عليه السّلام): أوصـنى؟ فقال: أوصـيك بتقوى الله، وأنْ تلزم بيتك وتقعُد فى دهماء هؤلاء الناس، وإياك والخوارج منّا؛ فإنَّهم ليسوا عَلَى شىء ولا إلى شىء...»(۲). وعَنْ أبى المرهف، قال: «قال أبو عبد الله(عليه السّلام): هلكت المحاضير، قال: قلتُ: وما المحاضير؟ قال: المُستعجِلون، ونجا المقرَّبون، وثبت الحصن عَلَى أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم؛ فإنَّ الغبره عَلَى مَن أثارها، وإنَّهم لا يُريدونكم بجائحه إلّا أتاهم الله بشاغل إلّا مَنْ

۱- النعمانى، محمـد، الغيبه: ص ۲۰۰، باب ۱۱، ح ۱. وقـدْ نُقل نفس المضـمون فى روايات أُخرى مِنْ طرق الشـيعه والسـنّه، حَيْث نقـل فى سـنن أبى داود - وَهُوَ مِنْ مصادر السـنّه- عنوان (الأحلاس). اُنظر: أبو داود، سـليمان بن الأشـعث، سـنن أبى داود: ج ۲، ص ۳۰۵.

۲- النعمانى، محمد، الغيبه: ص ۲۰۱، باب ۱۱، ح ۲.

تعرَّض لهم»(۱).

هـذهِ الروايـات وغيرهـا نراهـا تـأمر المؤمن فى زمن الغيبه أنْ يكون حِلْساً مِنْ أحلاس بيته، وقـدْ شاع تفسـيره بمعنى الجلوس فى الـدار، أو بمعنى السـكون وعدم الحركه، أو عدم التحرُّك لئلّا يؤدِّى بالمؤمن للأذى أو الموت. فهل المُراد مِنْ هَذا اللسان ذلك أو شـىء آخر؟ وَهَذا ما سـيأتى توضـيحه فى خاتمه البحث - فى بحث مستقل فى الفصل الأول من القسم الثانى- إذْ هَذا المعنى الشائع تفسيره لا يتناسب مَعَ القواعد المعرفيّه العامَّه مِنْ التوكُّل والرجاء وعدم اليأس وعدم الاستسلام إلى الظروف والواقع الراهن مهما كَانَ مُعقّداً ومُكبّلاً.

وقـدْ جذَّر هذهِ الثقافه - ثقافه الأمل والنشاط- ما وَرَدَ فى زياره الحسين(عليه السّـلام) أنَّه كَانَ أسـير الكربات(۲)، أى: أنَّ تعقيد الظروف كَانَ يحيط به مِنْ كُلّ جانب، وبرغم كُلّ ذلك لمْ يكن(عليه السّـلام) مستسلِماً لتلك الظروف، بلْ كَانَ فى قمّه الحيويّه والنشاط.

۱- المصدر السابق: ص۲۰۳، باب۱۱، ح۵. وبنفس المضمون نقل ذلك الكلينى فى باب ما يعاين المؤمن والكافر. اُنظر: الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج۳، ص۱۳۲.

۲- الطوسى، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص۷۸۸. المشهدى، محمد بن جعفر، المزار: ص۵۱۴.

الفصل الثّالث:لا حَسم سابق ولا حَتم فی التداعیات بدون إمکانیّه البَداء

اشاره

ص: ۸۱

لا حَسْم سابق ولا حَتم فى التداعيات بدون إمكانيّه البَداء

إذا كَانَ الحَسم والحَتم فى الأمر الكُلِّى وكذلك الجزئى فلا حَسم ولا حَتم فى التداعيات، بنحو يسدّ الباب عَنْ تطرُّق البَداء الإلهى، لا سيّما البَداء الأعظم.ال

هَذا الجواب: مَعَ التنزُّل عَنْ الجواب الأوَّل: مِنْ أنَّ قضيه شهاده الحسين(عليه السّلام) نفسها تحتمل البَداء، ولو البَداء الأعظم. ومَعَ التنزُّل عَنْ الجواب الثّانِى: مِنْ أنَّ قضيه الحسين(عليه السّلام) تحتمل البَداء فى تفاصيلها الجزئيه، وإنْ لمْ تحتمل البداء فى أصل الشهاده، يأتى دور الجواب الثَّالث، وَهُوَ:

إنَّ النتائج والتداعيات المُترتّبه عَلَى الحدث غَير محسومه سلفاً ومُسبقاً، والتفاصيل الأُخرى المُتولِّده مِنْ الحدث الخارجه عَنْ حاقِّ الواقعه كذلك المجال فيها مُمكن للحركه والحراك والسعى بلحاظها لإنجاز أكبر قدر مِنْ الأهداف العاليه، فلا يأس ولا إياس، بلْ عنفوانُ رجاءٍ ملؤه تفاؤل بالخير والأمل، وهذهِ معرفه غائره بالتوكُّل عَلَى الله تعالى والرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء والقدر، فإنَّ النتائج الَّتِى يرمى الحسين(عليه السّلام) للتخطيط لوقوعها والَّتِى تتكشّف يوماً بَعْدَ يوم كانت مِنْ إنجازات الحسين(عليه السّلام) بمشيئته تعالى وراء القضاء المحتوم، أى: بما ألهمه الله مِنْ العلم والفهم بسعه قُدْره الله تعالى وسعه علمه تعالى، وبما كشف له مِنْ الواقع بما له مِنْ علو، وأُخرى كانت مِنْ

إنجاز السبايا، وبالخصوص زينب والسجاد(عليهماالسّلام) بما لهم مِنْ علم إلهى وحكمه وتربيه مُحمّدیه علویّه فاطمیّه حسنیّه حسینیّه.

وَهَذا واضح فی قول السجّاد لعمّته زینب(علیهماالسّلام): «أنتِ عالِمهٌ غَیرُ مُعلّمه وفهمهٌ غَیرُ مُفهّمه»(۱)، وزینب(علیهاالسّلام) تؤکّد له أنَّ قضیه الحسین(علیه السّلام) باقیه ما بقی اللیل والنَّهار، حَیْثَ تقول(علیهاالسّلام): «ما لی أراک تجود بنفسک یا بقیّه جدِّی وإخوتی؟ فو الله، إنَّ هَذا لعهدٌ مِنْ الله إلی جدِّک وأبیک، ولَقَدْ أخذ الله میثاقَ أُناس لا تعرفهم فراعنه هذهِ الأرض، وهم معروفون فی أهل السموات، أنَّهم یجمعون هذهِ الأعضاء المُقطعه والجسوم المُضرّجه فیوارونها، وینصبون بهذا الطف عَلماً لقبر أبیک سیّد الشهداء لا یُدرس أثره، ولا یُمحی رسمه عَلَی کرور اللیالی والأیام، ولیجتهدنَّ أئمّهُ الکُفْر وأشیاع الضلال فی محوه وطمسه، فلا یزداد أثره إلّا علواً...»(۲).

وهذهِ کلمه مِنْ العقیله(علیهاالسّلام) عالیه المضامین یصعب إنجازها وتطبیقها، وهی کلمه نسمعها ونُردّدها، وهی خفیفه فی اللسان، ولکنَّها کانت ولا زالت ثقیله فی میدان التطبیق وفی میدان العمل، فالإخبار والعلم شیء، والعمل شیء آخر مُغایر تماماً للکلام والعلم.

إذاً؛ فإنَّ نتائج کثیره غَیر محسومه وغیر محتومه یمکن أنْ تترتّب بتحمّل المسؤولیّه ومکابده الهمم، وإنْ کَانَ أصل الحدث محتوماً والواقعه مُبرمه فی القضاء؛ فکَانَ الحسین(علیه السّلام) - دوامه قطب نشاط وحیویّه- یرمی إلی إنجازها، وأُنجزت وتحقّقت عَلَی یده، أو عَلَی ید السبایا فی زمنه أو بَعْدَ زمنه المُبارک وإلی یومک هَذا.

۱- الطبرسی، أحمد بن علی، الاحتجاج: ج۲، ص۳۱.

۲- ابن قولویه، جعفر بن محمّد، کامل الزیارات: ص۴۴۴ (الهامش).

التفاؤل فی میزان القضاء والقَدَر

تفاءلوا بالخیر

نودُّ – هُنا– الإشاره إلی بعض الأُسس والقواعد الَّتِی أسسها النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، والَّتِی تُلقی بظلالها عَلَی ما ینبغی فهمه مِنْ الجواب الثَّالث فی معرفه سعه التوکُّل والرجاء بالله تعالی ورحمته.

بند وأصل وأساس عظیم، ونظریَّه نبویّه، وکلمه جامعه مِنْ الخاتم(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، الذی قال: «أُعطیتُ جوامع الکلم»(۱)، وهذهِ الکلمه هی: «تفاءلوا بالخیر تجدوه»(۲)، هذهِ الکلمه الجامعه مِنْ (الخاتم لما سبق، والفاتح لما استُقبل والمهیمن عَلَی ذلک کُلّه)، هذهِ الکلمه العظیمه الکُبری مِنْ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) لیست مُجرَّد کلمه تشجیعیّه اندفاعیه لشحذ الهمم – وإنْ کانت کذلک– بلْ هی کلمه شوهدت نتائجها، وتشاهد الیوم فی عشرات المیادین، بلْ مئات أو أکثر مِنْ ذلک. وکثیرون نجحوا فی حیاتهم بتطبیقهم لهذه المقوله العظیمه، فی حین تجد إنساناً فی قمّه الفشل، ولکنَّه مُتفائل وتفاؤله یحوِّل الهزیمه إلی نصر والفشل إلی نجاح والأزمات إلی فُرَص.

۱– الصدوق، محمّد بن علیّ، الأمالی: ص۲۸۵. وأُنظر: الطوسی، محمد بن الحسن، الأمالی: ص۱۰۵. وابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج۲، ص۲۵۰.

۲– الطباطبائی، محمّد حسین، المیزان فی تفسیر القرآن: ج۱۹، ص۷۷. الریشهری، محمد، میزان الحکمه: ج۳، ص۲۳۵۳. کَمَا وَرَدَ فی قصّه الحدیبیه، وکذلک فی قصّه کتابه(صلّی الله علیه و آله وسلّم) إلی خسرو برویز.

فالتفاؤل حاله تكوينيّه تعيشها النفس، والروح تصنع المُعجزات فی تدبير وإداره الحدث فِی عالم التكوين الخارجی، كما صنعته فی عالم التكوين الباطنی للنفس، وليسَ الأمر مُختصاً بالأفراد، بلْ هُوَ حتّی عَلَی صعيد المُجتمعات وعَلَی صعيد الدول والحكومات.

تدبير الخير لمستقبل الأُمّه

مِنْ فرط حرص النَّبی(صلّی الله عليه و آله وسلّم) عَلَی الخير للمُسْلمين، بلْ لكلِّ الناس بما فيهم أهل الكُفْر والنِّفاق واستماعه لكلامهم، قال بعض الصحابه فی زمانه: هُوَ (أُذن). فأجاب عَنْ ذلك القُرآن بقوله: {أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ}(۱). فَهُوَ يستمع للجميع ويصاحب الكُلّ (بما فيهم المُنافق)؛ لذلك يظنّ الظانّ أنَّ النَّبی(صلّی الله عليه و آله وسلّم) استجاب لهذا القرشی المُتآمر، أو قَبِل قول هَذا المُنافق، والحال أنَّ فی الاستماع الجيّد والإصغاء التامّ له أبعاد كثيره جدّاً، فَهُوَ مِنْ جهه يُشجِّع الطرف الآخر عَلَی التفاعل والمُشاركه والإسهام، سواء الصحيح أو الخاطئ حتّی يُصحّح(صلّی الله عليه و آله وسلّم) له الخطأ - تكلَّموا تُعرفوا-. وَمِنْ جهه يبثّ جواً مِنْ الحريّه وقبول الطرف الآخر، وَهُوَ لا- يعنی بالضروره تطبيق ما يقوله الطرف الآخر، وَهُوَ تشجيع للحوار الهادئ البنّاء والمشوره النافعه. وَمِنْ جهه ثالثه هُوَ تعليم للآخرين؛ لأنَّه عندما يتكلَّم بما عنده مِنْ أفكار تأتيه أفكار جديده ورؤی أُخری، وينتفع البقيه مِنْ المناقشه وَمِنْ التصحيح والمُداخلات. وَمِنْ جهه رابعه دور للمشاركه والمراقبه داخل الإطار الإسلامی الصحيح، والابتعاد عَنْ سياسه تكميم الأفواه فی الاستفسار عَنْ بعض السياسات التنفيذيّه عَلَی الرغم مِنْ أنَّها وحی مُنزَّل.

۱- التوبه: آيه ۶۱.

ولذلك لمْ يكن الله ولا رسوله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) يمنع مِنْ التفاعل الصحيح البنّاء، فالنبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) فى عشرات المواقف يستقبل الكلام القاسى بصدر رحب مِنْ جهه، وَمِنْ جهه أُخرى يقول هَذا أمر الله، ولم يكن فى كلام القُرآن وفى كلام النَّبى والأنبياء السابقين ما يُشير إلى تحريم إبداء المُقترحات والأسئله الفاحصه عَنْ الحقيقه فى تصرُّف مِنْ التصرّفات والممارسات، وَهَذا ما يُفَسِّر لنا عشرات التعليلات المُفسّره المُبيّنه الَّتِى فى القُرآن لتصحيح المسارات الخاطئه الَّتِى مارستها الأقوام فى الاجيال السابقه عَنْ حكمه أفعال الأنبياء، وتصرّفاتهم حَيْث توهّموا بالنَّظر السلبى لتلك التصرّفات.

نظير ذلك قضيّه تنصيب علىٍّ(عليه السّلام) أميراً للمؤمنين مِنْ قِبَل السماء، فقدْ جاءت العزيمه منه تعالى فى حجّه الوداع فى مكّه، إلّا أنَّ الأمر لمْ يكن مُضيّقاً مِنْ جهه الزمان والمكان، وكَانَ الزمن باختيار النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) حَيْث كَانَ يتحرّى الوقت المُناسب الذى يوصل فيه التبليغ للناس مع اشتماله عَلَى أكبر حصيله ممكنه مِنْ تشييد صرح هَذَا الأصل الأصيل للإسلام والمسلمين، ثمَّ أتت عزيمه أُخرى منه تعالى مُضيّقه فى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ الله لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِين}(١)، أى: بلِّغ - يا رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)- تنصيب الأمير(عليه السّلام).

فَقَدْ روى ابن مردويه بسنده، عَنْ ابن مسعود عَنْ قراءه الآيه، قَالَ: «كُنَّا نقرأ عَلَى عهد رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...}»(٢)، وأخرج ابن أبى حاتم -

---

١- المائده: آيه۶٨.

٢- السيوطى، جلال الدين، الدرّ المنثور فِى التفسير بالمأثور: ج٢، ص٢٩٨.

وابن مردویه وابن عساکر- عَنْ أبی سعید الخدری، قال: «نزلت هذه الآیه {یَا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَیْکَ مِن رَّبِّکَ...} علی رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) یوم غدیر خُم فی علیّ بن أبی طالب»(۱)، وإذا کنت فی خشیه عَلَی الرساله وعَلَی المشروع الإلهی، فإنَّه مشروع معصوم، وأنت أیضاً معصوم وممنوع مِنْ أنْ یصل إلیک الشرّ مِنْ الناس والتکذیب، فإذا لمْ یکن هُناک شرّ وتکذیب فهُناک الخیر کُلّ الخیر وَهُوَ المُبتغی والغایه.

وخشیه النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) بکُلِّ تأکید کانت فی محلِّها، وعوامل الخشیه موجوده والقُرآن یوضِّح ذلک، ولکن لا بدَّ مِنْ التبلیغ؛ لأنَّ الأمر المبلَّغ به هُوَ عِدْل الرساله، بلْ هُوَ الرساله، وَمِنْ الآیات الَّتِی تُبیِّن ذلک قوله تعالی: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}(۲)(۳).

فالأمر الأوَّل والعزیمه الأُولی بتبلیغ الولایه رغم عظمتها وخطورتها فی الأمر الإلهی النازل عَلَی النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، إلّا أنَّ ذلک لمْ یدفع بالنبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) إلی الاندفاع فی الحرکه والحراک مِنْ دون تدبیر وتخطیط فی توخّی الأفضل فی المساحه المفتوحه بَعْدَ أنْ لمْ یکن الأمر مُضیّقاً، بَلْ موسّعاً حتّی جاء الأمر مرّه أُخری

۱- المصدر نفسه.

۲- المعارج: آیه۱.

۳- وفی کتاب مدینه المعاجز أنَّ السائل المذکور هُوَ النَّظر بن الحارث الفهری، فإنَّه قال للنبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «إذا کنت سیّد وُلد آدم، وأخوک سیّد العرب، وابنتک فاطمه سیّده نساء العالمین، وابناک الحسن والحسین سیّدی شباب أهل الجنّه، وعمّک سیّد الشهداء، وابن عمِّک ذو الجناحین یطیر بهما فی الجنّه حَیْث یشاء... فما لسائر قریش؟!!»، وَهُوَ باحتجاجه عَلَی النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) بتنصیبه لعلیٍّ(علیه السّلام): أنَّه إذا کَانَ حقّاً وَمِنْ السماء فلیأتیه العذاب، فجاءه العذاب. البحرانی، هاشم، مدینه المعاجز: ج۲، ص۲۷۲.

بالفوريّه والتضييق، فترك التأخير بسبب التروىّ والتحرّى إلى المُبادره والإسراع.

هَذا مثال وسنّه منه(صلّى الله عليه و آله وسلّم) أنَّ الأمر وإنْ كَانَ حتميّاً وبالغ الخطوره، إلّا أنَّه لا ملازمه بين الحتميّه وعدم السعه فِى التفاصيل، فأصل الإبلاغ لازم، ولكنَّه مِنْ جهه الزمان والمكان والظروف متّسع للتدبير والتحرّى الأنسب للحركه والحراك، وتوخّى أفضل الظروف وأحسن النتائج.

وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ النهى الشديد فى السنّه الإلهيّه عَنْ التضييق بكثره السُّؤال، كما فى بنى إسرائيل ضيَّقوا عَلَى أنفسهم الأوامر الإلهيه ذَاتَ العموم (المُتّسعه) بسبب كثره السُّؤال عَنْ التفاصيل والقيود، كما فى أمره تعالى لهم بذبح البقره، فكان فى البدء مُتّسع لهم المجال فى التفاصيل والحركه فيها رغم إلزاميه الأمر، إلّا أنَّهم أكثروا السُّؤال عَنْ القيود فى التفاصيل ليحتِّموها عَلَى أنفسهم، مَعَ أنَّها لمْ تكن مُبرمه بالقيود مُضيّقه عليهم رغم إبرام أصل الأمر.

وَهَذا معنى ما وَرَدَ مِنْ أنَّ الله يكره كثره السُّؤال، أى: عَنْ التفاصيل المُقيِّده للسعه - كَمَا هُوَ حال اليهود أصحاب البقره- لا كراهه السُّؤال عَنْ المعرفه بالحقائق بمعنى التعلم والمعرفه، وَهَذا معناه أنَّ سنّه ومحبّه الله تَعَالَى هِىَ فِى حيويّه النشاط والحراك مِنْ العبد فيما وسَّع الله تعالى عليه المجال سواء فى الأمر التكوينى أو الأمر التشريعى، وَهَذه السنّه الكونيه والتشريعيه تناسب مقتضى ومعنى التوحيد فِى الأفعال (أمر بين أمرين)، فلا جبر حتم مُضيَّق، ولا تفويض انقطاع عَنْ الغايه والإراده الإلهيّه.

تفاؤل الحسين(عليه السّلام)

سَيِّد الشُّهَداء يجسِّد هَذا البند العظيم وهذهِ الكلمه - تفاءلوا بالخير- الجامعه (عمليّاً) فى ساحه الطّف، يُقاتل قتال المُنتصر لا يعرف الهواده، يكرّ عَلَى القوم كراراً، كرّ الأسد الغضوب، يبتغى الخير ويطلب عنوان الخير بكُلِّ أبعاده، سواء الحاليه أو المُستقبليّه للدين أو له(عليه السّلام) باعتباره حجّه الله فى أرضه أو لأهل بيته وصحبه، بلْ أكثر مِنْ ذلك يبتغى الخير لأعدائه ويطلب الصلاح لهم، ففى كُلّ حركه وسكنه وَكُلّ لحظه مِنْ اللحظات ينظر لذلك العنوان العام المُهيمن الواسع مِنْ اتّساع الرحمه الإلهيّه.

وَهَذا الأمر لَيسَ عِنْدَ المولى أبى عبد الله(عليه السّلام) فحسب، بلْ هُوَ أدب إلهىّ ونبوىّ وعلوىّ، فإنَّ الله جَلَّ جَلَالَهُ يبنى الأُطر العامَّه لتعامله مَعَ مخلوقاته - وليسَ مَعَ الإنسان فقط- عَلَى إطار الرحمه العامَّه الواسعه، والَّتِى تنطوى تحتها عناوين عامّه أُخرى، كالخير والجود والكرم والعطاء، رغم علمه بمصائر الناس ومآلهم، وكأنَّه يتجاوز عَنْ علم قضائه وعلم قدرهِ المحتوم إلى سعه مشيئته الَّتِى هى درجه أعلى مِنْ العلم بالقضاء والقَدَر الإلهىّ، فليس عطاؤه محظوراً عَلَى أهل الكُفْر ولا عَلَى أهل الإيمان، قَالَ تعالى: {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً}(1)، فيعطى ويعطى ويبتغى

الخير،

١- الإسراء: آيه ٢٠.

ويتحرّى الخير ويأمل الخير فى كُلّ آن مِنْ عبده، كما فى الحديث القدسى: «مَنْ تقدَّم إلىَّ شبراً تقدّمتُ إليه ذراعاً، ومَنْ تقدّم إلىّ ذراعاً تقدّمتُ إليه باعاً...»(۱)، جَلَّ ربّى عَنْ الزمان والمكان.

وهكذا أدَّب اللهُ نبيَه(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وَهُوَ القائل: «أنا أديبُ الله»(۲)، حيْث كَانَ(صلّى الله عليه و آله وسلّم) يبتغى فِى تدبيره وإدارته لشؤون الآخرين الرحمه والخير للجميع، وكَانَ يتفاءل بالخير فِى رسم سياساته وخطواته فى سيرته مَعَ أصحابه وجميع الناس إلى آخر لحظه وآخر فرصه وأمل لإرعوائهم إلى الحَقّ وترك الباطل، ويجد الخير بذلك التفاؤل؛ ولذلك استطاع أنْ يقلب الموازين واستطاع أنْ يجعل مِنْ الأعداء إخوه مُتحابّين؛ حَيْث أجرى الصلح بين الأوس والخزرج، وآخى بين المُهاجرين والأنصار، وكَانَ يتواضع للصغير والكبير ويستمع للحرّ والعبد.

۱- الحلى، ابن فهد، الرَّسائل العشر: ص۴۱۶.

۲- الطبرسى، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق: ص۱۷. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۱۶، ص۲۳۱.

التفاؤل المعاكس (المذموم)

ليس التفاؤل على إطلاقه ممدوحاً، فهناك مواطن يُذَم فيها التفاؤل، وَهِيَ المواطن الَّتِي ينبغي فيها الحذر والخوف مِنْ سخطه تَعَالَى - مثلاً- ونحوها، فينبغي التعرُّف على تلك المواطن وهو أمر بالغ الأهمّيه، فإنّ مواضع العفو والرحمه تغاير مواضع النكال والنقمه الإلهيّه، وهي مواقع تكوينيّه لا يمكن أن يمتزج بعضها بالبعض الآخر - كما في دعاء الافتتاح-: «أيقنتُ أنّك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمه، وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمه...»(١)، فينبغي أن يعرف المؤمن مواطن الرضا والغضب الإلهيّ، فيتجنَّب ما يسبب غضبه ويطلب موضع عفوه ورحمته.

فهناك تفاؤل مذموم لأنّه في غير محله، قال تعالى: {لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٢)، بل ذَكَرَ القرآن في موطن سُخريه من البعض الآخر؛ لأنّه يتفاءل بغمام سيمطره بالعذاب، فقال تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٣). والقرآن الكريم ينقل لنا صوراً من حزن وجزع يعقوب(عليه السّلام)، أنّه حركه

١- الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٥٧٨.

٢- آل عمران: آيه١٨٨.

٣- الأحقاف: آيه٢٤.

لرفض الباطل وليس هو تخدير، ومن جهه أخرى هو تفاؤل صحيح لمبرراته الواقعيّه؛ فيكون جزعه غير منافٍ للعباده والصبر، قال تَعَالَى: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}(۱).

من جهه أُخرى ينهى القرآن عن الحزن المذموم الذى ليس فيه تفاؤل بسعه الرحمه وعلو الكلمه الإلهيّه، قال تعالى: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَهَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَهُ اللّهِ هِىَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(۲).

۱- یوسف: آیه۸۳.

۲- التوبه: آیه ۴۰.

الإغراق فى لطافه وإتقان التدبير

ويمكرون...

لأجل تسليط الضوء أكثر عَلَى الجواب الثَّالث، وأنَّ الحسين(عليه السّلام) كَانَ يرمى لتحقيق أفضل النتائج المُستقبليّه وأعلاها بلا يأس ولا إياس، بلْ عنفوان رجاءٍ ملؤه التفاؤل بالخير والأمل.

نودُّ أنْ نُبيِّن بعض الجوانب الَّتِى واجهها الحسين(عليه السّلام)، وَمِنْ تلك الجوانب جانب مَكْر العدو، وليسَ الابتلاء بهَذا الجانب خاصاً به، بلْ كُلّ المعصومين(عليهم السّلام) ، بلْ الرساله المحمديّه ورسولها تعرضا لأشدِّ أنواع المَكْر وأقساها، والآيات فى هَذا المجال كثيره.

وَمِنْ الآيات الَّتِى تُبيِّن ذلك - والَّتِى تُشير إلى أنَّ مَكْرَ الأعداء كَانَ الابتلاء به سنّه إلهيّه حتّى فى الأنبياء السابقين- قوله تعالى: {وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّار}(1).

بلْ إنَّ الآيات كشفت أنَّ الأمر وصل بوضوح لاغتيال صاحب الرساله - النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم)- قال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ

۱- الرعد: آيه۴۲.

يُخْرِجُوكَ وَيَمْكَرُونَ وَيَمْكَرُ الله وَالله خَيْرُ الْمَـاكِرين}(۱). بـلْ إلى آخر حيـاته(صـلّى الله عليـه و آله وسـلّم) جرت العديـد مِنْ محاولات الاغتيال له(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، أشارت إليها الآيات والسور العديده، فضلاً عَنْ الروايات والنصوص التأريخيّه، فَقَدْ روى حمّاد بن عثمان، عَنْ أبى عبد الله(عليه السّـلام)، قَالَ: «لما أُسـرى بالنبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) إلى السماء قِيلَ لَهُ: إنَّ الله - تَبارَكَ وَتَعَالَى- مختبرك فِى ثلاث لينظر كيف صبرك. قَالَ: أُسَـلِّمُ لأمرك يا ربّ، ولا قوّه لى عَلَى الصبر إلَّا بك، فما هُنَّ؟ قِيـلَ لَهُ: أولهن: الجوع والأـثره عَلَى نفسـك وَعَلَى أهلـك لأهـل الحـاجه. قَـالَ: قبلتُ - يـا ربّ- ورضـيتُ وسـلّمت ومنك التوفيق والصبر.

وأمَّا الثانيه: فالتكذيب والخوف الشديد، وبَذْلك مهجتك فِى محاربه أهل الكفر بمالِك ونفسك، والصبر عَلَى ما يُصيبك منهم مِنْ الأذى، وَمِنْ أهل النفاق، والألم فِى الحرب والجراح. قَالَ: قبلتُ - يا ربّ- ورضيتُ وسلَّمتُ ومنك التوفيق والصبر.

وأمَّا الثالثه: فما يلقى أهلُ بيتك مِنْ بعدك مِنْ القتل...»(۲).

ثمَّ إنَّ القُرآن يرسم لنا طُرقاً عديده لمواجهه هَذا المَكْر، وَمِنْ تلك الطُّرق مواجهه المَكْر بمثله: {وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَهُ مَكْرِهِمْ}

(۳)، وكذلك قوله تعالى: {وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ}(۴)، ويمكن توضيح ذلك الطريق مِنْ المواجهه بالمثل مِنْ خلال

۱- الأنفال: آيه ۳۰.

۲- ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص۵۴۸.

۳- النمل: آيه ۵۰-۵۱.

۴- فاطر: آيه ۴۳.

اعتراض وجوابه:

والاـعتراض هُوَ: أنَّه لماذا قرّب رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) المُنافقين والذين فی قلوبهم مرض والفئات الأُخری المعاديه الَّتِی تمکر بالدين؟ فکَانَ الأُولی طردهم.

وجوابه: هُناک أجوبه کثيره فی بيانات الوحی، وَمِنْ البيانات الَّتِی جاءت فی صفحه التنزيل هی قوله تعالی: {يَا أَيُّهَا النَّبِیُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ بَالْمُنَافِقِينَ}(۱) - کما فی قراءه أهل البيت(عليهم السّلام) وهی قراءه صحيحه(۲)- والقراءه المعروفه والموجوده فی المصحف هی قوله تعالی: {جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ}، فالمنافقون لمْ يقرِّبهم رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، ولکنَّهم تقرّبوا لأجل المَکْر بالنبی والمَکْر بالتدبير الإلهی - لأجل مصالحهم الخاصّه- ولکن الله يدبِّر لهم ويَمْکُر بهم، فهم تقرَّبوا لأجل أخذ زمام القياده والزعامه والحصول عَلَی المال والجاه، ولکن الله يدبِّر لهم بأنْ يضرب بهم الکفّار، يضرب أعداء الله (الکافرين) بأعداء الله (المنافقين)، فأين ما وقعت الخساره فهی تقليل مِنْ عدد الأعداء (الناشطه) المُتحرِّکه الماکره بالإسلام؛ وبالتالی الکفکفه مِنْ تدابيرهم ومخططاتهم.

۱- التوبه: آيه ۷۳.

۲- مِنْ الکتب المشهوره الَّتِی ذکرت قراءه أهل البيت(عليهم السّلام) هی: البيان للطوسی، والتبيان للطبرسی، وينبغی أنْ نُلفت أنظار الإخوه أنَّ القراءات هی علم مِنْ علوم القُرآن، بلْ لعلَّه مِنْ أقدم علوم القُرآن حَيْث نشأت فی الصدر الأوَّل، وقدْ أجاز(صلّى الله عليه و آله وسلّم) کثيراً مِنْ القراءات، وهی أکثر مِنْ سبع، والمُهم هُنا هُوَ أنْ نعرف أنَّ تبدُّل الحرف (مِنْ واو إلی باء) - فی الآيه أعلاه- لا يعنی التحريف، بلْ هُوَ مِنْ تعدّد القراءات، واختلاف باب التحريف عَنْ باب القراءات.

تدبيره(صلّى الله عليه و آله وسلّم) الخير لأمّته

وكَانَ النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) يدير نظام التدبير كمنظومه كبيره وعظيمه هائله تُهَيمِن عَلَى جوانب مُخْتلِفه فى حياه الناس والمُجتمعات، ولذلك كَانَ ينظر للمنافق - بلْ وحتّى الكافر- أنَّه موجود مِنْ الموجودات فيه السلب والإيجاب الممكن استثماره لطريق الحقّ وتوظيفه للهدى مِنْ حَيْثُ لا يشعر ولا يرغب وإنْ كَانَ الكافر والمنافق لا يرعوى للحقِّ والهدى فى نهايه المطاف، ولا بدَّ أنْ تكون فى حياه ذلك المُنافق جوانب يمكن الاتّكاء عليها فى تحقيق التدابير الإلهيّه، فى حين يصعب عَلَى المؤمنين تنفيذ ذلك باعتبار شمولها عَلَى مَكْر ودهاء، وهم أبعد ما يكون عَنْ ذلك.

إذاً؛ مَنْ الذى يُنَفِّذ المُخطّط الإلهى؟ والدِّين يحتاج إلى طاقات مُتنوِّعه مِنْ جهه وكثيره مِنْ جهه؛ إذ كمٌّ بلا كيف لا يحقّق التدبير الإلهى، وكيفٌ بلا كمّ أيضاً لا يحقّق ذلك.

وفى هذهِ القراءه (جاهد الكفّار بالمنافقين) ينبغى ألّا ننظر إلى جانب السلب فقط، وأنَّ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) أراد أنْ يضرب الكفّار بالمنافقين، حتّى يخلِّص المؤمنين مِنْ شرِّ الطرفين، كلا، بلْ إنَّه(صلّى الله عليه و آله وسلّم) متفاءل بسعه البَداء، وسعه الرحمه، وسعه العلم الإلهىّ؛ ولذلك كَانَ يسخِّرهم عسى أنْ تدركهم الهدايه فى لحظه مِنْ اللحظات، فيتبدّل واقعهم السيّئ إلى واقع حسن، والمَكْر السيّئ إلى مَكْر حسن فى المنافق، وكذلك فإنَّ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) قاتل الكافر وَهُوَ يأمل أنْ يتحوّل فى لحظه إلى مؤمن.

فكَانَ النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) يبحث عَنْ حصول البَداء فى التداعيات والنتائج، وحصلت شواهد كثيره مِنْ هَذا القبيل، كإسلام كثيرٍ مِنْ الكُفّار؛ فإنَّ الكافر

حين يرى سيره النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وأخلاق حاكميّته وهداه وأجواء المعركه، ويرى قدرات النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، وفداء وتضحيه المُخلصين مِنْ أصحابه، فإنَّ هذهِ الرؤيه تسبب له اليأس مِنْ الانتصار عَلَى الفئه المؤمنه، وشيئاً فشيئاً سوف يتولّد فى نفسه التراجع عَنْ الكُفْر والانضمام إلى ساحه الإيمان.

المبالغه فى المداراه مَعَ قمّه الحذر واليقظه

لِنْتَ لَهُمْ

وَمِنْ الطُّرق الَّتِى مارسها رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) مَعَ المنافقين والذين فى قلوبهم مرض، بلْ مَعَ عموم المُسْلمين هُوَ اللين الظاهرى والتعاملى فى ممارساته الخارجيه التدبيريّه، مَعَ حزم التدبير وإحكام وإتقان الخطوات فى ظلِّ وجوٍّ صلابه العقيده والإيمان فى الباطن، فَهُوَ مِنْ جهه الإيمان كالجبل - كما فى الحديث- لا يستفل منه، أمَّا مِنْ جهه المظهر الخارجى وعلاقاته فهو ليّن؛ لأنَّ المؤمن (هشٌّ بشّ)، «حزنه فى قلبه وبشره فى وجهه»(١).

والوحى يرسم لنا جانب اللين - فِى آليات التدبير والتخطيط مِنْ دون تفريط فِى علو الهدف وعظم الغايات المرسومه- فى آيات عديده قدْ يُعبّر عنها فى أحيان كثيره بعنوان الصفح والعفو، والمغفره والإمهال، وترك أذاهم، ونحو ذلك، والصفح كما فى اللُّغه: «وصفحت عَنْه: أوليته منى صفحه جميله مُعْرِضاً عَنْ ذنبه، أو لقيت صفحته متجافياً منه، أو تجاوزت الصفحه الَّتِى أثبتُّ فيها ذنبه مِنْ الكتاب، إلى غيرها مِنْ قولك: تصفّحت الكتاب(٢). وقوله:

١- المجلسى، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص٧٣.

٢- كما يقول أحدنا للآخر: لنفتح صفحه جديده فى العلاقه.

{السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيل}»(۱).

وهُناک آیات کثیره تُبیِّن لنا جانب الصفح والتجاوز عَنْ الأخطاء والتجاهل والتغافل عَنْ بعض الجوانب السلبیه، کأُسلوب مناوره فِی التدبیر، لأجل رعایه أُمور عُلیا وتدبیر مواضع أعلی وأکبر، قال تعالی: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ یَعْلَمُون}(۲)، وآیه أُخری تُشیر إلی أنَّه رغم علمک - یا رسول الله- بخیانتهم أصفح عنهم، قال تعالی: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَی خَآئِنَهٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِیلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ الله یُحِبُّ الْمُحْسِنِین}(۳)، وأُخری ترسم لنا صوره أعلی وهی الصفح الجمیل، قال تعالی: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَیْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَهَ لآتِیَهٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِیل}(۴)، بلْ تشیر آیات أُخری إلی أنَّه ینبغی أنْ تکون سیاسه الصفح سیاسه لکلِّ المُجْتَمع، قال تعالی: {وَلْیَعْفُوا وَلْیَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن یَغْفِرَ الله لَکُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِیم}(۵).

لکن ذلک لا یعنی إهمال الأهداف والغایات فِی التدبیر ورعایه المهام، ولا ترک الحذر والیقظه الشدیده فی التخطیط، کَمَا أنَّ شدّه الحذر والحیطه فی التدبیر لا تعنی الحدّه والغضب؛ لأنَّ التخطیط بلحاظ الوضع الراهن والمستقبل، والأُمور الخطیره واللّین والصفح والعفو والمغفره بلحاظ ما مضی وما قَدْ حدث سابقاً، وما صَغُر مِنْ الأُمور وفی الأُسلوب فی التنفیذ.

۱- الراغب الأصفهانی، الحسین بن محمد، المفردات فی غریب القرآن: ص۲۸۲ مادّه (صفح).

۲- الزُّخرف: آیه۸۹.

۳- المائده: آیه۱۳.

۴- الحجر: آیه۸۵.

۵- النور: آیه۲۲.

بلْ إنَّ القُرآن يُؤكّد أنَّ هذهِ السياسه ينبغى أنْ يتّخذها المؤمن فى المجتمع الصغير - أسرته- كما اتّخذها فى مجتمعه الكبير، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(۱)، فالآيه - كما هُوَ واضح- لمْ تأمر بطردهم أو معاقبتهم، ولا مجازاتهم ولا ملاحقتهم عَلَى ما مضى منهم، بلْ أشارت إلى الحذر منهم بأخذ العبره والاعتبار ممّا مضى ممّا ارتكبوه، وهى سياسه تدبيريّه عظيمه، فَمِنْ جانب لا تُفرّط بالطاقات المُحيطه بالإنسان مِنْ الزوجه والأولاد، وَمِنْ جانب آخر تتفادى سلبياتهم بسياسه الحذر مِنْ تكرار معوقاتهم مستقبلاً وعدم علاج الماضى بالعقوبه، بَلْ بالترويض الجديد المستقبلى لهم.

الانفتاح التفاعلى مَعَ المُجْتَمع مَعَ الحفاظ عَلَى سرِّيه الحقائق الخطيره

أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا

فى كثير من الحالات العدائيه مِنْ الأعداء الَّتِى واجهها الحسين(عليه السّلام) وأهل البيت(عليهم السّلام) مِنْ قَبْله، وواجهها المعصومون(عليهم السّلام) مِنْ وُلده مِنْ بعده هى بسبب الجهل - نَعَمْ أعداء الحسين(عليه السّلام) كانوا يعرفون أنَّه ابن بنت نبيهم ولا يوجد عَلَى الأرض ابن بنت نبيٍّ غيره، ولكن علم فى مرتبه وجانب لا ينفع معه الجهل بالجوانب والمراتب الأُخرى- حَيْث كانوا جاهلين بمعنى وحقيقه ومرتبه الإمامه وحقيقه ما يفعلون وما يرتكبون، أو يمكن تفسيره أنَّه عِلمٌ مِنْ جهه وَمِنْ جهه بغض وبغضاء وحقد لا ينفع معه العلم؛ لأنَّه يؤدِّى إلى لجحود، قَالَ تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ}(۲)، وحينما وعظهم

۱- التغابن: آيه۱۴.

۲- النمل: آيه۱۴.

الحسين(علیه السّلام) أجابوه: (لَقَدْ أبرمتنا بکثره کلامک أو ما ندری ما تقول؟!)؛ حَیْث طبع الله عَلَی قلوبهم.

وَهَـذا - الجهل- هُوَ حال غالب الناس؛ ولـذلک مارس المعصومون(علیهم السّـلام) کلّهم المداراه مَعَ الناس، تدبیراً لتربیه العباد، وإدارهً لسیاسه استکمالهم بقدر الإمکان وقدر الفرص المتاحه.

قـوله تعـالی: {فَبِمَـا رَحْمَـهٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ}(۱)، إشـاره لـذلک وتعلیم لقاعـده عظیمه فِی الإـداره والتـدبیر والقیاده للمجتمعات والأـنظمه؛ حَیْثُ إنَّه(صـلّی الله علیه و آله وسـلّم) لمْ یکن لیِّنـاً فی تعـامله فقط، بلْ فی حـدیثه وبکلِّ طبقات حـدیثه، وفی اختیار الألفاظ لئلّا تُفهَم بشـکل خاطئ، وهذهِ مداراه وتقیّه مُداراتیّه صعبه مُستصعَبه، وَهُوَ القائل(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «أُمرتُ أنْ أُکلِّمَ الناسَ عَلَی قـدرِ عقولهم»(۲) ونفس هذهِ السیاسه مارسـها أهل البیت(علیهم السّـلام) فهم خیر مَنْ یُقتدی به، فقدْ روی عَنْ أبی عبد الله(علیه السّلام): «ما کلَّم رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) العبادَ بکنه عقله قطُّ»(۳).

بلْ هی تسـتبطن سـیاسه یعلِّمها رسول الله(صـلّی الله علیه و آله وسـلّم) کُلَّ أصحابه، کَمَا فی الحدیث عَنْ مسعده بن صدقه، عَنْ جعفر عَنْ أبیه... عَنْ عَلیّ بن الحسین(علیه السّلام): «لو عَلِمَ أبو ذرّ ما فِی قلب سلمان لقتله»(۴)، فکَانَ سلمان لا یُظهِر کُلَّ ما یعلم

۱- آل عمران: آیه۱۵۹.

۲- الکلینی، محمّد بن یعقوب، الکافی: ج۱، ص۲۳، ح۱۵. الإحسائی، ابن أبی جمهور، عوالی اللئالی: ج۲، ص۱۰۳.

۳- الکلینی، محمّد بن یعقوب، الکافی: ج۱، ص۲۳، ح۱۵. الصدوق، محمّد بن علیّ، الأمالی: ص۵۰۴.

۴- الکلینی، محمّد بن یعقوب، الکافی: ج۱، ص۴۰۱، ح۲. الصفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص۴۵.

لأبی ذرّ مَعَ مکانه أبی ذرّ.

ولعلَّ سائلًا یسأل: أنَّه کیف یقتل أبو ذرّ سلمان؟ وبأی معنی؟

فنقول: إنَّ الجهل هُوَ الذی یسبب ذلک، فالإنسان یعلم کثیراً مِنْ الأشیاء ویغیب عَنْه الأکثر، وما غاب عَنْه هُوَ جاهل به وغافل عَنْ وجه الحکمه فیه، فیصعب علیه تحمّله، فإذا کَانَ هَذا حال أبی ذرّ، وَهُوَ مِنْ الدرجه التاسعه فی الإیمان - کَمَا وَرَدَ- فما بالک بأوساط المؤمنین مِنْ الدرجات الاعتیادیه النازله فی الإیمان، فعدم تحمّلهم قدْ یؤدِّی إلی محاذیر ومفاسد أعظم بکثیر.

والحدیث الشریف عَنْ أمیر المؤمنین(علیه السّلام) یقول: «الناس أعداء ما جَهِلوا»(۱)، فعداوتهم نتیجه جَهْلهم؛ وَمِنْ هُنا یتّضح لنا معنی قوله تعالی: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِکُمْ وَأَوْلَادِکُمْ عَدُوّاً لَّکُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}(۲)، فالآیات الَّتِی وَرَدَت فی صفح النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) جاءت بلسان الإداره والتدبیر للنبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) لیدبِّر أُمور المُجْتَمع الإسلامی، وَهُوَ أصل وقاعده عظیمه وأُسوه لکلِّ القاده والمجتمعات، بلْ الحریّ بالسیاسه الدولیه وحتّی السیاسه الأُسریه أنْ تنتهج المنهج نفسه.

تبدُّل الهزیمه إلی نصر

قال تعالی: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُکَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ وَلاَ تَکُ فِی ضَیْقٍ مِّمَّا یَمْکُرُون}(۳)، أحد أسباب الصبر هُوَ العلم والإحاطه العلمیَّه بجمیع جوانب الحدث، فَکَمَا یُنظر للجانب الإیجابی کذلک یُنظر إلی الجانب السلبی،وهذهِ

۱- خُطَب أمیر المؤمنین(علیه السّلام)، نهج البلاغه: ج۴، ص۴۲.

۲- التغابن: آیه۱۴.

۳- النحل: آیه۱۲۷.

النظره الشامله يحاول المعصوم أنْ يجعلها قاعده نظام فِی تدبير حياه المؤمن، بلْ هی تربيه لعامّه الناس.

ويروی أنَّ عيسی(عليه السّلام) مرَّ مَعَ الحواريين عَلَی جيفه كلب - مِنْ الواضح الكلب فی حياته ممقوت فكيف به بَعْدَ موته وتعفِّنه!- وكأنَّ بعض أصحابه سدّ أنفه وبعضهم الآخر أبدی رأيه السلبی، وقال: ما أقبحه... وهكذا، فهل يمكن أنْ يتفطَّن الإنسان إلی وجود جانب إيجابی وصفحه ناصعه فی هَذا الكلب المتعفِّن؟! عيسی(عليه السّلام) يستطيع بيان ذلك الجانب الإيجابی حَيْثَ قال لأصحابه: «ما أشدّ بياض أسنانه»(۱).

وَهَذا المنهاج فی التعاطی مَعَ الأُمور والأحداث مِنْ النَّبی عيسی(عليه السّلام) يُستَخلَص مِنْه قاعده عامّه فی كُلّ مراحل الحياه، وتُجعل نهجاً وطريقاً يُحقّق به المُعجزات فِی إداره الأحداث، وَهُوَ مصداق مِنْ مصاديق التفاؤل الذی بيَّنه سيِّد الأنبياء(صلّی الله عليه و آله وسلّم) بقوله: «تفاءلوا بالخير تجدوه»(۲)، وقدْ سلّطنا الضوء عَلَی شرح الحديث وصلته بالمقام.

وصحيح ابن مسكان عَنْ عبد الله بن فرقد، قَالَ: «خرجنا مَعَ أبی عبد الله متوجهين إلی مكَّه حتّی إذا كَانَ بسرف أستقبله غراب ينعق فی وجهه، فَقَالَ(عليه السّلام): متَّ جوعاً، ما تعلم شيئاً إلّا ونحنُ نعلمه، إلّا أنّا أعلمُ بالله منك.

۱- المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۱۴، ص۳۲۷. الأشتری، ورّام بن أبی فراس، تنبيه الخواطر: ج۱، ص۱۲۵.

۲- الطباطبائی، محمّد حسين، الميزان فی تفسير القرآن: ج۱۹، ص۷۷، كَمَا وَرَدَ فی قصّه الحديبيه، وكذلك قصّه كتابه(صلّی الله عليه و آله وسلّم) إلی خسرو برويز. الريشهری، محمّد، ميزان الحكمه: ج۳، ص۲۳۵۳.

فقلنا: هَلْ كَانَ فی وجهه شیء؟! قَالَ: نَعَمْ، سقطت ناقه بعرفات»(۱).

ومفاد الروایه أنَّه(علیه السّلام) یُبیّن أنَّ جزع الغراب لمحدودیّه علم الغراب، فإنَّه یدرک الحوادث مِنْ جانبها السلبی ولا یدرک حکمتها الإیجابیّه المنطویّه وراءها، کَمَا لا یدرک الجانب الإیجابی مِنْ تلک الحوادث؛ فَمِنْ ثَمَّ یجزع بالنعیق، وَهَذا خلاف المعصوم فلا یضطرب مِنْ علمه بالحوادث لما یلمّ به مِنْ علم إلهی جامع تنکشف فیه الغایات الحکیمه العظیمه فی التدبیر الإلهی، فلا یصیبه جزع وَهُوَ مفاد قوله(علیه السّلام): «إلَّا أنّا أعلمُ بالله منک»، فکلّما ازداد العلم ازدادت الحکمه ولطافه إتقان التدبیر.

کذلک مِنْ خلال هذهِ الحادثه والموقف لَهُ(علیه السّلام) نخرج بنتائج مُهمّه:

۱. إنَّ الإمام(علیه السّلام) لمْ یجزع - کما جزع الغراب- لأنَّ روحه أقوی وإحاطته العلمیَّه أکبر، وکلّما کبرت إحاطه الإنسان العلمیَّه کُلّما کَانَ أکثر صبراً عَلَی حوادث الدهور، فالغراب جزع لأنّه لمْ یُحِط بکُلِّ العلم؛ لأنَّه عَلِمَ جانباً مِنْ جوانب العلم، کذلک حال الهُدهُد فی قصّه سلیمان(علیه السّلام) حَیْثُ یبدو مِنْهُ التکبّر عَلَی سلیمان(علیه السّلام) حین قَالَ: {أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ}(۲)، فهو تصوّر أنَّ ما علم به کُلّ الحقیقه مَعَ أنَّهُ جهل ما عدا ذَلِکَ؛ وَمِنْ ثَمَّ وقع فِی صفه غَیْر محموده بسبب الجهل واختلاطه مَعَ مرتبه العلم لدیه، کما هُوَ حال بعض مدّعی العرفان والصوفیّه أنَّه أحاط الملکوت وأنَّه أوحدی زمانه وله إحاطه غفل عنها المعصوم والعیاذ بالله.

۱- الصفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص۳۶۵. ابن شهر آشوب، محمّد بن علی، مناقب آل أبی طالب: ج۳، ص۳۴۶.

۲- النمل: آیه۲۲.

۲. فائـده مُهمّه وعظیمه وهی: أنَّ بعض مَنْ یـدّعی العرفـان عنـدما یتعلَّم حرفـاً أو حرفین مِنْ العلم یتصوّر أنَّه عرف وأحـاط بکَلِّ العلم؛ فیطغی بسبب غناه العلمی، قال تعالی: {إِنَّ الإِنسَانَ لَیَطْغَی * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَی}(۱)، أو یَبْطُر بسبب النعمه العلمیَّه؛ لأنَّه یتصوّر أنَّه حوی الملکوت فینزلق فی متاهات الباطل والانحراف العقائـدی أو الشـذوذ الجنسـی؛ بسـبب شدّه نزوه طرب النفس، کَمَا هُوَ مجرّب فِی حالات ریاضات النفس، کَمَا فِی حال بلعم بن باعورا ومنصور الحلّاج وغیرهما.

وأحیاناً یجزع فینسـلخ لأنَّ سـعته الإحاطیه یسیره فتضعف نفسُه، وَهُوَ یتصوّر أنَّ بإمکانه حمل الجبال الرواسی مِنْ العلم والحکمه، فیُحمِّل نفسَه فوق الطاقه.

۳. ممّا تقدَّم یمکن أنْ نفهم أنَّ أحد أسـباب جوانب الصبر لدی مولانا الحسین(علیه السّلام) هُوَ العلم وسعه الإحاطه العلمیَّه بسعه البَداء، وسعه المشیئه الإلهیّه؛ فلا یأس ولا إیاس مِنْ رَوح الله.

۱- العلق: آیه۶-۷.

تدبیرٌ عظیمٌ فی ظرفٍ عسیر

المضائق

الإسّلام مرَّ بمنعطفات عدیده، بلْ ومرَّ بمضائق شدیده، حتّی وصل الأمر بالنبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) أنْ یتوجّه بالدعاء والتضرُّع إلی الله بشکل مغایر لما یدعو به فی الأوقات الاعتیادیه، رغم یقینه بالنصر.

وهُنا نذکر مثلاً للنشاط وحیویّه الحرکه فی حاله معاکسه للتفاؤل بالخیر الذی هُوَ فی مورد البلاء المحتوم، والحاله المعاکسه هی الخوف فی مورد النصر والنجاح المحتوم.

۱. فإنَّه رغم الوعد بالنصر إلّا أنَّه لا یستلزم ترک النشاط والحراک؛ مِنْ جهه الحذر والخوف مِنْ التفاصیل الجزئیّه السلبیّه أو النتائج الناقصه.

۲. ما یُری لدی کثیر مِنْ أهل الإیمان – فی قضیه ظهور الإمام المهدی– حَیْث یرون أنَّ الظهور فوق المحتوم، أی: (میعاد)، ولا یُخلِف الله المیعاد، فأیّ حاجه للحرکه والحراک لتمهید الظهور وإعداد الأرضیّه؟! کَمَا فِی «ونُصرتی لکم مُعَدَّه»(۱)، لا حاجه إلی ذلک، وهذهِ نتیجه ورؤیه خاطئه جدّاً.

۳. فإنَّ أصل الظهور وإنْ کَانَ فوق المحتوم ولا بَداء فیه إلّا أنَّ وقته وتوقیته ممّا یمکن فیه البَداء، کما حصل تأخیر مشروع المهدویّه مُنْذُ زمن

۱- الطوسی، محمد بن الحسن، مصباح المتهجِّد: ص۲۸۹.

الحسين(علیه السّلام) إلی الصادق(علیه السّلام)، ثمَّ تمَّ تأخیره إلی زمن الکاظم(علیه السّلام)، ثمَّ تأخیره إلی الإمام الثّانِی عشر.

۴. فالتفاصیل ممّا یتطرَّق إلیها البَداء والتغییر؛ فلا بُدَّ مِنْ الخوف والیقظه والحذر، وَهَذا ممّا یوجب الحیویّه والنشاط فی الحراک، رغم أنَّ الظفر والنصر محتوم إلّا أنَّه لا یوجب ترک تحمُّل المسؤولیّه، وَهَذا معنی ظریف تفسیریّ لقاعده (لا جبر ولا تفویض)، أی: لا جبر فی التفاصیل رغم أنَّه لا تفویض فی أصل الحدث وأصل الوقوع والواقعه.

۵. وَهَذا المعنی تفسیر توحیدیّ لقاعده الزهد الذی قال عنها أمیر المؤمنین(علیه السّلام): إنَّه مشروح فی قوله تعالی: {لِکَیْلَا تَأْسَوْا عَلَی مَا فَاتَکُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاکُمْ}(۱)، أی: لا تفرحوا بحتمیّه النصر وتترکوا الخوف والحذر والیقظه، کما لا تأسوا مِنْ حتمیّه البلاء؛ فتترکوا النشاط والحراک والرجاء فی تحسین النتائج والتفاصیل.

۶. وَمِنْ ثَمَّ أکَّدَ أهل البیت(علیهم السّلام) أنَّ المؤمن مهما ازداد إیمانه فإنَّ الخوف والرجاء متساوٍ فی قلبه؛ لکی یستتم التوحید فی قلبه، ولا یظنّ أنَّ ید الله غَیر مغلوله، بلْ یداه مبسوطتان ینفق کیف یشاء.

۷. ولأجل ذلک وَرَدَ أیضاً فی أحد الزیارات الجامعه للأئمّه المعصومین(علیهم السّلام) : أنَّ أئمّه أهل البیت(علیهم السّلام) فاقوا وسبقوا سائر الأنبیاء والمرسلین والملائکه المُقرَّبین؛ وذلک بالقلوب الَّتِی تولّی الله ریاضتها بالخوف والرجال: «لا یسبقّنکم ثناء الملائکه فی الإخلاص والخشوع، ولا یضادکم ذو ابتهال وخضوع، أنّی ولکم القلوب الَّتِی تولّی اللهُ ریاضتها بالخوف والرجاء،

۱- الحدید: آیه۲۳.

وجعلها أوعيه للشكر والثناء، وآمنها مِنْ عوارض الغفله، وصفاها مِنْ شواغل الفتره؟!»(۱).

مضائق عسيره ومواطن خطيره

مِنْ المضائق الَّتِی حقّق الله تعالی الانفراج والنصر - بلْ والفتح للإسلام عَلَی يد أمير المؤمنين عَلیّ(عليه السّلام)- معركه بدر الكُبری الَّتِی كانت الحسابات الاعتياديه فيها هی تفوّق عدد المُشركين وهيبه قريش، تؤكِّد أنَّ النصر لصالح المُشركين، والنَّبی(صلّی الله عليه و آله وسلّم) لا تأخذ منه هذهِ الحسابات المادّيه مأخذها، فيقف بحكمه المعرفه بسعه قُدْره الله تعالی يتضرّع إلی ربِّه مِنْ جانب، وَمِنْ جانب آخر يحزم التدبير الميدانی؛ فتنكشف الغُمّه بسيف الكرار(عليه السّلام)، حَيْث قتل قرابه نصف المقتولين مِنْ الكفّار، وشارك المُسْلمين بقتل النصف الآخر(۲).

وفی معركه أُحد، وما أدراك ما أُحد؟! حَيْث حدثت الهزيمه للمُسْلمين بَعْدَ النصر، فتأتی سعه معرفه النَّبی(صلّی الله عليه و آله وسلّم) والوصی علیّ(عليه السّلام) فِی إمكان تحوّل القضاء والقَدَر؛ فيعزمان بسعه تدبيريّه منطلقه مِنْ تلك المعرفه بسعه بَداء الله تعالی وسعه مشيئته، فيُدفع القتلُ عَنْ النَّبی(صلّی الله عليه و آله وسلّم) وتُحوَّل الهزيمه إلی نصر، حتّی جاء نداء الوحی بين الأرض والسماء «لا فتی إلّا عَلیّ، ولا سيف إلّا ذو الفقار»(۳).

۱- المشهدی، محمد بن جعفر، المزار: ص۲۹۳. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۹۹، ص۱۶۴.

۲- اُنظر: المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۴۱، ص۱۴۶، نقلاً عَنْ المغازی للواقدی.

۳- القاضی المغربی، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج۲، ص۳۸۱. الكوفی، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفی: ص۹۵.

ویُحقّق الانتصار وتُهزم قریش مرّه أخری فی أحد، والواقعه بیّنتها روایات أهل البیت(علیهم السّلام) ، منها روایه زیاره الإمام الهادی(علیه السّلام) لجدِّه أمیر المؤمنین(علیه السّلام) یوم الغدیر: «ویوم أُحد، إذْ یصعدون [المُسْلمون والصحابه] ولا یلوون عَلَی أحد، والرسول یدعوهم فی أُخراهم وأنت تذود بهم المشرکین عَنْ النَّبی ذات الیمین وذات الشمال، حتّی ردّهم الله تعالی عنکما خائفین، ونصر بک الخاذلین»(۱)، وإن طمس ذکر ذلک النصر أکثرُ کتب تاریخ المُسْلمین. ومنها روایه أُخری ذکرها الکلینی فِی کتاب روضه الکافی.

وفی معرکه الخندق حین عبر عمر بن ودّ العامری، وأخذ یُنادی فی معسکر المُسْلمین ولا مِنْ مُجیب، فأجابه (الإیمانُ کلُّه) کما سمّاه رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم).

قال: «برز الإیمانُ کُلُّه إلی الشِّرکِ کُلِّه، اللَّهُمَّ، احفظه مِنْ بین یَدیه وَمِنْ خَلفه وعن یمینه وعن شماله وَمِنْ فوق رأسه وَمِنْ تَحْتَ قدمیه»(۲)، هذهِ الشدائد لا تؤثر فی الإمام عَلیّ(علیه السّلام) فی قُدْره تدبیره وشجاعه إدارته للحدث، وقدْ اهتزّ لها غیره، وعمی علیهم البصیره فی الأُمور، کما وَرَدَ فی زیاره الإمام الهادی(علیه السّلام) لجدّه أمیر المؤمنین(علیه السّلام): «ویوم الأحزاب و {إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِالله الظُّنُونَا * هُنَالِکَ ابْتُلِیَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِیداً * وَإِذْ یَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَهٌ مِنْهُمْ یَا أَهْلَ یَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَکُمْ فَارْجِعُوا وَیَسْتَأْذِنُ فَرِیقٌ مِنْهُمُ النَّبِیَّ یَقُولُونَ

۱- المشهدی، محمد بن جعفر، المزار: ص ۲۷۴، (زیاره الإمام الهادی(علیه السّلام) لجدّه أمیر المؤمنین(علیه السّلام) یوم الغدیر). الشهید الأوّل، محمد بن مکّی، المزار: ص ۸۰.

۲- القندوزی، سلیمان بن إبراهیم، ینابیع المودّه لذوی القُربی: ج ۱، ص ۲۸۴. الکراجکی، محمّد بن علیّ، کنز الفوائد: ص ۱۳۷.

إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً}(۱)، وقال الله تعالى: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ الله وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً}(۲) فقتلتَ عَمْرَهم وهزمتَ جمعهم {وَرَدَّ اللَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً}»(۳).

وهى مِنْ جهه أُخرى، حذر ويقظه واحتراز لرسول الله رغم علمه بالنصر، وإنَّ عليّاً فى علم الله يقتل ابن ودّ العامرى، لكن مَعَ ذلك نرى النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) يدعو له بالحفظ ويجتهد فى الدعاء، وعليّ(عليه السّلام) كذلك فى قتاله لابن ودّ يتصرّف تصرُّف مَنْ يعلم بأنَّ المشيئه الإلهيّه منفتحه عَلَى كُلّ الاحتمالات وإنْ كَانَ القضاء مُبرماً والقَدَر محتوماً.

كما فى قول إبراهيم(عليه السّلام): {وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّى فِى الله وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاء رَبِّى شَيْئاً وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً}(۴)، فرغم عدم خوفه مِنْ آلهه المُشركين ولا منهم إلّا أنَّه رغم ذلك هُوَ فى حَذَرٍ مِنْ جهه سعه علمه تعالى ومشيئته فيظلّ متأهباً يقظاً.

فرغم الشدائد العظيمه الَّتِى مرَّ بها رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) والمحن الكبيره والصعاب الكؤود والزلازل المهوله الَّتِى عصفت به، رغم كُلّ ذلك - ورغم وجود المنافقين والمُرجفين والذين فى قلوبهم مرض والأحزاب وصنوف

۱- الأحزاب: آيه ۱۰-۱۳.

۲- الأحزاب: آيه ۲۲.

۳- المشهدى، محمد بن جعفر، المزار: ص۲۷۴، (زياره الإمام الهادى(عليه السّلام) لجدّه أمير المؤمنين(عليه السّلام) يوم الغدير). الشهيد الأوّل، محمد بن مكّى، المزار: ص۷۹.

۴- الأنعام: آيه ۸۰.

عديده معاديه داخل صفوف المُسْلمين فضلاً عَنْ خارجه- لم يستسلم هُوَ ولا وصيّه عَلِيٌّ(عليه السّلام) إلى كُلّ ذلك، بلْ كَانَ النشاط والأمل والحيويّه والرجاء بقُدْره الله، كُلّ ذلك يُفتت اليأس المحتوم والشدائد المقضيّه بنصر مُؤزّر وفتح مبين.

وَهَذا الذى نشاهده مِنْ سَيِّد الشُّهَداء(عليه السّلام) أنَّه(عليه السّلام) رغم كونه أسير الكُربات، إلّا أنَّه كَانَ فى قمّه انفجار الحراك والنشاط والبناء لتداعيات مُتطلّعه مستقبليّه ثاقبه، لمْ تحجبه الشدائد عَنْ إبصار الآثار والنتائج وما يتلو الحدث مِنْ أحداث إلى يوم القيامه.

يوم حُنَيْن

يوم حُنَين الذى وَرَدَ ذكره فى زياره الهادى(عليه السّلام) لجدِّه أمير المؤمنين(عليه السّلام) يوم الغدير: «ويوم حُنَين عَلَى ما نطق به التنزيل: {إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِين * ثُمَّ أَنزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ}(۱)، والمؤمنون أنت ومَنْ يليك وعمّك العبّاس ينادى المنهزمين: يا أصحاب سوره البقره، يا أهل بيعه الشجره، حتّى استجاب له قومٌ قدْ كفيتهم المؤنه، وتكفّلت دونهم المعونه، فعادوا آيسين مِنْ المثوبه راجين وعد الله تعالى بالتوبه، وذلك قول الله جَلَّ ذِكْرُه: {ثُمَّ يَتُوبُ الله مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء}(۲)، وأنت حائز درجه الصبر فائزٌ بعظيم الأجر»(۳).

ويخصّ بالذكر يوم حُنَين، وذلك لجهات لعلَّ منها بيان وضوح التأييد

۱- التوبه: آيه۲۵-۲۶.

۲- التوبه: آيه۲۷.

۳- المشهدى، محمد بن جعفر، المزار: ص۲۷۴-۲۷۵. الشهيد الأوَّل، محمد بن مكّى، المزار: ص ۸۰.

والنصر الإلهى؛ حَيْث إنَّ المُسْلمين انهزموا فى تلك الواقعه بسبب إعجابهم بكثرتهم، حَيْث يظهر لنا كيف أنَّ الإعجاب ببعض المقادير والأوضاع المادّيه، كالكثره والثقّه بها يؤدِّى إلى ضعف الحذر، وقلّه الخوف، وعدم اليقظه، وقلّه التأهب، وضعف الالتجاء إليه تعالى، أى: ضعف التوكُّل عليه وازدياد التوكُّل عَلَى أوضاع القَدَر، وَهُوَ تواكل عَنْ النشاط لو اعتمد عليها الإنسان دون المشيئه الإلهيّه.

وفى المقابل، إنَّ هذهِ الكثره لمْ تُغرِ أصحاب النفوس العاليه وأصحاب الهمم المُتعاليه أو تدعوهم إلى الفتور والتواكل، بلْ كانوا فى قمّه اليقظه والترقُّب لمفاجئات التغيير فى القَدَر والمقادير ورفع إبرام القضاء ممّا يدعوهم إلى قمّه الحراك والنشاط والاستعداد للمفاجئات توكّلاً عَلَى الله وحذراً مِنْ سعه المشيئه الإلهيه، ففى تلك المعركه حين انهزم المُسْلِمُون رُؤى رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) شاهراً سيفه يشدّ العزائم، والوصى علىّ(عليه السّلام) بين يديه يكرّ عَلَى القوم، وقدْ صاح النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) بالعبّاس لأجل أنْ يُنادى المُسْلمين.

فهُنا مشهدان: مشهد الهزيمه والتواكُل مِنْ قبل المهاجرين والأنصار؛ بسبب الاعتماد الكامل عَلَى الأسباب الطبيعيه، إلّا قلّه مِنْ الخاصَّه وبنى هاشم. يقابله مشهد للخوف مِنْ سعه المشيئه والتوكُّل عَلَى الله والعزيمه والإصرار يرسمه لنا النَّبىُّ(صلّى الله عليه و آله وسلّم) والوصىُّ(عليه السّلام).

المَعْلَمُ الجبرى مِنْ جديد

غُلّت أيديهم

نعود إلى قضيّه المَعْلَم الجبرى اليهودى وبيانها بشىءٍ مِنْ البسط، فقضيّه المَعْلَم الجبرى الذى سلكه اليهود فى فكرهم العقدى، والذى يرى أنَّ يد الله مغلوله - وَهُوَ أيضاً مِنْ مبتنيات مدارس جبريه عديده جميعها ترى أنَّ يد الله مغلوله مَعَ تفاوت فى الدرجات- حَيْث يرون أنَّ الله كتب ما كَانَ وما يكون، فلا تغيّر ولا تبدّل فهم قائلون بالجمود وبالثبات وعدم التغيّر فى شىء؛ لأنَّه لا معنى للتغيّر، ولعلَّهم ذهبوا لذلك لأنَّ التغيير يكون مِنْ الجهل، فمثلاً الإنسان لمْ يكن يعلم بأمر فيتخذ قراراً، ثمَّ يطرأ له علم بعدم وجود مصلحه فى قراره فيتراجع ويغيّر قراره، أمَّا ربُّ الأرباب الحكيم العليم المُحيط بكُلِّ شىء فلا جهل فِى ساحته.

إذنْ؛ فلا تغيّر ولا تبدّل، بَلْ لا معنى للتغيّر والتبدّل.

فنسبه التبدّل والتغيّر إلى الله يعنى - فى حسبانهم- نسف كمال العلم الإلهى؛ فَمِنْ أجل التوحيد الخالص يجب عدم التفكير فى التغيير، وقدْ وقع فى ذلك الكثير مِنْ المدارس الكلاميّه كالأشعريّه(١) وبعض العُرفاء والصوفيّه.

١- قَالَ أبو الحسن الأشعرى: «لا خالق إلَّا الله. وإنَّ أعمال العباد مخلوقه لله مقدره كَمَا قَالَ: {وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (الصافات: ٩۶)، وإنَّ العباد لا يقدرون أنْ يخلقوا شيئاً وَهُمْ يُخلقون، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ الله} (فاطر:٣)». الأشعرى، أبو الحسن، الإبانه عَنْ أُصول الديانه: ص ٢٠.

مقابل ذلك المسلك المادّى التفويضى الذى يقول بإطلاق إراده الإنسان مِنْ كُلّ قيد، ويرى أصاله الإراده للإنسان ولا إراده تحكم إراده الإنسان، وهذهِ التفويضيّه مُتطرّفه، وهُناك تفويضيّات أُخرى أقلّ مِنْ ذلك ترى شأنيّةً لإراده الإنسان، وأنَّ الله هُوَ الذى أعطاه الإراده وفوَّض إليه الأمر؛ فَهُوَ مُطلق الإراده بواسطه الله.

وَمِنْ الأمثله الَّتِى بيّنها القُرآن للمسلك - الجبرى- الذى يقول: إنَّ يد الله مغلوله. هى قصّه اليهود حينما أمرهم الله بذبح بقره؛ حَيْث لا يرون أنَّ هُناك مساحه للحركه الاختياريه وأنَّ باب التغيير والتبديل مسدود.

وبما أنَّهم يرون أنَّ يد الله مغلوله - وَهَذا الوصف لمعتقدهم هُوَ لحقيقه وواقع معتقدهم، وإنْ كانوا قدْ لا يصرِّحون بذلك، لكن هَذا واقع معتقدهم وَهَذا ما يُضمرون وينطوون عليه، وما لعلَّه يظهر مِنْ فحوى كلامهم- قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}(1).

ولعلَّ سائلاً يسأل: ما علاقه ذلك بذبح البقره فى بنى إسرائيل؟

والجواب: إنَّ معنى يدّ الله مغلوله هُوَ معنى جفاف القلم، وأنَّ الله كتب ما كَانَ وما يكون؛ فلا تغيّر ولا تبدّل فى ذلك.

وبما أنَّ لا تغيّر ولا تبدّل، وأنَّ الله قدْ كتب كُلّ الحوادث فقدْ كتب أدّق الدقائق وتفاصيل الجزئيات، ومنها حادثه قتل الشاب مِنْ بنى إسرائيل، عندما أمرهم موسى بذبح بقره اعتقدوا أنَّها بعنوانها الجزئى مكتوبه - أى: بأوصافها الجزئيه مِنْ العمر واللون وغيرها- فإذا أراد بنو إسرائيل ذبح البقره الَّتِى يُريدها الله، لا بدَّ أنْ يذبحوا البقره ذات الأوصاف الدقيقه الثابته فى

۱- المائده: آيه۶۴.

اللوح الثابت عِنْدَ الله، ولعلَّ هَذا فی نظرهم قمّه الطاعه والتوحید؛ ولذلک حینما قال لهم موسی: {إِنَّ اللهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَهً}(۱)، قالوا: {...ادْعُ لَنَا رَبَّکَ یُبَیِّن لَّنَا مَا هِیَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَیْنَا}(۲).

وبملاحظه الآیات فی سوره البقره مِنْ آیه ۶۷ إلی آیه ۷۰ أنَّهم کرّروا کلمه (یُبیّن) ثلاث مرات؛ إشارهً إلی إرادتهم الأمر المُضیّق لحسبانهم أنْ لا فُسحه فی الحرکه والحراک، والأُمور کُلّها مُعیّنه مُسبقاً مِنْ دون تغییر، هَذا هُوَ السُّؤال المذموم الذی یبتغی منه تضییق دائره الأفعال والتدبیر؛ لأنَّ اللوح الذی کتبه الله - بحسب زعمهم- لوح ثابت فیه العناوین محدّده وثابته وجزئیه، والبقره عنوان کلّی؛ ولذلک أخذوا یتشدّدون ویتشدّدون حتّی انحصرت فی مصداق واحد، فذبحوها وما کادوا یفعلون.

وعَلَی الضدّ تماماً مِنْ هَذا المنهج - أو المسلک الضیّق المُضیَّق- تری سَیِّد الشُّهَداء رغم أنَّه أُخبر بحدث مُشخّص ومضیّق، وبواقعه جزئیه ومصداق مُحدّد، لکنَّهُ مَعَ ذلک یبتغی ما هُوَ أوسع، ورغم أنَّه أُخبر أنَّه مقتول مسلوب فی أرض کربلاء، إلّا أنَّه یبتغی ویطلب أوسع مِنْ ذلک، فَهُوَ لا یُثخِل کریماً ولا یُضیّق واسعاً، قال الله تعالی: {إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِیم}(۳)، والحسین(علیه السّلام) أُخبر أیضاً بحادثه متعیَّنه مِنْ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وَمِنْ وحی السماء، ومَعَ ذلک فإنَّه(علیه السّلام) تحرّک وسعی أنْ یوسِّع الجزئی ویوسِّع العنوان الضیّق - وَهُوَ القتل فی کربلاء- إلی خیارات أکثر ولو فی ضمن العنوان الضیّق.

۱- البقره: آیه۶۷.

۲- البقره: آیه ۷۰.

۳- البقره: آیه۱۱۵.

المسلک الجبریّ أنواعٌ وأنماط

المسلک الجبریّ عَلَی أنواع وأنماط، فنمط یُلغی کُلّ الخیارات، وَهُوَ المسلک المُتشدِّد فی الجبریّه؛ فإنَّه یلغی کُلّ خیار لله ولعبده، کما هُوَ الحال فی المسلک الیهودی الذی یقول: إنَّه جفّ القلم، فإذا جفّ القلم فلا خیار لأحد. وکأنّهم اقتطعوا الآیه القُرآنیه، وهی قوله تعالی: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ}(۱). ولم یکملوا، والحال أنَّ الآیه بیّنت (أنَّه استوی عَلَی العرش بَعْدَ نهایه خلق السموات والأرض وما بینهما ولم یکن استواؤه عَلَی العرش مِنْ جفاف القلم)، بلْ فی الآیه تتمّه تقول: {یُدَبِّرُ الأَمْرَ}(۲).

والاستواء عَلَی العرش یُراد مِنْهُ استعلاؤه وسیطرته عَلَی کُلّ شیء، وأنَّ قدرته سواء عَلَی کُلّ الأُمُور لَیسَ شیء أسهل وآخر أصعب، بَلْ کُلّها مقهوره ومنقاده لَهُ تَعَالَی، فالاستواء لا یعنی الثبات، أو یکون هُناک فِی الجمله ثبات، ولکن الثبات لا یعنی جفاف للقلم وعدم التدبیر وعدم التغیّر، بلْ هُناک ثابت بلحاظ أصل وجوده، إلَّا أنَّهُ بلحاظ مشخصاته وملابساته قابل للتغیّر بإذن الله الذی یدبِّر الأمر ویفصِّل الآیات.

الجَبریّه الصُوفیّه

وَهَذا ما وقع فیه بعض الصوفیّه مِنْ القول بالجبر مِنْ حَیْث لا یشعرون؛ وذلک أنَّهم وإنْ لمْ یقولوا فی کلامهم: إنَّ ید الله مغلوله. ولم یصرّحوا ولم ینسبوا العجز للإنسان، لکنّهم قالوا بضروره التعجیز للإنسان -

---

۱- یونس: آیه۳.

۲- یونس: آیه۳.

وفرق بين العجز وبين التعجيز، أو بين سلب الإراده منهم وبين أنَّهم بإرادتِهم يسلبون إرادتَهم- وَهَذا مِنْ باب ذكر المعاذير والتمحُّل لهم، والحمل عَلَى أنَّ (سلب الاختيار بالاختيار) رغبه منهم فى اختيار الله، كأنَّ الإنسان يجعل نفسه محطّاً للإراده الإلهيّه.

ما يُريد الله لى وليسَ ما أُريده أنا، لا أختار ولا أتصرّف؛ لأنَّ أىّ تصرُّف فى بدنى هُوَ تصرُّف فى مال الغير - الله- والتصرُّف فى مال الغير لا يجوز، ولا إراده لى؛ لأنَّ الإراده أيضاً تجاوز عَلَى إراده الله، فلا أُريد إلّا ما أراده الله، وَهَذا فى زعمهم مُنتهى العبوديّه كما يَرَون.

المنطق الحُسينىّ يُحاكم الجَبريّه

ولكنَّه بحسب المنطق الحسينىّ يكون هذا المسلك يشتمل على جَبريّه مُخفّفه ويأس مِنْ رَوح الله، وتملّص مِنْ المسؤوليّه والمُحاسبه وركون إلى القعود والفشل، وَمِنْ جهه أُخرى هى مغالطه خَفِيّه؛ لأنَّها تنطوى عَلَى التباس، وهو أنَّ كُلّ مَنْ يتصرَّف بإرادته، فَهُوَ قدْ تصرّف فى غَير ما يريده الله وَهُوَ مشرك بالله، فأىّ حركه وأىّ تحرُّك هُوَ اعتراض بلسان الحال عَلَى الله وتجاوز عَلَى إرادته، (فيجب أنْ يكون الإنسان كالميت بيَدَى غاسله)، وَهَذَا معنى جمودى يدعو إلى الضعف والوهن والاستكانه والقنوط واليأس، بينما أعطى الحسين(عليه السّلام) درساً مِنْ خلال عمله وشعاره يُقتدى، وهو أنا أتحرّك فى إراده الله وليسَ تجاوزاً عَلَى إراده الله، بلْ ضمن إرادته (مِنْ الإراده وليسَ عَلَى الإراده)، وهذا بحاجه إلى بيان:

جوهر الإجابه هُوَ قضيّه السعه الوجوديّه لقدره الله وسعه مشيئته؛وبالتالى سعه الإراده عَلَى لوح القضاء والقَدَر، قال تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ

وَإِنَّا لَمُوسِعُون}(۱).

فالمنطق الحسينيّ يقول: هُناك أمر مقَدَّر ومقضى محتوم، ولكن - أيضاً- هُناك سعه مُستمرّه، وتوسُّع فى الإراده الإلهيّه، فالإنسان عندما يتحرّك يطلب بلسان الحال، ويقول: إنَّ المشيئه والقُدره والإراده واسعه فى توسّع، والخيارات كثيره.

نَعَمْ، لو لمْ يختر الإنسان فَقَدْ يُقَال: إنَّهُ مُستسلم لإرادته تعالى. لكن لا يصح هذا المعنى؛ إذْ لا مجال للتسليم قبل الوقوع(۲)، ولكن هُناك ما هُوَ فوق التسليم وَهُوَ الرضا، وهُناك ما فوق الرضا؛ وَمِنْ هُنا لا بدَّ أنْ نبيِّن المستويات الَّتِى توضِّح تفاعل العبد مَعَ الإراده الإلهيّه قبل أو قُبيل الوقوع وما بَعْدَ الوقوع، والَّتِى مِنْ خلالها تُبيِّن مراتب النجاح فى الابتلاء الإلهى.

مراتب النجاح فى الابتلاء الإلهى

هُناك مراتب عديده للنجاح فى الابتلاء الإلهى، وَكُلّ مرتبه غَير الأُخرى بحسب التكامل الإلهى، وَكُلّ مرتبه تختلف عَنْ الأُخرى - وبحسب تكامل

۱- الذاريات: آيه۴۷.

۲- قد يُتوهّم - كما توهم بعض الصوفيه أو العرفاء أو حتى اليهود- أنّ من التوحيد هو التمسّك بالإراده الإلهيه الجزئيه؛ لأنّه لا محاله لو وقعت فهى جزئيه، فالإنسان فى نظرهم يجب أن ينظر إلى ذلك الجزئى الذى سيقع والذى هو فى علم الله، وهكذا تفكير - قبل وقوع الحادث- باطل؛ لأنّه تعجيز لقدره الله وإرادته بأن كان الله تعالى -قبل الوقوع- مجبوراً على فعل جزئى ضيق لا يمكنه أن يُغيره، وهذا تعجيز وليس توحيداً. ونهج عاشوراء يُعلِّم الخلق أنّه بما أنّ البَداء الإلهى هو التغيّر فى الواقع الخارجى تبعاً لتغيّر الشروط والمقتضيات فاستوسعوا - ثقه بربّكم وتفاؤلاً- رحمه الله وسعه مشيئته وإرادته من خلال التحرّك البنّاء الذى يؤدّى إلى ذلك.

المؤمن- وهُنا نقول:

إنَّ الحسين(عليه السّلام) فى أعلى المراتب مِنْ النجاح؛ لأنَّ درجه النجاح تتناسب مَعَ صعوبه الامتحان والابتلاء الإلهى، فإذا كَانَ الحسين(عليه السّلام) نجح بشكل مُتميّز فى المرتبه العُليا فبالتأكيد يكون قدْ نجح فى الدرجات الأدنى بشكل مُتميّز أيضاً.

ولابدَّ هُنا مِنْ وقفه نُبيِّن فيها ماهيه ومراتب ذلك النجاح الذى أُعطى به الحسين(عليه السّلام) الدرجات العُليا فى الآخره، وما قام به (صلوات الله عَلَيْه) من ملحمه، وأنَّ السعى والحراك والمثابره مجاله مفتوح قبل وقوع وقبل حصول الحدث، وأنَّ هَذَا لا ينافى التسليم والرضا بالقضاء والقَدَر الإلهى، بَلْ هُنَا موطن الرجاء والتفاؤل بالخير والأمل، والإيمان بسعه المشيئه عَلَى القضاء والقَدَر، وأمَّا موطن التسليم والرضا والشكر فَهُوَ بَعْدَ الوقوع والحصول، كَمَا قَالَ(عليه السّلام) بَعْدَ وقوع القتل فِى أهل بيته وأصحابه «رضا برضاك لا معبود سواك»، وتبيان ذلك.

١. مرتبه الصبر والتسليم لإراده الله، وَهُوَ الانقياد والتسليم للإراده الإلهيّه، وهذهِ المرتبه تجتمع معها وجود الصعوبه والكراهه للنفس، ولكن الإنسان بإرادته يروِّض نفسَه عَلَى الصبر عَلَى ما حلَّ به قربةً لله تعالى.

٢. وأمَّا مرتبه الرضا فهى أعلى منها؛ لأنَّ الصعوبه والكراهه غَير موجوده، بلْ الاستبشار والرضا، فيكون الإنسان مخبتاً ومستسلماً للإراده الإلهيه، والنفس راضيه فرحه بما قسم الله لها.

وهاتان المرتبتان بَعْدَ وقوع القضاء وليسَ قبله، أمَّا قبله فلا مجال ولا معنى للتسليم، بَلْ هُوَ استسلام للتواكل، بلْ هُوَ مجال للنشاط والحراك والمسؤوليّه.

۳. نَعَمْ، یمکن أنْ نتصوّر وجود مرتبه للرضا قبل وقوع القضاء، وَهُوَ (الرضا بما سیقع) مَعَ التفاؤل؛ وبالتالی عدم التمرُّد والسکون للقضاء الإلهی لاطمئنان النفس بما سیقسم الله لها مَعَ التفاؤل بوجود ما هُوَ أوسع.

۴. وهذهِ المرتبه - الرضا- کَمَا قُلْنا لا تکون قبل وقوع القضاء، بلْ قبله المجال مفتوح للحرکه والحراک والنشاط والقیام بالمسؤولیّه، بلْ هُوَ المُتعیّن والواجب، کَمَا بیّنه الإمام الصادق(علیه السّلام) فی عِدَّه روایات، وهذهِ الروایات ترسم لنا منهاجَ عمل فی کیفیّه تعامل الإنسان مَعَ القضاء والقَدَر، وما هُوَ الواجب علیه قبله وبعده؟ وأین یکون مجال المسؤولیّه؟

۵. الروایات الَّتِی تُبیِّن موطن النشاط والحراک والمسؤولیّه، الَّتِی وردت عَنْ الإمام الصادق(علیه السّلام)، والَّتِی مِنْ خلالها یتّضح لنا النشاط الحسینی المملوء بالرجاء المتوقِّد بالمعرفه بسعه علمه ومشیئته تَعَالَی، المُتزاید قوّه وتوسّعاً فی کربلاء. عَنْ یونس بن یعقوب، عَنْ بعض أصحابنا قَالَ: «کَانَ قوم أتَوا أبا جعفر(علیه السّلام) فوافقوا صبیاً له مریضاً، فرأوا منه اهتماماً وغمّاً وجعل لا یَقِرُّ، قَالَ: فقالوا: والله، لئن أصابه شیءٌ، إنّا لنتخوّف أنْ نری منه ما نکره. قَالَ: فما لبثوا أنْ سمعوا الصیاح علیه، فإذا هُوَ قدْ خرج علیهم منبسط الوجه فی غَیر الحال الَّتِی کَانَ علیها، فقالوا له: جعلنا الله فداک، لَقَدْ کُنّا نخاف ممّا نری منک أنْ لو وقع أنْ نری منک ما یغمّنا. فَقَالَ لهم: إنّا لنحب أنْ نُعافی فیمَن نحبُّ، فإذا جاء أمر الله سلّمنا فیما أحبَّ»(۱).

کذلک قول الصادق(علیه السّلام): «إنّا أهل بیت نجزع قبل المصیبه، فإذا نزل أمر

۱- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۳، ص۲۲۶، ح۱۴. الحر العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۳، ص۲۷۶، ح۳۶۴۱.

الله رضينا بقضائه وسلّمنا لأمره، وليسَ لنا أنْ نكره ما أحبَّ الله لنا»(۱).

وبنفس المضمون أحاديث كثيره منها ما ذُكر فی الوسائل فی باب جواز إظهار التأثُّر(۲).

۶. فالجزع فی الروایه المُتقدمه - ومضمون روایات أُخری- بمعنی الإلحاح فی الرجاء والدعاء والطلب مِنْ الله تعالی، وَهَذا میزان لموضع الحراک والفعّالیّه والنشاط لإراده التغییر والرجاء، أنَّه قبل نزول أمر الله وقبل وقوع القضاء.

أمَّا بَعْدَ وقوع أمر الله ووقوع القضاء، فهُنا موطن التسلیم والرضا بما ثبت حصوله ولا یرغب فی غیره، وَهَذا المیزان مُخالف لمنطق الجبر الیهودی والأُمَوی، ولمنطق التفویض القدری الیهودی السقیفی الأُمَوی. فالجزع قَبل الوقوع عباره عَنْ قمّه الحیویّه والرجاء والأمل والنشاط، لا التبرّم والإیاس.

وَهَذا التفصیل فی المیزان المعرفی لدی أهل البیت(علیهم السّلام) قبل وقوع القضاء مَعَ ما بَعْدَ وقوعه مِنْ أعظم موازین المعرفه بقضاء الله وقَدَره، والمعرفه بمشیئته برجاء وخوف، والتسلیم لفعله والرضا به، فلکلّ هذهِ الأحوال مواطن ومنازل ومقامات لمْ یکن لتُعرَف لولا أهل البیت(علیهم السّلام) ، وهی تفاعل الاختیار الإنسانی مَعَ الحاکمیّه الإلهیّه.

النشاط والحرکه الحُسینیّه

یظهر من کثیر من کلمات أهل البیت(علیهم السّلام) التحذیر من الیأس وتضییق سعه الإراده والرحمه الإلهیّه، قال مولانا صادق أهل البیت(علیهم السّلام) لمیسره: «یا

میسره، ادعُ ولا تقل: إنّ الأمر قد فُرِغَ منه. إنّ عند الله (عزّ وجلّ) منزله لا

۱- الصدوق، محمّد بن علیّ، مَن لا یحضره الفقیه: ج۱، ص۱۱۹، ح۵۶۷.

۲- اُنظر: الحرّ العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۳، ص۲۷۵-۲۷۷، باب۸۵.

تُنـال إلّـا بمسـأله، ولو أنّ عبـداً سـدَّ فاه ولم يسأل لم يُعطَ شـيئاً، فسَلْ تُعطَ، يا ميسـره، إنّه ليس من بابٍ يُقرع إلّا يوشك أن يُفتح لصاحبه»(۱).

الحسين(عليه السّلام) من خلال حركته لم يَغلق باب المسأله رغم تسليمه ورضاه وتفاؤله بعظيم رحمه الله، لكنّه يقول بلسان حاله: هناك ما هو أوسع وأوسع وأوسع إلى ما لا نهايه، فالإمام الصادق(عليه السّـلام) حين يقول لميسـره: «إنّ عند الله (عزّ وجلّ) منزله لاـ تُنـال إلّـا بمسـأله»، فهـذا يعنى الحركه والتحرّك لنيل تلك المنزله، وهـذا ما فعله الحسـين(عليه السّـلام) حيث أطاع ما أمر به رسولُ الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «إنّ لك فى الجنّه درجات لن تنالها إلّا بالشهاده»(۲).

وبيان الصادق(عليه السّـلام) يفسِّر حركه الحسـين(عليه السّلام)؛ لأنّه كان يطلب ما فوق المنزله بالمسأله، والسؤال بالعمل والسعى لا باللسان فقط، وأنّ الحسـين(عليه السّـلام) كان يُلّح بالدعاء بلسان الحال ويبحث عن سعه الإراده الإلهيّه، وهذا قمّهٌ فى التوحيد، وقمّه التعظيم لمقام الله تعالى عن أن يحكم عليه قضاء أو قدر أو لوح أو قلم؛ لأنّه لم يُبخِل جواداً، ولم يُصـغِّر عظيماً، ولم يُضـيِّق واسـعاً، وهـذه معرفه واسـعه وشامله وكبيره أكبر من الإنسان وممّا وصل أو سـيصل إليه من المعرفه التوحيـديّه بالله، وهـذا – وهو الإيمـان بالبَـداء- توحيـد أعظم من التوحيـد الـذى ترسـمه لنـا كـلُّ المعـارف الإـلهيّه، فضـلاً عن الفضائـل الأخلاقيه المحـدوده مهماكبرت وعظمت، كما ورد: «مَا عُظِّمَ الله بِمِثْلِ البَدَاء»(۳).

۱- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج۲، ص۴۶۷. الحلى، ابن فهد، عدّه الداعى: ص۲۳.

۲- الكوفى، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج۵، ص۱۹.

۳- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج۱، ص۱۴۶.

وبهذا؛ فالحركه والحراك ليس اعتراضاً على قضاء الله وقدره، بل استمطار من سعه بحر المشيئه ومن طمطامه الزخّار للعلم الإلهى.

النشاط والحركه اليونسيّه

لأجل استيضاح المطلب لا بدّ من التفرقه بين الحركه اليونسيّه والحركه الحُسينيّه، بين النشاط اليونسىّ والنشاط الحُسينىّ:

١. نحن نعتقد أنّ يونس(عليه السّلام) كان مسلِّماً لأمر الله، راضياً متفائلاً بسعه رحمه الله، ولكنّ الفرق أنّه تحرَّك إلى خارج الحدث والمواجهه، ولم يتحرّك فى الداخل - كما تحرَّك الحسين(عليه السّلام)- تحرّك إلى خارج معركه الهدايه، فالآيه القرآنيه تصف يونس أنّه ظنَّ أن لن يضيِّق اللهُ عليه المسؤوليّه، قال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِى الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}(١).

٢. الظنّ بسعه الإراده والرحمه الإلهيّه - وعدم الضيق فى المسؤوليّه- وظّفه يونس(عليه السّلام) إلى خارج معركه الهدايه التى خاضها فى قومه، فعندما بليت ونفذت سُبُل النجاح ابتغى سعه الرحمه فى مكان آخر غير مكان معركته، وكان من الأَوْلى التحرُّك لطلب سعه الرحمه وهو فى قومه.

٣. لم يكن صبره(عليه السّلام) بمستوى صبر الحسين(عليه السّلام) قال تعالى: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ}(٢)، فالحسين(عليه السّلام) نادى قبل أن يكون مكظوماً استمطاراً من سعه بحر المشيئه.

١- الأنبياء: آيه٨٧.

٢- القلم: آيه٤٨.

۴. إنّ الحسين(عليه السّلام) حتى بعد اليقين باليأس من القوم، بل ما هو أكثر من اليقين باليأس من القوم ما زال يقاتل ويقاتل بتفاؤلٍ لا حدود له حتى قُتل مظلوماً عطشاناً.

ص: ۱۲۴

شجاعهُ إدارهِ الأزماتِ وإمامه الأمّه

شجاعهُ التدبير

لمْ تكن شجاعه الحسين(عليه السّلام) شجاعه فردٍ أو شجاعه فرديّه فحسب، بلْ كانت شجاعه فى التدبير وشجاعه فى الحكمه وفى التخطيط والتقدير، وهى ما يُسمّى بشجاعه القياده وشجاعه إداره الأزمات وإمامه الأُمّه.

فإنَّ المَكْر الذى مكره أعداء الحسين به(عليه السّلام) لا يقل عَنْ المَكْر الذى مكره الأعداء بجدِّه وأبيه وأُمِّه وأخيه؛ حَيْث إنَّه جُعْجِع به ومُنع مِنْ الوصول إلى الكوفه، ومُكِر به وبأهل بيته وأصحابه؛ حَيْث قُتِلوا وسُلِبوا وداست الخيلُ صدرَه وسُبيت نساؤه.

وسنّه المَكْر سنّه يصفها القُرآن بقوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَهٍ أَكَابِرَ مُجرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُون}(1)، كُلّ هَذا المَكْر الذى مكروه تحوَّل إلى نصر للحسين(عليه السّلام) - قَتْلهم للحسين(عليه السّلام) أعطاه الحياه الأبديّه إلى يوم القيامه وأعطاهم الموت والفناء والعذاب إلى يوم القيامه- فما هُوَ المُخطِّط والمُدبِّر؟ وما هى النتيجه؟ فإنَّه كما يقولون: «الأعمال بخواتيمها»(2)، والمنتصر هُوَ صاحب النتائج وصاحب العاقبه الحَسَنه،

١- الأنعام: آيه١٢٣.

٢- المشهدى، محمد بن جعفر، المزار: ص٣١٢.

فالحسين(علیه السّلام) کَانَ یبحث عَنْ النصر الواقعی وَهُوَ الفتح، ولیسَ عَنْ النصر الظاهری، فالحسین(علیه السّلام) یصف معرکته بالفتح، فالفتح نصر عظیم وکَانَ الحسین(علیه السّلام) یبحث عَنْه، وَهَذا ما تُشیر إلیه العقیله(علیهاالسّلام) فی مجلس یزید (لعنه الله) حَیْث تقول: «فکِدْ کَیْدکَ واسْعَ سَعْیَکَ وناصِبْ جُهْدَکَ، فواللهِ، لا تَمحْو ذِکرَنا، ولا تُمیتُ وَحیَنا، ولا تُدرِکُ أمَدَنا، ولا ترحضُ عنک عارَها، وهل رَأیُک إلاّ فَنَد، وأیّامُک إلاّ عَدَد، وجَمْعُک إلاّ بَدَد، یومَ یُنادی المنادِ: أَلاَ لَعْنَهُ الله عَلَی الظَّالِمِینَ»(۱) .وهذه الکلمه الجامعه لسیده البیت الهاشمیّ تُشیر إلی کیفیّه تحوّل تدبیر الشیطان السیئ إلی نصر فی صالح المؤمنین.

الغصّه والفرصه

هُناک نفوس واسعه الأمل والرجاء تستطیع أنْ تحوّل الهزیمه إلی نصر - تحوّل الغصّه إلی فرصه- فإنَّ نفس الهزیمه لو نظرت إلیها ببصیره وتَرَوّی مِنْ جمیع جوانبها لرأیت فیها جوانب إیجابیه کثیره تُستثمَر وتُوظَّف للنتائج المرجوّه، وَهَذا ما رآه الحسین(علیه السّلام) فی ساحه الطّف، فَهُوَ یری أنَّ هَذا الجیش المُحاصر له سوف یفعل به وبأهل بیته وبأصحابه وعیاله ما یفعل، وهذهِ کُلّها جوانب سلبیّه واقعیه لا محیص عنها.

إذنْ؛ ینبغی ألّا ینصحهم الحسین(علیه السّلام)، فلماذا نصحهم(علیه السّلام)؟

قال مفسِّرو الواقعه: إنَّه لأجل إلقاء الحجّه علیهم. وَهَذا تفسیر لطیف لکنَّهُ یقف عِنْدَ مشارف الجانب السلبی.

۱- الطبرسی، أحمد بن علی، الاحتجاج: ج۲، ص۳۷. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴۵، ص۱۳۵.

أمَّا الجانب الإيجابى، فيمكن استعراضه مِنْ خلال عِدَّه وجوه:

١. إنَّ الحسين(عليه السّلام) نصحهم لأجل أنْ يهتدى مَنْ يهتدى - كما اهتدى الحرّ فى آخر لحظاته- فلو نظرنا عَلَى مُستوى ومُحيط جزئى وكمفرده جزئيّه نرى الحسين(عليه السّلام) انتصر فى كسب الحرّ إلى جهه الإيمان، وَهَذا سَعْىٌ لتحصيل ما أمكن مِنْ الانتصارات الجزئيّه الَّتِى لمْ يفرط بها الحسين(عليه السّلام)، وتقليل ما أمكن مِنْ الخسائر - مهما أمكن- وإنْ استيقن بخساره أصل النصر العسكرى، وَهَذا طموح خفّاق آفاقى.

وبعباره أُخرى: إنَّ الحسين(عليه السّلام) وإنْ كَانَ يبحث عَنْ الفتح الذى هُوَ أعظم مِنْ النصر، لكنّ ذلك لا يعنى مُطلقاً التفريط بالجوانب الأُخرى، وعدم البحث عَنْ الانتصارات فى الجوانب الأُخرى فيما هُوَ ممكن ومقدور.

وهذهِ قاعده وضابطه دستوريه يضعها بين أيدينا - وفحواها-: أيُّها المؤمنون، مهما عَظُم هدفُكم، ومهما عمقَ تدبيرُكم، فهَذا لا يعنى إطلاقاً ترك وإهمال الجوانب مهما كانت صغيره وغير أصيله بلحاظ الهدف الأكبر.

وَهَذا الأصل الدستورى والقاعده الكبيره لَيسَ فقط هُوَ عَلَى المستوى الاجتماعى سواء فى المُجْتَمع الصغير (الأُسره) والمُجْتَمع الكبير، بلْ عَلَى مُستوى الأُسره الدوليّه والمجتمع البشرى الشعوبى، أو الدول والحكومات والعلاقات الدوليّه... إلخ.

٢. إنَّ الكلمات وبيان براهين الحقّ والهدايه الَّتِى تكلَّمها الحسين(عليه السّلام) مَعَ أنّها إلقاء للحجّه عَلَى أعدائه، وهم لمْ يستجيبوا لها، لكنّهم حملوها إلى غيرهم، فَمِنْ جهه هُم أعداء للحسين(عليه السّلام) ومبغضون لكلامه ووعظه، لكنْ مِنْ جهه أُخرى هُم حاملون لخُطَبِه ومواعظه وكلماته إلى أهلهم، بلْ إلى كُلّ الأجيال إلى يومك هَذا.

٣. أحدُ أهمِّ مَنْ وثّق الحادثه التأريخيه لمعركه الطفّ هُم أعداء الحسين(عليه السّلام) حَيْثُ كانوا أحد مفردات التواتر لواقعه الطّف برمتها(١)، وهم أحد مفردات التواتر فی بعض الحوادث الجزئیه - داخل نفس المعركه وَمِنْ ضواحیها- الَّتِی خدمت مسیره الهدایه.

هذهِ الثمرات الثلاث العظیمه - بلْ وأكثر- كانت نتیجه عظمه تدبیر الحسین(علیه السّلام)، فضلاً عَنْ أصل الغایات العظیمه لأصل النهضه.

ویمكن أنْ نذكر بعض الأمثله لما خطّطه الأعداء وانقلب علیهم:

أوَّلاً: إنَّ الأعداء عَنْ علم وعمد وتدبیر خبیث قتلوا الحسین(علیه السّلام) وأصحابه تلك القتله المأساویه؛ حَیْث مثّلوا بالجثث وقطعوا الرؤوس... إلخ، فصاروا یتكلّمون فی الأمصار بما فعلوا تصوراً منهم أنَّه كسر ووهن لعظمه الحسین(علیه السّلام)، فكانت النتیجه هی عكس ما دبّروا ومَكروا.

ثانیاً: إنَّهم عَنْ علم وعمد حملوا السبایا وداروا بهم فی الأقطار زیاده فی النكایه، ولا یعلمون أنَّهم حملوا القناه الإعلامیه لنشر مظلومیّه الحسین(علیه السّلام)، بلْ لنشر انتصار الحسین(علیه السّلام) فی كُلّ العالم وفضح الأُمویین وأتباعهم.

١- هَذا بقطع النَّظر عَنْ وجود المعصوم(علیه السّلام) - الإمام السّجاد(علیه السّلام) والباقر(علیه السّلام) فضلاً عَنْ كُلّ المعصومین(علیهم السّلام) وإحاطته بإحاطه ملكوتیّه- الذی روی تفاصیل الواقعه بدقّه وحیادیه عجیبه فی سنین حیاته وَبَعْدَ شهادته نقل لنا أبناؤه(علیهم السّلام) تفاصیل أُخری، ولا ننسی عَلَی الإطلاق العالمه غَیر المعلَّمه والفَهِمَه غَیر المُفَهَّمه الَّتِی قادت معركه السبی إلی جانب زین العابدین(علیه السّلام) بتدبیر فاطمی عظیم، إضافه إلی تقریر الإمام(علیه السّلام) والأئمّه مِنْ بعده لما نُقل عَلَی الألسن مِنْ واقعه الطفّ، وكانت تجری عَلَی مسامعه وتَحْتَ نظره المبارك، فلو كَانَ هُناك تزویر لكشفه لنا.

حتميّه عدم النصر لا تنافى إمكانيه الفتح

شهاده الفتح

الفتح وعنوان الفتح - كما لعلَّه يتبّه إليه البعض- إنَّه أخصّ مِنْ النصر، بلْ بالأحرى هُوَ معنى مُغاير لمعنى النصر، وإنْ تلاقيا فِى جمله مِنْ المواطن، فكم مِنْ مُنتصر غَير فاتح، وكم مِنْ فاتح غَير منتصر (عسكريّاً) ويوجد منتصر فاتح، فبين المعنيين عموم وخصوص مِنْ وجه، قال تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً}(۱).

فصلح الحُدَيبيه سمّاه القُرآن فتحاً مُبيناً، ولم يقتصر عَلَى لفظ (الفتح) مَعَ أنَّه لمْ يكن نصراً عسكريّاً فى البين أصلاً، وحادثه صلح الحُدَيبيه، وردت فى قوله تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء الله آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً}(۲).

فإنَّ الله أرى رسولَه(صلّى الله عليه و آله وسلّم) فى الرؤيا دخول المسجد الحرام، ولكن لَمْ يحتّم الله تَعَالَى توقيتاً لتحققها؛ حَيْث اتّفق النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) فى صلحه مَعَ قريش أنْ يرجع فى عامه الذى جاء فيه عَلَى أنْ يعود فى عام قابل، والحادثه موجوده فى مصادر

۱- الفتح: آيه۱-۲.

۲- الفتح: آيه۲۷.

كثيره، أوردنا منها الفكره المطلوبه مَنْ شاء فليراجع(۱).

فمَعَ وجود البَدِاء فِی التوقیت ورجوع المُسْلمین ومَعَ ذلک سمّی (فتحاً مُبیناً)، والسبب فی ذلک أنَّه حصل بمصالحه قریش مُنعطف کبیر وجدید وَهُوَ اعتراف قریش تلقائیاً بالصلح بالنبی ومنهاجه وملّته، فکَانَ انفتاحاً حضاریّاً فی مسیره البشر الدینیّه.

ونظیره فی سوره النصر: {إِذَا جَاء نَصْرُ الله وَالْفَتْح}(۲)، فغایر الله تعالی بین عنوان النصر وعنوان الفتح، ویظهر مِنْ القُرآن أعظمیه الفتح مِنْ النصر بفارق کبیر جدّاً، وأنَّه لا یکترث بالنصر بقدر اکتراثه بالفتح.

۱- اُنظر: الطوسی، محمد بن الحسن، التبیان فی تفسیر القرآن: ج۹، ص۳۳۵. الطبرسی، الفضل بن الحسن، مجمع البیان فی تفسیر القرآن: ج۹، ص۱۸۱. ابن هشام، عبد الملک، السیره النبویه: ج۳، ص۷۷۴. الواقدی، محمد بن عمر، کتاب المغازی: ج۲، ص۶۰۶.

۲- النصر: آیه۱.

فتحُ الحسين أم حسينُ الفتح

قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً}(۱)، هذهِ الآيه نزلت فی مشهد مُغاير لكلِّ التوقعات، فقدْ نزلت فی صلح الحُدَيبيه؛ وبالتالی فهی تُشير إلی أنَّ الفتح الذی يُريده الله معنیً مغايراً لما يفهمه عامّه الناس، فإنَّ الفتح هُوَ التغيّر الحالی والمُستقبلی بالحسم لصاحب الفتح، فمعركه بدر عَلَی عظمها وعظم نصرها، والَّتِی ربط بها النَّبی(صلّی الله عليه و آله وسلّم) بقاء الإسّلام وزواله، حَيْث قال(صلّی الله عليه و آله وسلّم) - وقدْ رفع يده إلی السماء-: «اللَّهُمَّ، إنَّكَ إنْ تُهلك هذهِ العصابه اليوم لا تُعبد بَعْدَ اليوم»(۲).

رغم ذلك القُرآن لمْ يسمّها فتحاً، فما هی الأبعاد الَّتِی حملها صلح الحُدَيبيه حتّی سمّاه القُرآن فتحاً، بَلْ وزاد فِی وصفه فقال: (فتحاً مُبيناً) رغم أنَّ الكثير مِنْ المُسْلمين وخصوصاً المُشكّكين والمُرجفين يرونها هزيمه وفشلاً، فكيف يمايز ويقايس القُرآن خلافاً لكلِّ الحسابات؟ هَذا لا يدركه إلّا لِمَنْ له علم وإحاطه وهيمنه عَلَی الزمان والمكان والنفوس، بلْ لكلِّ الكون فی الدُّنيا والآخره، فی ظلّ صوره الخساره الظاهريّه - بالصلح- تبدأ الولاده الجديده، وفی ظل تكفير المشركين وتكذيب أغلب المُسْلمين وظنّهم بالله الظنونَ

۱- الفتح: آيه۱.

۲- ابن شهر آشوب، محمّد بن علی، مناقب آل أبی طالب: ج۱، ص۱۶۳. المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۱۹، ص۳۲۴.

وبرسوله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، يأتى الفتح.

فى قمّه الضيق والمضيق الذى يمرّ به النهر ينفتح عَلَى البحار والمحيطات العظيمه، هكذا كَانَ الحسين(عليه السّلام) يُؤسِّس بناءً معرفياً، ويوصل الرساله للناس بأنَّ الفتح غَير النصر، والنصر العسكرىّ الخارجىّ قدْ يكون مُخالفاً للفتح فتصبح الهزيمه فتحاً وإنْ لمْ تكن نصراً، قال(عليه السّلام): «مَنْ لَحِقَ بى استُشهد ومَنْ لمْ يلحق بى لمْ يُدرك الفتح»(۱).

إذاً؛ الحسين(عليه السّلام) يُبشِّر مَنْ يلحق به بالشهاده ويُنذر مَنْ لمْ يلحق به أنَّه لا يدرك الفتح، وَهَذا درس لكلِّ المُسْلمين، بلْ لكلِّ العالم البشرى فى إعاده الحسابات والوعى والمعرفه فى مقايسه ووزن الأُمور، فَبَعْدَ معركه الجمل كَانَ المُسْلِمُون ينتظرون كلمه تشيد بالانتصار بَعْدَ المعركه، فإذا بأمير المؤمنين(عليه السّلام) يُشير إلى الفتح بقوله: «أنا فقأت عين الفتنه، وَلَمْ يكن ليجرأ عليها أحد غيرى»(۲).

هذهِ مُفاجئه مِنْ الإمام(عليه السّلام) رُبَّما الكثير يتساءل ويخاطبه - فِى حديث النفس-: أنت غالب، أنت مُنتصر، أنت لست فى خطبه وعظ أو كلمه أخلاقيه، هَذا محلٌّ قُتِلَ فيه أُناس واستُشهد آخرون، وأُسِرَ البعض الآخر ونجا وانتصر البعض، فما هى مُناسبه هَذا الكلام؟!!

الإمام(عليه السّلام) أراد أنْ يُبيّن المقصود الحقيقى المُستقبلى، البعيد كُلّ البُعد عَنْ

۱- ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص۱۵۷. الحلى، حسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات: ص۶. (بتغيير قليل).

۲- خُطَب أمير المؤمنين(عليه السّلام)، نهج البلاغه: ج۱، ص۱۸۲. الهلالى، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس: ص۲۵۶.

أذهـان المُسْـلمين، فضـلاً عَنْ النَّاس؛ حَيْثُ أراد أنْ يُحطِّم المقـوله المتشـابهه فى الزيـغ مِنْ أنَّ أمـومه المـؤمنين تعنى الحُجيّه فى الموقعيّه الديـنيّه، والحال أنَّ القُرآن يشهد عَلَى أزواج النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) بالعصيان والتظاهر عليه.

وإنَّ كونهنّ أزواج النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) لا يلازم حصانتهن عَنْ الزيغ والخطيئه، كامرأه نوح وامرأه لوط، فَمِنْ غَير الصـحيح أنْ يُخـدع الإنسـانُ المـؤمنُ بالأسـماء الطـويله العريضـه، ولـذلك قَالَ(عليـه السّـلام): «اعرف الحـقَّ تَعرِفُ أهلَـه»(1). والمؤسف عدم وعايه مغزى كلامه(عليه السّلام).

وكـذلك الحسـين(عليه السّـلام) يُشـيّد أركـان الـدِّين ويُجَـدِّد مـا بُلىَ منه ويُعطى درسـاً حضاريّـاً فى كُـلّ الأجيـال، أنَّ الأهـمّيه للتخطيـط، والأهـمّيه للفتـح الـذى هُوَ تشـييد للحضاره الحقيقيّه، فالـدول اليوم أخـذت تبحث عَنْ الانتصارات الاستراتيجيّه بعيـده المـدى، وأصـبحت الانتصارات المقطعيه الراهنه فى المنطق العلمى لهـذا العصـر إنجازات مؤقته لا يُكترث بها بالقياس إلى ما هُوَ بعيد المدى.

فالأنبيـاء - وَكُـلّ المُصـلحين مِنْ المصـطفينَ- كانت تنظر الناس إليهم (بما فيهم المُسْـلمون) أنَّهم قُتلوا اسْتُشـهدوا وَظُلموا وغُلبوا وقُهروا مِنْ قِبَل قومهم، أمَّا بَعْدَ ثوره الحسـين(عليه السّلام) انقلبت الصوره وانقلبت النظره، انقلب السحرُ عَلَى الساحر، انقلب سحر الأفكـار البسـيطه السـاذجه ذات البهرجه والزخرفه والوسوسه الشـيطانيّه عَلَى صانعها الساحر الـذى أسسـها وثبّتها فى نفوس الناس وجعل الناس أُسراءَ لها.

والحسين(عليه السّلام) يقلب مجرى التاريخ، وَهَذا لَيسَ كلام شعارى أو شعرى

١- الحلى، ابن إدريس، السرائر (موسوعه ابن إدريس): ج٣، ص٥٠٤.

خيالى؛ لأنَّه(عليه السّلام) أعاد النَّظر والحسابات عِنْدَ كُلّ الناس وصحّح النَّظر، وأوجد

بصيره ثاقبه لدى أجيال المُسْلمين والبشريّه بافتراق نهج السقيفه والنهج الأُمَوى عَنْ النهج النبوىّ السماوىّ، وأنَّ الخلافه السلطويه سلطنه قُدْره وتسلُّط، ومسار الهدايه الدينيّه مسار آخر، وهذهِ البصيره المسلّحه فى العقول لمْ تكن لتوجد ويستمر تواجدها لدى الأجيال لولا تضحيّه مثل سبط الرسول وفرخ البتول وعزيز المرتضى وخامس أصحاب الكساء؛ وبالتالى لا بدَّ لكتب التأريخ أنْ تُعاد صياغاتها، لأنَّها نظرت لجهه واحده، نظرت لمظلوميّه الأنبياء وأنّهم لمْ ينتصروا، فى حين أنَّ الحقيقه أنَّهم كانوا مُمهِّدِين لمُحَمَّد(صلّى الله عليه و آله وسلّم) الخاتم لما سبق، والفاتح لما استُقبل، والمُهيمن عَلَى ذلك كُلّه.

ص: ۱۳۴

القسم الثانی: خارطه مسؤولیّات العصر الراهن

وفیه ثلاثه فصول:

اشاره

الفصل الأوّل: خارطه المسؤولیّات فی النشاط الوظیفیّ الدینیّ والسیاسیّ والاجتماعی.

الفصل الثانی: خارطه المسؤولیّات فی النشاط الوظیفیّ الدینیّ للمؤمنین تجاه حرکات الانحراف الدینی.

الفصل الثالث: خارطه المسؤولیّات فی النشاط الوظیفیّ الدینیّ العسکریّ للمؤمنین، ووظیفه تقدیس وحمایه المقدَّسات.

ص: ۱۳۵

الفصل الأوّل:خارطه المسؤولیّات فی النشاط الوظیفیّ الدینیّ والسیاسیّ والاجتماعیّ

اشاره

ص: ۱۳۷

سبع قواعد منهجيّه وخاتمه

القاعده الأُولى: (كُنْ حِلْساً) والأحلاس فى البيوت.

القاعده الثانيه: إعداد القوّه.

القاعده الثالثه: طلب العلم ونشرُه.

القاعده الرابعه: عموم المسؤوليّه على الجميع.

القاعده الخامسه: التقيّه الذكيه وترقيه تنامى الحسّ الأمنى.

القاعده السادسه: المرونه والمناوره فى المسير والمسار.

القاعده السابعه: ضروره توازن القِوى مع العدو.

ص: ۱۳۹

مقدّمه

هـذه قواعد سبع أو أكثر(۱) فی الفقه العقائـدی والنشـاط الـوظیفیّ الـدینیّ والفقه السیاسـی الاجتمـاعی، أی: إنّ نفس القاعـده الواحـده لها بُعـد دینیّ حین تـدخل فی الوظیفه الدینیّه من حیث إنّها واجبه أو مسـتحبه، فردیّه کانت أو اجتماعیّه وغیرهما، ومن جهه فإنّ نفس هذه القاعده یمکن أن تکون منهاجاً للعمل السیاسـیّ وقاعده سیاسـیّه، ونفسها بعینها ضابطه فی فقه التربیّه الأُسریه والتعامل الأُسری وفقه السلوک الاجتماعی.

ومن المعلوم أنّ هـذه القواعـد قـد ینظر الفقهـاء أو أربـاب العلوم المختلفه إلیهـا من جهه وزاویه البُعـد الفردیّ، والحـال أنّ البُعد الفردیّ هو أحد زوایا تلک القواعد، وهو أدنی الواجبات فی الدین، وهناک ما هو أهمّ وهی الواجبات الاجتماعیّه أو السیاسیّه أو الاقتصادیّه أو العسکریّه، فکلّما کانت أوسع وأهمّ فی الدین کان الملاک أهمّ؛ وبالتالی تکون المطلوبیّه أعلی.

والحاصل: أنّ البُعـد الـدینیّ فی هذه القواعد ما کان من ناحیه الوظیفه فی الأحکام الشـرعیه، أمّا بُعدها فی الفقه السیاسـیّ فهو ما ارتبـط بشؤون السـلطه والشـأن السیاسـی بشـکل عـام، وأمّـا البُعـد فی الفقه الاجتمـاعی، فمن حیث کونهـا تنظیرات أو تطبیقـات اجتماعیّه.

۱- قلنا: أکثر. لأنّ فی هذه القواعد قواعد أُخری، فیصل العدد إلی عشر قواعد أو أکثر.

القاعده الأولی

(كُنْ حِلْسَاً) والأحلاس فِی البیوت

اشاره

قاعده منهجیّه فی النشاط الوظیفیّ الدینیّ والسِّیاسیّ فی زمن الغیبه:

(كُنْ حِلْسَاً مِنْ أحلاس بیتک)

قَدْ احتُمل عِدَّه احتمالات لمعنی (الحِلْس) وللمعانی الَّتِی تأمر الفرد المؤمن - فی زمن الغیبه الكُبری- بالجلوس فی الدار:

۱. أنْ یكون معنی ذلک أنْ یدّخر نفسَه لنصره الإمام؛ فینبغی أنْ یحافظ عَلَی نفسه.

وهُنا نقول: إنَّ معنی المحافظه مُغایر لمعنی الجلوس فی الدار، فقدْ یكون هُناک ادّخار للنفس بلا جلوس فی الدار، وقدْ یكون هُناک جلوس سلبی یُعرِّض المؤمن للخطر.

۲. أنْ یكون معنی (أحلاس البیوت) هُوَ اجتناب الاغترار بكُلِّ صیحه ونداء مِنْ هُنا وهُناک، وَمِنْ فئه وأُخری مِنْ دون تثبّت ورَوِیَّه وتعقُّل وفحص، ومِنْ دون درایه؛ لئلّا یؤدِّی إلی قتل النفس بالضلال، والانضواء تَحْتَ تیارات الانحراف، والانخداع بالزُخرُف وبالبهرجه والإعلام، بلْ اللازم أنْ یكون مُصداقاً لقول الإمام علیٍّ(علیه السّلام): «كُنْ فی الفتنه كابن اللبون، لا ظهرٌ فیُركب، ولا ضرعٌ فیُحلب»(۱)، وابن اللبون مِنْ الإبل ما أتی علیه سنتان حیث لا یمكن

۱- الآمدی، عبد الواحد، غُرر الحكم ودُرر الكلم: ج۱، ص۳۱۷. النمازی الشاهرودی، علیّ، مستدرک سفینه البحار: ج۱، ص۱۲۳.

استغلاله بالحلب، ولا بالركوب حيث لا يُركب، كذلك المؤمن خارج مِنْ الفتنه بانتصار، رغم أنَّه فی الفتنه، وليسَ هُوَ جليس الدار، بلْ هُوَ فی الفتنه وليسَ معها، كما وَرَدَ «كُن فی الناس، ولا تكن معهم»(۱)، ونظير قوله(عليه السّلام) أيضاً: «كونوا كالنحل فی الطير، لَيسَ شیء مِنْ الطير إلّا وَهُوَ يستضعفها، ولو علمت الطيرُ ما فی أجوافها مِنْ البركه لمْ تفعل بها ذلك، خالطوا الناس بألسنتكم وأبدانكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم»(۲)، أی: كُنْ فی الفتنه ولا تكُن رقماً مِنْ أرقامها حتّی لا تخسر عقيدتك، وكُنْ حِلْساً مِنْ أحلاس البيوت، أی: «لا تكن عبد غيرك وقدْ جعلك الله حرّاً»(۳)، ولا تكن حطباً لنيران الفِتن، وذلك يكون بالصبر والتثبّت وعدم الاستعجال، وَقَدْ وَرَدَ فِی الروايه «هلكت المحاضير... ونجا المقرِّبون»(۴)، و(المحاضير) أی: المستعجلون بلا تَرَوِّی، والاندفاعيون بسرعه استرسال بلا تثبّت وفطنه، مِنْ دون مُلاحظه عواقب الأُمور، وقوله: (ونجا المقرِّبون) - بكسر الراء المشدّده- تعنی أنَّهم يقولون بقرب الفرج وينتظرون فی برمجه أعمالهم وجدوله تحرّكهم توخِّی الظهور.

فالانتظار مِنْ مادّه الناظر، أی: المتطلِّع لشیء آتٍ، حيث يجعل مركز كُلّ برامجه وتخطيطه وخطاه وخططه السعی لذلك الهدف، والدوران حول تلك النقطه المركزيّه مِنْ دون رسم هدف مغاير لذلك الفرج الحقيقی؛ وذلك بعدم الاغترار والفرح بالانفراج النسبی الضئيل، وبذلك يكون السعی والعمل

۱- الخراسانی القاينی، محمد تقی، مفتاح السعاده فی شرح نهج البلاغه: ج۴، ص۹.

۲- النعمانی، محمد، الغيبه: ص۲۱۷.

۳- خُطب أمير المؤمنين(عليه السّلام)، نهج البلاغه: ج۳، ص۵۱. وأُنظر: المتّقی الهندی، علیّ، كنز العمال: ج۱۶، ص۱۷۵، ح۴۴۲۱۵.

۴- النعمانی، محمد، الغيبه: ص۲۰۳. الكلينی، محمد بن يعقوب، الكافی: ج۳، ص۱۳۲.

والنشاط أكبر مِنْ الأهداف المتوسطه، فضلاً عَنْ الأهداف المقطعيّه الشخصيّه، وَهَذا المعنى لا يعنى السكون والركود والنكول عَنْ هدف الانتظار، بلْ يعنى دوام استهدافه فى السعى والنشاط والحركه والحراك، والسكون والسكوت عَنْ بقيه الأهداف الأُخرى الدنيويّه، وكذلك هُوَ بتوظيف الأهداف المتوسطه لذلك الانتظار والظهور مِنْ دون الاغترار بتلك الأهداف لنفسها بنظره موضوعيّه لها، تطبيقاً لقوله تعالى: {وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُون}(۱)؛ ولذا كَانَ علىٌّ أمير المؤمنين(عليه السّلام) منشغلاً بتجهيز النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) ودفنه، حين كَانَ الناس يتصارعون عَلَى كرسى الحُكم لمْ يستخفّه المُستخفّون، ولم يربكه استعجال المُستعجلين وحرص الدنيويين.

المعانى اللغويه للحِلْس

۳. وَهَذا الاحتمال يدعم الاحتمال الثّانِى الذى مرَّ، إلّا أنَّه يركّز إلى جانب استعمال السِّريه والحسّ الأمنى فى العمل، حيث إنَّه ذُكر فى المعنى اللغوى للحِلْس: (إنّه بمعنى الكساء يُجعل عَلَى ظهر البعير تَحْتَ رحله، أو هُوَ الكساء يكون تَحْتَ البرذعه للبعير، أو هُوَ الكساء يبسط فى البيت تَحْتَ حرّ الثياب)، وَهَذا الاحتمال الثَّالث يحتاج إلى شىء مِنْ البسط بالبحث فى المعانى اللغويه.

* فى العين: «الحِلْس ما ولى البعير تَحْتَ الرحل... والحِلْس للبيت ما يبسط تَحْتَ حرّ المتاع مِنْ مسح وغيره... وفى الحديث فى الفتنه كُن حِلْسَ بيتك... الحلس الشعاع الذى يلازم قرنه»(۲).

* وقال فى جمهره الأمثال: «وأصل الحِلْس: كساء يوضَع تحت البرذعه

۱- الروم: آيه ۶۰.

۲- الفراهيدى، الخليل بن أحمد، العين: ج۳، ص۱۴۲.

على ظهر البعير ويلزمه، فشبه الذين يعرفون الشيء ويلزمونه به، وفي الحديث: إذا كانت فتنه فكن حِلْس بيتك. أي: الزمه ولا تُزايله»(۱).

فظهر مِنْ هذهِ التعاريف اللُغويه أنَّ معنى الحِلْس إمَّا معنى الخفاء أو الثبات والمُلازمه عَلَى الشيء، وكلا المعنيين بهدف عدم الاغترار والانجرار إلى أطراف النزاعات والفتن والاختلافات، بلْ الثبات واللزوم عَلَى ما كَانَ عليه، فلا يزايل هويته وانتماءه الذي كَانَ عليه بانتماءات حادثه ومتولّده، وبذلك يقرب هَذا المعنى مِنْ المعنى السابق.

* وَمِنْ ثمّ وَرَدَ الحِلْس - كما في لسان العرب- بمعنى العهد، تقول: «أحلستُ فلاناً، إذا أعطيته حِلْساً، أي: عهداً»(۲)، وَهَذا المعنى أيضاً يقرب مِنْ معنى اللزوم والثبات وعدم الانحراف؛ وذلك لقوّه مراعاه السِّرِّيه والكتمان والإخفاء والتستر، لا بالسكون والركود والقعود والابتذال، وجعل النفس بذله مبتذله في أيدي العابثين والمعتدين.

* وفي مجمع البحرين بَعْدَ ما ذكر تلك المعاني المُتقدّمه لغةً، قال: «هَذا هُوَ الأصل، والمعنى الزموا بيوتكم لزوم الأحلاس، ولا تخرجوا منها فتقعوا في الفتنه... والحلس - بكسر اللام- الشجاع»(۳).

* وفي تاج العروس: «وَمِنْ المجاز (الحِلْس): الكبير مِنْ الناس للزومه محله ولا يزايله»(۴).

۱- العسكري، أبو هلال، جمهره الأمثال: ج۲، ص۲۰۸.

۲- ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج۶، ص۵۶.

۳- الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج۴، ص۶۳.

۴- الزبيدي، محمّد مرتضى، تاج العروس: ج۸، ص۲۴۵.

* والـذی فی المحیـط: «رأیت حِلْساً فی الناس، أیّ کبیراً»، إذا یلازم قعر بیته لا یبرح، ویُؤیِّد أنَّ الحِلْس بمعنی الثبات والثقل عَنْ الاهتزاز ما عُرف فی کلمات اللغویین فیما قالوا: حِلْس بیته فیمَن لمْ یبرح مکانه، أی: لمْ یغیّر ما ثبت علیه قلبُه مِنْ الإیمان بهداهم ومنهاجهم.

نتائج مُهمّه مِنْ معنی الحِلْس

ولمزیـد توضـیح قول اللغویون فی معنی الحِلْس أنَّه البردع أو البردعه والبرذغ أو البرذعه. فینبغی أنْ نوضِّح معنی البرذع، قـال فی لسان العرب: «والبرذع هُوَ الحِلْس الـذی یلقی تَحْتَ الرحل... والبرذعه مِنْ الأرض: لا جلد ولا سـهل، وابرنذع للأمر ابرنذاعاً: تهیأ واستعد. وابرنذع أصحابه: تقدّمهم»(۱)، ویمکن الحصول ممّا تقدَّم عَلَی نتائج عدیده:

۱. بما أنَّ معنی الحِلْس هُوَ البردع الذی هُوَ قماش أو شـیء آخر یوضع بین السرج وبین ظهر الدابه کالحصان، والهدف منه زیاده فی (ثبات) السـرج عَلَی ظهر الحصان أو غیره، وَمِنْ جهه أُخری هُوَ (حمایه) ظهر الدابه مِنْ قساوه السـرج، وهکذا المؤمن الحِلْس هُوَ کالبردع یحمی ظهور المؤمنین، ویکون حصناً منیعاً ثابتاً لهم.

۲. وقوله: والبرذعه مِنْ الأرض: (لا جلـد ولا سـهل)، هَذا یعنی أنَّ البرذع الذی هُوَ الحِلْس دائماً یسـیر عَلَی الطریقه الوسـطی، فلا یکون لیِّنـاً فیُعصـر، ولاـ یکون یابساً فیُکسـر، أی: یکون وسـطاً مِنْ باب {جَعَلْنَاکُمْ أُمَّهً وَسَـطاً}(۲)، أو یکون وسـطاً، أی: لاـ إلی الیمین ولا إلی الشمال، أی: هُوَ عَلَی

۱- ابن منظور، محمّد بن مکرم، لسان العرب: ج۸: ص۸-۹.

۲- البقره: آیه۱۴۳.

الوسطيه (الاستقامه)، فلا يذوب فى الإفراطيين، ولا ينساق مَعَ التفريطيين المفرطين، بلْ متوازن فى السير والمسير، ويوازن الجوانب مِنْ دون متاركتها.

۳. نستشعر مِنْ معنى البردع الذى هُوَ ما يوضع بين الرحل أو السرج وبين ظهر الدابه، أنَّه بطانه داخليه غَير ظاهره، وَهُوَ بطانه نافعه؛ فيكون الحِلْس هُوَ بمعنى البطانيه الإيمانيه الصالحه الَّتِى يأمر القُرآن بالركون إليها وعدم اتّخاذ غيرها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً}(۱).

۴. البردع الذى هُوَ بين الرحل وظهر الدابه، له نفع غَير ظاهر وغير مُعلَن، (خفى غَير ظاهر)، لكنَّهُ متواجد فاعل بين الأطراف مِنْ دون مشاهدته، وَمِنْ دون الشعور به - كما هى سنّه الغيبه للإمام الثّانِى عشر- فالأمر بالعمل الخفى (غير ظاهر النفع)، كما هُوَ نفع الحِلْس الذى هُوَ بين ظهر الدابه والرحل؛ حيث إنَّه له دور ونفع لكنَّهُ خفى.

ولو دقّقنا النَّظر، فإنَّ البردع الذى قدْ يكون قطعه مِنْ القماش البالى، هذهِ القطعه إذا وُضعت ظاهراً فإنَّ نفعها معدوم، وإذا خُفيت نفعت - أيما نفع- كذلك المؤمن إذا خفى نفع وإذا ظهر علانيه استُئصل وأُبيد.

۵. وقوله: (ابرنذع): تهيأ واستعد. إنَّ معنى البرذع هُوَ التهيؤ والاستعداد؛ فيكون معنى الحِلْس والحليسه هُوَ التهيؤ المنقطع سريعاً، وذلك بالتنامى التدريجى للقوّه العجول الدفعى المنقطع سريعاً.

ما هُوَ معنى (البيت) الذى وَرَدَ فِى الروايه:

ثمَّ إنَّ معنى البيت فى هذهِ الروايات أيضاً هُوَ استعمال كنائى، يُراد به لزوم المنهاج الذى عليه المؤمن - منهاج أهل البيت(عليهم السّلام) - فالبيت هُوَ بيت

۱- آل عمران: آيه۱۱۸.

الإيمـان وبيت المؤمنين وجماعتهم، كَمَا أطلق عَلَى بلاد المؤمنين وبلـدهم ومجتمعهم دار الإيمان فِي قِبال دار الإسـلام وفى قبال دار الكفر، فالـدار هِيَ الكيـان الاجتمـاعى، وكـذلك الـبيوت، والـبيت نظير إطلاـق البيوت فِي آيه النور بمعنى الرجـال الَّذِيْنَ لا تلهيهم تجاره ولا بيع عَنْ ذكر الله تَعَالَى، أى: إنَّ قوله(عليه السّـلام): «كن حِلْساً مِنْ أحلاس بيتك»، أى: اسـتقم عَلَى ما أنت عليه مِنْ الإيمـان وبيئه المؤمن والتزام جماعه المؤمنين، وبنمط ورَوِّيه الخفاء وكتمان موضع القوّه والضـعف فى المؤمنين عَنْ الأعـداء والمخالفين، والمواصله فى مشروع أهل البيت(عليهم السّلام) بدون صخب فى العلانيه تثير الأعداء وتعرقل مسيره الإيمان.

فالعمده فى هذهِ الوصيه المُسْتفيضه فى رواياتهم جمله مِنْ النُّقاط:

الأُولى: الاستقامه والثبات عَلَى الإيمان.

الثَّانيه: التزام السِّرِّيه والخفاء.

الثَّالثه: التمركّز فى بيت الإيمان وجماعه المؤمنين، وعدم اتّخاذ ولائج وانتماءات خارجه عنهم.

والتمركّز لا يعنى التقوقع الجغرافى بقدر ما هُوَ تمركز الاستراتيجيّه ومنظومه الولاء، والتحالف مَعَ المؤمنين.

وأين هَذا المعنى البديع مِنْ المعنى المغلوط المشتهر تقليديّاً فى الأذهان مِنْ معنى الجمود وترك الحبل عَلَى الغارب والتفرّج مِنْ بعيـد، والتخلّى عَنْ جمله مِنْ المسؤوليّات الخطيره؟! كما أنَّ المعنى الصـحيح المتقـدّم لا يعنى الصـخب فى العلانيه، والجهار فى إذاعه الأسرار والصراخ والضجيج فى كُلّ الأُمور، فالنشاط وتحمّل المسؤوليّه لا يعنى الضجيج والصخب وإعلان

الأسرار للأعداء فی العلانیه، وکذلک الخفاء والکتمان لا یعنی الجمود والانعزال والتفرّج مِنْ بعید، ولنا فی الإمام المهدی(عجل الله تعالی فرجه الشریف) القدوه البالغه؛ فإنَّه(عجل الله تعالی فرجه الشریف) فی قمّه الخفاء مَعَ قمّه تحمّل کافه المسؤولیّات فی کُلّ الساحات والمیادین الساخنه والبارده.

وَهَذا اللسان - کُن حلساً مِنْ أحلاس البیوت- فی الروایات کثیر، ومفاده لا یتّضح تماماً، إلّا بمقارنته بطوائف روایات أُخری فی هَذا الشأن؛ کون منظومه الدِّین واحده لا تتّحدد الرؤیه فیها إلّا بالمجموع وتفسیر کُلّ بعض بالأبعاض الأُخری، وکذلک العکس.

فمثلاً: نجد روایه صحیحه أعلائیه، بلْ قطعیه الصدور یرویها الصدوق، عَنْ الفضیل بن یسار النهدی ومشارکته مَعَ زید الشَّهید فی ثورته، مَعَ أنَّ الفضیل مِنْ تلامیذ الإمام الباقر والصادق(علیهاالسّلام) المبرّزین، والروایه هی قول الفضیل: «انتهیت إلی زید بن علیّ صبیحه خرج بالکوفه، فسمعته یقول: مَنْ یُعیننی منکم عَلَی قتال أنباط الشام، فوالذی بعث محمداً بالحقِّ بشیراً، لا یُعیننی منکم عَلَی قتالهم أحد إلّا أخذت بیده یوم القیامه فأدخلته الجنّه بإذن الله.

قال: فلمّا قُتل اکتریت راحله وتوجهت نحو المدینه، فدخلت عَلَی الصادق جعفر بن مُحمَّد(علیه السّلام)، فقلت فی نفسی: لا أخبرته بقتل زید بن علیّ فیجزع علیه. فلمّا دخلت علیه، قال لی: یا فضیل، ما فعل عمّی زید؟ قال: فخنقتنی العبره. فقال: قتلوه؟ قلت: إی والله، قتلوه. قال: فصلبوه؟ قلت: أی والله، صلبوه. قال: فأقبل یبکی ودموعه تنحدر عَلَی دیباجتی خده کأنّها الجمان.

ثمَّ قال: يا فضيل، شهدتَ مَعَ عمّی قتال أهل الشام؟ قلت: نَعَمْ. قال: فكم قتلت منهم؟ قلت: ستّه. قال: فلعلك شاكّ فی دمائهم؟ قال: فقلت: لو كنت شاكّاً ما قتلتهم. قال: فسمعته وَهُوَ يقول: أشركنی الله فی تلك الدماء، مضی - والله- عمّی وأصحابه شُهداء مثلما مضی علیّ بن أبی طالب(عليه السّلام) وأصحابه»(۱).

والذی نُريدُ أنْ نقوله: إنَّ الإمام(عليه السّلام) لمْ ينكر عَلَی الفضيل مشاركته، بلْ أكَّد له ألّا يتردّد فيما قام به مِنْ قتلهم، بلْ أعطاه مبلغاً مِنْ المال يوزِّعه عَلَی عوائل الشهداء.

كذلك روايات كثيره أكدت أنَّ الذی يحجزهم عَنْ النهوض هُوَ عدم استقامه محبّيهم عَلَی تحمّل شدّه المسؤوليه، وأنّهم لو وجدوا أنصاراً لخرجوا عَلَی الظالمين.

وفی هَذا الصدد نذكر ما رواه الكلينی فی روضه الكافی بسند متّصل، عَنْ أبی هيثم بن التيهان، قال: إنَّ أمير المؤمنين(عليه السّلام) خطب الناس فی المدينه، ثمَّ ذكر الخطبه - الخطبه الطالوتيه-: «قال: ثمَّ خرج مِنْ المسجد فمرَّ بصيره - حظيره- فيها نحو مِنْ ثلاثين شاه، فقال: والله، لو أنَّ لی رجالاً ينصحون لله (عَزَّ وَجَلَّ) ولرسوله بعدد هذهِ الشياه لأزلت ابن آكله الذبان عَنْ ملكه. فلما أمسی بايعه ثلاثمائه وستّون رجلاً عَلَی الموت، فقال أمير المؤمنين: اغدوا بنا إلی أحجار الزيت مُحَلِّقين. وحَلَق أمير المؤمنين، فما وافی مِنْ القوم مُحلِّقاً إلّا أبو ذر، والمقداد، وحذيفه بين اليمان، وعمّار بن ياسر، وجاء سلمان فی آخر القوم، فرفع يده [أمير المؤمنين(عليه السّلام)] إلی السماء فقال: إنَّ القوم استضعفونی كما استضعف

۱- الصدوق، محمّد بن علی، الأمالی: ص ۴۳۰-۴۳۱.

بنو إسرائيل هارون... لولا عهدٌ عهده إلىَّ النَّبى الأمّى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) لأوردت المخالفين خليج المتيّه، ولأرسلت عليهم شآبيب صواعق الموت، وعن قليلٍ سيلعمون»(۱).

وقريب منه ما رواه الخزّاز بسنده المُتّصل، عَنْ جابر بن يزيد الجعفى، عَنْ أبى جعفر مُحمَّد بن على الباقر(عليه السّلام): «... قلت: يا سيدى، أليس هَذا الأمر لكم؟ فَلِمَ قعدتم عَنْ حقِّكم ودعواكم، وقدْ قال الله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِى الله حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ}؟ قال: فما بال أمير المؤمنين(عليه السّلام) قعد عَنْ حقّه، حيث لمْ يجد ناصراً، أو لمْ تسمع الله تعالى يقول: - فى قصه لوط(عليه السّلام) لقومه- {لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيد}، ويقول فى حكايه عَنْ نوح: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانتَصِر}، ويقول فى قصّه موسى(عليه السّلام): {رَبِّ إِنِّى لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِى وَأَخِى فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِين}، فإذا كَانَ النَّبى هكذا فالوصى أعذر، يا جابر مَثَل الإمام مَثَل الكعبه إذْ يؤتى ولا يأتى»(۲).

وقريب منه ما رواه فى علل الشرائع(۳) بسنده، عَنْ ابن مسعود، عَنْ أمير المؤمنين(عليه السّلام)، وقريب منه أيضاً ما وَرَدَ فى الاحتجاج(۴)عَنْ أمير المؤمنين(عليه السّلام) بَعْدَ رجوعه مِنْ النهروان، وذكر المجلسى فى علّه قعوده عَنْ قتال مَنْ تآمر عليه مِنْ الأوّلين، وعلّه قعود مَنْ قعد منهم(عليهم السّلام) ، وذكر المجلسى روايه أُخرى عَنْ الاحتجاج قوله(عليه السّلام): «لو وجدتُ يومَ بويع أخو تيم أربعين رهطاً لجاهدتهم فى

۱- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج۸، ص۳۳.

۲- الخزّاز القمّى، على بن محمّد، كفايه الأثر: ص۲۴۷-۲۴۸.

۳- اُنظر: الصدوق، محمد بن علىّ، علل الشرائع: ج۱، ص۱۴۸، باب۱۲۲، ح۶.

۴- اُنظر: الطبرسى، أحمد بن علىّ، الاحتجاج: ج۱، ص۱۸۷-۱۸۸.

الله...»(۱).

وكذلك الصدوق(۲) فی الأمالی بسند معتبر عَنْ المفضل، وكذلك الطوسی فی أماليه(۳).

وقدْ جمع المجلسی فی هَذا الباب - باب العلل- كثيراً منها مُتضمِّناً لهذا التعليل.

وكذلك ما وَرَدَ - متعدّداً- مِنْ أنَّه: كَانَ قدْ قرر أنْ يكون الحسين(عليه السّلام) هُوَ المهدی ولكن بدا لله فيه.

فيظهر أنَّ الذی يؤخِّر إقامه دولتهم هُوَ تخاذل المؤمنين عَنْ الالتزام العالی الكبير بالمسؤوليّه الثقيله، وَهَذا ما تواترت به الأخبار، بلْ والآيات الكريمه واضحه الدلاله بالمضمون والصراحه فی ذلك، قال تعالی: {الآنَ خَفَّفَ الله عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً}(۴).

فالأُمَّه - إذاً- واقعها هُوَ الضعف عَلَی مختلف الأصعده، الدينيّه والحياتيّه، المادّيه والمعنويه.

ويتحصّل ممّا تقدَّم: أنَّ معنی الحِلْس هُوَ الثبات وعدم الانتقال عَنْ المسار العقائدی والدينی بالانجرار خلف تيارات الباطل والزيغ، وَهَذا ما توضّحه لنا الآيه الكريمه فی قوله تعالی: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ}(۵).

۱- المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۲۹، ص۴۲۰.

۲- اُنظر: الصدوق، محمّد بن علیّ، الأمالی: ص۳۱۱.

۳- اُنظر: الطوسی، محمد بن الحسن، الأمالی: ص۳۸.

۴- الأنفال: آيه۶۶.

۵- الأنفال: آيه۶۰.

موسی(علیه السّلام) حِلْس البیوت

قد روی الکلینی مرفوعه علیّ بن عیسی، قال: «إنَّ موسی(علیه السّلام) ناجاه الله تعالی، فقال الله فی مناجاته: یا موسی... وکُنْ خَلِقَ الثیاب جدید القلب تخفی علی أهل الأرض، وتُعرَف فی أهل السماء حِلْسَ البیوت مصباح اللیل... یا موسی، کُنْ إمامهم [العباد] فی صلاتهم، وإمامهم فیما یتشاجرون، واحکم بینهم بما أنزلتُ علیک، فقد أنزلتُ حُکماً بیّناً وبرهاناً نیّراً ونوراً ینطق»(۱).

فی الحدیث القُدْسی یأمر الله (عَزَّ وَجَلَّ) موسی بأن یکون حِلْساً من أحلاس البیوت، ومع ذلک فإنّه لم ینافِ الأمر بإقامه الحکم الإلهیّ بین الناس وإقامه التوراه؛ ممّا یدلل علی أنّ المراد الحقیقی والصحیح من الحِلْس هو السرِّیه والخفاء فی الإقامه فی بیت مشروع الحقِّ، والثبات علی النهج الصحیح، وعدم الانجرار مع کلّ اتّجاه وکلّ رایه مرفوعه، بل الأمر بالحِلْس والخفاء فی البیوت، فی حین الأمر بقیاده الناس هو قمّه النشاط والدور الفاعل ورفع الفتنه والنزاع بین البشر، وبذلک یظهر جلیاً أنّ الأمر ب-(کُن حِلْساً من أحلاس بیتک) هو الخفاء والسرِّیه فی مواجهه العدو فی حین الإقامه فی بیت کیان الحقّ، ولیس أمراً ودعوی إلی الجمود والسکون، والوهن والضعف، والاستضعاف والتفرّج للأحداث من دون الخوض فی إداره إصلاحها.

۱- الکلینی، محمّد بن یعقوب، الکافی: ج۸، ص۴۲. الصدوق، محمّد بن علیّ، الأمالی: ص۶۰۲، المجلس ۷۷، ح۶. ولکن فی أمالی الصدوق مسنده بسندٍ حَسَنٍ، عن عبد الله بن سنان.

كيف؟ وقد ورد فى الروايات المستفيضه - كما فى روايات الزيارات العديده- الذمّ الشديد للضعف والوهن، والسكون والضراعه، والاستكانه والتتعتع، والهلع والتضييع والتخلف، بينما أمر بالقوّه والنهوض، والبروز والنطق، والمحافظه والإقدام والإعداد، وإن لم يكن ذلك بمعنى الحدّه والسخونه، والتهوُّر والصخب، والإفشاء والإذاعه للأسرار الأمنيّه وكشف المستور، بل هو أمر ذكى فى الآليّات والخطوات للخطط.

وفى عدّهٍ من زيارات لأمير المؤمنين(عليه السّلام) ولسيِّد الشهداء(عليه السّلام)، منها عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، قال: «... وجاء رجلٌ(۱) مسرع مسترجع وهو يقول:... قويتَ حين ضَعُفَ أصحابُه، وبرزتَ حين استكانوا، ونهضتَ حين وهَنوا، ولَزِمتَ منهاج رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)... ولم تَضرَّع برغمِ المنافقين وغيظِ الكافرين وكُرهِ الحاسدين وصِغَرِ الفاسقين، فقمتَ بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، ومضيتَ بنور الله إذ وقفوا، فاتّبعوك فهُدوا، وكنتَ أخفضهم صوتاً وأعلاهم فوتاً، وأقلهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأكثرهم رأياً، وأشجعهم قلباً، وأشدّهم يقيناً...»(۲).

۱- ورد أنّ ذلك الرجل هو الخضر.

۲- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج۱: ص۴۵۴، ح۴. الصدوق، محمّد بن علىّ، الأمالى: ص۳۱۳.

فهم جديد لمعنى (حين) التى وردت فى الزياره

القضيه الحِينيّه

الوسطيّه فى ميزان العمل

الدور المنقذ لتوازن سفينه المؤمنين والمسلمين عن الغرق المتطرِّف

ذُكر فى المنطق - بعض أوصاف- القضيه الحِينيّه، وهى: (أنّ المحمول فِعليُّ الثبوت للموضوع حين اتّصافه بوصفه)، وما أوردناه فى زياره أمير المؤمنين(عليه السّلام) - يشبه ذلك- وهو أنّه(عليه السّلام) حين يأفل عمل القوم، وحين يضعف صبرُهم يبرز صبرُه(عليه السّلام)، حين يُتعتع القوم ينطق(عليه السّلام)، وليس دائماً، فهذا الوصف ثابت فِعلاً للإمام(عليه السّلام) حين يتّصف القوم بعدم ذلك، فهو دور موازن، وهذا دور آخر غير الدور الذى لأمير المؤمنين(عليه السّلام)، والذى هو ثابت له على الدوام، وهو عمله الدائم كمكلف بالإمامه والقياده، وبالتكاليف الشرعيه كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغيرها، وهذا تفسير لمعنى الوسطيّه فى العمل والتكليف(۱)، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ}(۲).

۱- وقريب من هذا المعنى ما ذكر علماء أُصول الفقه فى معنى الوسطيّه - فى التنجيز أو التكليف- وهى: أنّ المكلَّف فى ظرف الاضطرار يمكنه أن يأتى بثمانيه أجزاء من العمل المركب من عشره أجزاء؛ لأنّ الثمانيه مُجزِيَه فى ظرف الاضطرار، ومطلوبه على كلِّ حال .

۲- البقره: آيه۱۴۳.

الوسطيّه فی قوام العمل حين عَجْز الأمّه

المُعادِل الموضوعی

العامل المشترک الأکبر

الوسطيّه بمعنی (بيضه القبّان)

أمير المؤمنين(عليه السّلام) هو الميزان - وهو القبّان- وهو قسيم الجنّه والنّار، وهو مع الحقِّ والحقُّ معه، وبه تُعرَف الرجال، ولكن هـذا لا يمنع أن يكون له دور آخر، وهو الوسـطيّه فی توازن وميزان الأُمور، بمعنی بيضه القبّان - لو صـحّ التعبير- وهذا الدور هو أحد أدواره التی سنّها فی نهج ومنهاج الدين.

وبه يكون دوره أُمّهً، قال تعالی: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّهً قَانِتاً لِله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ}(۱)، أی: رغم كونه ميزاناً تُوزَنُ به الخلق كذلك هو توازن للخلق، أی: أحد أهمّ عناصر الميزان، عناصر التوازن.

وهـذا الدور العظيم - دور بيضه القبّان- مرتبط بشـكل وثيق مع برنامج الرقابه الأمنی - دور الشـهاده علی الأُمّه- للذين أمنوا، قال تعـالی: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَـاكُمْ أُمَّهً وَسَـطاً لِّتَكُونُـواْ شُـهَدَاءَ عَلَی النَّاسِ وَيَكُـونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَـهِيداً}(۲)، فقـد ارتبطت الوسـطيّه بالشهاده؛ ولذلك فإنّ (إمساك العصا من الوسط) ضمان أكيد للنجاه من السقوط فی حضيض المتشابهات الفتّانه.

۱- النحل: آيه ۱۲۰.

۲- البقره: آيه۱۴۳.

أيُّها المؤمن

كُنْ كموسى(عليه السّلام) حِلْسَ البيت جديد القلب، وكما كان يوسف(عليه السّلام). ولا بدّ أن تكون فى الحدث، فإن الوسطيّه بمعنى المعادل الموضوعى والعامل المشترك الذى لا غنًى لكثير من العمليّات التدبيريّه - الحسابيه- عنه.

على(عليه السّلام) خير قدوه حين يحدث فتور نسبى فى الأُمّه يشرق نور علىٍّ(عليه السّلام)، حينما تسكت الأُمّه عن الباطل يظهر نور الحقِّ من علىٍّ(عليه السّلام)، ما أن تبرد الأُمّه حتى يبعث فيها السخونه، ولعله أحد معانى إثاره دفائن العقول - الذى هو من أهمّ وظائف الأنبياء- فالعقول مفطوره على الدين، وأنّ الأنبياء يثيرون دفائنها.

ومن ذلك تلخَّصَ: أنّ المراد من الحِلْس هو الثبات، وأن لا يبرح المؤمن من استقامته على انتمائه الى منهاج وخطّ أهل البيت(عليهم السّلام) والملازمه على ذلك، ولا تأخذه الاتّجاهات والجماعات المختلفه يميناً ولا شمالاً؛ لأنّ المراد الجمود والتفرّج وترك الأُمور على غاربها، وعدم الاكتراث بالأُمور التى لا تصبّ فى اتّجاه منهاج أهل البيت(عليهم السّلام) ، أى: بقدر ما هُمْ مع المنهاج فنعم، وبقدر ما يبتعدون فلا، لا أنّ المعنى الجمود واللامسؤوليّه والذوبان فى المادّيه والذاتيّه، والاستمتاع بلذّه الوداعه والراحه والخمول وبهجه الحياه الدنيا.

ثمَّ إنَّ هاهنا أصلاً وقاعده أُخرى.

الصَبْر والتصبُّر

إنّ الصَبر والتصبُّر لا يعنى الجمود، بل الاندفاع فى النشاط والفاعليّه والتخطيط لتدابير متعدّده واسعه.

وقد ورد فی روایات مستفیضه - بل متواتره- ذمُّ الاستعجال والنهی عن الاندفاع الساخن، إلّا أنّ الکلام یقع فی حقیقه المعنی المراد منه متوازناً مع الأبواب الأُخری، الوارده فیها أیضاً روایات متواتره دالّه علی قواعد دینیّه أُخری، فالنظم المتوازن بینهما هو الجادّه المستقیمه والنمرقه الوسطی.

أذاً؛ للصبر فی منهاج أهل البیت(علیهم السّلام) تفسیر یختلف عن المناهج الأُخری، سواء الإسلامیّه أو غیر الإسلامیّه، بل أنّ بعض المناهج السائره علی منهج أهل البیت(علیهم السّلام) ترجّلت فی فهم (عدم الصبر أو الجزع) فی سیر ومسیر أهل البیت(علیهم السّلام) أین ومتی یکون؟ وما هی مساحته؟

وقد تقدّم سابقاً فی الروایه عن الإمام الصادق(علیه السّلام) - بل الروایات الکثیره- أنّ الجزع وعدم الصبر یعنی النشاط والحراک والحرکه قبل وقوع القضاء والقدر؛ طمعاً فی سعه المشیئه وسعه الرحمه الإلهیّه.

ثمَّ إنّ الجزع وعدم الصبر لا یعنی الاعتراض علی القضاء والقدر کما قد یتصور البعض، بل إنَّ ساحه الصبر بعد وقوع القضاء والقدر.

القاعده الثانيه

إعداد القوّه

وأعدّوا...

قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ...}(۱)، وهذه الفريضه القرآنيّه العظيمه ليست مختصّه بباب الجهاد وحال مناجزه العدو، بل هى مطلقه على الدوام أن يبنى المؤمنون أنفسهم وقوّتهم صرحاً يهابه العدو، ورادعاً له عن التطاول. وبيان ذلك بأُمور:

الأول: نرى الآيه فرّقت معنى القوّه عن رِباط الخيل، وكأنّها تُشير إلى أنّ القوّه بحسب المعنى أوسع من معنى القِوى العسكريّه التى أحد مصاديقها (رِباط الخيل).

الثانى: هذا التفريق والتمييز واضح فى الآيات القرآنيه، قال تعالى: {قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ}(۲)، فالآيه هنا فرّقت القوّه عن البأس الشديد، أى: بيّنت أنّ معنى القوّه أوسع من معنى القوّه البدنيّه والعسكريّه، ومن معانى القوى الأُخرى، كقوله تَعَالَى: {وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً...}(۳)، فقد أُشير - فى

التفاسير -

۱- الأنفال: آيه ۶۰.

۲- النمل: آيه ۳۳.

۳- النحل: آيه ۹۲.

إلى أنّ معنى القوّه هو الإحكام والإبرام.

الثالث: كذلك طَلَبُ ذى القرنين القوّه من القوم الذين استنجدوه، وهى الإعانه الماليّه والبدنيّه، قال تَعَالَى: {قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّهٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً}(۱)، وهكذا آيات أُخرى تُشير إلى أنّ معنى القوّه معنى أوسع من معنى القوّه البدنيّه والعسكريّه.

إذن؛ يتبيَّن أنّ عنوان ومعنى القوّه معنىً مطلق شامل لكلِّ أنواع القوّه، سواء القوّه العسكريّه أو غير العسكريّه، ومن الواضح أيضاً أنَّ القوّه غير العسكريّه لها مصاديق كثيره، منها: القوّه العلميّه، والقوّه السياسيّه، والقوّه الاقتصاديّه، والقوّه الاجتماعيّه وغيرها، رغم أنّ الآيه قالت بعد ذلك: (ومن رباط الخيل)، فيظهر أنّ القوّه المعطوف عليها رباط الخيل شىء آخر أعمّ من رباط الخيل؛ فتكون القوّه العلميّه فى التطور العلمىّ على المستوى السياسىّ والذكاء السياسىّ، وكذلك على المستوى الاقتصادى؛ فإنّ القوّه الاقتصاديّه قوّه لا ينكرها عاقل، كذلك القوى التى ذكرناها، بل أنّ القوّه الاجتماعيه والوجاهه الاجتماعيه والتأثير فى المجتمع أيضاً قوّه أُخرى.

وكلّ هذه المصادر للقوّه تولِّد هيبه تُرهِب العدو المتربِّص بنا، والقضيه غير مختصّه بوجود معركه أو معركه وشيكه، بل على العكس القوّه تُبنى فى وقت السِّلْم للأسباب التاليه:

۱. لأنّها تتنامى من الدرجه البسيطه، ثمَّ تتصاعد إلى الدرجه العليا، وهذا التنامى يكون فى وقت السِّلْم بشكل أفضل.

۲. إنّ وقت الحرب ليس وقت بناء للقوّه، بل هو وقت استخدام لما

۱- الكهف: آيه۹۵.

بَنَيْتَه من قوّه، وهذا واضح، فإذا لم تكن بَنَيْتَ قوّتَك فی وقت سابق سوف تُهْزَم فی الوقت اللاحق، أی: وقت الحرب.

۳. إنّ وقت السِّلْم وقت صحیح لبناء القوّه بصوره هادئه ورصینه.

فینبغی تحشید الهِمَم والإرادات والعزائم للقیام بالمسؤولیّه، وتخطیط برنامج یقوم بعبئ ضخامه الحدث: «ونُصرتی لکم مُعدّه»(۱)، وهذا النصّ ورد مستفیضاً فی زیارات أهل البیت(علیهم السّلام) ، سواء فی جانب الملف الأمنیّ أو العسکریّ أو التعبویّ للنفوس ولحماس الهِمَم، أو فی الملف السیاسیّ أو المالیّ والاقتصادیّ، أو فی الملف العقائدیّ والفکریّ والإیدلوجی فی الملفات الأُخری، من الرعایات الحازمه التی یلزم علی المؤمن النهوض بها.

قال تعالی: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ}(۲).

وهذهِ الآیه ترسم أصلاً مُحکَماً وقاعده خطیره استراتیجیه، ألا وهی أنَّ بناء القوّه لَیسَ له سقف یقف عنده، بلْ هُوَ أُفق مفتوح لا یتناهی، بلْ فی قوله تعالی: {یَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَان}(۳)، ودعوه للبشر إلی إنماء سلطان قوّتهم إلی القدره علی النفوذ من أقطار السموات والأرض.

فإذاً؛ بناء القدره والقوّه لیس له سقف فی دعوه القرآن، نعم استخدام القوّه تّجاه الآخرین ولو کانوا من الأعداء المُعتدین له سقف وحدّ محدود، کما

۱- الشهید الأوَّل، محمد بن مکّی، المزار: ص۱۲۵.

۲- الأنفال: آیه ۶۰.

۳- الرحمن: آیه۳۳.

أنّ استخدام القوّه تّجاه الآخرين حاله استثنائيه واضطراريه، وليست حاله أوليه فى منطق القرآن ومدرسه أهل البيت(عليهم السّلام) .

فبين بناء القوّه وإعدادها مع استخدام القوّه واستعمالها بون شاسع، ومن ذلك يُفهَم التوصيه ب- «كُن حِلْساً من أحلاس بيتك»، أنّه ليس دعوى لعدم بناء القوّه لكيان الإيمان والمؤمنين، بل غايته عدم استخدام واستعمال القوّه تّجاه المخالفين لدعوتهم إلى الهدى والحقِّ، لا أنّها وصيه وتوصيه منه(عليه السّلام) لترك بناء القوّه أو إيقاف مسيره بنائها ، وكم بين المعنيين من فرق شاسع.

ومن ثَمَّ نلاحظ أنّ أتباع أهل البيت(عليهم السّلام) كانوا قلّه بعدد الأصابع فى الصدر الأول، ثمَّ كيف تناموا إلى يومنا هذا، وليس ذلك إلّا من بناء القوّه والقدره لا من إيقافها؛ ومن ثَمَّ ولأجل هذا الأصل والقاعده العظيمه قام كلُّ ظالم بقتل إمام من أئمّه أهل البيت الأحد عشر(عليهم السّلام) واستئصاله، إمّا بالسّم أو القتل، رغم أنّ أئمّه أهل البيت(عليهم السّلام) من الإمام السجّاد(عليه السّلام) إلى الإمام الحسن العسكرى(عليه السّلام) لم يستعملوا القوّه، لكن خلفاء بنى أُمّيه وبنى العباس لمسوا منهم التنامى فى القوّه؛ فمِنْ ثَمَّ استشعروا الخطر على ملكهم، فقاموا بتصفيتهم، بينما لم يَقدِم بنو أُمّيه وبنو العبّاس على قتل أحد من علماء المخالفين إلّا نادراً، وهذا برهان قاطع من سيره أئمّه أهل البيت(عليهم السّلام) على الإصرار فى بناء القوّه والقدره وتناميها وتمدّدها بلا حدود. فبين بناء القوّه والقدره مع استخدامها تمايز كبير وقد وقع الخلط عند كثيرين، بل بقى هذا الخلط معشعشاً قروناً إلى يومنا هذا.

إذاً؛ بناء القوّه والقدره المُتنامى فائدته الردع للعدو عن الطمع فى مقدرات المؤمنين والمسلمين، وهو من باب (الوقايه خير من العلاج)، بينما

استخدام القوّه هو من العلاج بعد وقوع الابتلاء بمرض اعتداء المعتدى لإزاله ذلك العدوان، بل إنّ تنامى القوّه والقدره له خاصيه أُخرى، وهى خاصيه إزاله العدوان أيضاً، بنحو سلميّ تلقائيّ عفويّ.

ومن ثَمَّ يتبيَّن أنّ الهدنه - التى أوصى بها أئمّه أهل البيت(عليهم السّلام) فى زمن الغيبه الكبرى- لا تتنافى مع ضروره بناء وتنامى القدره، بل بينهما كمال الوئام والتلازم؛ فإنَّ الهدنه تعنى فيما تعنيه الحفاظ عَلَى مقدّرات معسكر الإيمان وكيانه، وَهَذا لا يتمُّ بمُجرَّد ترك المناوشه مَعَ الخصم والعدو المخالف، وبمُجرَّد الكفّ وصرف ترك المُنابذه والمُنازله، فإنَّ ذلك بمجرّده لا يحقّق الأمان والحفظ، بلْ لا بدَّ مِنْ اعتماد بناء القوّه وتنامى القُدره كى يكون ذلك مُلجأً للعدو والخصم عَلَى رعايه الهُدنه، ورادعاً له عَنْ الطمع فى نكث الهُدنه والقيام بالعدوان والتجاوز، ألا ترى فى هُدنه الإمام الحسن مَعَ معاويه، لمْ تكن تلك الهُدنه متمخّضه فى الكفّ عَنْ القتال، بلْ أكثر بنود ذلك الاتّفاق كَانَ فيه المحافظه مِنْ الإمام الحسن(عليه السّلام) وشيعته عَلَى إبقاء القوّه والقُدره وعدم تسليمها لمعاويه.

وَمِنْ ثَمَّ؛ كَانَ أوَّل بند مِنْ بنود الإمام الحسن(عليه السّلام) أنَّ أخاه الإمام الحسين(عليه السّلام) لا يدخُل فى هذهِ الهُدنه، بلْ يظل خطّاً ساخناً يمكن تفعيله فى أىّ وقت، مُضافاً إلى البنود الأُخرى الصريحه فى ذلك.

فمفهوم الهُدنه وعنوانها هُوَ الآخر مِنْ العناوين الَّتِى حصل الالتباس فى مفهومها ومعناها، كالتوصيه الوارده: «كن حِلْساً مِنْ أحلاس بيتك» كما مرَّ.

فبالدقّه عندنا أصلان: أصل تنامى القوّه والقُدره السِّياسيّه والعسكريّه،

وأصل آخر وَهُوَ تنامی القوّه والقُدره التکنولوجیّه والعلمیّه، ولیسَ معنی القوی والقُدره السِّیاسیه أو التکنولوجیّه أو حتّی الاقتصادیّه لَیسَ المقصود منها الدوله فقط، باعتبار أنَّ السِّیاسیّه أو الصناعیّه بیدها، بلْ الأمر والمسؤولیّه عَلَی الجمیع أفراداً أو مجتمعات أو دولاً کُلّاً بحسبه، کما وَرَدَ: «کلّکم راعٍ وکلّکم مسؤول عَنْ رعیته»(۱).

۱- المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۷۲، ص۳۸. المجلسی، محمد تقی، روضه المتّقین: ج۵، ص۵۱۵. البخاری، محمد بن إسماعیل، صحیح البخاری: ج۱، ص۲۱۵.

طَلَبُ العِلْمِ ونَشْرُه

كما أنَّ هُناك أصلاً وقاعده ثالثه وهی (طَلَبُ العِلم ونشره)، فإنَّه أیضاً لا سقف له، وكذلك الدلالات المُسْتفیضه للآیات القُرآنیه الحاثّه عَلَی العلم، أی: عَلَی طلبه، بلْ تحثّ عَلَی عدم الوقوف عَلَی حدّ فی طلب العلم، كما فی قوله تعالی: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِی عِلْم عَلِیم}(۱)، وكذلك الحال فی مجال نشره، كما فی قوله تعالی {فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَهٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَهٌ لِّیَتَفَقَّهُواْ فِی الدِّینِ وَلِیُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَیْهِمْ لَعَلَّهُمْ یَحْذَرُون}(۲).

وكذلك الأحادیث النبویّه الكثیره الَّتِی منها: «اطلب العِلمَ مِنْ المهد إلی اللّحد»(۳)، وكما أنَّ الحال فی استثمار العلم وتسخیره وتطویعه أصل رابع مبنی عَلَی موازین وضوابط، ولیسَ مفتوحاً بنحو انفلاتی، فهذهِ قواعد أربع لها ركنیّه كبیره فی تبیان قِوام منهاج أهل البیت(علیهم السّلام) فی دعوتهم لإظهار الإیمان عَلَی كافّه أرجاء الأرض .

۱- یوسف: آیه۷۶.

۲- التوبه: آیه۱۲۲.

۳- الشهید الثانی، زین الدین بن علیّ، الرعایه فی علم الدرایه: هامش ص۵۴.

القاعده الرابعه

(كلُّكم راعٍ)

قاعده: عموم المسؤوليّه على الجميع، مع:

- عدم سقوطها ولو تقاعس الأغلب.

- عدم عذريه ترك المسؤوليّه لو تخاذل الأكثر.

قال النَّبِيّ(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته»(۱).

وهذه الوصيه النبويّه الخطيره لم تقصر المسؤوليّه على بعض دون البعض، ولا على النخب دون عامّه آحاد الأُمّه، بل كلٌّ من موقعه يتحمَّل الثقل والعِبء، سواء قام الآخرون بمسؤولياتهم أم تخلّوا عنها.

قاعده الرعايه «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته»، قاعده عظيمه ومهيمنه تُمنهِج وتُبرمِج إعداد القوّه، رغم أنّ قاعده إعداد القوّه قاعده عظيمه وكبيره ومطلقه أيضاً، ولكن كيفيّات الإعداد ومتعلّقات الإعداد من حيث المسؤوليّات لا تتمَنهَج إلّا من خلال تلك الكلمه النبويّه الجامعه: «كلُّكم راعٍ».

فالرعايه مسؤوليّه، أى: أنّ الراعى مسؤول، لذلك قال النبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته»، أى: أنّ هذه المسؤوليّه تلاحقك فى الدنيا والآخره، وأنت مسؤول قَبْل العمل وحين العمل وبعد العمل، ومسؤول أيضاً لو تركت العمل أو قصرت فى العمل، وأنت مُجازى بأحسن الجزاء لو

۱- المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۷۲، ص۳۸. المجلسى، محمد تقى، روضه المتّقين: ج۵، ص۵۱۵. البخارى، محمد بن إسماعيل، صحيح البخارى: ج۱، ص۲۱۵.

أنجزت العمل بالصوره المطلوبه.

كما أنّ لنا قـدوه عظيمه بإمام عصـرنا صاحب والعصـر والزمان المهدى؛ حيث إنّ تطاول الدهور والعصور على الظهور بمشـروعه الإلـهىّ بإقـامه دوله العـدل والقسط فى سائر أرجاء الأرض لم يُثنه عن الاسـتقامه والرباط والمرابطه على الطريق لتحقيق الهـدف، ولاـ زعزع طول المـدّه من أمله ورجائه بالله تعالى فى تقـدير وتـدبير الفتـح والنصـر، فكم هائل وعظيم هـذا الإصـرار من التحمّل لإداره المضى بالمسؤوليّه والتخطيط عِبَر عشره قرون، وهذا ينتج عدّه أُمور:

١. إنّ الصـبر على الشـدّه وطول المـدّه فى تحمّـل المسؤوليه والعِبء الثقيـل لَهو من أعظم مـا يميِّز عظمه الإمـام صـاحب العصـر والزمان.

٢. إنّ الصبر والرباط والمرابطه على الطريق لتحقيق الهـدف بتفاؤل ملؤه أمل ورجاء بالله تعالى فى تقـدير وتـدبير الفتـح والنصـر، رغم ما مرّت من عقبات وأزمات وكوارث وانتكاسات وفتن حلّت بالمؤمنين.

٣. هـذه الثقه المطلقه بـالله تعـالى التى لاـ يزعزعهـا شـىء، وهى من أهم بل الأهم فى رسم خارطه المسـير والمسار الصـحيح فى تحمّل المسؤوليّات للتعامل مع متطلبات العصر الراهن.

٤. إنّ أصـحاب وأنصـار الإمام من الأبـدال الأوتاد - لا الأدعياء- فى دولته الخَفِيّه الآن، وهم قـدوه أُخرى لنا للثبات على صـراط الحقِّ والمسير والمسار القويم الصحيح.

نعم، لا محوريّه مستقلّه لهم، بل محوريّتهم تابعه لمحوريّته.

فإذاً؛ نحن مسؤولون عن إعداد القوّه، ونحن مسؤولون عن رعايتها ولو تخاذل الأغلب، ولا عُذرَ لنا ولو تخاذل الأكثر.

القاعده الخامسه

التقيّه الذكيّه وترقيه تنامى الحسّ الأمنى

مقدّمه

لقاعـده التقيّه الأمنيّه موقعيّه مهمّه، فهى قَبل الجهاد الـدفاعى ومعه وبعـده، فإنَّ التقيّه الأمنيّه هى قبل الجهاد الدفاعى بكلِّ أنواعه؛ لأنّهـا تبـدأ من الـدرجه البسـيطه، وهى معه لأنّها حارسه له وخطّ سانـد له من الخرق الـداخلى للعـدو، وهى حصانه من الاختراق الأمنى والاستخبارى الذى يمكن للعدو إحداثه فى جسد المجتمع المؤمن، وكذلك هى بعد الانتصار العسكرىّ أو - لا قدرَّ الله- بعد الفشل العسكرىّ حمايه وحصانه من زياده الفشل والتردّى لأجل لملمه الجُراحات.

إذاً؛ موقعيه قاعـده التقيّه الـذكيه الأـمنيّه موقعيّه عظيمه فى الـدين وفى السير والمسير السياسـىّ والاجتماعىّ، كما هو حال الإمام المهـدى(عجل الله تعالى فرجه الشـريف) الآن فى غيبته، وحال الأوتاد والأبـدال الـذين يعملون معه فى غيبته، فهـذه القاعده عامّه وشامله لكلِّ زمان ومكان، وخصوصاً زمن الغيبه.

وفى الحقيقه: إنَّ عِزَّ الأُـمم وقوّتهـا وفخرهـا هو بوجود الجنود فى الخفـاء (الجنود المجهولون)، الـذين يقومون بتحصـين وحمايه المجتمع من أن تميـد بهم الأـرض، بـل إنّ أحـد تفاسـير «لولا الحجّه لساخت الأرض بأهلها»، ليس أن تسـيخ الأرض فقط بأهلها تكويناً بسبب الملكوت بالقضاء والقَدَر

الإلـهی، بـل أیضـاً بحسب الأسـباب الطبیعیّه، أی: لولاـ رعـایه الإمـام(عجـل الله تعـالی فرجه الشـریف) وفعـل الإنسـان الکامل – بالأسـباب الطبیعیّه الإداریّه والتدبیریّه والتنظیمیّه– بإحداث الموازنات والمعالجات السیاسیّه والأمنیّه والاجتماعیّه الظاهریّه والخفیّه وکلّ المجالات المعیشیّه الأُخری لساخت الأرض بأهلها.

الإعداد الأمنی

۱. أحـد أهمّ مسـتندات هـذه القاعـده هی نفس قوله تعالی: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْـتَطَعْتُم مِّن قُوَّهٍ}(۱)؛ فـإنَّ قوله تعالی: {مِّن قُوَّهٍ}. تشـمل کُلّ مستویات القوّه، سواء کانت قُوّه عسکریّه أو استخباریه – وهی الإعداد الأمنیّ– أو غیرهما، وإنَّ قاعده الإعداد الأمنیّ مهیمنه عَلَی قواعـد الجهاد الـدفاعی الَّتِی سـنذکرها، حَیْثُ إنَّها قَبل الجهاد الـدفاعی ومعه وبعـده، فإنَّ الجهد الاسـتخباری الأمنیّ الاجتماعیّ، جارٍ فی السلم والحرب.

مِنْ جهه أُخری، فـإنَّ تتمّه الآـیه تقـول: {وَآخَرِینَ مِن دُونِهِمْ لاَـ تَعْلَمُـونَهُمُ الله یَعْلَمُهُمْ}(۲)، وفیهـا إشاره إلی أنَّ هُناک عـدواً – متربِّصاً– خفیّاً سوف یُردع، سواء کَانَ خارجیّاً أو داخلیّاً.

۲. تعاکس الإعداد الأمنی مَعَ قواعد الجهاد الدفاعی.

مِنْ الطریف أنَّ قاعـده الإعـداد الأمنی مُتمازجه ومُتداخله مَعَ الجهاد الدفاعی، ومَعَ ذلک هی مُتعاکسه، ولیسَ معنی التعاکس هُوَ التضاد، بلْ هُوَ تعاکس السیر المنظومی لتنامی هذهِ القواعد مَعَ القاعده الأُخری.

فإنَّ قاعده الإعداد الأمنی تنطلق مِنْ المستوی البسیط وتتنامی إلی

۱– الأنفال: آیه ۶۰.

۲– الأنفال: آیه ۶۰.

المستوى العالى، تبدأ كشيءٍ بسيط، وكخليه صغيره ثمَّ تكبر، أمَّا الجهاد فإنَّه يبدأ مِنْ الدرجه الأعلى، فَإنْ عجز عنها وجبت عليه الدرجه الأدنى وهكذا .

التقيّه والكتمان حارس الإعداد

يمكن استيضاح معنى الحراسه مِنْ عِدَّه نقاط:

أوَّلاً: وَرَدَت روايات كثيره فى الحثّ عَلَى التقيّه، حتّى عُدّت مِنْ ضروريات المذهب، بلْ هُوَ وارد فى مضامين آيات كثيره، قَالَ تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}(۱)، وهذهِ الآيه وَرَدَ فِى تفسيرها بنحو مستفيض أو متواتر أنَّها فى التقيّه، ونرى الإمام الصادق(عليه السّلام) يطبِّقها عَلَى مِثل ميثم، فيقول(عليه السّلام): «ما منع ميثم رحمه الله مِنْ التقيّه؟! فوالله، لَقَدْ عَلم أنَّ هذهِ الآيه نزلت فى عمّار وأصحابه...»(۲).

وكذلك مِنْ الآيات، قوله تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ}(۳).

كذلك قوله تعالى: {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِى شَىْءٍ إِلّا أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً}(۴).

والتقيّه الَّتِى نُريدها فى هذهِ القاعده تقيّه فى بُعْد خاص، وليسَ التقيّه بعرضها العريض الشمولى؛ فتكون آيات وروايات التقيّه شامله لِمثل موردنا - وَهُوَ التقيّه (الذكيه) الأميّه- لعمومها وشمولها.

۱- النحل: آيه۱۰۶.

۲- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج۲، ص ۲۲۰.

۳- غافر: آيه۲۸.

۴- آل عمران: آيه۲۸.

ثانياً: الآيات والروايات لا تقتصر - بحسب ظهورها- عَلَى التقيّه بالعنوان والبُعد الفردى، أو بالمعنى المعهود - وهى تقيّه الخوف- بلْ إنَّ النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وأهل بيته(عليهم السّلام) وسّعوا عنوان التقيّه إلى التقيّه التعليميّه (الأمن التعليمىّ أو المعلوماتى) والتقيّه المُداراتيه، قَالَ(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أنْ نُكلِّم النَّاس عَلَى قَدِر عقولهم»(۱)، وكذلك قول أمير المؤمنين(عليه السّلام) فِى وصف النَّبِىّ(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «فبعثه اللهُ بالتعريض لا بالتصريح»(۲)، وكذلك قوله(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «أُمرتُ بمداراه الناس»(۳)، وكذلك قول الإمام الصادق(عليه السّلام): «ما كلّم رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) العبادَ بكُنه عقلِه قطُّ»(۴)، إلى غَير ذلك مِنْ الروايات فى هَذا المضمون.

وقدْ سبق أنْ ذكرنا أنَّ قول الإمام(عليه السّلام): «التقيّه دينى ودين آبائى، ولا إيمان لِمَنْ لا تقيّه له»(۵).

فالإمام(عليه السّلام) بِهَذَا يعتبر أنَّ التقيّه منهاج عمل له ولآبائه المعصومين(عليهم السّلام) ، ثمَّ يعمّم هَذا المنهاج لكلِّ المؤمنين، ويعتبر أنَّ مَنْ لا يعمل بالتقيّه لا دين له، وَهَذا اللسان الشديد يُستشعر منه أنَّ القضيه ليست عملاً عَلَى مُستوى الفرد والأفراد فَقَطْ، بلْ هُوَ عَلَى مُستوى أعظم وأهمّ، وَهُوَ العمل الاجتماعى، بلْ أيضاً فِى السلوك الدينىّ والسِّياسىّ.

۱- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج۱، ص۲۳.

۲- الطبرسى، أحمد بن علىّ، الاحتجاج: ج۱، ص ۳۸۰.

۳- المجلسى، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۷۴، ص۱۵۱.

۴- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج۱، ص۲۳.

۵- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج۲، ص۲۱۹، ح۱۲. الحرّ العاملى، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج۱۶، ص ۲۱۰، ح۲۴.

ثالثاً: الكتمان الصحيح (الممدوح):

لو راجعنا مضامين الروايات الَّتِي ذكرت أُسلوب التقيّه الذى اتّبعه النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) فى المُجْتَمع لشَاهَدْنا أنَّ تكليم النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) الناسَ عَلَى قدر عقولهم، وَلَيْسَ عَلَى قدر عقله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، يعنى أنَّه لمْ يكشف الحقائق الَّتِي يعلمها؛ لأنَّ النَّاس لا تتحمّل كلّ ما يحمله النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، وأنَّ هُناك بَعْض الحقائق لا يصحّ كشفها للناس، وأنَّ الناس مراتب، فإنَّ ما يُكشف مِنْ الحقيقه - والَّتِي هى أمر لا متناهى- للمعصومين(عليهم السّلام) لا يتحمَّله الأبدال والأولياء، كَمَا هُوَ الحال فيما جرى بين الخضر(عليه السّلام) وموسى(عليه السّلام)، فضلاً عَنْ أنْ يتحمّله النَّاس، كذلك الحال بالنسبه إلى أصحابه(صلّى الله عليه و آله وسلّم) غَير المعصومين(عليهم السّلام) ، ما يكشفه النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) لسلمان غَير ما يكشفه لأبى ذرّ أو لعمّار (رض)، فالنَّاس معادن وطبقات ودرجات مِنْ التحمّل والقُدره.

فإذا عرفنا هَذا فَإنَّهُ ينبغى أنْ لا نزن الأُمور بميزان واحد، ونكيل النَّاس بمكيال واحد، وأنَّ مُستوى الأخذ غَير مُستوى العطاء، وَهَذَا ما تبيِّنه لنا وبشكل جلى روايه عمّار بن أبى الأحوص، قَالَ: «قلت لأبى عبد الله(عليه السّلام): إنَّ عندنا قوماً يقولون بأمير المؤمنين(عليه السّلام) ويفضّلونه عَلَى الناس كلّهم، وَلَيْسَ يصفون ما نَصِفُ مِنْ فضلكم، أنتولاهم؟ فَقَالَ لى: نعم فِي الجمله، أليس عِنْدَ الله ما لَيْسَ عِنْدَ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، ولرسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) عِنْدَ الله ما لَيْسَ لنا، وَعِندنا ما لَيْسَ عندكم، وعندكم ما لَيْسَ عِنْدَ غيركم، إنَّ الله وضع الإسلام عَلَى سبعه أسهُم: عَلَى الصبر، والصدق، واليقين، والرضا، والوفاء، والعلم، والحلم، ثمَّ قسَّم ذَلِكَ بين الناس، فَمَنْ جعل فيه هَذِهِ السبعه الأسهم فَهُوَ كامل محتمل، ثمَّ لبعض الناس السهم، ولبعضهم السهمين، ولبعض الثلاثه الأسهُم

ولبعض الأربعه الأسهُم... فلا تحملوا عَلَى صاحب السهم سهمين، ولا عَلَى صاحب السهمين ثلاثه أسهُم ... فتثقلوهم وتنفّروهم، ولكن ترّفقوا بهم وسهّلوا لهم المدخل...»(۱).

رابعاً: الكتمان السيئ (المذموم):

القُرآن الكريم ما انفكّ يندّد بالذين يكتمون البينات، قَالَ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُون}(۲)، الآيه تُبيِّن أنَّ هُناك لعناً لِمَنْ يكتم البيّنات، وقدْ عرفنا أنَّ الروايات تذمّ مَنْ لا يكتم؛ فإذن لَيسَ الكتمان عَلَى إطلاقه صحيحاً، وَلَيْسَ البيان عَلَى إطلاقه صحيحاً، فهُناك موارد ليست مِنْ موارد التقيّه والكتمان، ومَعَ ذلك لَيسَ كُلّ ما هُوَ بَيِّن يجب كشفه، بلْ هُناك مِنْ البيِّنات ما يجب سترها وعدم إشاعتها، قَالَ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَهُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَهِ وَالله يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}(۳)، فإنَّ كتمان الفاحشه لجهه أُخرى غَير حيثيّه التقيّه.

فيجب أنْ نُميِّز بين ما يُبيِّن وما يُشاع وما يُكتم، وهُناك أصل آخر لمْ يتركه القُرآن، وَهُوَ ما إذا لمْ يعرف النَّاس بعض الماهيات المستجدّه والأُمور الطارئه المستجدّه المرتبطه بالوضع العام الَّتِي لعلَّها تخفى عَلَى المُجْتَمع، فيذمُّ وينهى عَنْ إذاعتها والعجله فى إعلانها قَبل التعرُّف عَلَى أنَّها مِنْ الَّتِي يجب

۱- الصدوق، محمّد بن علىّ، الخصال: ص۳۵۴، ح۳۵. الحرّ العاملى، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج۱۶، ص۱۶۴، ح۹.

۲- البقره: آيه۱۵۹.

۳- النور: آيه۱۹.

إذاعتها أو كتمانها، فكأنَّ الآيه تُعطی قاعده مُهمّه وجدیده للفرد المؤمن وللمجتمع ككلّ وهی أنَّ الأصل فی مستجدات الأمور المتعلِّقه بالوضع العام هُوَ إرجاعها إلی أُولی الأمر المعصومین(علیهم السّلام) ، قَالَ تعالی: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَإِلَی أُوْلِی الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ}(۱).

فإذاً؛ الأصل هُوَ الحذر والتثبّت والیقظه، والبصیره فِی معرفه أنّها مِنْ أیّ نوع.

تقیّه الکتمان مراتب ودرجات

وَرَدَت روایات تُبیِّن مدی العقوبه الَّتِی تنال المذیع للسرّ، فما معنی السّر؟ وما معنی إذاعته؟ قبل أنْ نبدأ لا بدَّ أنْ نُبیِّن أنَّ تقیّه الکتمان عَلَی درجات:

۱. قَالَ أبو عبد الله(علیه السّلام): «إنِّی لأُحدِّث الرَّجُلَ الحدیثَ فینطلق فیحدِّثُ به عنّی کَمَا سمعه، فأستحلُّ به لعنه والبراءه منه»(۲). وَهَذا یُشیر إلی أنَّ الکتمان واجب عَلَی مَنْ یحدِّثُه الإمام(علیه السّلام) فی (لفظ الحدیث) حَیْثُ یکون أصل لفظ الحدیث واجب الکتمان.

وهُناک أحادیث وَرَدَت فی کتمان تأویل الحدیث وإنْ کَانَ نصُّ ولفظُ الحدیث غَیرَ واجب الکتمان، کَمَا عَنْ ابن مسکان، قَالَ سمعت أبا عبد الله(علیه السّلام) یقول: «قوم یزعمون أنِّی إمامُهم، والله، ما أنا لهم بإمام، لعنهم اللهُ؛ کُلّما سترتُ ستراً هتکوه، أقول: کذا وکذا. فیقولون: إنَّما یعنی کذا وکذا. إنَّما أنا إمام مَنْ

۱- النساء: آیه۸۳.

۲- النعمانی، محمّد، الغیبه: ص۴۳، ح۷.

أطاعنی»(۱)، وهُنا نری الإمام لمْ یکذِّب تأویلهم للحدیث؛ لأنَّ التأویل صحیح، ولکنَّه أنکر علیهم عدم کتمانهم لتأویل الحدیث.

وهُناک روایات تُشیر إلی أنَّ التقیّه فی کتمان الحدیث مراتب، فمرتبه کتمانه عَنْ الأعداء ومرتبه منها کتمانه عَنْ المحبّین والأولیاء، کَمَا فی قول أمیر المؤمنین(علیه السّلام): «أتحبّون أنْ یُکذَّبَ اللهُ ورسولُه؟! حدِّثوا النَّاس بما یعرفون، وأمسکوا عمّا ینکرون»(۲).

وکذلک عَنْ عبد الأعلی بن أعین، عَنْ أبی عبد الله جعفر بن مُحمَّد(علیه السّلام) أنَّه قَالَ: «لَیسَ هَذا الأمر معرفه ولایته فقط، حتّی تستره عمَّن لَیسَ مِنْ أهله، وبحسبکم أنْ تقولوا ما قُلْنا، وتصمتوا عمّا صمتنا؛ فإنَّکم إذا قلتم ما نقول وسلمتم لنا بمثل ما آمنا به، قَالَ الله تعالی: {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ}(۳)، قَالَ عَلیّ بن الحسین(علیهاالسّلام): حدِّثوا النَّاس بما یعرفون ولا تحمّلوهم ما لا یُطیقون فتغرّونهم بنا»(۴).

وقصّه المعلّی بن خنیس واضحه الدلاله فی ذلک، فَعَنْ حفص بن نسیب، قَالَ: دخلت عَلَی أبی عبد الله(علیه السّلام) أیّام قتل المعلّی بن خنیس مولاه، فَقَالَ لی: «یا حفص، حدَّثت المعلّی بأشیاء فأذاعها فابتُلی بالحدید، إنِّی قلت له: إنَّ لنا حدیثاً مَنْ حفظه علینا حفظه الله، وحفظ علیه دینه ودنیاه، ومَنْ أذاعه علینا سلبه الله دینه ودنیاه، یا معلّی، إنَّه مَنْ کتم الصعب عَنْ حدیثنا جعله الله نوراً

۱- المصدر نفسه.

۲- المصدر السابق: ص۴۱، ح۱.

۳- البقره: آیه۱۳۷.

۴- النعمانی، محمد، الغیبه: ص۴۲-۴۳، ح۴.

بين عينيه ورَزَقَه العزَّ فى النَّاس، ومَنْ أذاع الصعب مِنْ حديثنا لمْ يمت حتّى يعضّه السلاح أو يموت مُتحيِّراً»(۱).

فإذاً؛ هذهِ مسؤوليّه يجب أنْ يتحلّى بها المؤمنون فى كتمان حديث أهل البيت.

۲. أوردَ صاحب الوسائل جمله مِنْ الروايات فى أبواب الكتمان، ومنها باب كتمان الدِّين عَنْ غَير أهله، منه روايه سليمان بن خالد، قَالَ: قَالَ أبو عبد الله(عليه السّلام): «يا سليمان، إنَّكم عَلَى دين مَنْ كتمه أعزّه اللهُ، ومَنْ أذاعه أذلّه الله»(۲).

التقيّه من الجهلاء أشدّ من الأعداء

ورد فى الحديث الشريف عن النبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «الناسُ أعداء ما جَهِلوا»(۳)، يُشير هذا الحديث إلى أنّ أهمّ وأعمّ مصادر العداوه هو الجهل، حيث يجعل الصديق عدواً. فكشف بعض الحقائق التى لا يتحمّلها الجاهل بها يؤدّى به إلى إنكارها، لأنّ عقله – مثلاً– لا يستوعبها، وإذا أنكرها فإنّه ينكر العقل الذى يحملها، وبالتالى ينكر الشخص الذى يحملها.

والذى تتولّد عداوته لك من خلال إنكاره ما تحمل من علم – مع أنّه كان صديقاً حميماً سابقاً، أو لا أقل لم يكن من الأعداء– تكون عداوته أشدّ لعدّه عوامل:

أولاً: لأنّه عدو خفىّ؛ باعتبار أنّك تعتقد أنّه فى سِلم وسلام معك، وإذا

۱– المصدر نفسه: ص۴۵، ح۱۲.

۲– الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج۲، ص۲۲۲، ح۳. الحرّ العاملى، محمد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج۱۶، ص۲۳۵، ح۱.

۳– خُطب أمير المؤمنين علىّ(عليه السّلام)، نهج البلاغه: ج۴، ص۴۲.

به يفاجئك فى يوم من الأيام بعداوته لك.

ثانياً: أنّه قد يُعين أعداءك الحقيقيين على قتلك أو محاربتك.

ثالثاً: أنّه يقتلك مادّياً أو معنوياً - ويحسب أنّه يحسن صُنعاً- ويتقرَّب بقتلك إلى الله.

رابعاً: أنّه إن لم يقتلك مادّياً فإنّه بالتأكيد سيقتلك معنويّاً؛ لأنّه يعتقد أنّك باطل.

فإن الإنسان لعلّه بنفسه يحدث الفتنه على نفسه من خلال إظهار ما لا يصح إظهاره وإذاعه ما لا يصح إذاعته، ومن هنا يُنصح بعدم التعسُّف فى استخدام الحقِّ، رغم أنّ الحقَّ إلى جانبك، بل بالرِّفق واللِّين؛ ولذلك ورد عن أبى جعفر(عليه السّلام) قال: «قال رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم): إنّ الرِّفق لم يُوضع على شىء إلّا زانه، ولا نُزِعَ من شىءٍ إلّا شانه»(۱).

ومن هنا؛ ورد قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(۲)، فإنّ القرآن لم يقل: اقتُلوهم. وإنّما قال: احذروهم. والحذر أنواع ومراتب أهمّها عدم إظهار ما لا يصح إظهاره؛ لأجل إداره وتدبير الشؤون الحياتيّه. وهذا معنىً آخر من معانى ما ورد من جواز الكذب على الزوجه، فليس الكذب بمعناه المعهود، إنّما هو بمعنى عدم إظهار كلّ الحقيقه؛ لأنّ البيان الكامل يؤدّى إلى العداوه.

وما دام الإنسان فى معركه مع عدوٍ داخلى وهو النفس، وعدو خارجى

۱- الكلينى، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج۲، ص۱۱۹.

۲- التغابن: آيه۱۴.

مخالف له فی فهم الحقائق والأفکار؛ فإنّه یسوغ له استعمال الخدعه - بقدر الضروره- لأجل أن یخادع خداعهم ویوهم جانب الجهل فیهم؛ فإنّ: «الحرب خدعه»(۱)، کما فی الحدیث الشریف، فینبغی استخدام الخدعه بقدر الضروره، وبقدر مستوی العداوه ونوع العداوه.

فینبغی بالإنسان أن یخطط بخفاء لمواجهه مستوی الخداع أو الجهل الموجود فی النفس الأمّاره بالسوء، أو الجهل الموجود عند الأزواج أو الأولاد أو الأعداء الحقیقیین، وهذا یحتاج إلی ضابط ومیزان لا یسقط فیه التدبیر إلی الازدواجیه، بل یبقی علی الاستقامه بتدبیر خفیّ یُحرس فیه الأمن؛ ولذلک حذَّر المعصوم(علیه السّلام) المؤمنین من استخدام التقیّه فی غیر موطنها، کما فی احتجاج الحسن العسکری(علیه السّلام) - فی حدیث- أنّ الرضا(علیه السّلام) جفا جماعه من الشیعه... فقال لهم: «وتتّقون حیث لا تجب التقیّه، وتترکون التقیّه حیث لا بدّ من التقیّه»(۲).

المذیع جاحد

فی روایه عن معلّی بن خنیس، عن أبی عبد الله(علیه السّلام) - فی ذیلها- «إنّ المذیع لأمرنا کالجاحد له»(۳)، وفی حدیث آخر عن محمّد الخزّاز، عن أبی عبد الله(علیه السّلام)، قال: «مَن أذاع علینا حدیثنا فهو بمنزله مَنْ جحدنا حقَّنا»(۴)، فما هو

۱- الحمیری، عبد الله بن جعفر، قُرب الإسناد: ص۱۳۳.

۲- الطبرسی، أحمد بن علیّ، الاحتجاج: ج۲، ص۲۳۷. الحرّ العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۱۶، ص۲۱۷.

۳- الکلینی، محمّد بن یعقوب، الکافی: ج۲، ص۲۲۴، ح۸.

۴- المصدر نفسه: ج۲، ص۳۷۰، ح۲.

السبب يا ترى فى تشدّد الروايه بجعل المذيع كالجاحد؟!

والجواب يبيّنه الحديث الشريف، عن نصر بن صاعد مولى أبى عبد الله(عليه السّلام)، عن أبيه، قال: «سمعت أبا عبد الله(عليه السّلام) يقول: مذيع السرِّ شاكٌّ، وقائله عند غير أهله كافر، ومَن تمسَّك بالعروه الوثقى فهو ناجٍ. قلتُ: ما هو؟ قال: التسليم»(۱).

من الأُمور المهمّه التى ينبغى الالتفات إليها أنّ الإنسان إذا أراد أن يهدم مشروعاً أو مخطّطاً لأعدائه؛ فإنّ من جمله الأُمور التى تؤدِّى إلى قتل ذلك المخطّط فى مهده هو كشفه؛ لأنّ الكشف والفضح لما هو مستور - ومُدبَّر بليل- يعنى تهديم ذلك المخطّط وقطع الطريق على الماكرين.

ونفس الكلام ينطبق على أسرار مشروع أهل البيت(عليهم السّلام) ، فالمذيع جاحد وقاتل عمد - وليس قاتل خطأ- لأنّه قاطع طريق، بمعنى يقطع الطريق على مسيره الحقِّ ويُفشل كلَّ المخطّطات الحقَّه - الخفيّه- لمنهاج أهل البيت(عليهم السّلام) فى هدايه المجتمع، أو مواجهه الأعداء، والحال أنّ السلاح السرّى أقوى تأثيراً؛ فيكون سلب هذا السلاح - الذى هو الورقه الرابحه والثابته- خساره كُبرى؛ فهو ورقه رابحه لأنّه السلاح الأقوى والأبقى صموداً أمام العدو، وهو ورقه ثابته لأنّها فى ظرف السِّلم والحرب، وفى ظرف العمل السرّى والعلنى - سيان- لأنّ العمل العلنى والمواجهه العلنيّه لا توجب مُتاركه العمل الخفىّ والسرّى والتخطيط السرّى، فهو باقٍ على كلِّ حال، فأىّ كشف له ولو لبعض فقراته يكلِّف مسار أهل البيت(عليهم السّلام) والمؤمنين الشىء الكثير، بل الشىء الذى لا يُجبر كسره، ولهذا شدّد الإمام(عليه السّلام) النكير على مَن يكشف السرَّ.

۱- المصدر نفسه: ج۲، ص۳۷۲، ح۱۰.

الكتمان والإذاعه... المذيع سرّنا كقاتلنا عمداً

عن أبی حمزه، عن علیّ بن الحسین(علیه السّلام) قال: «وددت - والله- أنّی افتدیت خصلتین فی الشیعه لنا ببعض لحم ساعدی: النزق، وقلّه الکتمان»(۱)، والنزق هو الخفّه والطیش.

فیا تری ما هی عظمه تلک الخصال التی یفدی الإمام بها لحم ساعده، فهل المقصود الکتمان علی المستوی الفردی، أو هو علی المستوی الاجتماعی والسیاسیّ، وتطبیق قاعده الکتمان فی البُعد السیاسیّ، وهو بُعدها الأهمّ والأبلغ ضرورهً، الذی تُشیر إلیه روایات کثیره، منها ما رواه أحمد بن محمّد بن أبی نصر قال: سألت أبا الحسن الرضا(علیه السّلام) عن مسأله فأبی وأمسَک، ثمَّ قال: «لو أعطیناکم کما تریدون، کان شرّاً لکم وأخذ برقبه صاحب هذا الأمر... وأنتم بالعراق ترون أعمال هؤلاء الفراعنه وما أمهل الله لهم، فعلیکم بتقوی الله ولا تغرّنکم [الحیاه] الدنیا، ولا تغترّوا بمَن قد أمهل له، فکأنّ الأمر قد وصل إلیکم»(۲)، کذلک قال محمّد بن مسلم: سمعت أبا جعفر(علیه السّلام) یقول: «یُحشر العبد یوم القیامه وما نَدِیَ دماً، فیدفع إلیه شبه المحجمه أو فوق ذلک، فیُقال له: هذا سهمک من دم فلان، فیقول: یا ربّ، إنّک لتعلم أنّک قبضتنی وما سفکت دماً فیقول: بلی سمعت من فلان روایه کذا وکذا، فرویتها علیه فنُقلتْ حتی صارت إلی فلان الجبّار فقتله علیها، وهذا سهمک من دمه»(۳).

فیتحصّل من هاتین الروایتین - وروایات أُخری بنفس المضمون-: أنّ

۱- المصدر السابق: ج۲، ص۲۲۲، ح۱.

۲- المصدر السابق: ج۲، ص۲۲۵، ح۱۰.

۳- المصدر السابق: ج۲، ص۳۷۰، ح۵.

أیّ خبر یُحتمل من إذاعته الخطر علی مقدّرات جماعه المؤمنین ومسار أهل الإیمان، أو أحداً من شیعته لا یصح، بل لا یجوز کشفها.

وفی هذا الصدد هناک روایات تُشیر إلی وجوب کتمان الأمر ولو کان یؤدّی إلی الخطر من بعید - وبصوره غیر مباشره- لأنّ بعض موارد الإذاعه تؤدّی إلی قتلهم معنویّاً واجتماعیّاً؛ فیؤدّی بالتالی إلی قتلهم ماديّاً، فعن إسحاق بن عمّار، عن أبی عبد الله(علیه السّلام) وتلا هذه الآیه: {ذَلِکَ بِأَنَّهُمْ کَانُواْ یَکْفُرُونَ بِآیَاتِ الله وَیَقْتُلُونَ النَّبِیِّینَ بِغَیْرِ الْحَقِّ ذَلِکَ بِمَا عَصَواْ وَّکَانُواْ یَعْتَدُونَ}(۱)، قال: «والله، ما قتلوهم بأیدیهم ولا ضربوهم بأسیافهم، ولکنّهم سمعوا أحادیثهم فأذاعوها فأُخذوا علیها فقُتلوا؛ فصار قتلاً واعتداءً ومعصیه»(۲).

والأمر لا یقتصر علی البُعد السیاسیّ فقط؛ فإنّ الإمام الباقر(علیه السّلام) یضع ضابطه عامّه ومهمّه فی کیفیّه التصرُّف فی ظلّ الحکومات الظالمه، عن أبی بصیر قال: قال أبو جعفر(علیه السّلام): «خالطوهم بالبرانیّه وخالفوهم بالجوانیّه إذا کانت الإمره صبیانیّه»(۳)، بل یؤکِّد(علیه السّلام) الابتعاد عن القتل المعنویّ - أی: القتل فی البُعد والموقع الاجتماعی أیضاً- ولیس القتل المادّی فقط، فلا ینبغی ولا یجوز زجّ النفس فی ذلک، بل هو من الکبائر العظیمه، فعن هشام الکندی قال: سمعت أبا عبد الله یقول: «إیاکم أن تعملوا عملاً یُعیِّرونا به؛ فإنّ ولد السوء یُعیِّر والده بعمله، کونوا لمَن انقطعتم إلیه زیناً ولا تکونوا علیه شیناً، صلوا فی عشائرهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، ولا یسبقونکم إلی

۱- البقره: آیه ۶۱.

۲- الکلینی، محمّد بن یعقوب، الکافی: ج ۲، ص ۳۷۱، ح ۶.

۳- المصدر نفسه: ج ۲، ص ۲۲۰، ح ۲۰.

شیء من الخیر فأنتم أوْلی به منهم، والله، ما عُبد الله بشیء أحبّ إلیه من الخبء. قلت: وما الخبء؟ قال: التقیّه»(۱)، بل الإمام الصادق(علیه السّلام) ینفی الإیمان عمَّن لا یتّقی، فعن عبد الله بن أبی یعفور، عن أبی عبد الله(علیه السّلام)، قال: «اتّقوا علی دینکم فاحجبوه بالتقیّه؛ فإنّه لا إیمان لمَن لا تقیّه له، إنّما أنتم فی الناس کالنحل فی الطیر، لو أن الطیر تعلم ما فی أجوافها ما بقی منها شیء إلّا أکلته، ولو أنّ الناس علموا ما فی أجوافکم أنّکم تحبّونا أهل البیت لأکلوکم بألسنتهم ولَنَحَلُوکم فی السرّ والعلانیه، رحم الله عبداً منکم کان علی ولایتنا»(۲).

۱- المصدر نفسه: ج۲، ص۲۱۹، ح۱۱.

۲- المصدر السابق: ج۲، ص۲۱۸، ح۵.

الجندی الخفی (المجهول)

یکتم إیمانه

قَالَ تعالی: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَکْتُمُ إِیمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا}(۱).

هذهِ الآیه تمدح مؤمن آل فرعون عَلَی کتمانه لإیمانه؛ باعتبار أنَّ کتمان الإیمان کَانَ تقیّهً خوفاً مِنْ آل فرعون، وقدْ وَرَدَت روایات تُشبِّه أبا طالب مؤمن قریش بمؤمن آل فرعون، وتُبیِّن العلّه الَّتِی دعت أبا طالب(علیه السّلام) لکتمان إیمانه، فَعَنْ الشعبی یرفعه عَنْ أمیر المؤمنین(علیه السّلام)، قَالَ: «کَانَ - والله- أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مُسلماً، یکتم إیمانه مخافهً عَلَی بنی هاشم أنْ تنابذها قریش»(۲).

وحینما یقول أمیر المؤمنین(علیه السّلام): (مخافهً عَلَی بنی هاشم)، أی: بما هُم یمثّلون القیاده الدینیّه، واستئصالهم مِنْ قبل قریش استئصال للدین، ولولا حمایه ورعایه أبی طالب الخفیّه الغیبیّه لهم لنابذتهم قریش، ولولا هَذا الدور الرئیس مِنْ الحمایه والرعایه لمْ یکن أبو طالب لیحمی بنی هاشم، فکَانَ کعنصر توازن، وکترس حامی وحمایه بهدنه مستمرّه بینهم وبین قریش.

وما خفیَ مِنْ دور أبی طالب(علیه السّلام) أعظم، وَمِنْ خلال قرینه تشبیهه بمؤمن آل فرعون وبقرائن أُخری نستطیع أنْ نقرأ أبا طالب(علیه السّلام) مِنْ خلال القُرآن، أی: نقرأ دوره قراءه قرآنیه.

۱- غافر: آیه۲۸.

۲- الموسوی، فخار بن معد، الحجّه عَلَی الذاهب إلی تکفیر أبی طالب: ص۱۲۲. الحرّ العاملی، محمّد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۱۶، ص۲۳۱.

فقدْ كانت مهام كثيره قام بها مؤمن آل فرعون أهمّها حمايه خليفه الله؛ ولذلك كَانَ يخاطبهم: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ}(۱).

وكَانَ مؤمن آل فرعون يجلس مجالسهم تقيه، لكنَّهُ لَيسَ منهم، كَمَا فى الحديث: «كُنْ فى الناس ولا تكن معهم»(۲).

كذلك قوله تعالى: {وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَهِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِين}(۳).

وَهَذا المؤمن لمْ يمنع القتل عَنْ النَّبِيّ موسى(عليه السّلام) فقط، بلْ كَانَ يملك حسّاً استخباريّاً عاليّاً، بَلْ أيضاً هُوَ اخترق جهات التخطيط والتنفيذ لدى النظام الباطل الفرعونىّ.

إنَّ هَذا المؤمن الذى يكتم إيمانه قدْ جعل نفسه جنديّاً استخباراتيّاً أو (جنديّاً مجهولاً) اخترق أعداء الإسّلام لأجل أنْ يؤمّن المؤمنين، وكَانَ يجالس أهل الباطل ويأكل ويشرب معهم ولم يكن منهم، بلْ جنَّد نفسه حمايه وحصانه لجماعه الإيمان، ولولاه لقُتل خليفه الله، وَهَذا الدور أيضاً قام به بشكل واضح وكثير أبو طالب(عليه السّلام)، فما أعظمه مِنْ دور، وَهُوَ فى الحقيقه دور أُمَّه ودور جيش كامل، وَهُوَ حسّاس ومُهم إذَا أُنجز بشكل مُتقَن، فيمكن - إذنْ- للمؤمن أداء دور حسّاس بلا استنزاف لطاقات مادّيه وبشريّه، ويمكن مِنْ خلاله إنقاذ جماعه الإيمان وليسَ إنقاذهم فَقَطْ، بلْ جلب المعلومات النافعه لهم، وكشف كُلّ المُخطّطات والتآمر الذى يُخطّط ضدّ المؤمنين.

۱- غافر: آيه۲۸.

۲- الخراسانى القاينى، محمد تقى، مفتاح السعاده فى شرح نهج البلاغه: ج۴، ص۹.

۳- القصص: آيه ۲۰.

أصحاب الكهف

تتميماً لما سبق أنَّ مؤمن آل فرعون كَانَ يُجالس الفراعنه الفسقه ويشاركهم وَهُوَ كاتم لإيمانه، كَذَلِكَ أصحاب الكهف، وفى روايه تبيِّن عظم الدور الذى كَانوا يقومون به، فَعَنْ أبى عبد الله(عليه السّلام): «ما بلغتْ تقيّهُ أحدٍ ما بلغتْ تقيّه أصحاب الكهف، إنَّهم كانوا ليشدّون الزنانير، ويشهدون الأعياد، فآتاهم الله أجرهم مرّتين»(۱).

بلْ ما هُوَ أعظم مِنْ ذلك ذكره أبو عبد الله(عليه السّلام) فى روايه أُخرى: «إنَّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكُفْر، وكانوا عَلَى إجهار الكُفْر أعظم أجراً منهم عَلَى إسرار الإيمان»(۲).

الروايه الأُولى تُبيِّن أنَّ حضورهم إلى مجالس الفسق والفجور تقيّه لهم عظيم الأجر عَلَيْهَا، وهى لَيسَ تقيّه فرديّه كَمَا لعلَّه يتصوّر البعض - ومعنى التقيّه الفرديّه هى: التقيّه عَلَى المستوى الفقهى فِى البُعد الفردى- بلْ هى تقيّه عَلَى مُستوى العمل الاجتماعى، وَهُوَ أعلى مِنْ الفقه فِى البُعد الفردى، بلْ ثَمّه ما هُوَ أعلى مِنْ البُعد الاجتماعى، وَهُوَ العمل المنظومى السِّرى الدينىّ السِّياسى والاجتماعىّ الذى هُوَ عمل بناء الدوله الإلهيّه، وَهُوَ عمل منظومىّ سرّى خطير يصعب عَلَى كُلّ أحد القيام به، لكنَّهُ ممكن ومتصَوَر وموجود.

نَعَمْ، بابه لَيسَ مفتوحاً لادّعاء المُدَّعين؛ وذلك لأنَّ مُقْتضى منظوميّه السِّريه الكتوميّه هُوَ عدم البروز، فضلاً عَنْ الإبراز والتكلُّم.

وعدم التكلُّم لغه يفهمها مَنْ مارس العمل الاستخبارىّ، وهى لغه

۱- العيّاشى، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشى: ج۲، ص۳۲۳، ح۹.

۲- المصدر نفسه: ج۲، ص۳۲۳، ح۱۰.

أمنيّه خطره وحسّ اسه، أَسّ أساسها الكتمان، وأبسط وأسلس الحالات والقَصص الَّتِى تُذكر عَنْ رجال الاستخبارات الذين يخترقون المنظومات الأمنيه للدول والحكومات.

إنَّهم يعيشون ويموتون ولا يعلم حَتّى زوجاتهم وأهاليهم شيئاً عَنْ طبيعه عملهم؛ لأَنَّهُ فى عُرف الأمن الاستخبارى لو أنَّ شخصاً كشف حقيقته للناس فاللازم أنْ يُقتل، فكيف يصدّق النَّاس شخصاً يدّعى أنَّه متّصل بالإمام أو أنَّه مِنْ جنوده السرّيين؛ لأنَّ مُقْتضى السِّريه عدم الإبراز والكشف ومقتضى عدم الكشف هُوَ السِّريه، وإذا كَانَ سرّياً وَهُوَ الآن قَدْ كشف نفسه فقدْ كذب أو قدْ عزل نفسه عَنْ هَذا المنصب فى اللحظه الَّتِى تكلّم بها؛ لأنَّ وظيفه هَذَا المنصب والدور يلازم الخفاء ولا ينفكّ عنه، وكذلك عدم الكلام، فإذا تكلّم فَهُوَ كاذب ومناقض لدعواه.

والروايه الأُخرى فى شأن أهل الكهف عظيمه جدّاً، وفيها دور آخر ملازم للكتمان ومنبثق مِنْ قاعده الكتمان (التقيّه الذكيه)، وَهُوَ قول الصادق(عليه السّلام): «وكانوا عَلَى إجهار الكُفْر أعظم أجراً منهم عَلَى إسرار الإيمان»(1)، وَهَذا الدور فعلاً أعظم أجراً؛ لأنَّه عمل أعظم مِنْ نفس الكتمان، فالشخص حينما يكتم يمكن أنْ يسكت ويخفى نفسه عَنْ الآخرين، ويبتعد عَنْ أىّ تصريح أو تصرّف يكشف شخصيته الإيمانيّه، فتظنّ النَّاس مِنْ خلال سكوته وتصرّفه الانعزالى أنَّه عَلَى ما هُم عليه مِنْ نِحله أو مله ودين الكُفْر استصحاباً منهم؛ لكونه عَلَى دينهم.

۱- المصدر السابق.

قاعده أُخرى (تقيّه الاصطناع) ملازمه لقاعده (التقيّه الذكيّه)

اشاره

كتمان الإيمان دور عظيم، وَهُوَ المحافظه بالتقيّه عَلَى النفس أو عَلَى جماعه الإيمان، ولكن ما هُوَ أعظم هُوَ أنْ تبرُز للطرف المقابل وتُفهم الآخرين بتصرّف معيّن أنَّكَ عَلَى نِحلتهم أو ملتهم أو دينهم (الكُفْر)، وَهَذا الدور كَمَا فى (الروايه المُتقدمه) هُوَ قاعده أُخرى ملازمه لقاعده (الكتمان الذكىّ)، وهى قاعده (اصطناع الكُفْر تقيّهً وخداعاً للعدو)، فإنَّ (الحرب خدعه)؛ وذلك لأنَّ القاعده السابقه قاعده الكتمان الذكى شبيهه بمبدأ (الوقايه خير مِنْ العلاج)، حَيْثُ يقى الإنسان نفسه وهى شبيهه بالدِّفاع الوقائى، حَيْثُ يكون أهل الجهاد فى حاله تحصين لأنفسهم. كَذَلِكَ شبيهه بقوله تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَهُ}(۱)، فهُنا عمل عَلَى مُستوى التوقّى مِنْ النار (الخوف مِنْ النار)، أمَّا طلب الجنّه - وما هُوَ أعلى منها كعباده الأحرار- فَهِىَ مراتب أعلى وأجرها أكبر وأعظم. فهذهِ القاعده الجديده شبيهه بمعنى (الجهاد الاستباقى)، فَهُوَ دفاع بواسطه الاستباق؛ لأنَّ (الهجوم خير وسيله للدفاع)، وهى قاعده عظيمه وإقداميّه تقدُّميّه، وليست تقهقريّه تراجعيّه.

وفى روايه أُخرى عَنْ عبد الرحمن بن كثير، عَنْ أبى عبد الله(عليه السّلام) - فى حديث-: «أنَّ جبرائيل(عليه السّلام) نزل عَلَى رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) فقال: يا مُحمَّد، إنَّ ربّك يقرؤك السَّلام، ويقول لك: إنَّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرّتين، وإنَّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك

۱- التحريم: آيه۶.

فآتاه الله أجره مرّتين، وما خرج مِنْ الدُّنيا حتّى أتته البشاره مِنْ الله بالجنّه»(۱).

وهـذهِ الروايه تختلف عَنْ الروايه السـابقه الَّتِي شـبّهت أبا طالب بمؤمن آل فرعون، فهُنا تُشَـبِّهه بأصـحاب الكهف وَهُوَ دور ثُنائى مزدوج أعظم مِنْ الـدور الأـوَّل؛ لأـنَّ إظهار الشـرك يقتضـى أنْ يُظهره لساناً وظاهراً، ولكن فى نفس الوقت لا يُمارس شـركهم، وفى نفس الوقت يقتضـى منه أنْ يكون فاعلاً ـ ويُشـاركهم فى القضايـا الاجتمـاعيّه والسياسـيّه، وأكثرها قضايا مُعقّـده فيها أعمال تصبّ فى مصلحه الشرك بالله وتقوّى المُشركين، فكيف استطاع أنْ يتخلّص مِنْ كُلّ تلك الممارسات، هَذا مِنْ أصعب الصعاب الَّتِي لاـ يسـتطيعها ويقوى عَلَيْهَـا إلّـا مَلَـك مقرَّب أو نبىّ مُرسَـل أو عبـد امتحن الله قلبه للإيمـان، وليسَ الأـمر مبـالغه، بـلْ تاريخ التجارب والميدان شاهد واضح عَلَى ذلك.

الخضر(عليه السّلام) والتقيّه الذكيّه

قَـالَ تعالى: {فَوَجَـدَا عَبْـداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَهً مِنْ عِنـدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً}(۲)، الخضـر(عليه السّلام) عبد صالح آتاه الله العلم اللـدنّى، وَالمعروف مِنْ أقوال وروايات الفريقين أنَّ الخضـر(عليه السّـلام) لا يزال حيّاً، وأنَّ هَـذا العبـد الصالح يكون وزيراً للإمـام فى حكـومته، بـلْ هُـوَ الآـن يعمـل فى حكـومه الإمـام السِّريـه، وَهَـذا الـدور سـلَّط القُرآنُ الضـوءَ عليه فى صُـحبه موسـى للخضـر(عليهاالسّـلام)، قَالَ تعالى: {قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَهِ فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَباً * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا

۱- الموسوى، فخار بن معـد، الحجه عَلَى الـذاهب إلى تكفير أبى طالب: ص۸۴. الحرّ العاملى، محمد بن الحسن، وسائل الشـيعه: ج۱۶، ص۲۳۱، ح۱۷.

۲- الكهف: آيه۶۵.

قَصَصاً * فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً}(۱).

فهُنا صوره قرآنيه تُبيّن التدبير الأمنيّ الخفيّ الذى كَانَ فى لقاء النَّبى موسى(عليه السّلام) - وَهُوَ نبى ورسول مِنْ أُولى العَزْم- مَعَ الخضر(عليه السّلام) فقدْ أُحيط اللقاء بتمام السّريه والخفاء والبرمجه الأمنيّه، حيث وُضعت شفره خاصَّه من الله بين النَّبى موسى والخضر(عليهاالسّلام)، يلقى فيها موسى الخضرَ مِنْ دون أنْ يعلم حتّى وصى النَّبى موسى وَهُوَ فتاه يوشع بن نون الذى كَانَ معه؛ لأنّها أجواء أمنيّه شديده السّريه.

ولأجل هذهِ الحراسه والسِّريه الشديده جعلت لقاء العبد الصالح بعلامتين واحده مُتعلقه بالأُخرى (مجمع البحرين والسمكه).

المنهج أهمّ وأوْلى

نرى القُرآن فى ذكره للخضر(عليه السّلام) وتلك الحادثه الغريبه جدّاً بكُلِّ حيثياتها نراه يقصّ الحادثه بسريّه أيضاً وبتشفير، وَمِنْ الطريف أنَّ القُرآن حينما يذكر الخضر يقول عَنْه: (عبد صالح). فى حين يذكر موسى باسمه إشاره منه إلى نهج السّريه حتّى فى كشف اسمه، وكأنّه يقول: أيُّها المؤمنون، أيُّها الشيعه، حافظوا عَلَى إمامكم حتّى فى الحديث الاعتيادى، ولا تتكلَّموا بما يكشف ويناقض الغَيْبَه أخفوه فى قلوبكم قبل حديثكم.

وأيضاً هُناك نُكّته أُخرى يُريد القُرآن الإشاره إليها، وهى أنَّ المنهج أهمّ وأخطر، وما فعله الخضر - العبد الصالح- أهم وأوْلى بالرعايه والالتفات مِنْ نفس شخص الخضر(عليه السّلام) مهما كَانَ صالحاً وعظيماً ومُلْهَماً مِنْ الله (تعالى)، وَهَذا ينبغى أنْ يكون مِنْ الأولويات فى الفهم بالنسبه للمؤمنين، بلْ إنَّه يجب أنْ يكون

۱- الكهف: آيه۶۳-۶۵.

الأصل والمحكم المهيمن عَلَى كُلّ مسار ومسير المؤمن، فكَلّ الحركات - سواء كانت فى التاريخ الماضى أو الحال المعاصر- يجب أنْ تُقرأ قراءه منهجيه، وأنْ تُعطف عَلَى محكم المحكمات، وقد نبّهت الكثير مِنْ الروايات بضروره ذلك الفهم، بلْ إنَّ الآيات الَّتِى ذكرت هذهِ الشخصيّات (الخفيّه) ذكرتهم برموز وألقاب فى حين ذكرت الآخرين بأسمائهم، ومما ذكره القُرآن: (مؤمن آل فرعون، أصحاب الكهف، رجل مِنْ أقصى المدينه يسعى، امرأه فرعون)، وكلّهم ممَّن كتم إيمانه وممَّن كان يعمل بخفاء، وهذا درس قرآنى عظيم فى المنهج الأمنى.

خفاء أم اختفاء

عن عثمان بن عيسى، عمَّن أخبره قال: قال: أبو عبد الله(عليه السّلام): «كفّوا ألسنتكم والزموا بيوتكم؛ فإنه لا يُصبكم أمر تخُصُّون به أبداً، ولا تزال الزيديّه لكم وقاءً أبداً»(١)، الظاهر الأوّلى لهذا الحديث هو أن يسكت المؤمن ويجلس فى بيته، فإذا فعل ذلك فإنّه لا يُخصّ ببلاء وعدوان من السلطه الحاكمه، أى: لا يُستهدَف باستهداف خاصٍّ مباشر؛ لأنّ الجلوس فى الدار سوف يُنجيه من المهلكه المحتمله، وأنّ أنظار السلطه سوف تُصرَف عنك وسوف تقع الضربه فيمَن يحسب على الشيعه بالمعنى الأعم وهم (الزيديّه) والاتّجاه الثورى المتغافل عن محوريّه المعصوم(عليه السّلام).

أقول: سبق أن ناقشنا فى (قاعده الأحلاس) الفهم الخاطئ لمعنى الجلوس فى الدار، وأنّ معنى (الزَم بيتك)،

أى: الزَم منهاجك العقائدى ولاتبرحه، أى: لا تزغ؛ إذ لا يعتمد على المُتراءى البَدْوى من لفظ (الزَم بيتَك)

١- الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج٢، ص٢٢٥، ح١٣.

والظاهر الأوَّلى، وإلّا لأدّى إلى لوازم لا يمكن الالتزام بها، منها: رفع اليد عن الثوابت وترك الواجبات، كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغيرهما.

والمعنى هو كفّ الألسن عن كشف الأسرار التى تؤدّى إلى هلاك الأنفس من قِبل الأعداء، وسوء الفهم من قِبل الإخوان، والسكوت عن فضول الكلام. فالحِلْس فى البيت، يعنى: كن فى نشاط ومسير منهاجك - والذى هو على طِبق بيت اعتقادك- حِلْساً خفيّاً.

والإمام(عليه السّلام) يأمر أصحابه بالخفاء لا بالاختفاء، كما فى الحديث عن أبى بصير، قال: قال أبو جعفر(عليه السّلام): «خالطوهم بالبَرّانيّه وخالفوهم بالجوانيّه إذا كانت الإمره صبيانيّه»(۱)، وكلامه(عليه السّلام) واضح وصريح - بل ومفسِّر للحديث المتقدِّم- وفى الحديث الآخر عن هشام الكندى، قال: سمعت أبا عبد الله(عليه السّلام) يقول: «إياكم أن تعملوا عملاً يعيِّرونا به، فإنّ وَلَد السوء يُعيَّر والده بعمله، كونوا لمَن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً، صلّوا فى عشائرهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، ولا يسبقوكم إلى شىء من الخير فأنتم أوْلى به منهم، والله، ما عُبد الله بشىء أحبّ إليه من الخبء، قلت: وما الخبء؟قال: التقيّه»(۲).

التقيه الذكيّه عند الإمام الصادق(عليه السّلام)

من الحوادث المعروفه وصيّه الإمام الصادق(عليه السّلام) لمَن يكون الخليفه من بعده، فعن أبى أيوب النحوى قال: «بعث إلىّ أبو جعفر المنصور فى جوف الليل، فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسى وبين يديه شمعه وفى يده

۱- المصدر السابق: ج۲، ص ۲۲۰، ح ۲۰.

۲- المصدر نفسه: ج۲، ص۲۱۹، ح ۱۱.

كتاب، قال: فلمّا سلّمت عليه رمى بالكتاب إلىّ وهو يبكى، فقال لى: هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أنّ جعفر بن محمد قد مات، فإنا لله وإنا إليه راجعون - ثلاثاً- وأين مثل جعفر؟ قال: قال لى: اكتب. قال: فكتبت صدر الكتاب، ثمّ قال: اكتب: إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدِّمه واضرب عنقه. قال: فرجع إليه الجواب أنّه قد أوصى إلى خمسه واحدهم: أبو جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان، وعبد الله، وموسى، وحميده»(۱)، وفى روايه أُخرى أنّ المنصور بعث إلى والى المدينه: إن أوصى - أى: الإمام الصادق(عليه السّلام)- إلى رجل بعينه فاقتله. فأجابه الوالى: أن أوصياءه خمسه. فأيُّهم أقتل؟ فبُهت المنصور وقال: «ليس لقتل هؤلاء سبيل»(۲).

وقد نلمح ما يُشبه ذلك فى الأُمم السابقه ، فإنّ إبراهيم كانَ أُمّه فى دوره فى التقيّه التى قَصَّها القرآن فى سوره الأنعام، وهو دور ونشاط فاعل فى مواجهه فساد وانحراف المجتمع لكن بغطاء مقنّع، كذلك القرآن يقصّ لنا عمل مَن جاء مِن أقصى المدينه.

فهذه التقيّه الأمنيّه الخفيّه من الإمام الصادق(عليه السّلام) فى تغييب خليفه الله - الإمام الكاظم(عليه السّلام)- هى مِن أعلى أنواع التقيّه الأمنيّه فى حفظ السرّ؛ لأنه حفظ لخليفه الله.

التقيّه الذكيّه فى سلوك إبراهيم(عليه السّلام)

إبراهيم(عليه السّلام) يستعمل الخفاء والتقيّه الذكيّه فى الخطاب وهدايه قومه والقيام بمسؤوليّه التغيير والإصلاح، كما فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ

۱- المصدر السابق: ج۱، ۳۱۰ ح۱۳.

۲- المصدر نفسه: ج۱، ۳۱۱، ح۱۴.

رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا ـ أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْـدِنِى رَبِّى لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْـرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ}(۱)، فهنا إبراهيم(عليه السّلام) حين يقول: (هَذا ربّى) (هَـذا أكبر). تقيّه فى الخطاب والبيان والتعايش الـدينىّ والمـدنىّ لأجل هدايتهم؛ لأنّه يعتقد أنّ هذهِ الكواكب والنجوم مربوبه لله وليسـت أرباباً، ولولاـ هـذا الأُسـلوب من التقيّه الأـمنيه فى الخطـاب التغيرىّ (وهـو كتم الإيمـان وإظهـار الكفر) الـذى هـو نفس الأُسـلوب الـذى ذكرته الروايـات لأـبى طالب(عليه السّـلام)، ولأهل الكهف(عليهم السّـلام) ، ولمؤمن آل فرعون(عليه السّـلام)، ولولا هَذا الأُسـلوب من المعايشه لم يكن لهؤلاء من محافظه على أنفسـهم ولا على المؤمنين، ولا المحافظه على مشروع الإيمان، ولولا أُسلوب التقيّه الأمنىّ الإبراهيمى لم يكن(عليه السّلام) ليحفظ الإسلام والمؤمنين، أو لينشر الإسلام.

القرآن يكشف عن أربع مهام سرّيه لأهل الكهف(عليهم السّلام)

قوله تعـالى: {فَابْعَثُوا أَحَـدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـذِهِ إِلَى الْمَـدِينَهِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَـا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَـا يُشْـعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً}(۲)، فى هـذه الآـيه على قصـرها هنـاك عـدّه واجبـات عظيمـه وكـبيره يجـب على أهـل الكهـف أداؤهـا فى زمن غيبتهم وخفائهم عن المؤمنين وعن الناس.

۱- الأنعام: آيه۷۶-۷۹.

۲- الكهف: آيه۱۹.

الواجب الأول: (فابعثوا أحدَكم بوَرِقِكَم):

الواجب هو: أنّ المجموعه المؤمنه التی تعمل فی الخفاء (تقیّهً)، إذا احتاجت إلی الاتّصال بالناس فمن اللازم علیها أن تنتخب واحداً منها فقط، وتُناط به المهمّه، ولا یصح أن یتصدّی الجمیع ویشغلوا أنفسهم بتلک الاحتیاجات.

الواجب الثانی: (فَلْیَنظُر)، مسح میدانی ومراقبه لمجریات الأوضاع.

الواجب الثالث: (فَلْیَأْتِکُم)، القیام بالمدد والعون للمؤمنین.

الواجب الرابع: (وَلَا یُشْعِرَنَّ بِکُمْ أَحَداً)، أداء الواجب الثالث فی ظلّ خفاء هادئ لذلک النشاط، مع عدم إلفات الآخرین لجماعه المؤمنین ومقدّراتهم وأُمورهم باستخدام آلیات وأسالیب تحجب الطرف الآخر عن الانتباه.

أسرار (التقیّه التدبیریّه) فی سوره الکهف

۱. أصحاب الکهف کان لهم عظیم الأعمال رغم الموقعیّه الحسّاسه والخطیره والقریبه من رقابه جهاز السلطان والملک، إلّا أنّهم کانوا فی قوّه من السرّیه والخفاء، تفوّت الفرصه عن اکتشافهم وخطوره ما یقومون به.

۲. کان بقاؤهم فی کیان الملک الکافر بخفاء ما داموا یستطیعون الحرکه علی منهاجهم، فلمّا أحسّوا أنّهم لا یستطیعون الحفاظ علی هویه منهاجهم والاستقامه علیها - ولو بتوسُّط الخفاء- أبعدوا أنفسهم عن هذا الکیان؛ لئلّا یذوبوا فی کیانه الباطل.

۳. وهذا نظیر الحدیث المستفیض فی باب التقیّه لقول أمیر المؤمنین(علیه السّلام):

«فأمّا السبّ فسبّونی؛ فإنّه لی زکاه ولکم نجاه، وأمّا البراءه فلا تتبرّأوا

منّی...»(۱). فی هذه الروایه المستفیضه تحدید لأمد التقیّه بأن لا تصل بالإنسان فی ذوبان هویته فی نهج الباطل وانسلاخه عن هویه منهاج الإیمان؛ إذ لیس المراد تحریم البراءه اللفظیّه فی مقابل تجویز السبّ لفظاً، وهذا ما کذبه الإمام الصادق(علیه السّلام) فی نسبه ذلک لأمیر المؤمنین(علیه السّلام)، بل المراد بالبراءه کسیره ومنهاج عمل ینسلخ فیه عن أمیر المؤمنین(علیه السّلام)، وإلّا فما هو الفرق بین البراءه اللفظیّه والسبّ اللفظی للتقیّه، فالمراد من البراءه المحرّمه من نهج أمیر المؤمنین(علیه السّلام) هو السلوک العملی المنسلخ عن نهج أمیر المؤمنین(علیه السّلام).

۴. رغم أنّ اللقاء الذی تمّ بین النبی موسی(علیه السّلام) والخضر(علیه السّلام) هو لقاء بین اثنین ممَّن اصطفاهم الله لمسؤولیّات وأدوار إلهیّه، والنبی موسی(علیه السّلام) من أُولی العزم إلّا أن الخضر(علیه السّلام) لمّا کان عضواً فی شبکه إلهیّه خفیّه کان لقاء النبی موسی(علیه السّلام) به قد أُحیط بدرجه کبیره من السرّیه والخفاء، وبلغه تشفیر أمنیّ متصاعد جدّاً، حیث کان اللقاء أُوعز إلی النبی موسی(علیه السّلام) أنّه یتمّ بعلامتین: ضیاع الحوت، وبلوغ مجمع البحرین.

۵. کما أنّ جو اللقاء فُرض فیه تعامل أمنیّ مشدد یبتعد عن الصخب وعن انفلات الأسرار مع انضباط صارم وحازم؛ حیث اشترط الخضر(علیه السّلام) علی موسی(علیه السّلام) أن لا یسأله، کما فی الآیه الکریمه: {قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِی فَلَا تَسْأَلْنِی عَن شَیْءٍ حَتَّی أُحْدِثَ لَکَ مِنْهُ ذِکْراً}(۲)، إلی أن قال له النبی موسی(علیه السّلام) معتذراً: {قَالَ إِن سَأَلْتُکَ عَن شَیْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِی قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّی عُذْراً}(۳).

۱- الحرّ العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۱۶، ص۲۲۸، ح ۱۰.

۲- الکهف: آیه ۷۰.

۳- الکهف: آیه۷۶.

۶. الآیه الکریمه بیَّنت أنّ سبب عدم استمرار النبی موسی(علیه السّلام) فی مصاحبه الخضر(علیه السّلام) عدم صبره علی الصرامه - انضباطاً- فی إنفاذ الأُمور بلا- تتعتع سؤال وتلکؤ استنکار ممَّا یفشی سرّ المهمات؛ لأنّ إبراز السؤال ممَّا یثیر اللغط وإذاعه الأسرار، ومِن ثَمَّ ورد فی وصایا التقیّه عنهم(علیهم السّلام) النهی عن القِیل والقال وکثره السؤال والثرثره؛ ممَّا یسبب إذاعه وإفشاء الأسرار، لا أنَّ النهی عن التحرّی فی نفسه.

۷. نعم، التحرّی إن کان موجباً وذریعه للتلکؤ فهو الآخر عیب وقصور عن سرعه إنفاذ المطلوب، فبعد فرض المعرفه الإجمالیّه یکون العمل علی الموازین، فإنّ التعمُّق فی التفاصیل إعاقه وعقبه عن المضی قُدُماً.

۸. ثمّ تُبیِّن السوره افتراق النبی موسی(علیه السّلام) عن الخضر(علیه السّلام) فی نهایه المطاف، فرغم أنّ المصاحبه للنبی موسی(علیه السّلام) وهو من أُولی العزم فضیله وکمال، إلّا أنّ سرّیه عمل الخضر(علیه السّلام) تُحتِّم علیه الابتعاد عن الارتباط بالنبی موسی(علیه السّلام)، فکم هی عظیمه وظیفه الخفاء والسرِّیه؟ وکم من وظیفه خفاء وسرِّیه فی إنجاز المهام المقدّسه العظیمه سطّرته لنا سوره الکهف؟

برنامج أمنى للإمام الصادق(عليه السّلام)

كيف يتعامل الإمام مع مَن يكشف الأسرار

مرّ أنّ الإمام(عليه السّلام) يتوعّد الذى يكشف أو يُفشى الأسرار بالعذاب الأُخروى، بل الدنيوى أيضاً، كما فى كثير من الأحاديث السابقه ليس هذا توعّد بالعذاب الأُخروى والدنيوى تعبّداً فحسب، بل هو تربيه لأصحابه على أمرين:

أولاً: كيفيّه كتمان الأسرار.

ثانياً: كيفيّه معالجه انكشاف السرّ.

كما فى معتبره عبد الأعلى، قال: سمعت أبا عبد الله(عليه السّلام) يقول: «إنّه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول له فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله فأقرِئهُمُ السلام وقل لهم: رحم الله عبداً اجترّ مودّه الناس إلى نفسه، حدِّثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون. ثمَّ قال: والله، ما الناصب لنا حرباً بأشدّ علينا مؤونه من الناطق علينا بما نكره، فإذا عرفتم من عبدٍ إذاعه فامشوا إليه وردّوه عنها، فإن قَبِل منكم وإلّا فتحمّلوا عليه بمَن يَثقل عليه ويسمع منه، فإن الرجل منكم يطلب الحاجه فيلطف فيها حتى تُقضى له، فألطفوا فى حاجتى كما تُلطفون فى حوائجكم، فإن هو قَبل منكم وإلّا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم، ولا تقولوا: إنّه يقول ويقول. فإنّ ذلك يُحمَل علىَّ وعليكم، أما والله، لو كنتم تقولون ما أقول لأقررت أنّكم

أصحابی، هذا أبو حنیفه له أصحاب، وهذا الحسن البصری له أصحاب، وأنا امرؤ من قریش قد ولدنی رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وعلمتُ کتاب الله وفیه تبیان کلّ شیء: بدء الخلق، وأمر السماء، وأمر الأرض، وأمر الأولین والآخرین، وأمر ما کان وما یکون. کأنّی أنظر إلی ذلک نصب عینی»(۱).

وهذه الروایه من أنفَس الروایات التی تبیِّن معنی الکتمان الأمنیّ للسرّ ومراتب الرعایه الأمنیّه للأسرار، وکیف أنّ حفظها من أبرز معانی الطاعه ومن أهم أسباب حُسن الصحبه لقیاده وإداره الإمام(علیه السّلام)، فالروایه تبیِّن:

۱. معنی احتمال أمرهم وحمل أسرارهم مراتب مرتبه دُنیا وهی التصدیق له، ومرتبه عُلیا وهی ستره أمنیّاً وصیانته - وهی المطلوبه- ولذلک قال: «إنّه لیس من احتمال أمرنا التصدیق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصیانته من غیر أهله».

۲. أنّ الآلیّه الصحیحه فی التعامل مع الناس هو کسب مودّتهم؛ وبالتالی هو کسب لهم إلی صف الإیمان، والآلیّه الأُخری الملازمه لها - أو قل: آلیّه الآلیّات- هی کیفیّه استخدام الآلیّه الأُولی، ولذلک قال: «رحم الله عبداً اجترَّ مودّه الناس إلی نفسه، حدِّثوهم بما یعرفون واستروا عنهم ما یکرهون».

۳. أنّ مَن لم یستر أمرهم ولم یحدِّث الناس بما یعرفون، ویستر عنهم ما ینکرون بمنزله الناصب؛ ولذلک قال: «والله، ما الناصب لنا حرباً بأشدِّ علینا مؤونه من الناطق علینا بما نکره».

۴. کیفیّه التعامل مع مَن یُفشی السرّ، ومن عظمه وأهمّیه صیانه السرّ، أنّه(علیه السّلام) یجعل صیانته عن الکشف علی مراتب، فهو فی المرحله الأُولی فی صدد

۱- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۲، ص۲۲۲-۲۲۳، ح۵.

الوقايه عن الكشف، ثَمَّ علاج الكشف إن لم تنفع مرحله الوقايه؛ ولذلك قال: «فإذا عرفتم من عبدٍ إذاعه فامشوا إليه فردّوه عنها»، بل يجب استعمال علاج أكثر فاعليّه للضغط الاجتماعى لردعه عن الإفشاء؛ لذلك قال: «فإن قَبِل منكم وإلّا فتحمّلوا عليه بمَن يَثقل عليه ويَسمع منه»، أى: إن لم ينفع ذلك فقوموا بحجب إفشائه للأسرار الأمنيّه لكم، «وإلّا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم»، أى: أوقفوا تداول كلامه فيما بينكم؛ لئلّا يروج كشفه للأسرار الأمنيّه فيما بينكم فيزداد انكشافاً وإفشاءً لتلك الأسرار الأمنيّه.

۵. أنّ الإمام(عليه السّلام) يأمر بطول النفس وسعه البال والتروّى فى اختيار أذكى وأنفع الآليّات للعلاج - بالتلطّف- فى علاج إفشاء السرّ، وأنّ الاهتمام بذلك ضرورى كاهتمام الإنسان بحاجات نفسه؛ لذلك قال: «فإنّ الرجل منكم يطلب الحاجّه فيُلطف فيها حتى تُقضى له، فألطفوا فى حاجتى كما تُلطفون فى حوائجكم»، والتلطّف واللطف اعتماد الرفق واللين، أو إخفاء الأُسلوب بمهاره فائقه ومرونه تستقصى وتتحرّى أكبر قدر من الطرق والفُرَص والنوافذ والخيارات الكثيره.

۶. (آخر الدواء الكّى)، بعد أن يُمنع المُفْشِى للسرّ ويُثَقَّل عليه ويُتلطّف معه حتى يحصل المطلوب، فإن لم يحصل المطلوب يأتى دور المؤمنين فى احتواء الموقف ونزع فتيل الأزمه التى يمكن أن يولِّدها إفشاء السرّ من قِبَل ذلك الأخرق؛ لأنّ إفشاء السرّ غير انتشاره.

وهذا أمر بالغ الأهمّيه غفل عنه المؤمنون والتفت إليه الإمام(عليه السّلام) وأكّد عليه، وهو أنّ المؤمنين حينما يرون أنّ هناك سرّاً قد أُفشِى يُسارعون فى نشره بحجّه أنّ فلاناً قال، فيقولون: قال كذا وكذا. فيصلون إلى إفراط أو تفريط

بعدم تمییزهم أنّ عاقبه تداول نشر السرّ المُفشَی أسوء من نفس أصل بدء الإفشاء؛ لاعتقادهم أنّهما سیان وهذه غفله کبری یحذِّر منها الإمام(علیه السّلام). بل لو لاحظنا مرمی الإمام(علیه السّلام) بدقّه نری أنّ نفس احتواء السرّ المُفشَی هو وأد للإفشاء فی مهده؛ وبالتالی هو علاج یُمیت السرّ فی مهده ویجعله کالعدم، ولذلک قال: «فإن هو قَبِل منکم، وإلّا فادفنوا کلامه تحت أقدامکم، ولا تقولوا: إنّه یقول ویقول، فإنّ ذلک یُحمل علیَّ وعلیکم»، وهذا المقطع العظیم من حدیث الإمام(علیه السّلام) - لوحده- أصل وقاعده عظیمه أمنیّه ونُظمیّه فی التحکّم والسیطره فی کیفیّه انتشار المعلومه الخبریّه وتکوین الرأی العام، سواء الثقافی العقائدیّ أو السیاسیّ الاجتماعیّ، وهو مأخوذ من قوله تعالی: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَإِلَی أُوْلِی الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَیْکُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّیْطَانَ إِلّا قَلِیلاً}(۱)، وهذه القاعده ترسم للمؤمن کیف یزن الأُمور ویقدِّرها بقدرها.

۷. أنّ الإمام(علیه السّلام) یجعل میزان الصُحبه هو بالطاعه فی تنفیذ ما یرسمه من منهاج بالدقّه المطلوبه.

۱- النساء: آیه۸۳.

دور المؤمن فی الحکومه الخَفیّه أعظم

أُطروحه جدیده فی معنی الظهور بعد الغَیْبَه

دوله الخفاء وخفاء الدوله

دوله الغَیْبَه وغَیْبَه الدوله

من الضروری أن یلتفت المؤمن إلی أنّ زماننا هذا وهو زمن الإمام المهدی، هو زمن الحکومه الخفیّه للإمام، أی: إنّ هناک حکومه فعلیّه للإمام الآن ولکنّها خفیّه، لا بمعنی انسیاق المؤمن لزیف الدجّالین من أدعیاء السفاره فی الغَیْبَه أو انخداعه لدعاوی الفِرَق الضالّه المُدّعیه للمهدویّه، بل من الضروری أن یعلم المؤمن أنّ دوره الآن فی هذه الحکومه أعظم من دوره حین الظهور أو ما بعد الظهور، وذلک ینشر مذهب أهل البیت(علیهم السّلام) فی أوسع رقعه وکافه أرجاء الأرض؛ لأنّ دوره حین الظهور هو دور قتالی أو إداری بإشراف مباشر من الإمام(علیه السّلام) أو أحد قادته المنصب من قِبَله، وهو دور وإن لم یمکن سهلاً ولکنه دور أسهل بکثیر من بناء مجتمع الدوله فی الحکومه الخفیّه، وهذا ما یُشیر إلیه الحدیث الشریف، عن أمیر المؤمنین(علیه السّلام): «قال: إنّ رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) بعث سَرِیه فلما رجعوا قال: مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر وبقی علیهم الجهاد الأکبر. قیل: یا رسول الله، وما الجهاد الأکبر؟ قال: جهاد النفس»(۱).

۱- الصدوق، محمّد بن علیّ، معانی الأخبار: ص ۱۶۰.

ومن الجدير بالملاحظه أنّ هناك ما هو أعظم من جهاد النفس، وهو بناء الدوله الخفيّه للإمام؛ لأنّه جهاد على مستوى النفس وزياده، أمّا على مستوى النفس فلأنّ المؤمن يبنى نفسه ويُكاملها فى فتره غَيْبَه الإمام - فتره الحكومه الخَفيّه- لأجل أن يكون فى استعداد دائم وأُهبه كامله للظهور المقدّس، وهو من جهه أُخرى يبنى أُسرته دينيّاً وعلميّاً، وكذلك يبنى مجتمعه ويؤسس لتكامل وتقويه الحكومه الخفيّه للإمام؛ وذلك بتقويه مجتمع المؤمنين ودار الإيمان.

فإذن؛ يكون دوره أعظم لهذه الحيثيه، وكلّما قَويت الحكومه الخفيّه - وذلك بتقويه قاعدتها وهو جماعه ومجتمع المؤمنين ودار الإيمان، وثبتت أركانها واستحكمت حلقاتها- كلّما كان ظهورها أسرع؛ وذلك بظهور الإمام؛ لأنّ هذه القوّه هى بنفسها تعجيلاً للظهور، لأنّ الظهور يعنى تنامى وتكامل هذه الحكومه، بل بالدقّه الظهور هو ظهور لتلك الحكومه الخفيّه، بل هو إعلان لتلك الحكومه بعد أن كانت خفيّه وغير ظاهره يُعلَن عنها بعد تكاملها وقوّتها وسيطرتها.

وممّا تقدم تتّضح لنا أدوار المؤمن المتعدّده والمهمّه والحيويّه فى دوله الإمام الخفيّه الآن، وكيف يبنى تلك الدوله؟ وكيف يدفع عنها وعن قائدها كلّ ما يُسبّب اختلال وتعطيل تكامل وقوّه هذه الدوله.

وهذا البيان رسم خارطه مسير ومسار للمؤمن فى فتره غَيْبَه الإمام، كما أنّه يُعطى تفسيراً صحيحاً لمعنى الغَيْبَه، فأين هذا المعنى من الثقافه السطحيّه التى تقول: إنّ الإمام غير حاضر ومبتعد أو فى جزيره خضراء لا علاقه له بالناس وينتظر مَن يُهيئ له الظروف والأسباب للظهور

المقدّس؟! وبالتالى يكون منتظراً لأمر الله بهذا اللحاظ، وهذه ثقافه جبريّه سيئه جدّاً وفهم خاطئ؛ لأنّه يجعل الإمام متواكلاً وليس متوكلاً على الله تعالى.

أمّا على الثقافه الأُخرى والفهم الآخر - وهو الصحيح- نرى أنّ الإمام منتظر لأمر الله وهو فى عمل ليلاً ونهاراً فى بناء دوله الظهور الآن، فإنّ دوله الظهور المقدّس لا تُبنى ولا تُؤسّس أركانها حين الظهور أو بعد الظهور؛ لأنّ الظهور قطف أو جنى للثمار التى أسّسها الإمام فى دولته الخفيّه.

نعم، من خلال هذه الأُطروحه لا يصح أن نزهد ولا يحق لنا أن نزهد فى الجانب الغيبى، ودور الأسباب الغَيبيّه؛ لأنّ منهجنا (الأمر بين الأمرين)، فلا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين، أى: لا جبر ولا حَتميّه مطلقه للأسباب الغَيبيّه والإعجاز الغَيبى والإداره الغَيبيّه بمعزل عن الأسباب الطبيعيّه فى تعجيل الظهور، كما أنّه لا تفويضيّه بجعل كلّ الأسباب بيد المؤمنين فى إداره وتنامى الحكومه الخفيّه للإمام.

فيجب أن يعلم المؤمن أنّه لَبِنَه أساسيّه وحيويّه وضروريّه فى بناء الدوله الخفيّه وتعجيل الظهور المقدّس، أى: إنّه عنصر مهم فى قوّه الدوله؛ وبالتالى ظهورها، ولا يمكن التنازل عن دوره بحال من الأحوال فى هذه الفتره، ولا يحول دون ذلك حَتميّه ظهور الإمام، وعظمه إدارته لدولته، رغم كونها إداره عظيمه وعاليه وجليله.

ولعل سائلاً يسأل: ما هو الفرق العملى بين الثقافتين؟ وهل هناك ثمره عمليّه لذلك؟

وللجواب عن ذلك: أنّ الفروق فی ذلك كبيره وكثيره، منها:

١. أنّه على الفهم الجبرى الخاطئ، وأنّ الإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف) لا محاله سيظهر كحَتم قَدَرٍ وقضاءٍ بفعل محض من السماء، وأنّ الله يُظهر دينَه على الدين كلِّه؛ فإنّه مدعاه للتواكل وترك الحبل على الغارب.

٢. على الفهم الأخر أنّ المؤمن له دور عظيم لتعجيل الظهور، ولكن لا دور له الآن، وإنّما دوره فی فتره الظهور المقـدّس وما بعد الظهور، أمّا الآن فالمؤمن ليس له دور.

نعم، دوره أن يكون مستعدّاً للظهور، وهو استعداد ترقُّب نفسی ليس إلّا، ولا يعدو أن يكون أمراً غامضاً لا مفهوم واضح له عمليّاً.

كما يمكن أن يكون له دور على المستوى الفردى، وهو استعداده لتربيه نفسه دينيّاً وعلميّاً، وقد يتعدّى قليلاً إلى القيام بواجبه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فی أُسرته وفی مجتمعه، أمّا على المستوى التدبيرى لمصير الدين أو العلمى فی مستوى أبعد وأعمق وأوسع، فليس هناك التفات، أو لا يوجد تثقيف واضح على ذلك.

أمّا علاقته بالإمام المهدى، فقد يُنظَّر فی تلك الثقافه أنّه يجب أن يتفاعل المؤمن مع الإمام.

وأمّا كيفيّه ذلك التفاعل الـذى يجب على المؤمن مع الإمام، فلعله لا يعـدو مستوى الشـعور به، والـدُعاء له، والتصـدُّق عنه، وأن يدعو صباحاً ومساءً بتعجيل الظهور المقدّس، وهذا غايه عونه ونُصرته ومؤازرته للإمام، وكان الله غفوراً رحيماً.

أمّا بناءً على الثقافه والرؤيه السديده، فإنّه ينبغى أن يفهم المؤمن أنّه الآن

يعيش كفرد فی مجتمع دوله الإمام(عجل الله تعالی فرجه الشریف) الخفیّه، فکیف یتعامل معها؟ وکیف یبنیها؟ فهو بمثابه موظّف، ولو شعر المؤمن أنّه موظّف فی مجتمع دوله الإمام(عجل الله تعالی فرجه الشریف)، وأنّ دوله الإمام الآن ولیس بعد الظهور، وکیف ینبغی أن یتصرّف المؤمن مع مجتمع متعدد الأهواء والاتّجاهات والألوان بنظره موضوعیّه لفرد یرید بناء دوله واقعیّه حاضره یعیشها؟ وبالتالی؛ سیختلف نظره إلی قائدها(عجل الله تعالی فرجه الشریف) - بحسب هذا الفهم- أنّه کیف یبنی مجتمع دولته(عجل الله تعالی فرجه الشریف) فی ظرف خفائه(۱).

وهذه النظره شکل آخر غیر التعبّد الدینیّ المحض، وغیر فکره إسقاط الواجب الدینیّ التعبّدی، بل بفکره استثمار الواجب التعبّدی - الصحیح- لبناء الدوله، وبناء الدوله هو بناء للفرد وللمجتمع فی نفس الوقت، ولکنّه أعظم وأعلی وأکمل.

وهذه النظره الموضوعیّه - التجرّدیه- الشمولیّه تتناسب مع قول الإمام أمیر المؤمنین(علیه السّلام): «الجلسه فی الجامع خیر لی من الجلسه فی الجنّه؛ فإنّ الجنّه فیها رضا نفسی والجامع فیه رضا ربّی»(۲)، وهذا الکلام فیه إشاره إلی ما نرید؛ فإنّ

۱- ومن هنا یمکن تفسیر معنی حرمه ذکر اسم الإمام(عجل الله تعالی فرجه الشریف) الذی ورد فی کثیر من الروایات فی أنّه یعرِّض الإمام (عجل الله تعالی فرجه الشریف)للخطر، وبالتالی سیعرقل حرکته؛ لأنّه سیؤدّی إلی زیاده الخفاء من قِبَل الإمام بسبب ازدیاد احتمال الخطر لکشف شخصیته، وستتقطع کلّ سُبل البناء والإداره التی یحتمل وجوده فیها، وهذا غیر معنی طلب تعجیل الظهور - علی الفهم الآخر- الذی یأمر المؤمن بالدعاء فقط للإمام(عجل الله تعالی فرجه الشریف)، وأن یلهج فقط بذکر الإمام(عجل الله تعالی فرجه الشریف) صباحاً ومساءً، فتدبّر.

۲- المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ۸۰، ص ۳۶۲.

المؤمن فی عَیشه فی مجتمع دوله الإمام(عجل الله تعالی فرجه الشریف) وإسهامه الآن فی بناء دوله الإمام(عجل الله تعالی فرجه الشریف) بعد الظهور، هو عیش أعظم سعیاً وأجراً من العیش فی الجنّه؛ لأنّ العیش الرغید فی دوله الإمام(عجل الله تعالی فرجه الشریف) کالعیش الرغید فی ظل الجنّه فیه رغبه ورضا النفس، ویکون السعی فی تکامل دوله الإمام - فی ظرف الظهور- کالسعی فی التکامل فی الجنّه سهل، فهو بلا معوقات وابتلاءات، أمّا الجلوس فی المسجد، فهو کالسعی فی بناء مجتمع دوله الإمام فی فتره الغَیْبه بتشیید أرکان دوله الإمام الخفیّه التی ستظهر علی العالم بعد خفائها - قویّه صلبه- ومن هنا؛ ورد أنّ أجر عمل وطاعات المؤمن فی الغَیْبه أعظم أجراً من عمله وطاعته فی ظل دوله الظهور.

فعن عمّار الساباطی قال: «قلتُ لأبی عبد الله(علیه السّلام): العباده مع الإمام منکم المستتر فی دوله الباطل أفضل أم العباده فی ظهور الحقِّ ودولته مع الإمام الظاهر منکم؟ فقال: یا عمّار، الصدقه - والله- فی السرّ [فی دوله الباطل] أفضل من الصدقه فی العلانیه، وکذلک عبادتکم فی السرّ مع إمامکم المستتر فی دوله الباطل أفضل؛ لخوفکم من عدوِکم فی دوله الباطل وحال الهدنه مَمَّن یعبد الله (عزّ وجلّ) فی ظهور الحق مع الإمام الظاهر فی دوله الحق، ولیس العباده مع الخوف وفی دوله الباطل مثل العباده مع الأمن فی دوله الحق، اعلموا أنّ مَن صلّی منکم صلاه فریضه وحداناً مستتراً بها من عدوه فی وقتها فأتمّها کتب الله (عزّ وجلّ) له بها خمساً وعشرین صلاه فریضه وحدانیه، ومَن صلّی منکم صلاه نافله فی وقتها فأتمّها کتب الله (عزّ وجلّ) له بها عشر صلوات نوافل، ومَن عمل منکم حسنه کتب الله له بها عشرین حسنه، ویضاعف الله حسنات المؤمن منکم إذا أحسن أعماله ودان الله (عزّ وجلّ) بالتقیّه علی دینه وعلی إمامه

وعلی نفسه وأمسک من لسانه أضعافاً مضاعفه کثیره، إنّ الله (عزّ وجلّ) کریم»(۱).

مع الالتفات إلی أنّ الإمام أمیر المؤمنین(علیه السّلام) لا- یعنی - فی حدیثه- أنّه جالس وغیر فاعل وهو فی المسجد، بل أحد عناوین المسجد هو عنوان إداره الدوله؛ لأنّ دولته(علیه السّلام) - وهکذا الدوله العادله فی الظهور المقدّس- تُدار من المسجد؛ لأنّ المسجد هو العنوان الدینیّ والإداری والعلمیّ المقدّس، الذی یهیمن علی کلّ المفاصل السیاسیّه والاقتصادیّه والاجتماعیّه وغیرها، فیکون معنی جلوسه فی المسجد هو الجلوس الفاعل البنّاء، جلوس التدبیر الدینیّ والدنیویّ وتدبیر بناء الدوله، وهذا الجلوس قریب من معنی الجِلْس - کن جِلْساً من أحلاس بیتک- الذی هو الجلوس فی بیت العقیده والإیمان والثبات علی النهج الصحیح، وقد تقدّم هذا المعنی.

۱- الصدوق، محمّد بن علیّ، إکمال الدین: ج۲، ص۶۳۶.

القاعده السادسه

المرونه والمناوره فى المسير والمسار

ولهذه القاعده أسماء عديده منها:

- قاعده: المرونه فى المسير والمسار.

- قاعده: مناوره ومران الخيارات والأساليب فى المسير والمسار.

- قاعده: المناوره التى تحافظ على الثابت التوليفى بين ما هو قديم وما هو عصرىّ.

- قاعده: الموازنه بين النهج التقليدى والنهج العصرىّ الحديث.

- قاعده: استخراج اللبّ الثابت فى النهج التقليدىّ عن القشور القديمه وتلبيسه آليات عصريّه.

لا بدّ من مقدّمه:

هل المبدئيّه للواقع أم الواقعيّه للمبدأ؟ وهذه جدليّه بين البراغماتيّه الواقعيّه وبين المبدأيّه، وهى من القراءات المغلوطه التى ينتهجها أرباب السياسه الذين يقولون بمبدأيّه الواقع - الخارجى- أى: إنّ المبادئ تتشكّل على أساس معطيات الواقع الخارجى، وهذا النهج له أشكال كثيره، ويعبّرون عنه بعبارات كثيره تدور على أساس (النفعيّه والمصلحه)، وجعلهما المدار والمحور لكلّ المبادئ والثوابت.

وبهذا تتغيَّر المبادئ على أساس الواقع، وهو منهج له لوازم خطيره

تتفرّع عليه مباحث عديده وقواعد كثيره فى البُعد الاجتماعى والبُعد السياسىّ، بل والدينىّ وهو أهمّها.

فمثلاً ـ فى البعد الفلسفى، قد يُسأل هل الحقيقه نسبيه أم مطلقه؟ وفى البُعد الدينىّ (الأخلاقى) قد يُثار البحث أنّه هل الأخلاق نسبيه أم مطلقه؟ وتتفرّع عليه بحوث أُخرى دينيّه أنّ القرآن هل يُفسَّر بالرأى أو لا؟ وهل يُعطف القرآن على الرأى أو الرأى على القرآن؟ أو يُعطف القرآن بعضه على بعض بعطف المتغيِّر على الثابت القرآنى أو المتشابه على المُحْكَم؟ أو يُعطف المُحْكَم والمتشابه على الولايه؟ بنظريه أُمومه الولايه لمُحْكَمات القرآن - كما هو الصحيح- كذلك ما يُعرف فى البحوث المعرفيّه ب- (استبداد العقل) أى: هل للعقل أن يستبدّ أم لا؟ وما هى مساحته؟ كلّ هذا فى البُعد الدينى.

وأمّا فى البعد الاجتماعى، فالعلاقات الاجتماعيّه يمكن أن تتشكّل بقوالب القاعده، وأنّ المتغيِّرات أين يمكن أن تكون فى المبادئ أو فى آليات المبادئ - كما هو الصحيح-؟ ونفس القوالب بأشكال أُخرى يمكن أن تتشكّل هذه القواعد فى بُعدها السياسىّ.

وقاعدتنا هنا تحاول أن تضع الضوابط فى ذلك من جهه، ومن جهه أُخرى هى تُبيِّن تكليف المؤمن فى البُعد الدينىّ الفقهىّ السياسىّ والاجتماعىّ.

سعه الحكمه فی صیرفه تدبیر وإداره الأمُور

هـذه القاعده حلّ وسـطیٌّ بین إفراط التغییر وإفراط الثابت، بالمحافظه عَلَی الثابت فیما له مِنْ مساحه وبحسب درجاته؛ لأنَّ الثبات أیضاً متفاوت فی الثبات، کَمَا أنَّ المتغیِّر متفاوت فی درجات التغییر.

وهی قاعده فقهیّه عقائدیّه أخلاقیّه تاریخیه، نحاول هُنا أنْ نتکلَّم فیها بما یتّصل بالجانب الفقهیّ.

نَعَمْ، سنشیر إجمالاً إلی البُعد العقائدی أو التاریخی لاستیضاح الجانب الفقهیّ، ولا بدَّ مِنْ مُقدّمه فی نقاط قبل بیان القاعده:

١. إنَّ الـدِّین مراتب وإنَّ حفظ المراتب ومراعاه المراتب شـیء أساسـی فی کُلّ مسیر ومسار الـدِّین، فلا یمکن أنْ تُقاس العقائد بالفروع؛ لأنَّ العقائد أعلی السلسله، ثمَّ الأخلاق، ثمَّ فروع الدِّین.

٢. ینبغی حفظ العلاقه بین المراتب الدینیّه، فالدِّین طبقات، شبیه بطبقات القانون الوضـعیّ، فالقانون الدسـتوری أعلی مِنْ القانون النیـابی وله ارتبـاط به، والنیـابی أعلی مِنْ الوزاری، والوزاری أعلی مِنْ البلـدی وهکـذا، وَکُـلّ هـذهِ الطبقـات مرتبطه مَعَ بعضـها البعض.

٣. إنَّ المقیـاس لاـ یمکن أنْ یکون واحـداً بناءً عَلَی المراتب، فلا یمکن أنْ یُقاس واجب عقائـدی بواجب مِنْ فروع الـدِّین؛ فإنَّ وجوب تولّی أهـل البیت(علیهم السّـلام) أعلی مِنْ وجوب الصَّلاـه، وإنَّ حُرمه تولّی أعـداء الله ورسوله وأهل بیته(علیهم السّـلام) أعلی مِنْ حرمه شرب الخمر والزِّنا وهکذا.

۴. كَمَا أنَّ القانون السماوی مراتب كذلك الكتب السماويّه وكذلك أنبياء الله (عَزَّ وَجَلَّ)، كَمَا قَالَ تعالى: {هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ الله}(۱)، فنبوّه سيّد الأنبياء أعلى مِنْ نبوّه أىّ واحد مِنْ أُولى العزم، فضلاً عَنْ غيرهم، فَهُوَ(صلّى الله عليه و آله وسلّم) مهيمن عَلَى نبوّه ورساله وعصمه كُلّ الأنبياء والرُّسل، وكذلك القُرآن هُوَ كتاب مُهيمن عَلَى الكُتب السماويّه، ولا تُقاس به التوراه والإنجيل، أو صحف إبراهيم وموسى.

۵. إنَّه كَمَا يجب حفظ العلاقه - والمراتب بين هذهِ الأُمور- عَلَى مُستوى العلم والاعتقاد يجب أيضاً حفظ العلاقه عَلَى مُستوى العمل والتعاطى مِنْ خلال تطبيق قوانين الدِّين.

فمثلاً: لا يمكن أنْ تتمسَّك بعيسى لوحده مَعَ وجود سَيِّد الأنبياء، أو مَعَ وجود الإمام المهدى الذى يصلِّى عيسى(عليه السّلام) خلفه، وَهَذا ما يصوِّره لنا الإمام الرضا(عليه السّلام) فى جواب مسأله الجاثليق: «ما تقول فى نبوّه عيسى وكتابه؟ هَلْ تُنكر منهما شيئاً؟ قَالَ(عليه السّلام): أنا مُقرٌّ بنبوّه عيسى وكتابه وما بشَّر به أُمّته وأقرَّت به الحواريون، وكافر بنبوّه كُلّ عيسى لمْ يقرّ بنبوّه مُحمَّد(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وبكتابه ولم يبشّر به أُمّته»(۲).

وكذلك لا يمكن أنْ نترك القُرآن ونذهب إلى التوراه، رغم أنَّ فيها حكم الله، قَالَ تَعَالَى: {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاهُ فِيهَا حُكْمُ الله ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِين}(۳)، فينبغى التمسُّك بالمهيمن عَلَى التوراه

۱- آل عمران: آيه ۱۶۳.

۲- الصدوق، محمّد بن علىّ، عيون أخبار الرضا: ج۱، ص۱۴۱، ح۱.

۳- المائده: آيه۴۳.

وَهُوَ القرآن، قَالَ تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ الله...}(۱).

كذلك التشريع مراتب، فتشريع الله أعلى وأوْلى بالرعايه مِنْ تشريع النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) رغم أنَّهما واحد لا اختلاف بينهما، كذلك تشريع النَّبى مُقدّم عَلَى تشريع أىّ واحد مِنْ الأئمّه(عليهم السّلام) ؛ ولذلك نهر سيّد الأنبياء(صلّى الله عليه و آله وسلّم) عمرَ عَنْ الحُكم بحكم التوراه، وليسَ المقصود مِنْ ذلك مِنْ جهه أنَّها مُحرّفه أو خطأ أو باطله ولا يمكن النَّظر فيها؛ لأنَّ ذلك مُخالف لنصّ القُرآن، بأنَّ فيها حكم الله، بلْ إشاره للمراتبيّه الَّتِى قُلنا بها، وهى أنَّه لا يجوز لك أنْ تجعل المدار فى الحُكم عَلَى التوراه مَعَ وجود القُرآن، مِنْ دون أنْ يكون القُرآن مُهيمناً.

۶. مِنْ الأُمور الأساسيّه والمهمه أنَّ القُرآن طبقات ومراتب، وأنَّ فيه المُحكم والمُتشابه، وأنَّ المُتشابه طبقات، كَمَا أنَّ المُحكم طبقات فوق بعضها البعض، وتهيمن عَلَى بعضها البعض، وهذهِ الطبقيّه والهيمنه لَيسَ فيها اختلاف، ففى نفس الوقت الذى فيه الاختلاف فيه الاتّفاق، فى عين الفرقه وحده وفى عين الوحده اختلاف مِنْ زوايا عديده، كذلك الدِّين طبقات أهم ومُهم، مُحكم وأشدّ إحكاماً، كذلك الأنبياء والأئمّه، مراتب فى الحُجيّه فوق بعضها البعض.

۷. الأئمّه مِنْ أهل البيت(عليهم السّلام) مَعَ النَّبى والسيّده الزهراء(عليهاالسّلام) هكذا مِنْ حَيْثُ ذواتهم الشريفه، مِنْ حَيْثُ سيرتهم وأعمالهم، رغم اختلاف المسير والمسار بينهم مَعَ ذلك كلّهم حُجج ونور واحد، وَهَذا واضح مِنْ سير ومسير الأئمّه فى فترات إمامتهم، وفهم هَذا الأمر لعلّه يسهل فهمه باعتبار اختلاف

۱- المائده: آيه۴۸.

الزمان والمكان والظروف المُحيطه.

لكن أنْ تكون هُناك حجتان - عَلیّ وفاطمه(علیهاالسّلام) مثلاً- وأحد الحُجّتین یتصرّف عکس الآخر ظاهراً فهَذا یصعب فهمه عَلَی الکثیر، ولعلَّ البعض یحاول أنْ یُشکّک فی وجود هکذا اختلاف بحسب الواقع الخارجی والنقل التاریخی مَعَ أنَّ الاختلاف موجود وواضح، ففی حین سلکت الزهراء(علیهاالسّلام) مسلک الجهاد والتحریض عَلَی الثوره واستنهاض الأنصار، تبنّی أمیر المؤمنین عَلیّ(علیه السّلام) نمطاً آخر وَهُوَ نمط الحرب البارده.

۸. فی حین مسیر ومسار الحسن(علیه السّلام) فی سلوکه وصُلحه مَعَ معاویه نری الإمام الحسن(علیه السّلام) یشترط أنَّ الحسین(علیه السّلام) لا یُبایع، وَهَذا یعنی أنَّ المسیر والمسار الصحیح فی التعاطی مَعَ الحقیقه مُتعدده الزوایا.

۹. فی قول رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) لعلی(علیه السّلام): «أنا أُقاتل عَلَی التنزیل وعلیٌّ(علیه السّلام) یُقاتل عَلَی التأویل...»(۱)، إشاره إلی أنَّ قتال رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) لأجل تثبیت الدِّین ولأجل مرتبه القُرآن النازل، أمَّا قتال عَلیّ(علیه السّلام)؛ فَهُوَ لأجل مرتبه القُرآن الصاعد (مرتبه التأویل)، وکذلک کانت الفتنه أکبر والامتحان أصعب، ولذلک حینما رُفعت المصاحف فی معرکه صفّین فُتن أصحاب الإمام(علیه السّلام) وفشل الکثیر منهم، وعلی(علیه السّلام) یُبیّن لهم أنَّها فتنه بقوله: «أنا القُرآن الناطق»(۲).

کذلک فی معرکه الجمل، حینما کَانَ کُلّ أصحابه یری تحقّق النصر لأمیر المؤمنین(علیه السّلام) عَلَی أصحاب الجمل، یعود أمیر المؤمنین عَلیّ(علیه السّلام) لیشیر إلی فتح أعظم مِنْ النصر الظاهری بقوله: «أنا فقأت عین الفتنه، لم یکن لیفقأها أحد

۱- الصفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ۳۳۰.

۲- القندوزی، سلیمان بن إبراهیم، ینابیع المودّه: ص۲۱۴.

غیری، ولو لم أکُ فیکم ما قوتل أهل الجمل ولا أهل الشام ولا أهل النهروان، وأیمُ الله، لولا أن تتکلّموا فتدعوا العمل لأخبرتکم بما سبق علی لسان نبیکم(صلّی الله علیه و آله وسلّم)...»(۱)، فإنَّ البصیره المعرفیّه مِنْ متشابه المفاهیم الدینیّه، کموقعیّه أزواج النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، وموقعیّه صحابته، وموقعیّه المصحف، وموقعیّه الرایه والشعار بکلمه حقّ توظّف لغایه باطله أعظم مِنْ النصر العسکری، فقتال أمیر المؤمنین عَلیّ(علیه السّلام) کَانَ لرفع الفتنه، والفتنه کَمَا یصفها القُرآن: {وَالْفِتْنَهُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ}(۲).

وَهُوَ(علیه السّلام) یُقَاتل لما هُوَ أعظم مِنْ القتال، فأمیر المؤمنین عَلیّ(علیه السّلام) لا یقاتل لأجل وجود المُحکم والمُتشابه فی القُرآن، بلْ لأجل إرجاع المُتشابَه إلی المُحکَم، وهذهِ مُهمّه أعظم وأکبر مِنْ إقرار وتثبیت وجود نفس المُحکَم والمُتشابَه، وهی المُهمّه الَّتِی جاءت فی التنزیل عَلَی ید رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم).

۱- القاضی المغربی، النعمان بن محمّد، شرح الأخبار: ج۲، ص۳۹. الثقفی، إبراهیم بن محمّد، الغارات: ج۲، ص۶۷۶.

۲- البقره: آیه۱۹۱.

جدليّه العلاقه بين البراغماتيّه والمبدأيّه

جدليّه الثابت والمتغيِّر

تغيير الواقع بين الإفراط والتفريط

جدليّه حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغيِّر

المناوره بين الواقعيّه الراهنه والقيم الشعاريّه

البراغماتيه مِنْ المـذاهب السياسيّه الَّتِى بُنيت عَلَى أساس النفعيّه والمصـلحه، وبشـكل إجمالى: البراغماتى هُوَ الفرد الـذى يعيش الحاضـر بلا نظر إلى الماضـى ولا اهتمام بالمسـتقبل، لَيسَ لأنَّه عديم التنظيم (البرمجه)؛ بلْ لأنَّه يعيش الحاضر عَلَى أساس فلسفه (محاكاه معطيات الواقع الخارجى الحاضر وما يجلب له مِنْ منافع).

فالإنسان البراغماتى يعيش ليومه ويتفاعل مَعَ معطيات أحداثه، أمَّا التخطيط للمسـتقبل بواسـطه قراءه الماضـى، فَهُوَ شـىء لا يأخذ مسـاحهً تُـذكر فى قـاموسه الفكرىّ؛ لـذلك يُعبَّر عَنْ هَـذا الأُنموذج أنَّه (لا يغرد خـارج السّرب)، أى: لا ينفرد بقرار يؤدِّى إلى إسقاط ما فى يديه مِنْ مكاسب مادّيه (سياسيّه أو غيرها).

مقابـل البراغمـاتى هُناك المبـدأى، يُقَال: إنَّ أمير المؤمنين عَليّاً(عليه السّلام) كان مبـدأياً، أى: أنَّه يتحرّك عَلَى أساس المبـدأ، وليسَ عَلَى أساس مُعطيات الواقع الخارجى، (يُمنهج الواقع عَلَى أساس المبدأ) لا العكس؛ لأنَّ (الغايه لا تُبرر

الوسيله)، بلْ الغايه تُمنهج الوسيله، والوسيله تنضبط بالغايه الحقّه والمبدأ الحقّ.

البعض لعلَّه ينظر إلى الإمام الحسن(عليه السّلام) بأنَّه تحرّك فى صلحه مَعَ معاويه عَلَى أساس البراغماتيّه، وكَانَ فى مُنتهى الواقعيّه (البراغماتيه) ولم يكن مثاليّاً، تطبيقاً - بحسب زعمهم- لأُسس أساس مبادئ السياسه: (لا توُجد عداوه دائمه، ولا صداقه دائمه، وإنَّما توُجد مصلحه دائمه).

الثابت النظامى والمتغيِّر الإصلاحى

ولكن هَذا الكلام غَير صحيح؛ لأنَّ الإمام (مبدأى) كأبيه أمير المؤمنين عَلىّ(عليه السّلام)؛ لأنَّ الأئمّه كلّهم نور واحد بلا اختلاف بينهم فى المنهج.

نَعَمْ، الحسن(عليه السّلام) تحرّك عَلَى أساس (المبدأيّه والواقعيّه)، مزجاً بين الواقعيّه الَّتِى تتحرّك عَلَى أساس النفع، والمبدأيه الَّتِى تسير وفق ثوابت الدِّين، بابتكار سلوكى لمْ يسبقه أحد مِنْ الأنبياء والأولياء، نستطيع أنْ نُسميه - كاصطلاح بين المبدأيه والنفعيّه- (المبدأيّه النفعيّه)، وهى علاقه متوازنه بين النفع التفويضى والجبريّه المبدأيّه (لا- جبر ولا- تفويض ولكن أمر بين أمرين)؛ وبالتالى يكون الإمام الحسن(عليه السّلام) قدْ وفّق بين النزعتين، أى: إنَّه لمْ يخسر أىّ ورقه إيجابيه فى هَذا الطرف مَعَ تفادى الطعون عَلَى الطرف المُقابل.

فالبراغماتى يطالب بالانعطاف مَعَ الواقع - مرونه التعاطى- لكن منهج الإمام الحسن(عليه السّلام) يقول: نَعَمْ، أنعطفُ مَعَ الواقع مَعَ عدم التفريط بأىّ مبدأ مِنْ المبادئ، وعدم خسران أىّ ورقه مِنْ الأوراق، حَيْثُ يمكن استثمار بدائل آليه للحفاظ عَلَى المبدأ.

والسنّه الَّتِى سنّها الإمام الحسن(عليه السّلام) لمْ يُبصرها حتّى حوارىى الإمام

الحسن(علیه السّلام) فضلاً عَنْ باقی المؤمنین، وهذهِ فی الواقع مِحْنه مِنْ أشدّ المِحَن الَّتِی لمْ یواجهها أحد قبله ولا بعده مِنْ المعصومین(علیهم السّلام) ، أو واجهوها ولکن بنسبه أقل، فالإمام أمیر المؤمنین(علیه السّلام) کانت مِحْنته مَعَ أهل الجمل وأهل النهروان وأهل صفِّین، وکلّهم یُعتَبرون مِنْ الأعداء.

أمَّا محنه الإمام الحسن(علیه السّلام)، فکانت مَعَ المحبّین والموالین، بلْ والحواریین، وهذهِ السنّه کانت مِنْ رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) حَیْثُ تمرّد بعض الصحابه، کالثانی وغیره الذین سبّبوا تمرّد الصحابه فی صلح الحدیبیه، ولکن لمْ تتبلور ولم تّتضح سنّه رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) بشکل کامل، إلّا عَلَی ید الإمام الحسن(علیه السّلام).

وَهُوَ(علیه السّلام) کَانَ لیّناً سهلاً سمحاً مَعَ الأطراف المُختلفه استوعب الجمیع دون الاستجابه لهم، بلْ استوعب حتّی الأعداء، وهذهِ الآلیّه صعبه عَلَی مُستوی التنظیر فضلاً عَنْ التطبیق، فکیف یکون للإنسان حزم ویکون له فی نفس الوقت لین «حزماً فی لین»(۱)، وَهُوَ خلط وقع فیه الکثیر مِنْ المُتدیّنین بین ما هُوَ ثابت وبین آلیّه الثابت، فثبات المبدأ لا یعنی (ثبات الآلیّه) للمبدأ.

للبیت ربٌّ یحمیه

وَمِنْ الأُمور الَّتِی لمْ تتبلور إلی الآن ولم یستطع هضمها الکثیر مِنْ المُتدیّنین، هی قصّه عبد المطلب مَعَ إبرهه، وبالأخصّ حینما قَالَ عبد المطلب(علیه السّلام): «لست بربِّ البیت الذی قصدتَ لهدمه، وأنا ربّ سرحی الذی أخذه أصحابک، فجئتُ أسألُک فیما أنا ربُّه، وللبیت ربٌّ هُوَ أمنع له مِنْ الخلق کلّهم وأوْلی به منهم، فَقَالَ الملک: ردّوا علیه سرحه. وانصرف عبد المطلب إلی مکّه»(۲).

۱- المعتزلی، ابن أبی الحدید، شرح نهج البلاغه: ج ۱۰، ص ۱۵۰.

۲- المُفید، محمد بن محمد، الأمالی: ص۳۱۳.

والروايه طويله يرويها الإمام الصادق(عليه السّلام) ويُبيِّن فيها بعض الصور الَّتِي تُشير إلى شجاعه عبد المطلب(عليه السّلام) وبقائه فى ميدان المعركه يدعو الله، وقدْ أرسل عبد الله ليصعد جبل أبى قُبيس، وحينما بشّره عبد الله بالطير (الأبابيل)، قَالَ عبد المطلب لقريش - قبل هجوم الطُّيور-: اذهبوا فخذوا غنائمكم. إشاره منه إلى يقينه بنصر الله لبيته المحرّم، وَهُوَ حينما قَالَ: «للبيت ربٌّ هُوَ أمنع له مِنْ الخلق كلّهم وأوْلى به منهم»(1)، هى كلمه تحدٍّ وتهديد، وقوه وقُدْره فى مناوره العدو للحصول عَلَى مكاسب أُخرى مِنْ خلال المُناوره فى المسير والمسار، وفعلاً حصل عَلَى الإبل.

هَـذا فضلاً عَنْ تدبيره الخفى الذى أحكمه؛ حَيْثُ كلّم عبد المطلب فيل إبرهه ليثنيه عَنْ الهجوم عَلَى الكعبه واستجاب له حَيْثُ أوتى عبد المطلب - وَهُوَ وصى الأنبياء- منطق المخلوقات.

دروس فِي مناوره عبد المطلب(عليه السّلام)

والمناوره الَّتِي حصلت إنَّ إبرهه كَانَ يتوقّع أنْ يتكلّم سيد قريش - الفاضل الكريم- عَنْ بيت الله، وإذا به يتحدّث عَنْ شىء آخر ألا- وَهُوَ الإبل، وَهَـذِهِ مناوره؛ لِأنَّ العدو لَمْ يكن يتوقّعها، وكأنّه يقول لإبرهه: (إنَّ خسرانك محتوم لا ريب فيه؛ لأنّك تقاتل ملك الملوك وربّ الأرباب الواحد القهّار، وبالقطع واليقين أَنْتَ خاسر، فأنا أُريد أنْ أتكلّم فِي شىء آخر وَهُوَ الإبل). والأمر بعينه فِي صلح الإمام الحسن(عليه السّلام) مَعَ معاويه، فإنَّ صياغه بنود الصلح كانت بشكلٍ الذى يبقى عَلَى مفاصل القوّه والقُدره للإمام(عليه السّلام) وأهمّها: أنَّ الحسين(عليه السّلام) لا يُصالح، أى: يبقى كخط ساخن.

١- المصدر نفسه. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٥، ص١٣١.

والـدرس المُهِم الذى نبع مِنْ صـلح الإمام الحسن(عليه السّـلام) ومناوره جدّه عبد المطلب(عليه السّـلام)، أنَّ الإنسان إذا كَانَ فى معركه ويتوقّع الخسـران مِنْ جهه فلا ينبغى أنْ يفرط فى كُـلّ شـىء، بـلْ يتوخّى مِنْ خلال محـاورته ومنـاورته الإبقاء عَلَى بقيه القدرات.

فإنَّ خسـران شـىء لا يعنى خسـران كُلّ شـىء، وإنَّ فى باطن كُلّ هزيمه نصـر وإنَّ مَعَ العسـر يسـراً، فينبغى أنَّ يتحسّس ويتحرّى ويطّلع الإنسـان عَلَى كُـلّ الجوانب والجهـات الظـاهره والخفيّه، للحصول عَلَى أكـثر وأكبر قـدر مِنْ النتائـج والمكـاسب وأنَّ غلبه الخصم لا تعنى إعطاء مفاتح النصر ومصادر القوّه إلى العدو؛ لأنَّ يأسك مِنْ الحلول الغَيبيّه يعنى يأس مِنْ روح الله، ولا ييأس مِنْ روح الله إلّا القوم الكافرون.

مناوره حُسینیّه فی قوالب زینبیّه

مناوره ومران الخیارات والأسالیب فی النهضه الحسینیّه فی موکب السَّبی...

اشاره

تسالم أهل البحث والتحقیق أنّ رحله السَّبی بعد معرکه الطفّ دور تکمیلی لتلک الملحمه العظیمه، بل إنّ الواقع یشهد بذلک، وأحد تفاسیر قول الحسین(علیه السّلام): «إنّ الله قد شاء أن یراهن سبایا»(۱)، هو ذلک، أی: شاء الله أن یجعل لزینب والسبایا دوراً تکمیلیّاً، أمّا عنصر المناوره فنبیّنه فی نقاط:

۱. ذکرنا سابقاً مناوره الإمام الحسن(علیه السّلام) فی صلحه مع معاویه، وذکرنا أنّ أحد أهم بنود الصلح - المناوره الحَسنیّه- أنّ الحسین(علیه السّلام) لا یبایع، أی: أن یبقی کخط ساخن، کذلک السبایا تبقی - مناورةً- کخطٍّ إعلامیّ ساخن یقضّ مضاجع الظالمین.

۲. أول بنود المناوره الإعلامیه الساخنه کانت مع أهل الکوفه، والأمر واضح فی خطبه زین العابدین(علیه السّلام)، وخطبتها(علیهاالسّلام)، وکذلک خطبه أم کلثوم(علیهاالسّلام)، فراجع(۲).

۳. البند الثانی فی مجلس عبید الله بن زیاد؛ حیث کان دور السجّاد(علیه السّلام) واضحاً فی مواجهه التضلیل العقائدی والإعلامی الأُموی، الذی کان یروج للعقیده الجبریّه، حیث قال ابن زیاد للسجاد(علیه السّلام): ألیس قد قتل الله علیّاً؟

۱- المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴۴، ص۳۶۴.

۲- اُنظر: الطبرسی، أحمد بن علی، الاحتجاج: ج۲، ص۳۱۴-۳۱۷.

إشاره إلی العقیده الجبریّه، فَقَالَ(علیه السّلام): «کان لیَ أخ یُسمّی علیّاً قتله الناس»(۱)، فأراد اللعین قتل السجّاد(علیه السّلام)، فتعلّقت به العقیله وأنقذته(علیه السّلام).

۳. زینب(علیهاالسّلام) بدأت بالهجوم علی ابن زیاد بشجاعه لا متناهیّه أرعبت وأربکت الطاغوت المتجبّر، لکنها تُبدی استعطافاً فدویاً - مناورهً- فتلقی بنفسها علی زین العبّاد فتخلصه من القتل، ولولا ذلک لقُتل(علیه السّلام)، فمَن رأی هجومها - الحسینیّ- الکلامیّ والإعلامیّ لا یتوقّع تلک المناوره - الحَسنیّه- بإلقاء نفسها علی الإمام(علیه السّلام) لإنقاذه.

۴. کانت بین الإمام السجّاد(علیه السّلام) وعمّته(علیه السّلام) تناغم وانسجام واضح فی الأدوار، فبینما هی تلقی بنفسها وتعتنق الإمام(علیه السّلام) - بمناوره استشهادیه حُسینیّه- قائله: حسبک من دمائنا... فإن قتلته فاقتلنی معه، یبدی الإمام(علیه السّلام) شجاعه مطلقه برفض الانکسار والاستعطاف والاسترحام التی ارتسمت فی محیا ابن زیاد ومجلسه، بقوله(علیه السّلام): أفبالقتل تُهددنی(۲).

۵. عندما بدأ الطاغیه - ابن زیاد- بالتهجّم علی أهل البیت(علیهم السّلام) وردته(علیهاالسّلام) ثمَّ تصاعد غضبه، قالت(علیهاالسّلام): لعمری، لقد قتلت کهلی... فإن کان هذا شفاک فلقد اشتفیت... کذلک مع یزید - حین تصاعد غضبه- حیث قالت له: یا یزید، أنت أمیر تشتم ظالماً وتقهر بسلطانک. فکأنّه استحیی(۳)، وهذا أصل وقاعده عظیمه فی أُسلوب المناوره تُعلّمه لنا زینب، وهی الشدُّ والإرخاء فی منازله العدو، فأمّا الشدّ فلإضعافه، وأمّا الإرخاء فلإطفاء شعله نیرانه، کما

۱- المفید، محمّد بن محمّد، الإرشاد: ج۲، ص۱۱۶.

۲- اُنظر: الأصفهانی، أبو الفرج، مقاتل الطالبیین: ص۲۱.

۳- الطبرسی، أحمد بن علی، الاحتجاج: ج۲، ص۳۸.

هو حال المعارك الميدانيّه كرّ وفرّ، بل إنّ ما فعلته(عليهاالسّلام) - هنا- هو صوره وأنموذج مصغّر من حقيقه مناوره صلح الإمام الحسن(عليه السّلام).

۶. فی الشام - فی مجلس الطاغیه یزید- نشاهد زینب الکبری تبدأ الهجوم کما فعلت فی الکوفه، حیث قالت: «...ثمّ کد کیدک، واجهد جهدک، فو الله الذی شرّفنا بالوحی والکتاب والنبوّه والانتخاب، لا تُدرک أمدنا، ولا تبلغ غایتنا ولا تمحو ذکرنا...»(۱).

وهی بذلک تُذکِّرُنا بمناوره جدِّها - الوصی- عبد المطلب(علیه السّلام)، حین خاطب طاغیه زمانه - إبرهه- بقوله: «للبیت ربٌّ هو أمنع له من الخلق کلّهم وأوْلی به منهم...»(۲)، فکلا القولین تحدٍّ - بل وتهدید- مبطَّن مفاده: أیُّها الطاغیه، اصنع ما شئت فنتیجتک فی العاجل أو الآجل إلی خسران وزوال.

۷. حینما أراد ذلک الشامی أن یأخذ فاطمه بنت الحسین(علیه السّلام)، کجاریه قالت له العقیله: کذبت ولؤمت، والله، ما ذاک لک ولا له. فغضب یزید، ثمَّ قال: إنّ ذلک لی، ولو شئت أن أفعل لفعلت. قالت زینب(علیهاالسّلام): کلا، والله، ما جعل الله ذلک لک إلّا أن تخرج من ملّتنا وتدین بغیر دیننا.

فهل یتصور عاقل أنّه اعتراف بتدیُّن یزید - من قِبَلها(علیهاالسّلام)- الذی أخرجته قبل قلیل منه؟! بل هو إحراج له بأن الانفلات من یزید فاضح له وکاشف عن خروجه من الدین! کلا، بل هی مناوره عجیبه وصعبه.

۸. حین یتّخذ الإمام الأُسلوب الساخن نری زینب الکبری(علیهاالسّلام) تتّخذ الأُسلوب الجدلی البارد بتناغم ونسق عجیب، فحین تتکلَّم یسکت الإمام،

۱- المصدر نفسه: ج۲، ص۳۷.

۲- المفید، محمّد بن محمّد، الأمالی: ص۳۱۳.

وحينما كانت تخفض يرفع - وهو نوع إقرار وحجيه لها(عليهاالسّلام)- والعكس أيضاً، وهذا يظهر بوضوح التقدير الإلهىّ وبصمه السماء بتدبير الحسين(عليه السّلام)، بإبقاء السجاد وزينب(عليهاالسّلام) كخطوط ساخنه بارده.

همزه الوصل

هُناك همزه وصل ثابته ومُتحرِّكه بين المنهج البراغماتى والمنهج المثالى، مِنْ دون أنْ تكون هُناك ازدواجيّه فى البين.

الوسطيّه فى المسير والمسار بواسطه المناورات الَّتِى تحافظ عَلَى الثابت التوليفى، الذى يوازن بين النهج التقليدى والنهج الحديث العصرى، وبعباره أُخرى: هُوَ استخراج للبّ الثابت فى النهج التقليدى عَنْ القشور القديمه وتلبيه آليات عصريّه.

هَلْ الوسيله ثابته أم مُتغيِّره

مِنْ الأُمور الَّتِى ظلّت معشعشه فى الأذهان فترات طويله، ولم تكن فى سياسات الدول القديمه والحديثه، ولم يمارسها المصلحون وحتّى الأنبياء والمُرسلون، هُوَ كيفيّه الموازنه بين الثابت والمُتحرِّك - بين الآليه المُتغيّره (المُتحرِّكه) وبين اللبّ الثابت- فكَانَ النَّاس بين الإفراط فى التغيّر بإيصاله للبّ الثابت وبين التفريط وتضييع الأُمور بحجّه الثبات، فيصاعدون بالثبات إلى الآليه؛ فيسبّب عدم مرونه فى الآليّه، ويسبّب خسائر كبرى ويضيِّع مكاسب عظيمه عَلَى الأُمّه، فمثلاً - عَلَى المستوى السِّياسى- نجد بعض السياسيين فى جلسه تفاوضيه يُخسِّر الأُمّه مكاسب مُمكنه سهله التحصيل مِنْ خلال عدم استخدامه للعبارات الصحيحه المُناسبه الَّتِى تجلب أكبر المكاسب،أو مِنْ خلال عدم موازنته بين الأهم والمُهم - فمثلاً- لو جلس مَعَ خصمه

للتفاوض عَلَى أمرين لأجل الحصول عَلَى أمر واحد، فالواجب أنْ ينظر بدقّه أيّهما أهم حتّى يقدّمه، بَلْ قدْ يكون هَذا الأمر لأهمّيته يستدعى التنازل عَنْ مكسبين دونه فى الأهمّيه، فيجب أنْ يتنازل مِنْ أجل الهدف الأكبر، وَهَذا ما فعله الخضر(عليه السّلام) فى رحلته مَعَ موسى(عليه السّلام).

وحتّى أنَّ موسى(عليه السّلام) لمْ يتبيَّن غايه مقصده البعيد؛ لذلك انتقد فعله الظاهرى وانتقد الغايه البَدْويه، حَيْثُ قَالَ: {أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً}

(۱).

والخضر فى تعليله بَعْدَ ذلك لمْ ينكر أنَّه خرقها؛ لأنَّه خرقها لهدف أكبر ومصلحه كبرى بالموازنه بين الأهمّ المُهِمّ، وهذهِ سياسه أعمق مِنْ السياسه الظاهريّه المقطعيّه، وَهِيَ (سياسيه الموازنه بين الأهمّ والمُهمّ وتقديم الأهمّ)، ولعلَّه اشتبه الحال لدى كثيرين بين هذهِ القاعده وقاعده سياسه (دفع الأفسد بالفاسد)، باعتبار أنَّ الأفسد أشدّ ضرراً مِنْ الفاسد، ولكن قدْ أوضحنا تباين وتغاير القاعدتين وصحه الأُولى وتخطئه الثّانيه(۲)، بلْ إنَّه فى جوابه لموسى(عليه السّلام) بيَّن جلياً تلك المصلحه الأكبر: {أَمَّا السَّفِينَهُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَهٍ غَصْباً}(۳).

فالخضر(عليه السّلام) حتّى مِنْ خلال الجواب قَالَ: (أردتُ أنْ أعيبها). ولمْ يقل: (خرقتها). بلْ استخدم عباره أرفق، ولا تجعله فى معرض التُّهمه، وهذهِ سياسه أُخرى غَير سياسه دفع (الأفسد بالفاسد).

۱- الكهف: آيه ۷۱.

۲- اُنظر: السَّند، محمَّد، أُسس النظام السِّياسى عِنْدَ الإماميّه: ج ۱، ص ۲۸۷.

۳- الكهف: آيه ۷۹.

تصريف الكلام

تصريف الكلام فنٌّ وسياسه أُخرى وقاعده أُخرى ضمن سياسه المناوره فى المسير والمسار.

وينتصر عَلِيٌّ(عليه السّلام)

وَمِنْ ثمَّ انبثق فى العُلوم المعاصره استراتيجيه المناوره، علم (التفاوض والمفاوضات)، وقدْ ذُكر للتفاوض عناصر ودعائم عِنْدَ أمير المؤمنين(عليه السّلام) رغم أنَّه مشهور بالمبدأيه، إلّا أنَّ الكثير لمْ يكتشف جانب المرونه والبُعد المرونى فى شخصيه وأساليب أمير المؤمنين(عليه السّلام)، إلّا أنَّ بعض الباحثين تحرّى اكتشاف ذلك - فى منهاج المولى أمير المؤمنين(عليه السّلام)- وقارنه بمنهاج وعناصر التفاوض المطروحه فى النظريات الغربيه، فأجرى دراسه مُقارنه بين السلوك التفاوضى الغربى والسلوك التفاوضى العَلوى الإسلامى، فهُناك عناصر مُشتركه للتفاوض مِنْ المصلحه والعلاقات والبدائل والاتّصال والخيارات والشَّرعيّه والالتزام، ورأى ذلك الباحث أنَّ هُنَاك عناصر أُخرى لَمْ يكشفها علم التفاوض الحديث رغم أنَّ الإمام(عليه السّلام) مارسها قبل أربعه عشر قرناً، وَهِىَ: العلم والمعرفه، والقياده والمسؤوليه، والمُتغيرات والصبر والثبات والعدل.

وَمِنْ الموارد (المناوريه) الَّتِى اكتشفها هَذا الباحث عِنْدَ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) هى فى صلح الحُديبيه وعند فتح مكَّه، ورسائل الرسول(صلّى الله عليه و آله وسلّم) إلى الملوك والأطراف الأُخرى، وموقف أمير المؤمنين(عليه السّلام) مِنْ قتله عثمان، وموقفه فى واقعه الجمل، وموقفه مِنْ التحكيم ونتائجه، وموقفه التفاوضى قبل واقعه الجمل.

متانه الدِّين وسماحه الشَّريعه

فی حين يقول رسول الله(صلّی الله عليه و آله وسلّم): «إنَّ هَـٰذا الـدِّين متين فـأوغلوا فيه برفق»(۱)، ويقول أيضـاً: «بُعِثتُ بالحنفيّه السمحه السهله البيضاء»(۲).

فالدِّين وسـيع ومتين، والشَّريعه سمحه سهله ليّنه، وهی مِنْ الدِّين، وَهَذا مِنْ أصعب الصعاب الذی حارت فيه الألباب؛ فإنَّ التوفيق بين مـا هُوَ ثـابت ومتين وبين ما هُوَ سـهل ليّن هيّن غَير ممكن فی نظر المتـديِّنين، ولكن المعصوم(عليه السّـلام) لـديه القُـدره فی الجمـع بين الأـمرين، وهـاتين الكلمتـان – الحـديثان– مِنْ رسول الله(صـلّی الله عليه و آله وسـلّم) مِنْ جوامع الكلم، وَمِنْ القواعد الأساسيه الَّتِی بنی عليها أهلُ العلم الكثير مِنْ المسائل، وإنْ كَانَ تطبيقها صعباً عليهم.

وَهَذا منطبق عَلَی ما نُريده، فإنَّ الآليّه يجب أنْ تكون سـهله سـمحه فالمؤمن ينبغی أنْ ينتقی الآليه النافعه السـهله ما دامت الآليات المُباحه كثيره، وهذهِ الاستراتيجيه فی الآليّه يوضحها النَّبی(صلّی الله عليه و آله وسلّم) فی حديث آخر حَيْثُ يقول(صلّی الله عليه و آله وسلّم): «إنَّ الرفق لَمْ يوضع عَلَی شیء إلّا زانه وما نُزع من شیء إلّا شانه»(۳).

فـاللّيونه والسـهوله فی الآـليه تعنی التغيّر، وتغيُّر الآـليّه لا يعنی تغيُّر الـدِّين الثابت، ولكن آليّه الوصول إليه مُتغيِّره فی رحاب الأُفق الوسيع مِنْ طبيعه البيئات المخلوقه له تعالی.

۱- الكلينی، محمّد بن يعقوب، الكافی: ج۲، ص۸۶.

۲- الطوسی، محمّد بن الحسن، الأمالی: ص۵۲۸ باختلاف يسير. المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ۳۰، ص۵۴۸.

۳- البيهقی، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ج۵، ص۳۴۸.

الصُلح خَير

قَالَ تعالى: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ}(۱).

هُناک قاعده يبنى عليها الفُقهاء، وهى أنَّ (الصلح أعظم مِنْ القضاء) - أى: الصلح بحق وليسَ بباطل- باعتبار أنَّ القضاء يكون فيه طرف خاسر وطرف رابح، وطرف آمر وطرف مأمور، وكأنَّ هُناک نوع مِنْ القهر والإلجاء للطرف الآخر، كذلک الحال بالنسبه للحرب، فإنَّ الصلح أفضل مِنْ الحرب؛ لأنَّ الغايه مِنْ الحرب - حسب الفرض- هُوَ تحقيق العداله، فإذا تحقّقت العداله بلا حرب فَهُوَ تحقيق للغايه بوسيله أُخرى تُقلّل فيها الخسائر بطريق آخر سلمى وأمنى.

وَهَذا واضح فى نهج رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وأهل بيته(عليهم السّلام) فى كُلّ حروبهم وَهُوَ قولهم: «أكره أنْ أبدأهم بقتال»(۲)، أى: إنَّ النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وأئمّه أهل البيت يفضّلون الوصول إلى النتائج بالتفاوض عَلَى أُسلوب الحرب.

وبالتالى؛ هُوَ جذب الطرف المُقابل للحقِّ، فأنت تُخادع غدره وتُغالب نزعه القدر عنده؛ ولذلک كَانَ قوله(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «الحرب خُدعه»(۳)، إشاره إلى أنَّ طرف الحقّ يُصارع ويُنازع نزعه الباطل عِنْدَ الطرف المُقابل ويجذب نزعه

۱- النساء: آيه۱۲۸.

۲- المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴۵، ص۵.

۳- الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج۷، ص ۴۶۰.

الحقّ، ويُحرّك نزعه الحقّ عنده، فَهُوَ يُخادع خداعه وباطله، فالحرب خُدعه بهذا اللحاظ، كَمَا فِي الحديث عَنْ عليٍّ(عليه السّلام): «الوفاء لأهل الغدر غدر عِنْدَ الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عِنْدَ الله»(۱).

فالآليه النظيفه غَير نافعه إذا لمْ توضع فى محلها الصحيح، فمثلاً: عندما تُريد أنْ تبنى بيتاً فلا بدَّ مِنْ الشخص النزيه النظيف الناصح الذى لا يغشّك فى البناء، كذلك لا بدَّ أنْ تتوخّى المُهندس الخبير الذى يضع كُلّ شىء فى موضعه ويزن كُلّ شىء بميزانه الخاص.

تعدد الخيارات

تعدد السيناريو

تبيَّن مِنْ خلال ما رسمه لنا أهل البيت(عليهم السّلام) وخصوصاً الإمام الحسن(عليه السّلام) - وَكُلّ شىء مِنْ الحَسن حَسن - أنَّه ينبغى بالفرد فى سلوكه الاجتماعى أنْ يتوخّى الطُّرق والمسارات المُختلفه للوصول إلى أهدافه الحقّه، وأنْ لا يُحصِر ولا يُحبَس بطريقه وأُسلوب واحد دون غيره - بشرط المحافظه عَلَى صحّه المسير والمسار - فإنَّ الطُّرق والمسارات المباحه للوصول للغايه الحقّه عديده، فى أُفق لا مُتناهى فلا تحبسه طريقهٌ دون أُخرى.

۱- خُطب أمير المؤمنين علىّ(عليه السّلام)، نهج البلاغه: ج۴، ص۵۷.

تصريف الكلام

تصريف الكلام فنٌّ وسياسه أُخرى وقاعده أُخرى ضمن سياسه المناوره فِي المسير والمسار.

تغيُّر اللفظ لا يعنى تبدُّل المعنى

وهذهِ القاعده يُبيِّنها الإمام الصادق(عليه السّلام)، فَعَنْ إبراهيم الكرخى عَنْ أبى عبد الله(عليه السّلام) أنَّه قَالَ: «حديث تدريه خير مِنْ ألف حديث ترويه، ولا يكون الرَّجُل منكم فقيهاً حتّى يعرف معاريض كلامنا، وأنَّ الكلمه مِنْ كلامنا لتنصرف عَلَى سبعين وجهاً لنا مِنْ جميعها المخرج»(١).

بلْ إنَّ الإمام(عليه السّلام) يوسِّع القاعده، فَعَنْ داود بن فرقد قَالَ سمعت أبا عبد الله(عليه السّلام) يقول: «أنتم أفقه النَّاس إذا عرفتم معانى كلامنا، إنَّ الكلمه لتنصرف عَلَى وجوه، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب»(٢)، فهُنا إشاره مِنْ قِبَل الإمام الصادق(عليه السّلام) إلى أنَّ قاعده (تصريف الكلام) قاعده واسعه، يمكن للإنسان استخدامها فى حياته، وإداره شؤونه الحياتيّه دون كذب أو غشٍّ أو جدل، ويمكن لهذه القاعده أنْ تُغيِّر مجارى الأُمور.

ولعلَّ هَذِهِ القاعده نستشعرها مِنْ جواب الخضر(عليه السّلام) الذى استخدم

١- الصدوق، محمد بن على، معانى الأخبار: ص٢. عَنْه المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢، ص١٨۴، ح۵.

٢- المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢، ص١٨۴، ح٣.

ذلـک، لیُغیّر مـا تصوره موسـی(علیه السّـلام)، حَیْثُ قَـالَ: «فـأردتُ أنْ أعیبها». أی: إنّی لمْ أخرقها لأغْرِقَ أهلها، بلْ مُجرَّد إعابه؛ حتّی لاـ یأخـذها الملک. وهـذهِ القاعـده باب واسع للإنسان یفتـح له طریقاً فی کُلّ حیاته وتعاملاته فی أُسـرته، ولعلَّه ینقـدح فی ذهن الإنسـان: مـا هُوَ فرق هَـذا عَنْ الکـذب؟ ومـا هُوَ فرق ذلـک عمّا کَانَ یمارسه الیهود مِنْ التحریف الـذی أبطله الله فی کتابه الکریم؟ قَالَ تعالی: {مِّنَ الَّذِینَ هَادُواْ یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَیَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَیْنَا}(۱).

والجواب: إنَّ هـذهِ الآیه - وآیات أُخری قریبه المضـمون منها- تُشـیر إلی أنَّ التحریف کَانَ عَنْ المواضع بَعْدَ المواضع، وهذهِ ما توضّحه الآیه الأُخری، قَالَ تعالی: {یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ}(۲)، حَیْثُ لا تصدق تلک الکلمه إلّا فی الموضع المُنَاسِب، وَهُوَ التحریف الباطـل الـذی لاـ یسـتند إلی میزان إرجـاع المُتشَـابه إلی المُحکَم، بلْ بمیزان اتّباع المُتشَابه ابتغاء الفتنه، ونفس الضابطه والمیزان یکون الحال فی التوریه، ولیسَ هَذا محل تفصیله.

فإذاً؛ تصـریف الکلام بموازین وضوابط هُوَ مُراد الإمام(علیه السّـلام)، ولیسَ الأمر انفلاتیاً، وَهَذا الأمر واضح ومعمول به فی کثیر مِنْ العُلوم الأدبیه، بلْ إنَّ العُلوم تعتبر قاعده تصریف الکلام مِنْ القفزات النوعیّه فی العُلوم الأدبیه والقانونیّه(۳).

وَهَذا مِنْ الموازین الصحیحه الَّتِی استخدمها الأئمّه وبالأخصّ الإمام

۱- النساء: آیه۴۶.

۲- المائده: آیه۴۱.

۳- لا زالت البشریه فی المستوی الابتدائی مِنْ هَذا العلم الذی کشفه الإمام(علیه السّلام) قَبل أربعه عشر قرناً.

الحسن(علیه السّلام) فی صُلحه مَعَ معاویه، واستشهد لِمَنْ اعترض علیه لذلک بفعل الخضر مَعَ موسی(علیه السّلام)، قَالَ(علیه السّلام): «أمَا علمتم أنَّ الخضر لمّا خرق السفینه، وأقام الجدار، وقتل الغلام کَانَ ذلک سخطاً لموسی بن عمران(علیه السّلام)؛ إذْ خفی علیه وجه الحکمه فی ذلک، وکَانَ ذلک عِنْدَ الله تعالی ذکره حکمه وصواباً»(۱).

وکأنَّ الإمام(علیه السّلام) یُشیر إلی أنَّه بالنَّظر الأوَّلی والرؤیه الساذجه هُنَاک خرق مِنْ قِبل الإمام الحسن(علیه السّلام) لسفینه الشیعه فی البحر الهائج المتلاطم الأمواج بواسطه الصُلح، ولکن بالنَّظر العمیق أنَّ هَذا الخرق حتّی لا تُستأصل الشیعه وتؤخذ سفینتهم غصباً، بلْ إنَّ الصُلح بناء لجدار عازل لأهل الحقّ عَنْ أهل الباطل، وَهُوَ فی نفس الوقت قتل للفتنه فی مهدها ومرحلتها الغلامیه، فأنتم فی ضجر وسخط لخفاء وجه الحکمه، ولکن عمّا قریب ستُنَبّأون بوجه الحکمه.

۱- الطبرسی، أحمد بن علیّ، الاحتجاج: ج۲، ص۱۰.

الغايه لا تُبرِّر الوسيله

مِنْ القواعد السِّياسيّه – القديمه والحديثه– قاعده: (الغايه تُبرر الوسيله) ومفادها:

(إنَّه إذا كانت لك غايه – كتحصيل بعض المكاسب السِّياسيّه– فينبغى أنْ تسخِّر كُلّ الوسائل المشروعه وغير المشروعه؛ لأجل الحصول عَلَى تلك الغايه وذلك المكسب)، فيمكن للإنسان أنْ يُبرّر وسيلته فيقتل ويفجر ويظلم ويطعن، أو حتّى يقتل سيّد شباب أهل الجنّه، بحجّه أنَّه شقّ عصا المُسْلمين أو بحجّه حفظ النظام وغيرها. هكذا فُسِّرت، ولكن هَـذَا لا يمكن قبوله لأنّها غايات بَدْواً صحيحه، ولكن مَعَ ذلك لا تُبرر وسائلها.

وفى مقابل هَذا المسلك أطلق أمير المؤمنين(عليه السّلام) كلمته: «ما معاويه بأدهى منى، ولكنَّه يقتل ويفجر»(١).

أى: أنَّ معاويه لا يفوقنى فى السياسه، ولكنَّه يفتك ويفجر، أى: لا حرمه للمبادئ عِنْدَ معاويه فى توخّى متغيِّرات الآليات.

الوسيله لا تُصحِّح الغايه

بلْ نستطيع أنْ نُؤسس قاعده مُعاكسه للقاعده المشهوره، وهى أيضاً باطله وهى: (الوسيله تُبرِّر الغايه).

أى: إنَّ الوسائل بلا أهداف وغايات مشروعه لا نفع فيها؛ لأنَّها

١- خُطب أمير المؤمنين علىّ(عليه السّلام)، نهج البلاغه: ج٢، ص ١٨٠.

(دجل) إذا لمْ توصلك لغايه صحيحه، كَمَا هُوَ فی بعض الممارسات الَّتِی یتّبعها أصحاب الریاضات الروحیّه، رغم أنَّها کوسائل لا- إشکال فیها، ولعلَّه تکون أُموراً مُباحه لا حرمه فیها، أو أنَّها أُمور تقوّی النفس، فنقول: إنَّها وسائل لا یمکنها أنْ تبرِّر نتائجها وتصحّح غایاتها.

ولذلک قَالَ الإمام أمیر المؤمنین(علیه السّلام): «قدْ یری الحُوّل القُلّب وجه الحیله ودونها مانع - مِنْ أمر الله ونهیه- فیدعها رأی العین بَعْدَ القُدره علیها، وینتهز فرصتها مِنْ لا- حریجه له فی الدین»(۱)، أی: هُناک وسائل وطُرق عدیده للوصول للنتیجه والاحتیال للوصول للهدف ولکنَّها وسائل وطرق غَیر مشروعه لا یمکن ارتکابها.

أی: لا بدَّ مِنْ مراعاه الثوابت فی حین توخّی متغیِّرات الوسائل ومرونه الآلیات.

وقول الإمام(علیه السّلام): (فیدعها رأی العین). لا- یعنی ذلک ترک کُلّ الوسائل، وترک الحبل عَلَی الغارب، کَمَا لعلَّه یتصوّر البعض، بلْ یعنی توخّی آلیات وطرق ووسائل - غَیر محظوره فی أُفق المباح الرحب- أسهل وأسمح، وَهُوَ معنی قول النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «بُعِثتُ بالحنفیّه السمحه السهله البیضاء»(۲).

وهُناک أبحاث کثیره تتفرّع مِنْ هَذا البحث، وهُناک أبحاث تفرّع منها هَذا البحث نذکر منها بنحو الاختصار:

۱- المصدر السابق: ج۱، ص۹۲.

۲- الطوسی، محمّد بن الحسن، الأمالی: ص۵۲۸، باختلاف یسیر. المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۳۰، ص۵۴۸.

المحجّه الصحيحه مراتب

تقدَّم أنَّ الغايه لا تُبرِّر الوسيله، وأنَّ الوسيله لا تصحّح غايتها، وَهَذا الكلام يختلف عَنْ كون الحقيقه الواحده ذات مراتب، وإنَّ الوسائل إليها عديده، فالمحجّه لها مراتب ودرجات، وللحقِّ والحقيقه مراتب، والوسائل والطُّرق للمراتب مُتعدّده، فالصراط واحد، ولكن لَهُ - مثلاً- خمسين ألف موقف، فالسُّبل متعدّده للصراط الواحد، ولكن هَذا لا يعنى (أنَّ الطُّرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق)، و(أنَّ هُناك صراطات مستقيمه)، كَمَا لعلَّه يصوّر لنا الحداثويون أو الصوفيّه أو بعض العُرفاء، بلْ هُوَ صراط مُستقيم واحد، نصل إليه عبر قنوات مُتعدّده، فَهُوَ حبل ممدود: طرف منه عِنْدَ النَّاس، وطرف منه عِنْدَ الله، وَهَذا ما يصفه لنا الحديث النبويّ المُتواتر، عَنْ أبى سعيد الخدرى قَالَ: قَالَ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «إنِّى تاركٌ فيكم الثقلين - أحدهما أكبر مِنْ الآخر-: كتاب الله حبل ممدود مِنْ السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، وإنّهما لَنْ يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض»(1).

۱- الطوسى، محمد بن الحسن، الخلاف: ج۱، ص۲۷.

للوفاء مَوَاطن

- قال أمير المؤمنين(عليه السّلام): «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله»(۱).

وهـذا البيـان العلوى المُحكَم إشـاره إلى أنّ الالتزام مع الفاتك والهاتك للحرمات شـراكه معه فى إفساده فى الأرض، بل اللازم المناوره للتخلُّص من خداعه ودجله وألاعيبه، وهذه الوصيه أصل كبير فى التعاطى مع تحايل العدو ومراوغته.

١. هـذه القاعـده العظيمه هى قاعـده فى خصوص التعامـل مع العـدو، وهى قاعـده مهمّه وضـروريه ومكمِّله لمسيره إعـداد القوّه والرعايه اللتين تقدمتا.

٢. كمـا يجب أن يكـون المؤمنون فى إعـداد للقوّه واسـتعداد كامـل لصـدّ أىّ عـدوان، ومواجهه أىّ قوّه عسـكريّه متوقعه أو غير متوقعه للعدو.

٣. كما يجب أن يكونوا فى رعايه كامله لبعضهم البعض وفى تحمّل المسؤوليه، يجب أيضاً أن لا يُخدَعوا وأن ينتبهوا تحسبّاً لأىِّ غـدر طارئ من العـدو، وأنّ الصـلح مع العـدو - إن وجد- فهو لا يعنى ترك المسؤوليّات وترك الترقّب والحذر، وأنّ شـعارات السِّلم التى يطلقها العدو يجب أن تواجه

١- خُطب أمير المؤمنين علىّ(عليه السّلام)، نهج البلاغه: ج۴، ص۵۷. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۷۲، ص۹۷.

بحذر وحيطه؛ لأنّ الحرب خدعه.

۴. إنّ التخلّص من خـداع العدو إذا لم يكن بقوّه رادعه، فينبغى أن يكون بقوّه المناوره والخداع لخداعهم، فيجب أن لا نلتزم بما يسـهِّل ويمهِّد الظرف لغـدرهم، ونخطّط لتفويت الفرصه عن تمكّنه لتمرير خـداعه ودجله، أو نُبطـل تحايله وحيله بكشف القناع عنها وبمبادرات مباغته له.

۵. إنّ غدر العدو أذا قوبل بسـلميّه وبوداعه وحُسن ظنّ فهو غدر عند الله، فيصـبح المؤمن – المغدور– غادراً عند الله؛ لأنّه أحسـن الظنّ بأهل الغدر.

نعم، نحن لا نبـدأ العـدو بالغدر، لكن نُخطط لمواجهه غدره من حيث هو غادر وقد ظهرت منه بوادر الغدر، فتكون هذه الوصـيه أصلاً عظيماً فى التعاطى مع تحايل العدو وخدعه ومراوغته.

ص: ۲۳۶

هَلْ الحقيقه مُطلقه أم نسبيّه؟

مِنْ الأبحاث الَّتِی کانت مثار جدل بین أرباب العُلوم المختلفه کالفلاسفه والمناطقه وغیرهما قدیماً وحدیثاً، هُوَ (هَلْ أنَّ الحقیقه مطلقه أم نسبیّه)، وهذهِ الجدلیّه أخذت أشکالاً وأزیاءً مُخْتلِفه فی المدارس الفلسفیّه والسفسطیّه القدیمه والحدیثه، ومنها ما یُعرف الیوم بالحداثه، فأین النسبیّه؟ وأین یکون الإطلاق؟ فنقول:

إنَّ الحقیقه نسبیّه ولیست بنحو النسبیّه التشکیکیّه، وَهَذا مذکور فی لسان الوحی، قَالَ تعالی: {وَفَوْقَ کُلِّ ذِی عِلْمٍ عَلِیم}(۱)، کَذَلِکَ فی قوله تعالی: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِیلاً}(۲).

فإذاً؛ هُناک علیم وهُناک مَنْ هُوَ أعلم مِنْ العلیم، وهُناک قول صادق وقول أصدق، وهُناک حقّ وأحقّ، فإنَّ الحقیقه لا مُتناهیه، قَالَ تعالی: {لَّوْ کَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّکَلِمَاتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ کَلِمَاتُ رَبِّی}(۳).

والقُرآن یأمر الإنسان أنْ یطلب زیاده العلم، قَالَ تعالی: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِی عِلْماً}(۴) أی: أطلب زیاده العلم والکمال؛ لأنَّ درجاتها لا متناهیه، لأنَّ الحقیقه لا متناهیه.

۱- یوسف: آیه۷۶.

۲- النساء: آیه۱۲۲.

۳- الکهف: آیه۱۰۹.

۴- طه: آیه۱۱۴.

فإذاً؛ الحقيقه نسبيّه، بمعنى ذات مراتب لا متناهيه، وليست نسبيه سفسطيّه، أى: يختلط السراب مَعَ الحقيقيه، ولكن هذهِ النسبيه فى نفس الحقيقه وليسَت فى الحقّ المختلط بالباطل والوهم والسراب؛ لأنَّ هَـٰذا يؤدِّى إلى أنَّ أىّ شىء يساوى أىّ شىء آخر، ولا يصبح فرق بين علمى وعلم أعلم العُلماء، بلْ لا يبقى فرق بين علمى وعلم المعصوم؛ وبالتالى يصبح خلط للأوراق.

ص: ٢٣٨

القاعده السابعه

ضروره توازن القِوى مع العدو

فى وسط مواجهه سيِّد الشهداء(عليه السّلام) مع المارد الأُموى فى الطفّ، أراد أحد الأنصار وعظ العدو فأجابه(عليه السّلام) - بما مضمونه-:

إنّ المرحله التى وصل لها العدو فى عتّوه وطغيانه ليست ممّا يعالج بوعظ ونصح، بل بتجاذب القوّه معه ومناوره الشدّه، وهذا أصل هامّ فى تشخيص لغه المرحله ونمط المكافحه مع العدو، وتوضيح ذلك:

١. بعد مراحل إعداد القوّه، ومراحل الرعايه، وتحمُّل المسؤوليّه، ومراحل التعامل مع العدو فى غدره بالمناوره للتخلّص من ألاعيبه وخدعه وعدم الانخداع بخدعه، وعدم التصديق بكلامه المزيَّف، وعدم الوفاء له.

٢. نصل لمرحله لا ينفع فيها الاقتصار على الخداع أو المحاوره والمناوره حينما يصل إلى قمّه العتّو والطغيان، فإنّ هذه المرحله لا تُعالج بوعظ أو نُصح بعد تخطّى مرحله «أكرهُ أن أبدأهم بقتال»، والتى هى مرحله نُصح ووعظ وإيجاد الحلول السلميّه، يأتى دور تجاذب القوّه بالقوّه وآليه العسكره.

بعد لغه الحوار تأتى لغه السيوف، كما يقول الشاعر أبو تمام:

السيف أصدق إنباءً من الكُتبِ

فى حدّه الحدّ بين الجدِّ واللعبِ

٣. من المهمّ أن يعى المؤمنون لغه المرحله الراهنه المعاشه، وما هى اللغه التى يتخاطب فيها مع عدوه، فليس دائماً تُستخدم لغه الصُلح الحَسَنى، وليس

دائماً نستخدم المسير والمسار الحُسَينى أو النهج العلوى، فمع أنّ كلّهم نور واحد مع ذلك اختلفت آلياتهم وأدوارهم فى التعامل مع الأعداء؛ تبعاً لمتطلبات ظروف عصرهم.

ص: ۲۴۰

خاتمه نفیسه فی تخادم العلوم

نظریه ترابط وتعاون وتخادّم العلوم

هذا العنوان له عدّه أسماء کثیره - فقد یُعبَّر عنها بالنظریه أو القاعده- منها:

- نظریّه أو قاعده ترابط وتعاون وتخادُم العلوم.

- نظریّه أو قاعده ترابط وتعاطف العلوم.

- قاعده تزاوج وتوالد العلوم.

- قاعده تلاقح العلوم.

- قاعده تعاون القواعد.

- قاعده تعاطف القواعد.

- قاعده تلاقح القواعد.

- قاعده تزاوج القواعد.

- قاعده تخادُم القواعد.

من المعلوم أنّ علماء المنطق عبَّروا عن المنطق أنّه خادم العلوم، وکذلک عُبِّر عن علم الأُصول أنّه منطق علم الفقه، أی: إنّه خادم لعلم الفقه، وعبَّرنا عنه - بحسب منهجنا- (منطق العلوم الـدینیّه)؛ وبالتالی یکون خادم العلوم الدینیّه والآله القانونیّه والمیزان الذی توزن بهِ کلّ العلوم الدینیّه، وکما أمکن القول: إنّ علم المنطق خادم العلوم، وإنّ علم الأصول خادم العلوم الدینیّه،

فـأنّه يمكن أن يُقـال: إنّ بين العلوم تخادُماً، فإنّ بعضـها يُعطف على بعض، كما أنّ بعضـها يوزن ببعض، وبعضـها يخـدم بعضاً - وهذا ما تمت الإشاره إليه فى كتابنا الإمامه الإلهيّه(۱)- ويتجلّى هذا الأمر أكثر فى العلوم الدينيّه خاصّه.

والأسـماء العديده لهذه النظريّه لا تحكى كلّ زوايا النظريّه - القاعده- بل إنّ كلَّ عنوان يحكى زاويه معيّنه، وفى العنوان الرئيس عبّرنـا ب-: (الترابـط)؛ باعتبـار أنّ بين العلوم ارتباطـاً وترابطـاً، وعبّرنا ب-: (التخادُم)؛ باعتبار أنّ أحـدها يخـدم الآخر ويكون آله للآخر، وعبّرنا ب-: (التعاون)؛ باعتبار أنّ أحدها يُعين الآخر، وقد يعبّر ب-: (التوالد)؛ باعتبار أنّ أحدها يولِّد الآخر بعد التزاوج.

وقاعده أو نظريّه ترابط وتعاطف - أو تعاون أو تخادُم- العلوم أو القواعد لها إشارات فى الكتاب والسنّه:

ففى الكتـاب، قوله تعـالى: {هُوَ الَّذِىَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَـابَ مِنْهُ آيَـاتٌ مُّحْكَمَـاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَـابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَـاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَهِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ}

(۲).

وقوله تعـالى: {الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهـاً مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ الله ذَلِكَ هُدَى الله يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}(۳).

۱- اُنظر: السند، محمّد، الإمامه الإلهيه: ج۱، ص۳۶.

۲- آل عمران:آيه۷.

۳- الزمر: آيه۲۳.

وأمّا فی السنّه، فقوله(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «إنّی تارک فیکم الثقلین ما إن تمسکتم بهما لن تظلوا، کتاب الله وعترتی أهل بیتی»(۱)، کذلک یظهر من نفس الحدیث - ومن غیره- أنّ السنّه (یَعضد بعضها بعضاً ویُعطف بعضها علی بعض).

وهذا یُنتج تخادم العلوم والقواعد الشریفه الصادره عنهم(علیهم السّلام) ، ومنها القواعد التی قدمناها، فمثلاً: قاعده (الإعداد) التی منها، قوله تعالی: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ}(۲)، مع قاعده (الرعایه) التی هی من قول النبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «کلُّکم راعٍ وکلُّکم مسؤول عن رعیته»(۳)، فبین القاعدتین تخادُم، رغم أنّ إحداهما من آیه قرآنیه والأُخری من حدیث نبویّ؛ باعتبار أنّهما وحی من الله، فهما قاعدتان وحیانیتان، بل من مُحکّمات القواعد.

وکما أنّ القرآن یُعطف بعضه علی بعض، وأیضاً السنّه یُعطف بعضها علی بعض، کذلک متشابهات العقل والوجدان تُعطف علی مُحکَماتهما، بل إنّ محکّمات - الأربعه- القرآن والسنّه والوجدان والعقل یُعطف علیها متشابهات الأربعه.

فینتج بذلک تخادُم جمیع القواعد الدینیّه، بترابط منظومی نظامی متّصل ومتواصل بین القواعد کحلقات فی سلسله وسلاسل وطبقات - بالنظم والنظام الذی قدَّمناه- والقاعدتان المتقدمتان - اللتان سقناهما کمثال- إحداهما أکبر من الأُخری من جهه، فقاعده الرعایه تُمَنهِج وتُمَنطِق قاعده الإعداد من جهه أنّ الإعداد یحتاج إلی رعایه، فلیس الإعداد کیفما اتّفق،

۱- المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۲، ص۲۸۵.

۲- الأنفال: آیه ۶۰.

۳- المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۷۲، ص۳۸.

وليس هو بشكل عشوائى ينفرط وينفلت فيه الأمر.

وكذلك (قاعده) الإعداد تُمَنهِج الرعايه وتنضبط بها الرعايه؛ لأنّ الإعداد بقدر الاستطاعه، والرعايه تطالب المُعِدّ والمُستَعِدّ أن يكون استعداده بحسب منظومه الرعايه، فالكلّ راعٍ للكلّ - بحسب استطاعته لا بحسب راحته- قال(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته».

كذلك قاعده التعريض مع قاعده التقيّه الأمينّه؛ حيث بينهما عموم من وجه، فلعل تعريضاً ليس فيه تقيّه، ولعل تقيّهً ليست بتعريض، وقد يكون التعريض بسبب التقيّه؛ فتُسَخَّر قاعده التعريض لتُمَنهِج نظام التقيّه من زاويتها ويُمَنْهَج التعريض تقيّه لتقنين مساراته، فإحداهما تخدم الأُخرى وتُعِين الأُخرى.

وهذه النظريه - نظريه ترابط وتخادُم القواعد فى نظام منظومى- التى انبثقت وتولَّدت من نظريه تخادُم العلوم يمكن أن نطبقها فى كلّ القواعد التى قدمناها، بل يمكن لكلِّ باحث أن يطبِّقها فى كلِّ قواعد العلوم الدينيّه، ويستنتج منها قواعد أُخرى، يزاوج أو يلاقح قاعده مع قاعده أُخرى فينتج قاعده ثالثه، وهكذا.. تتوالد القواعد وتتوسع العلوم(١).

١- وهذا مشروح مفصَّلاً فى الأبحاث الأُصوليه - من أُصول الفقه- تحت عنوان أُصول القانون والمبادئ الأحكاميه والأُسس والأُصول التشريعيّه.

الفصل الثانی:خارطه المسؤولیّات فی النشاط الوظیفیّ الدینیّ للمؤمنین تجاه حرکات الانحراف الدینیّ

اشاره

ص: ۲۴۵

مقدّمه

السفیانی بین الحَتم والبَداء

هذهِ تتمّه مُهمّه وذات فوائد خطیره وکبیره للبحث المتقدِّم، ولا بدَّ قَبل الولوج فی هَذا البحث الحسّاس مِنْ مُقدّمه:

السُّفیانی حدث معاصر أو مستقبلی، وَهَذا الحدث هُوَ الآخر قدْ ینظر إلیه البعض أنَّ وقوعه محتوم ومُلْجَئین إلی الاستسلام أمامه، بینما الذی تعلّمناه مِنْ عِبَر عاشوراء - وَهُوَ ما تقدَّم بحثه مفصّلاً فی القسم الأوّل- أنَّ حَتمیه الشیء لا تستلزم الإلجاء فی أصل الحدث أو عدم الإلجاء فی تفاصیله، أو الإلجاء فی تداعیاته وما یترامی عَنْه مِنْ أمواج وأحداث.

ویجب أنْ نبّه أنَّ بحثنا لمْ یکن عَلَی التفاصیل الدقیقه لمسرح الظهور - سواء الأمنیّه أو العسکریّه أو السِّیاسیّه أو الجغرافیّه أو غیرها- بقدر ما نحنُ فی صدد بیان أنَّ الخیارات فی الأُفق متعدِّده لمجال القیام بالمسؤولیّه، وأنَّ الروایات رغم بیانها للمقادیر وما حَتم منها إلّا إنَّها تُنبِّه عَلَی إمکانیه التغییر وحصول البُداء ولزوم تحمّل المسؤولیّه، فها هُنا أُمور لا بدَّ مِنْ التنبّه لها، منها:

١. إنَّ أصل هذهِ الأحداث أو الغایات الَّتِی هی عباره عَنْ موازین القوی فی الشرق الأوسط وإنْ کانت مِنْ المحتوم - أو بعض منعطفات تفاصیل الأحداث- إلّا أنَّ بقیّه التفاصیل لیست مِنْ المحتوم، مَعَ أنَّه قدْ مرَّ أنَّ المحتوم یتطرَّق إلیه البَداء الأعظم وإمکانیه التغییر، فکیف بغیر المحتوم؟!

۲. إنَّه قدْ وقع الالتباس لدى الثقافه العامَّه حول علامات الظهور، أنَّ ما دام رايات سنه الظهور وقتالها مِنْ المحتوم فلا محال أنَّ كُلّ ما جاء فى الروايات حول تفاصيل رايات سنه الظهور - أيضاً تلك التفاصيل- هُىَ الأُخرى مِنْ المحتوم، وَهَذا كما تقدَّم مِنْ الغفلات الخطيره فى الثقافه العلميَّه لعلامات الظهور.

ص: ۲۴۸

أهميه الموضوع

يُعتبر هَذا البحث أحد الثمار لبحثنا - التوحيد فى المشهد الحُسينىّ- بلْ وَمِنْ أهمّها، وَهَذا البحث - كما هُوَ واضح لدى الجميع- محل سِجال ولغط علمىّ كبير فى الأوساط العلميَّه، ومحل سؤال واستفسار لدى الناس، بكُلِّ طبقاتهم الثقافيّه، وستتّضح مِنْ خلال البحث الصِّله بين هَذا البحث وبحثنا المُتقدِّم، وستتبَّين أيضاً الثَّمره المُهمّه - بلْ الثمرات- بَعْدَ أنْ ندخل فى طيّات البحث.

ولا نُجانب الصواب لو قُلْنا: إنَّ مَنْ لمْ يقف عَلَى معنى البَـداء فى مفهوم النهضه الحَسـنيّه، وحقيقه البَـداء فى حركه الحسـين(عليه السّـلام) وتحرّكات المعصومين(عليهم السّـلام) ، ومَنْ لمْ يُـدقِّق فى البحث المتقـدِّم - التوحيد فى المشـهد الحُسـينىّ- لَنْ يخرُج بـالنتيجه المرجوّه مِنْ هَـذا البحث (السُّفيانى بين الحتم والبـداء)، والمعصومون(عليهم السّـلام) قـدوه لنا عَلَى مختلف الأصـعده - العلميَّه والعمليّه- ومـا قـالوه فى الأخبـار الموسـومه ب-(أخبـار آخر الزمـان) لَيسَ إخبـاراً بـالغيب وبيانـاً تعبـديّاً مِنْ قِبلهم(عليهم السّلام) يجب علينا التسليم به، وَهَذا عظيم فى نفسه، لكن ما هُوَ أعلى وأعظم منه، وهو التعبّد العلمىّ والتربوىّ، والسلوك العلمىّ بالاقتداء بكلامهم وأفعالهم.

ومَنْ لمْ يفهم حركه المعصوم(عليه السّلام) عَلَى أساس (الحُجيّه المجموعيّه النظميّه

المنظوميّه الترابطيّه)(۱)، لـمْ ولَنْ يستطيعَ أنْ يَفُكّ الرموز والشفرات فی الأخبار الواردہ حوله، ومَنْ لمْ ينتظم فهمه بالحُجّيه المجموعيّه بشكلها المنظومیّ لمْ ولَنْ يكونَ نِعْمَ المقتدی بسيرتهم.

وَهَذا بالضبط ما ترسمه لنا سوره البقره فی أوّل آياتها؛ حيث تقول: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًی لِّلْمُتَّقِين * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...}(۲)، فالآيتان فی سوره البقره تبيّنان علوّ الحُجيّه المجموعيّه (صفات القدوه) بقولها: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ}، وكذلك تُبيّن (صفات المُقتدی) بقولها: {هُدًی لِّلْمُتَّقِين * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}، فالمُقتدی لَيسَ فقط يؤمن بالغيب وبإخبار الغيب، إنَّما هُوَ مُهتدٍ لأنَّه ساعٍ ومُتحرِّك وعامل بوعی الرؤيه الصائبه للحدث.

وَمِنْ الجدير بملاحظه القارئ، أمران:

۱. إنَّنا لا ندرس السُّفيانی دراسه شامله ومُتكامله بكُلِّ زوايا وأبعاد حركته، بلْ مِنْ جهه موضع الفائده الَّتِی ترتبط بما نُريدُ، وإلّا البحث مِنْ جميع الجهات يخرُج بنا عَنْ المقصد الأساس الذی جُعل مِنْ أجله البحث؛ فلذا نرجو مِنْ القارئ الالتفات، لأنَّه قدْ يری أنَّ هُناك نقصاً فی البحث عَنْ شخصيّه السُّفيانی؛ وذلك للاقتصار عَلَی الروايات النافعه ذات الصِّله بالمقام.

۲. مِنْ الضروری أنْ نعرف أنَّ فتن وأحداث آخر الزمان لَيسَ مِنْ

۱- ينبغی الالتفات إلی أنَّ كُلّ كلمه لها حسابها ووزنها الخاصّ، فالحُجّيه يلزم أنْ تكون مجموعيّه، أی: باجتماع وليسَ حُجّيه مُنفرده، هذا أوَّلاً وثانياً بنظم، أی: لَيسَ بانفراط وعشوائيّه، وثالثاً هَذا النظم يتّبع وينتظم بنظم أكبر منه، ورابعاً يترابط بين هذهِ المجموعه بكُلِّ طبقاتها وأبعادها.

۲- البقره: آيه۲-۳.

مشاهد الرُّعب، ولا هى قصّه مُرعبه يقصّها لنا المعصوم(عليه السّلام) وأنَّ أبطالها الخراسانى واليمانى وغيرهم فى طرف الإيمان، والسُّفيانى والأصهب والأبقع فى طرف الكُفْر والنِّفاق؛ وبالتالى تكون مسؤوليتنا التفرُّج مَنْ المنتصر والرابح فى تلك المُباراه، كما لعلَّه يصوِّر البعض أنَّ جهاد العدو لَيسَ عَلَى كُلّ مُكلَّف، بلْ هُوَ مسؤوليّه البعض الذى له قدرات خاصَّه وله اختصاص فى الجهاد، وَهَذا مُخالف لسيره النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) والمعصومين(عليهم السّلام) ومُخالف لأقوالهم، وإنَّما أحداث آخر الزمان يبيِّنها المعصوم ليجعل المسؤوليه فى عاتق الجميع، نَعَمْ، مِنْ كُلّ أحد حسب طاقته وقدرته.

ص: ۲۵۱

قبل البَدء: قاعده عَلویه بصیاغه رَضویّه

قاعده منهجیّه فی المنهج

وهـذه القاعـده یجب أن تکون هی المنهـج المتّبع لنا، بل ینبغی أن تکون لکلِّ باحث فی العلوم الـدینیّه، ونحن نعتقد أنّ المعرفه عـن طریـق دراسـه المنهـج هی منهـج أهـل الـبیت(علیهـم السّـلام) ، فعن أمیر المـؤمنین(علیه السّـلام) قـال: «اعرف الحـقَّ تعرف أهله»(۱)، وکذلک قوله(علیه السّلام): «لا تنظر إلی مَن قال، وانظر إلی ما قال»(۲).

وهـذا الکلام من أمیر البیان(علیه السّـلام) هو أصل وقاعـده تجعل المیزان فی معرفه الحقائق، هو النظر إلی ما قال ولیس إلی مَن قال، وهـذا منهج موضوعیّ - تجرّدی- وضابطه مهمّه لکلّ منصف یرید معرفه الحقیقه، وقوله(علیه السّـلام): «اعرف الحقَّ تعرف أهله»، أی: قَبـل الجری وراء الأشـخاص ینبغی معرفه منـاهجهم، وهـذا المنهـج عظیم وخطیر وهو میزان علمیّ وضـابطه علمیّه فی مختلف العلوم، کعلم الرجال والحدیث والفقه وغیرها، وصالح لأن یکون قاعده مهیمنه فی کلّ العلوم الدینیّه.

وهو مسلک یُشیر إلی أهمّیه المنهج فی البحث العلمیّ، وهذا ما یؤکِّده الإمام علی بن موسی الرضا(علیه السّلام) فی محاورته مع الجاثلیق، حیث یقول(علیه السّلام): «أنا

۱- النیسابوری، محمد بن الفتال، روضه الوعظین: ص۳۱.

۲- المتّقی الهندی، علیّ، کنز العمال: ج۱۶، ص۱۹۷. القندوزی، سلیمان بن إبراهیم، ینابیع المودّه: ج۲، ص۴۱۳، ح۹۹.

مُقرٌّ بنبوّه عیسی وکتابه... وکافر بنبوّه کُلّ عیسی لمْ یقرّ بنبوّه مُحمَّد(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وکتابه»(۱)، وهذا الضابطه المعرفیّه العظیمه من الإمام الرضا(علیه السّلام)، هی نفس ما رسمه الإمام أمیر المؤمنین(علیه السّلام) من عدم الجری وراء العناوین والأسماء والأشخاص، وأنّ الأوْلی هو معرفه أقوالهم، أی: مناهجهم ومشاربهم المعرفیّه، والإمام الرضا(علیه السّلام) یبلور ویوسِّع الضابطه المنهجیّه العَلویّه بجرأه وحیادیّه معصومیه، ولم تکن هذه الأُمور لتتّضح لولا سعه بیانات أهل بیت العصمه والطهاره(علیه السّلام) من جهه، وجرأتهم وصراحتهم فی الحقِّ من جهه أُخری.

والحجج مراتب فوق بعضها البعض، فحجّه إلهیه تهدی إلی حجّه معرفه الربّ تعالی، ومن بعد ذلک تلزم العباد طاعه الرُّسل وذَروتهم سیّدهم، المأخوذه طاعته علی جمیعهم، وهذه هی الحّجه الثالثه، ثّم من بعد ذلک تلزم العباد حجّیه الأوصیاء، إلی غیر ذلک من مراتب الحجج، وکلّ حجّه تفوق الأُخری وتهیمن علیها، وتحدّد أمدها وحدودها؛ ولذلک أشارت الآیات إلی الاستدلال بصفات الله من أنّه مالک للسموات والأرض وما فیهنّ، وأنّه ولیّ کلّ الأولیاء لبیان أنّ هناک مراتب فی الحُجیّه والدلائل، وتفاوت فی درجاتها، واللازم مراعاه سلسله تلک المراتب، وما هو أکبر وأبلغ، کاستدلال لدحض ما یزعمه الیهود والنصاری من لزوم اتّباع ما یزعمونه من یهودیّه ونصرانیّه النبی إبراهیم والأنبیاء السابقین؛ حیث إنّ ولایه الله فوق ولایه الأنبیاء وصلاحیّاته فی الحکم والتشریع، فکیف یترک أهل الکتاب الدلائل علی المشیئه الإلهیّه فی مقابل ما یزعمونه من حجّیّه یتبعونها؟ بل یکون هو المیزان

۱- الصدوق، محمّد بن علیّ، عیون أخبار الرضا: ج۱، ص۱۴۱، ح۱.

الـذى يُعرف بـه الحـقّ، كمـا فى قـوله(صـلّى الله عليـه و آلـه وسـلّم): «علىٌّ مـع الحـقِّ والحـقُّ معـه، لاـ يفترقـان حـتى يردا علىَّ الحوض»(۱)، أى: إنّ المعصوم(عليه السّلام) يكون هو الميزان والمنهج الذى به يُعرف الحقّ.

والنتيجه: إنّه لو ادّعى مـدعٍ أنّه عيسـى(عليه السّـلام) - أو ادّعى أنّه سـفير الإمـام(عجـل الله تعالى فرجه الشـريف) أو نائب خاص للإمام(عجل الله تعالى فرجه الشـريف) ، أو ابن الأمام، أو وصـى الإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، أو أنّه اليمانى أو الحسنى أو الخراسانى أو النفس الزكيّه، أو أىّ عنوان آخر- فإنّنا قبل أن نطالبه ببرهان أو معجزه على صـدق ادّعائه، ينبغى أن نرى منهجه العقائـدى والفكرى والسـلوكى هـل يطـابق الثوابت العُليا فى الـدين؟ لأنّه أقوى برهان ومعجزه من كلّ معجزه، فإنّ معاجز الأنبياء صلوات الله عليهم لا تتطاول فوق التوحيد، ثمّ بعد ذلك نطلب المعجزه.

مسالک الانتظار

هنـاک مسـلکان فى کیفیّه التعامـل مع روایـات مـا قَبـل الظهور، أو ما تُعرف بروایات علامات الظهور - کما یعبَّر عنها- وبالتالى سوف تتحدّد مشارب ومسالک المُنتظِرین بحسب ما ینعکس من فهم للروایات.

المسـلک الأـول: یجعل العلامه بمثابه العلّه إذا حـدثت فسوف یحـدث الظهور، وإذا لم تحـدث سوف لا یحـدث الظهور، وهـذا الفهم وهـذه الرؤیه والنظره الجمـودیّه لروایـات مـا قَبـل أو قُبیـل الظهـور الـتى هى من سُـنخ علامـات الظهـور، نسـتطیع تسـمیتها بالمسلک الجمودىّ الأُحادى الجبرى.

وکأنّه یعلِّق ظهور الإمام المهدى(عجل الله تعالى فرجه الشریف) على ظهور هذه العلامات، فهو

۱- الصدوق، محمد بن على، الأمالى: ص ۱۵۰.

فی الحقیقه مُنتظِر للعلامات برؤیه جبریه للظهور، لا- رؤیه مسؤوله ک- (لا جبر ولا تفویض ولکن أمر بین أمرین)، کما فی قوله تعالی: {ذَلِکَ بِأَنَّ الله لَمْ یَکُ مُغَیِّراً نِّعْمَهً أَنْعَمَهَا عَلَی قَوْمٍ حَتَّی یُغَیِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ الله سَمِیعٌ عَلِیمٌ}(۱)، ولیس مُنتظِراً انتظار نصره وعون للمهدی(عجل الله تعالی فرجه الشریف) - وسیکون من الفاشلین فی الامتحان کما فشل المُنتظِرون فی زمن نوح(علیه السّلام)؛ حیث علّقوا انتظارهم علی العلامات، وهی حصول ثمر النوی، فلمّا بَدا لله فی زمن الطوفان فشلوا- یأول به الحال إلی کونه مُنتظِراً للیمانی وللسُّفیانی وللخراسانی وغیر ذلک، ولیس مُنتظِراً للمهدی(عجل الله تعالی فرجه الشریف)!

فإذا بدا لله فی هذه العلامات - وهذا أمر ذکرته الروایات- أو تختلط علی المُنتظِر الأُمور بحسب ظهور الروایات بین السُّفیانی الأوّل والثانی والثالث فلا یُمیِّز، فسوف یباغته تغیُّرات الأحداث، وهو فی سکره الارتقاب للعلامات.

وهذا المسلک الجبری کأنّه یقول: ما دامت العلامه یمکن فیها البَداء ولا یرتبط بها الظهور فلماذا أنظر إلیها؟ وبما أنّ الله ناصر ولیّه ومُظهر دینه علی الدین کلِّه، فما الداعی للبحث وراء العلامات ومتابعه الأحداث تسارعت أم تباطأت؟

وبین هذا وذاک هناک نظر واقعی لأحداث مسرح الظهور ولعلامات الظهور ولشخصیات الظهور، وهذا النظر (أمرٌ بین أمرین)، فلا تفویضیّه بجعل المحور هو العلامات أو بید شخصیات مسرح الظهور، ولا جبریّه مطلقه لا تری أهمّیه لأیّ دور وشخصیه فی مسرح الظهور، بل إنّما أمر بین أمرین.

۱- الأنفال: آیه۵۳.

فالصحیح هو الالتفات إلی المناهج الذی یتّبعها هؤلاء الثلاثه - الیمانی والخراسانی والسُّفیانی- وغیرهم.

وبعباره أُخری: إنّ معرفه منهاج هؤلاء الثلاثه فی سنه الظهور أهمّ من معرفه أشخاصهم؛ لأنّ المیزان هو علی المنهج لا علی الشخص، والبصیره هی علی الحقِّ لا علی الرجال؛ ومن ثَمَّ فمِن أخطاء ثقافه التعلیم لعلامات الظهور شخصنه البصیره بأشخاص، بینما البصیره مرهونه بالمنهج والمیزان، کما أنّ هناک ضابطه ثانیه خطیره أیضاً فی قراءه علامات الظهور، وهی أنّ الثقافه والمعرفه بالمشروع المهدویّ مبتوراً عن الثقافه والمعرفه بأصحاب الکساء، بدءاً بالمعرفه النبویّه، ومعرفه المنهاج العَلوی والفاطمی والحَسنی والحُسینی، فضلاً عن التوحید، وثمره ذلک هیمنه ثوابت الدین العُلیا فی قراءه المشروع المهدویّ.

وضابطه ثالثه: أنّ روایات علامات الظهور هی فی الحقیقه رسم خارطه سیاسیّه وعسکریّه أمنیّه واجتماعیّه لسنین أو لسنه الظهور وأنّها تقریر یرسم الوظیفه للمؤمنین فیما ینبغی علیهم القیام به والحذر منه والیقظه تجاهه، وبهذه الضوابط فی قراءه روایات علائم الظهور والرایات المتجاذبه لمسرح الحدث - سواء فی طرف الحقّ أو الباطل- وبذلک یقطع الطریق علی الأدعیاء؛ ویکون المؤمن علی بصیره ثاقبه فی قراءه الأحداث، وفی انتظارٍ صحیح للإمام المهدی(عجل الله تعالی فرجه الشریف).

ومن جهه أُخری - وهی جهه أساسیّه ومهمّه- فإنّ التمحوّر حول المنهجیّات یکون تمحوّراً حول الإمام؛ لأنّ تلک المحاور مسارات وخطوط رسمها لنا أهلُ البیت(علیهم السّلام) .

الشجره الملعونه

قبل أنْ نلج فی بحث السُّفیانی لا بدَّ أنْ نلتفت إلی أنَّ منهجه وطریقه شجره مُمتدّه عِبْرَ الزمن، بلْ هی تتصل بالآخره (بشجره الزقّوم)، وما تلک الشجره الخبیثه الَّتِی اجتُثّت مِنْ فوق الأرض - کما عبَّر القُرآن: {وَمَثَلُ کَلِمَهٍ خَبِیثَهٍ کَشَجَرَهٍ خَبِیثَهٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَار}(۱)- إلَّا واقع وحقیقه هذهِ الشجره، وَهَذا المنهج الذی فی الدُّنیا نهج بنی أُمیَّه، قال تعالی: {وَإِذْ قُلْنَا لَکَ إِنَّ رَبَّکَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤیَا الَّتِی أَرَیْنَاکَ إِلاَّ فِتْنَهً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَهَ الْمَلْعُونَهَ فِی القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا یَزِیدُهُمْ إِلاَّ طُغْیَاناً کَبِیراً}(۲).

وقدْ أجمع المُفسّرون سنّه وشیعه عَلَی أنَّ المُراد مِنْ الشجره الملعونه فی القُرآن الکریم هُم بنو أُمیَّه، ففی تفسیر العیّاشی: عَنْ الباقر(علیه السّلام) أنَّه سُئل عَنْ قوله تعالی: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤیَا الَّتِی أَرَیْنَاکَ} فقال: «إنَّ رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) أُری أنَّ رجالاً مِنْ بنی تیم وعدی عَلَی المنابر یردون الناس عَنْ الصراط، القهقری. قِیلَ: والشجره الملعونه؟ قال: هُم بنو أُمیَّه»

(۳). وعن الصادق(علیه السّلام) مثله.

کذلک فی تفسیر قوله تعالی: {وَمَثَلُ کَلِمَهٍ خَبِیثَهٍ کَشَجَرَهٍ خَبِیثَهٍ اجْتُثَّتْ مِن

۱- إبراهیم: آیه۲۶.

۲- الإسراء: آیه ۶۰.

۳- العیّاشی، محمّد بن مسعود، تفسیر العیّاشی: ج۲، ص۲۹۸. وعنه المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۳۱، ص۲۵۷.

فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَار}(۱)، قال الباقر(علیه السّلام): «إنَّ هَذا مَثَل بنی أُمیّه»(۲)، روی القمّی، عَنْ أبی الجارود، عَنْ الباقر(علیه السّلام): «کذلک الکافرون لا تصعد أعمالهم إلی السماء، وبنو أُمیَّه لا یذکرون الله فی مجلس ولا فی مسجد، ولا تصعد أعمالهم إلی السماء إلّا قلیل منهم»(۳)، وقوله تعالی: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم * طَعَامُ الأَثِیم * کَالْمُهْلِ یَغْلِی فِی الْبُطُون * کَغَلْیِ الْحَمِیم}(۴)، فُسِّر أیضاً ببنی أُمیَّه.

وفی روایه عَنْ أبی مُحمَّد العسکری(علیه السّلام) فی تفسیر قوله تعالی: {أُوْلَئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُاْ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَی}(۵): «ثمَّ قال رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم): {أَذَلِکَ خَیْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّوم}(۶)، المعدّه لمُخالفه أخی ووصیی علیّ بن أبی طالب(علیه السّلام)»(۷)، وأیضاً عَنْ ابن عباس والحسن وأبو مالک وسعید بن جبیر ومجاهد وقتاده والضحّاک وابن زید: «إنَّها - الشجره الملعونه- شجره الزقوم التی ذکرها الله فی قوله تعالی: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم * طَعَامُ الأَثِیم}»(۸).

وکذلک وفی مضامین أُخری عدیده فُسِّرت - شجره الزقّوم- بالشجره الملعونه، وَهَذا متطابق مَعَ کون الشجره الخبیثه والملعونه والزقّوم واحده مَعَ اختلاف النشآت.

۱- إبراهیم: آیه۲۶.

۲- الطبرسی، الفضل بن الحسن، مجمع البیان فی تفسیر القرآن: ج۶، ص۷۵.

۳- القمی، علیّ بن إبراهیم، تفسیر القمی: ج۱، ص۳۶۹.

۴- الدخان: آیه۴۳-۴۶.

۵- البقره: آیه۱۶.

۶- الصافات: آیه۶۲.

۷- البحرانی، هاشم، حلیه الأبرار: ج۲، ص۱۵۷.

۸- الطوسی، محمّد بن الحسن، التبیان فی تفسیر القرآن: ج۶، ص۴۶۴.

خطوره المنهج

اشاره

ممّا ينبغى لنا فهمه أنَّ الأهمّيه والخطوره تكمُن فى المنهج، فإنَّ الشعارات كثيره برّاقه وذات ألوان عديده، ولكن حقائقها مُخالفه لشعاراتها، والجرى وراء الشعارات بحسب بيان الشَّارع لا ـ ينفع؛ لأنَّ المُهِم هُوَ الوصول إلى حقيقه ما يكمُن خلف تلك الشعارات، وَهَذا ما نحاول بيانه فى نقاط:

النقطه الأُولى: (الشجره الخبيثه)

إنَّ القُرآن حينما يقول الشجره الملعونه فهو لا ـ يصف أشخاصاً بعينهم، بلْ يصف شجره، والشجره لها فروع وأغصان، وحينما يصف الكلمه بالخبث يصفها بشجره.

النقطه الثَّانيه: (لا يذكرون الله)

إنَّ الشجره الملعونه أى: المُبعده والمطروده عَنْ رحمه الله، وفُسِّرت الشجره الملعونه ببنى أُميّه، وقدْ مرَّ وصفهم مِنْ قِبل الإمام الباقر(عليه السّلام): «... وبنو أُميَّه لا يذكرون الله فى مجلس ولا فى مسجد، ولا تصعد أعمالهم إلى السماء...»(۱)، وإذا كانوا كذلك فكيف لا يُطرَدون مِنْ الرحمه الإلهيّه؟!

النقطه الثَّالثه: (بنو أُميّه نهج وسلوك)

بناءً عَلَى هَذا الأساس؛ يمكن أنْ نُفَسِّر روايات آخر الزمان الَّتِى ذكرت بنى أُمَيَّه، بأنَّها لا ـ تقصد بنى أُمَيَّه أشخاصاً فقط، بلْ الأقرب الأهم لنظر الروايات هُوَ النهج والسلوك (نهج وسلوك بنى أُمَيَّه).

۱- القمى، علىّ بن إبراهيم، تفسير القمى: ج۱، ص۳۶۹.

النقطه الرَّابعه: (سعد الخير)

إنَّ القتل والتخريب والـدمار والفساد والإفساد الـذى خصّـته الروايه بالسُّفيانى ما هُوَ إلّا رسم للسـلوك العـدوانى والنهـج الأُموى. وليست القضـيه منوطه بشـخص وأشـخاص ولـذلك كُلّ الروايات - إلَّا قليلاً- ذكرته بلقبه (السُّفيانى) ولم تذكر اسـمه، وبعضـها ترفض التشـبّث بالاسم؛ ففى الروايه عَنْ عبـد الله بن أبى منَصور البجلى، قال: «سألت أبا عبـد الله(عليه السّـلام) عَنْ اسم السُّفيانى، فقال: وما تصـنع باسـمه؟ إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، وقنسرين، فتوقعوا عِنْدَ ذلك الفرج. فقلت: يملك تسعه أشهُر؟ قال: لا، ولكن يملك ثمانيه أشهر لا يزيد يوماً»(۱).

فهُنا نرى الإمام يحاول عـدم ذكر اسم السُّفيانى؛ إشاره منه إلى أنَّ خطوره المنهـج أهم مِنْ خطوره الشـخص، وهى أوْلى بالبحث والاهتمـام مِنْ الأشـخاص، كمـا أنّ مركز الاهتمـام فى أغلب روايـات المعصومين(عليهم السّـلام) ليست عَلَى الانتسـاب مِنْ جهه الآباء أو العشيره، بلْ عَلَى الانتساب للمنهج.

كما فى روايه أبى حمزه قال: «دخل سعد بن عبد الملك فقال أبو جعفر(عليه السّلام): ما يبكيك يا سعد؟ فقال: وكيف لا أبكى وأنـا مِنْ الشـجره الملعونه فى القُرآن. فقـال له: لست منهم، أنت أُموى منّا أهل البيت؛ أما سـمعت قول الله (عَزَّ وَجَلَّ) يحكى عَنْ إبراهيم(عليه السّلام) فَمَنْ تبعنى فإنَّه منّى»(۲).

النقطه الخامسه: (اللَّعن للمؤسسين أشدّ)

وَرَدَ فى الزياره المعروفه بزياره عاشوراء «لعن الله أُمَّه أسّست أساس

۱- الصدوق، محمّد بن علىّ، إكمال الدين: ج۲، ص۶۵۱.

۲- المفيد، محمّد بن محمّد، الاختصاص: ص۸۵.

الظلم والجور عليكم... ولعن الله المُمهدين...»(۱).

بحسب هَـذا النصّ هُناك تأسيس، وكذلك هُناك تمهيد للفساد والإفساد ولقتل المُصلحين (مُحمَّد وأهل بيته(صلّى الله عليه و آله وسلّم))، فی حين كانت الشجره الطيّبه (مُحمَّد وآله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)) تُؤسِّس وتُمهِّد لكلِّ خير وصلاح وسنّه وملّه حسنه، كانت أُمَيَّه تُؤسِّس للفساد والإفساد وسنّ سنن الغدر والغيله ونقض العهد، كما فعلت هند مَعَ سيد شُهداء زمانه حمزه(عليه السّلام)، وكما فعل معاويه بنقض العهد مَعَ الإمام الحسن(عليه السّلام)، وكما أسَّس يزيد وسنَّ سنن تخريب المُدن وخرّب مدينه رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، وانتهك المُدن المُقدّسه والأماكن المُقدّسه وهدم الكعبه.

وما يفعله السُّفيانی عين ذلك، فَهُوَ يغدر وينقض العهود ويخرّب المدن وينتهك الحُرمات ويخرِّب المُقدَّسات ويهدم الكعبه... وهكذا تستمرّ هذهِ الشجره الملعونه بسنّ السنن وإحداث البِدع إلی يومنا هَذا، فی مقابل هذهِ الشجره الملعونه شجره طيبه مُباركه وهی شجره أهل البيت(عليهم السّلام) (كما وصفها القُرآن)، فهی تسنّ السنن الطيّبه، كالتضحيه والفداء والإيثار وزرع البرِّ والخير والمحبّه والسلام فی ربوع الدُّنيا، وَهَـذا ما تُشير إليه روايه عمّار بن أبی الأحوص، قال: قلتُ لأبی عبد الله(عليه السّلام): «... أما علمت أنَّ إماره بنی أُمَيَّه كانت بالسيف والعسف والجور، وأنَّ إمامتنا (إمارتنا) بالرفق والتآلف، والوقار والتقيّه وحُسن الخلطه، والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس فی دينكم وفی ما أنتم فيه»(۲).

۱- الطوسی، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص۷۷۴.

۲- الصدوق، محمّد بن علی، الخصال: ص۳۵۵، ح۳۵. الحرّ العاملی، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج۱۶، ص۶۵.

النقطه السَّادسه: (أخطر المناهج)

إنَّ وصف الشجره الملعونه فی القُرآن ببنی أُمَیَّه یُشیر إلی أنَّ أخطر المناهج هُوَ منهج بنی أُمَیَّه، وأضلّ الرایات، بَعْدَ الفتنه المُشار إلیها فی الآیه، وهی رایه بنی أُمَیَّه؛ فتکون کُلّ رایات الضلاله أقل خطوره وضلالاً مِنْ تلک الرایات الملعونه.

النقطه السَّابعه: (إسلام وأصنام)

مِنْ الموارد المفرِّقه الَّتِی تبیّن لنا شدّه ضلال النهج الأُموی وتفوّقه فی الفساد والضلال أنَّه یرفع الشعارات المُتضاده، ففی حین یُنادی بالإسلام هُوَ یهدم الإسّلام، وفی حین خلیفته یُنادی بالقُرآن وأنَّه خلیفه المُسْلمین یجعل القُرآن غرضاً لسهامه ویتطاول جهاراً عَلَی تمزیقه، ویصلّی خلیفته الآخر وَهُوَ سکران، یرفع شعار الإسّلام لکنَّهُ یدعو للأصنام.

النقطه الثامنه: (بنو العباس)

مقابل النهج الأُموی السُّفیانی هُناک حرکات ضلال کثیره، والروایات تُبیّن أنَّها سابقه عَلَی حرکه الضلال الَّتِی یتزعمها السُّفیانی الأُموی، وتُؤکِّد الروایات مِنْ خلال مفاداتها أنَّ حرکه السُّفیانی هی الأخطر، وأنَّ تلک الرایات بمثابه المُمهِّده لحرکه السُّفیانی، وأنَّ رایات الضلال یستحقّها المُجْتَمع بسوء تصرّفه وتقاعسه عَنْ نصره الحقّ.

وبنو العباس أیضاً وصف لنهج وسلوک معیّن عدائی للإسلام ولأهل البیت(علیهم السّلام) ، ولکنّ الأُسلوب مُختلف والنهج مُختلف، ویمکن أنْ نلحظ عَلَی النهج العباسی أُموراً تُفرِّقه عَنْ المنهج الأُموی:

١. إنَّ النهج العباسى يتوسَّل إلى كرسى الرئاسه عِبَر رفع شعار (الرضا مِنْ آل مُحمَّد) مِنْ أجل ذلك، أمَّا بنو أَمَيَّه لمْ ترفع ذلك الشعار، بلْ عَلَى العكس مِنْ ذلك رفعت شعار العداء لآل البيت(عليهم السّلام) .

٢. إنَّ نهج بنى العباس يحارب أهل البيت(عليهم السّلام) كنهج إيمان بَعْدَ وصوله إلى سدّه كرسى الحُكم، أمَّا بنو أُمَيَّه فهم يُحاربون نفس النهج الإسلامى وتتعارض كُلّ شعاراتهم مَعَ شعارات الإسلام.

٣. عداءُ بنى أُمَيَّه عداء مُباشر وواضح للإسلام، وعداء بنى العباس غَير مباشر للإسلام ولنهج الإيمان، ولكنَّه مُجاهر العداء لنهج آل البيت(عليهم السّلام) ، وحتّى أنَّ المنصور الدوانيقى كَانَ يقوم بالدعوه لفضائل علىٍّ أمير المؤمنين(عليه السّلام)، وذِكْر آل البيت(عليهم السّلام) ، وفى إحدى المرّات كاد يُقتل جرّاء إقامته لمجلس عزاء لهم فى بلاد الشام.

فالنهج العبّاسى - إذنْ- أُسِّس عَلَى أساس الفداء لآل البيت(عليهم السّلام) ، ولكن نهج أهل البيت(عليهم السّلام) الذى يحاسب كراسى الحُكم الدنيويّه يصعب عَلَى مَنْ يُريد التربُّع عَلَى العروش الدنيويّه أنْ يتّخذه كنهج وسلوك؛ لأنَّ ذلك النهج يحاسبه هُوَ نفسه أشدّ الحساب بشكل يصعب تحمّله، فإما أنْ يسير معه أو ينقلب ضدّه، وَهَذا ما حصل فعلاً مِنْ المنصور وباقى بنى العباس ومَنْ تبع نهجهم إلى هَذا اليوم، حيث ساروا عَلَى المعاداه لآل البيت(عليهم السّلام) ولنهجهم وسلوكهم.

مَن هو السُّفیانی؟

فی هَـذا البحث نحنُ لا نُریـدُ أنْ نعرف اسم السُّفیانی ونسبه ونذکر الروایات فی ذلک الخصوص؛ لئلّا یطول بنا المقام مِنْ جهه، وَمِنْ جهه أُخری لَیسَ هُوَ بحث ذو ثمره تُـذکر - هُنا بالخصوص- وَهَـذا مُتطابق مَعَ الروایه الَّتِی رواها الصدوق بإسناده عَنْ عبد الله بن أبی منصور البجلی، قال: «سألتُ أبا عبد الله(علیه السّلام) عَنْ اسم السُّفیانی، فقال: وما تصنع باسمه إذا مَلَک کور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطین، والأردن وقنسرین، فتوقعوا عِنْدَ ذلک الفرج. قلتُ: یملک تسعه أشهُر؟ قال: لا، ولکن یملک ثمانیه أشهُر لا یزید یوماً»(۱).

إذن؛ ما نریده هُوَ التعرُّف عَلَی هویته العقائدیّه والسیاسیّه والعسکریّه مِنْ خلال حرکته، وهذهِ الهویه تبیِّنها مجموع روایات روت أفعاله ومُعتقداته، والروایات الَّتِی تصف شخصیه السُّفیانی کثیره منها:

عَنْ أبی عبد الله(علیه السّلام) قال: «إنَّکَ لو رأیت السُّفیانی رأیت أخبث الناس، أشقر أحمر أزرق یقول: یا ربّ، یا ربّ، یا ربّ، ثمَّ للنار. ولَقَدْ بلغ مِنْ خُبثه أنَّه یدفن أُمّ وَلَد وهی حیّه مخافه أنْ تَدلُّ علیه»(۲). وأیضاً: «... یَقبِل السُّفیانی مِنْ بلاد الروم متنصراً فی عنقه صلیب وَهُوَ صاحب القوم»(۳).

۱- الصدوق، محمّد بن علیّ، إکمال الدین: ج۲، ص۶۵۱.

۲- المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۰۶.

۳- الطوسی، محمد بن الحسن، الغیبه: ص۴۶۳. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۱۷.

وعن مُحمَّد بن مُسْلِم، عَنْ أبی جعفر(علیه السّلام) قال: «السُّفیانی أحمر، أشقر، أزرق، لمْ یعبد الله قطّ، ولم یرَ مکه ولا المدینه قطّ، یقول: یا ربّ، ثأری والنار، یا ربّ، ثأری والنار»(۱).

وفی إلزام الناصب: «ولا یزال السُّفیانی یقتل کُلّ مَنْ اسمه مُحمَّد، وعلیّ، وحسن، وحسین، وفاطمه، وجعفر، وموسی، وزینب، وخدیجه، ورقیه؛ بُغضاً وحنقاً لآل مُحمَّد(صلّی الله علیه و آله وسلّم)»(۲)، هذهِ الروایه وروایات أُخری بنفس المضمون تبیِّن العقیده الَّتِی یحملها السُّفیانی:

أوَّلاً: مِنْ حیث عقیدته، فَهُوَ: لمْ یعبد الله قطّ، وکذلک لمْ یؤمن بالنبی، ولا بالعقائد الحقّه، ولا بالمقدّسات، ولا بعقیده التوسُّل، ولا بالشفاعه وغیرها، لذلک قالت الروایه: «لمْ یرَ مکّه ولا المدینه قطّ»، وَمِنْ جهه أُخری فَهُوَ لا یؤمن بفروع الدِّین ولیسَ فقط بأُصوله؛ لأنَّه لو آمن بالفروع لرأی مکّه فی حجّ أو عمره، وَمَنْ لا یؤمن بمکه کمشهد ومَعْلَم وکبیت لله لا یؤمن بباقی المشاهد المُشرَّفه؛ وبالتالی لا یؤمن بأیّ شعیره مِنْ الشعائر، ولا یعظِّم شعائر الله، لأنَّ (الصفا والمروه) مِنْ الشعائر، وهُما فی بیت الله الحرام الذی لمْ یؤمن بقدسیته ولم یعظِّم حرمته، وستأتیک لمحه نافعه عَنْ حادثه فی فهم هذهِ النقطه فانتظر.

ثانیاً: قوله(علیه السّلام): «لو رأیته رأیت أخبث الناس»، وَهَذا کلام عَنْ صفاته الباطنیّه ومکونات شخصیته الداخلیه، والتعبیر بالخبث تعبیر عَنْ نجاسه باطنیه - بطبعها- تضادد وتُعاکس وتتقاطع ذاتاً وصفه مَعَ معدن الطُّهر

۱- النعمانی، محمد، الغیبه: ص۳۱۸.

۲- الیزدی، علی، إلزام الناصب فی إثبات الحجّه الغائب: ج۲، ص۱۷۳.

والطيب، وهم مُحمَّد وآله(صلّى الله عليه و آله وسلّم).

وقوله: «أشقر، أحمر، أزرق». إشاره إلى التذبذب والتلوّن الباطنى باعتبار أنَّها جاءت فى سياق ذكر الخباثه الباطنيّه، وكذلك لعلَّه إشاره إلى التلوّن فى عقيدته - ولا يُنافى ذلك إراده الأوصاف الحسيّه أيضاً- وَهَذا التلوّن مَعَ خبث السَّريره كاشف عَنْ أنَّ نجاسته الباطنيّه إلى ما شاء الله مِنْ أنواع الخبائث والنجاسات.

ورؤيه الخباثه عاده إشاره إلى الباطن الخبيث، وإشاره إلى الرؤيه للباطن بالرؤيه التفرُّسيه.

والرؤيه الظاهريه للخباثه تقود للرؤيه الباطنيّه، بلْ هى أشدّ فى حقيقه الأمر؛ وذلك لأنَّه - السُّفيانى- مِنْ الخباثه الشديده بحيث طفحت وبرزت عَلَى قسمات وجهه وفى لحن كلامه وقوله، مِنْ حيث نصبه وعدائه لأهل البيت(عليهم السّلام) وأتباعهم، وفى هَذا المجال وردت عِدَّه نصوص فى ذلك - ونحنُ نذكر واحده منها اختصاراً- ومضامين هذهِ النصوص الروائيه تصبّ فى العداء لأهل البيت(عليهم السّلام) وأتباعهم، ومنها ما ذكرنا، وهى أنَّه يقتل كُلّ مَنْ يتسمّى بأهل البيت(عليهم السّلام) وأسماء ذرّيتهم، وكذلك ما يفعل بالحوامل وبالنساء مِنْ الفجور والتعدّى، فعن أمير المؤمنين(عليه السّلام) قال: «يخرُج السُّفيانى وبيده حربه ويأمر بالمرأه ويدفعها إلى بعض أصحابه فيقول له: افجر بها فى وسط الطريق. فيفعل بها، ثمَّ يأمر ببقر بطنها ويسقط الجنين مِنْ بطن أُمّه، فلا يقدر أحد أنْ يُنكر عليه...»(1)، والروايه طويله وَهَذا موضع الشاهد منها.

والمُهم هُوَ توجّهاته السِّياسيّه والثقافيّه والدينيّه:

۱- المصدر السابق: ج۲، ص۱۷۳.

حَيْثُ وَرَدَت إشارات عديده إلى عمالته لليهود والنصارى، وعَلَى نصبه وعدائه السِّياسى لكلِّ المُؤسَّسات والدول والسياسات الَّتِى تدعو إلى أهل البيت(عليهم السّلام) وإلى الإسْلام الحقيقى الذى يمثّله أهل البيت(عليهم السّلام) ؛ ولذلك فإنَّ الروايه حينما تقول «يُقبل السُّفيانى مِنْ بلاد الروم متنصِّراً»(۱)؛ إشاره إلى عقيدته، وكذلك إشاره إلى التنصّر السِّياسى، أى: التحالفات الَّتِى تصبّ فى صالح الصهيونيّه الصليبيّه المُعاديه للإسلام الصحيح الذى يرفض الذوبان فى الأطراف الَّتِى تجانب الحقّ ودين الحقّ. وهذهِ الإشاره يؤكِّدها ذيل الروايه حيث فيها: «فى عنقه الصليب، وَهُوَ صاحب القوم»(۲)، كُلّها إشارات إلى الاتّفاقات السِّياسيّه الدينيّه العقائديّه(۳)، الَّتِى تصبّ فى خدمه المشروع الصليبى الغربى السلفى الوهابى، وحينما تقول الروايه: «فى عنقه الصليب»(۴)، إشاره إلى بيعه صليبيّه صهيونيّه تُعادى المسيحيّه الحقّه وَكُلّ دين حقّ وَهُوَ الإسْلام الحقّ، المُتمثِّل بأهل البيت(عليهم السّلام) ؛ لأنَّ العنق - أو الرقبه- إشاره إلى تبعيته الكامله للغرب؛ ولذا يوصف عتق العبد ب- (عتق الرقبه)، وقدْ وَرَدَ: «يقوم القائم(عليه السّلام) وليسَ فى عنقه بيعه»(۵).

والروايه حينما تقول: «يا ربّ، ثأرى والنار، يا ربّ، ثأرى والنار».

۱- الطوسى، محمد بن الحسن، الغيبه: ص۴۶۳. المجلسى، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۱۷.

۲- المجلسى، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۱۷.

۳- حينما نقول: (صفات سياسيّه عقائديّه). لا يمنع إشاره الروايه أساساً إلى توجهاته الشخصيّه العدائيّه لأهل البيت(عليهم السّلام) .

۴- المجلسى، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۱۷.

۵- الصدوق، محمّد بن علىّ، إكمال الدِّين: ص۴۸۰.

تُذكّرنا بإبليس الذى يعتقد بالله، ولكنَّه لا يؤمن بخليفته ولا يسجد لخليفته، وَهُوَ قدْ فضّل النار عَلَى السجود للخليفه، وليسَ ذلك إلّا للتكبّر والأنا والحقد والحسد والثأر الذى هُوَ عقيده الانتقام مِنْ الطرف الآخر مهما كَانَ عظيماً أو بسيطاً، ومهمّا كانت العداوه بسيطه أو كبيره، فَهُوَ ينتقم مهما كَانَ الثمن ولو كَانَ النار، فقول: «يا ربّ، ثأرى والنار». دعاء لربِّه أنْ يمكِّنه مِنْ الثأر مِنْ عدوّه ولا يهمّه بَعْدَ ذلك حتّى لو كَانَ ثمن ذلك جهنّم خالداً فيها، كما هُوَ حال إبليس الذى طلب مِنْ الله البقاء ليثأر مِنْ آدم(عليه السّلام) ووُلده، قال تعالى: {قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}(1)، وكما أنَّ إبليس يطلب ثأره مِنْ الخليفه كذلك السُّفيانى - وكما هُوَ واضح- يطلب ثأره مِنْ مُحمَّد وآل مُحمَّد وَمِنْ شيعتهم، وَمِنْ كُلّ مَنْ يهتدى بهديهم، وفى الأحداث الأخيره والروايات كفايه لمعرفه ماهيّه الثأر ومِمَّنْ يطلبه.

حادثه مُثيره

وفى هَذا السِّياق يمكن أنْ نذكر محاوره تُشير إلى توجُّه الفكر السلفىّ الوهابى - السُّفيانى- للقضاء عَلَى الإسْلام بشكل عام، وليسَ فقط الإسْلام الحقيقى الذى هُوَ إسلام أهل البيت(عليهم السّلام) وأتباعهم، وَهَذا هُوَ المشروع الصهيونىّ الصليبىّ الغربىّ، والحادثه هى حوار جرى بين أحد أتباع أهل البيت(عليهم السّلام) وبين أحد أفراد ما يُسمّى بهيئه الأمر بالمعروف والنهى عَنْ المنكر عِنْدَ قبر حمزه(عليه السّلام) - ومضمونه-:

- الشيعى: لماذا تحوطون قبر الحمزه(عليه السّلام) بسياج إسمنتى؟

١- ص: آيه٧٩.

- الوهابی: لکی لا یأخذ منه بعض الجهله الأحجار والتراب للتبرُّک.

- الشیعی: لو ترکتموها مدروسه وغیر معلّمه لنجوتم مِنْ المحذور.

- الوهابی: لو کَانَ الأمر بیدنا لمحونا کُلّ القبور.

- الشیعی: حتّی قبر النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)؟

- الوهابی: نَعَمْ، وَهَذا ممّا یرضی النَّبی، وَهَذا هُوَ التوجّه الذی یریده النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) فَهُوَ أراد أنْ یمحو کُلّ قبر.

- الشیعی: إذاً، لماذا لمْ یفعل النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) ذلک؟

- الوهابی: لولا خوف الفتنه، لمحاها النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، ألم یقل لعائشه: «لولا حداثه عهد قومک بالکفر لنقضت البیت»(۱)؛ لأنَّها - الأحجار- إذا بقیت سیعود النَّاس إلی عباده الحجاره والأصنام، فالأفضل أنْ تسوّی بالأرض، ولکنّ هَذا الأمر أضمره النَّبی ولم یعلنه خوف الفتنه، فإنَّه أظهر شیئاً وأخفی شیئاً؛ لأنَّ الناس لا تتحمّل ذلک.

- الشیعی: هَذا خلاف تتمّه الحدیث؛ لأنَّه قَالَ فی تتمّته: «لنقضتُ البیتَ فبَنَیتُه عَلَی أساس إبراهیم»(۲)، وخلاف سلوک إبراهیم(علیه السّلام)، بلْ خلاف القُرآن حیث یقول: {وَإِذْ یَرْفَعُ إِبْرَاهِیمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَیْتِ وَإِسْمَاعِیلُ}(۳)، بلْ إنَّ الله جعل حجرین وهُما جبل الصفا وجبل المروه مِنْ شعائر الله وأمر

۱- النسائی، أحمد بن شعیب، السنن الکُبری: ج۲، ص۳۹۱، ح۳۸۸۷. المتقی الهندی، علیّ، کنز العمال: ج۱۲، ص۲۰۲، ح۳۴۶۶۷.

۲- النسائی، أحمد بن شعیب، السنن الکُبری: ج۲، ص۳۹۱، ح۳۸۸۷. المتقی الهندی، علیّ، کنز العمال: ج۱۲، ص۲۰۲، ح۳۴۶۶۷.

۳- البقره: آیه۱۲۷.

بتعظیمهما، قال تعالی: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ الله فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ الله شَاكِرٌ عَلِيم}(۱).

کُلّ هذهِ الحجاره الَّتِی تُرید محوها تمثِّل الدِّین والشعائر والمقدّسات، فإذا محوتها محوت الدِّین. فسکت الوهابی ولم یجِرْ جواباً.

وهذهِ الحادثه لیست بالحدث الطارئ والحاله الجزئیّه أو رأی شخصی لفرد مِنْ أفراد الوهابیه السُّفیانیّه، بلْ هُوَ کاشف عَنْ مبانٍ وأُسسٍ أُسِّسَ علیها المذهب الوهابیّ واعتقادات قدیمه وحدیثه کَمَا فی مذکرات مستر همفر(۲)، وَهُوَ مُطابق لما فی الروایات أنَّ السُّفیانی یقصد المدینه لهدم قبر النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) ونبش قبره(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وقبر فاطمه(علیهاالسّلام) والتوجّه بَعْدَ ذلک لهدم الکعبه المُشرَّفه، وَهَذا الکلام لَیسَ مِنْ تأویل الأحادیث، بلْ صریح الأخبار وواقع الأمر شاهد عَلَی ما نقول، ویکفیک مُتابعه بسیطه لکتبهم - خصوصاً التنظیرات والبحوث الحدیثه- حتّی تجد صواب کلامنا، ومَنْ یترصّد مواقعهم فی الإنترنت یجد ذلک جلیّاً واضحاً؛ حیث أعلنوا قبل وقت قریب عَنْ عقد البیعه للمهدی السُّفیانی وَعَنْ التحالف مَعَ الیهود والنصاری ضد الرَّافضه.

وما دامت شرعنه القتل وسفک الدماء أسهل مِنْ السهل، فَمِنْ الممکن شرعنه أیّ قانون آخر، کالزنا بعنوان جهاد النِّکاح، والاغتصاب، وسبی النساء والولدان بحجّه الفتح والفتوحات، فهم وأسیادهم مِنْ عُشّاق الفتح، لکن أیّ فتح؟!!

وقدیماً کَانَ سیّدهم وقدوتهم أبو سفیان ومعاویه ویزید - الذی هدّم

۱- البقره: آیه۱۵۸.

۲- اُنظر: مذکرات مستر همفر الأصل الثّانِی.

الكعبه- مِنْ عُشّاق فتح الفجور والفُسُوق.

فهى عقيده غربيّه يهوديّه صهيونيّه أُمويَّه يزيديّه سلفيّه وهابيّه سُفيانيّه، فما أعجبها مِنْ عجينه وما أخبثها مِنْ طينه؟!!

ص: ٢٧١

كتتميم لما تقدَّم نذكر بعض النُّقاط الَّتِی توضِّح مشروع السُّفيانی ومراماته:

أوَّلاً: هدم الكعبه(۱) ففی حديث طويل(۲) رواه الخصيبی، عَنْ المفضّل بن عمر، عَنْ الصادق(عليه السّلام)، قال: «... كنت وأخی فی جيش السُّفيانی وخربنا الدُّنيا مِنْ دمشق إلی الزوراء وتركناها جمّاء، وخربنا المدينه وكسّرنا المنبر، وراثت بغالنا فی مسجد رسول الله(صلّی الله عليه و آله وسلّم) وخرجنا منها وعددنا ثلاثمائه ألف رجل نُريدُ إخراب البيت، وقتل أهله، فلمّا صرنا فی البيداء عرسنا فيها فصاح بنا صائح: يا بيداء، أبيدی القوم. فانفجرت الأرض وابتلعت كُلّ الجيش...»(۳).

۱- فی مذكرات مستر همفر أنَّ أحد أهداف الوهابيّه والسلفيه الرئيسه هو هدم الكعبه، والغريب المفظع أنَّ بعضهم يستدلّ بحديث النَّبی(صلّی الله عليه و آله وسلّم) - الذی أوردناه سابقاً- «لولا حداثه عهد قومك بالكفر لنقضتُ البيت»، والمُضحك المُبكی أنَّ هَذا الحديث يصبّ فی قداسه الكعبه وليسَ العكس؛ لأنَّ تتمّته: «لنقضتُ البيت فبنيتُه عَلَی أساس إبراهيم»، فإذاً؛ الهدم هُوَ لإعادتها إلی الأساس الذی بناه آدم وإبراهيم وإسماعيل، وليسَ للإباده كَمَا يقول ويهدف هؤلاء أعداء الدِّين.

۲- هَذا المقطع مِنْ الحديث هُوَ كلام للبشير الذی جاء إلی الإمام المهدی بعدما خُسف بجيش السُّفيانی وكَانَ هُوَ أحد أفراد الجيش.

۳- الخصيبی، الحسين بن حمدان، الهدايه الكُبری: ص۳۹۸. عَنْه المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۳، ص۱۰.

ثانياً: نبش قبر النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وقبر فاطمه(علیهاالسّلام) وهدم المسجد النبویّ، هَذا فضلاً عَنْ بقیه قبور الأولیاء والصالحین، ففی روایه فی البدء والتاریخ: «... ویبعث جیشاً إلی المدینه فیقتلون ویأسرون ویحرقون، ثمَّ ینبشون عَنْ قبر النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وقبر فاطمه(علیهاالسّلام)، ثمَّ یقتلون کُلّ مَنْ اسمه مُحمَّد وفاطمه ویصلبونهم عَلَی باب المسجد، فعند ذلک یشتدّ غضب الله علیهم فیخسف بهم الأرض، وذلک قوله تعالی: {وَلَوْ تَرَی إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّکَانٍ قَرِیب}(۱)»(۲).

ثالثاً: تخریب المدن، وَهَذا واضح فی الروایه الَّتِی أوردناها فی النقطه الأُولی: «وخربنا الدُّنیا...». وکذلک عَنْ أمیر المؤمنین(علیه السّلام): «ألا وإنَّ السُّفیانی یدخُل البصره ثلاث دخلات یذلّ العزیز ویسبی فیها الحریم، ألا یا ویل المنتفکه وما یحلّ بها، مِنْ سیف مسلول، وقتیل مجدول، وحرمه مهتوکه...»(۳)، ولیسَ ببعید منأً ما یجری فی سوریا مِنْ قتل وتخریب وهتک حرمات واستباحه العرض والدم الحرام، وکذلک ما یجری فی العراق.

وَهَذا لهُ بُعد مدنی، وهو إباده البُعد المدنی فی المدن والبُلدان، ولیسَ فقط التخریب للمعالم الدینیّه والعقائدیّه، وَهُوَ مُطابق لمشروع ضرب البُنی التحتیّه لکلِّ دول الشرق الأوسط الذی یستهدفه المشروع الغربی الجدید، لتکون بُلدان المنطقه فی حاله انفلات وخراب، بغضّ النَّظر عَنْ لون وطبیعه ومُصداقیّه الأنظمه فیها.

رابعاً: قتل کُلّ مَنْ سُمّی بأسماء أهل البیت(علیهم السّلام) ، کما عَنْ أمیر

۱- سبأ: آیه ۵۱.

۲- البلخی، أحمد بن سهل، البدء والتأریخ: ص۱۷۸.

۳- الیزدی، علیّ، إلزام الناصب فی إثبات الحجّه الغائب: ج۲، ص۱۶۵.

المؤمنین(علیه السّلام): «ویصلب عَلَی بابها [أی: الکوفه] کُلّ مَنْ اسمه حسن وحسین، ثمَّ یسیر إلی المدینه فینهبها فی ثلاثه أیّام، ویُقتل فیها خلق کثیر، ویصلب عَلَی مسجدها کُلّ مَنْ اسمه حسن وحسین؛ فعند ذلک یغلی دماؤهم کما غلی دم یحیی بن زکریا...»(۱).

کذلک عَنْ أمیر المؤمنین(علیه السّلام): «... ویقتل مَنْ کَانَ اسمه محمّداً وأحمد وعلیّاً وجعفر وحمزه وحسناً وحُسیناً وفاطمه ورُقیّه وأُم کلثوم وخدیجه وعاتکه؛ حَنَقاً وبُغضاً لبیت آل رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، ثمَّ یبعث فیجمع الأطفال، ویُغلی الزیت لهم، فیقولون: إنْ کَانَ أباؤنا عصوک فنحنُ ما ذنبنا؟ فیأخذ منهم اثنین اسمهما حسناً وحُسیناً فیصلبهما...»(۲).

۱- المتقی الهندی، علیّ، البرهان فی علامات مهدی آخر الزمان: ص۷۶-۷۷. المقدسی، یوسف بن یحیی، عقد الدرر فی أخبار المنتظر: ص۹۴.

۲- المتقی الهندی، علیّ، البرهان فی علامات مهدی آخر الزمان: ص۷۶-۷۷. المقدسی، یوسف بن یحیی، عقد الدرر فی أخبار المنتظر: ص۹۳.

السُّفیانی ویأجوج ومأجوج

ینبغی بیان هَذا العنوان فی نقاط:

۱. إنَّ خراب العمران والطابع المدنی والإفساد وسفک الدماء والهرج والمرج هی صفه یأجوج ومأجوج الَّتِی ذکرها القُرآن الکریم، وقدْ ذُکر فی جمله مِنْ الروایات الوارده فی ملاحم آخر الزمان نبوءهً عَنْ خروج یأجوج ومأجوج فی آخر الزمان، والظاهر أنَّ المُراد به عنوان وصفی، لا أنَّه عنوان واسم علم لجنس مخلوق وإنْ کَانَ المعنی الوصفی یُؤوّل للمعنی الثّانِی مِنْ الحقیقه النوعیّه؛ وذلک بناءً عَلَی تجسّم الأعمال وتجوهر الذات بسنخ الأعمال، أی: إنَّ الذات والروح والنفس وما لها مِنْ أبدان تنمسخ ویتکوّن بها جوهر مسانخ لطبیعه العمل، فالصوره صوره إنسان، وأمَّا الروح فقدْ تبدّلت إلی جنس یأجوج ومأجوج.

۲. إنَّ هَذا الوصف لهم فی القُرآن (یأجوج ومأجوج) مادّهً مشتق مِنْ أجج، والأجیج تَلهُّب النار وصوت النار، أو صوت لهبها وصوت ضرامها والتوقّد والاشتعال، وأجَّ بینهم شرّاً أوقده، وأجیج القوم اختلاط کلامهم مَعَ حفیف مشیهم، والقوم فی أجّه فی اختلاط، وأجّ یؤجّ أجّاً أسرع، والأجیج شدّه الحرّ، والأجّه شدّه الحرّ، وتوهُّجه کأجّه الصیف، وماءٌ أُجاج، أی: ملح مرَّ شدید المراره، وَقِیْلَ: شدید الحراره أو شدید الملوحه والمراره والمُحرِق مِنْ ملوحته، ویأجوج یفعول أو فاعول، ومأجوج مفعول(۱).

۱- اُنظر: ابن منظور، محمد بن مکرم، لسان العرب: ج۲، ص۲۰۶، مادّه (أجج).

كُلّ هـذهِ المعانى مُتقاربه لأصل ومعنى واحـد، وَهُوَ اشـتعال صـفه شـىء فى جهه الشـرّ الشديـده المريره وتوقّده فى ذلك، وَهُوَ مطابق للأوصاف المذكوره فى القُرآن ليأجوج ومأجوج.

ولعـلَّ الوصف بيـأجوج (اسم فاعـل) ومأجوج (اسم مفعول) هو أنَّ إحـدى النمطين أو القبيلتين هُوَ أساس وفاعل الفساد، والنمط الثّانِى مسخَّر وتابع للأوَّل.

وكذلك قول الراغب الأصفهانى: «قال تعالى: {هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ}(۱)، شديد الملوحه والحراره مِنْ قولهم: أجيج النار وأجّتها وقدْ أجّت. وائتجّ النَّهار، ويأجوج ومأجوج منه شُبِّهوا بالنار المضطرمه والمياه المتموّجه لكثره اضطرابهم، وأجّ الظلم إذا عدا أجيجاً؛ تشبيهاً بأجيج النار»(۲).

۳. اليـأجوج والمـأجوج كمـا ذكرهمـا القُرآن فى قوله تعـالى: {قَـالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِـدُونَ فِى الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً}(۳)، وكذلك قوله تعالى: {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ}(۴)، فهاتان الآيتـان - مِنْ سوره الكهف- تشـيران إلى أن يـأجوج ومـأجوج طبيعه لاـ يمكن معايشـتهم لمـا هُم عليه مِنْ الفسـاد والإفسـاد فى الأرض، والذين شكوا لذى القرنين مِنْ يأجوج ومأجوج نفس أولئك القوم الشاكين هُم قوم متخلّفون، كما

۱- الفرقان: آيه۵۳.

۲- الراغب الأصفهانى ، الحسين بن محمد، المفردات فى غريب القرآن: ص۱۰، مادّه (أجّ).

۳- الكهف: آيه۹۴.

۴- الكهف: آيه۹۹.

يصفهم القُرآن الكريم: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ}(۱). فرغم أنَّهم لا يكادون يفقهون قولاً لجهلهم وأُمّيتهم وتخلّفهم، فإنّهم لا يطيقون التعايش مَعَ قوم يأجوج ومأجوج، فلا يمكن معايشتهم بحال مِنْ الأحوال.

وَمِنْ ثَمَّ؛ ما أنْ يزول السدّ يصف القرآن هرجهم ومرجهم بتموّج بعضهم فى بعض تبياناً لعدم انضباطهم بمبدأ ولا ناموس ولا قاموس يُتعاطى معه فى المعيشه، وإذا كان اليهود بنو قريظه وبنو النضير نتيجه غدرهم فى ذمّه التعايش المدنى مَعَ مجتمع المُسْلمين أجلاهم وأبعدهم النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) عَنْ أرض الحجاز، نتيجه خفرهم لذمّه الالتزام والتعهّد فى التعايش المدنى أجلاهم النَّبِىّ(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، فكيف بمَن يفسدون فى الأرض مِنْ كُلّ حَدَب وصوب؟ فهؤلاء لا يكفى فيهم الإجلاء والإبعاد عَنْ النسيج المدنى، كما فى اليهود، بلْ لا بدَّ مِنْ إقامه سدّ عازل يحول بينهم وبين انطلاق أمواج فسادهم تجاه المُجْتَمع المدنى الإنسانى الآمن، فضلاً عَنْ المُجْتَمع المؤمن المُسالم.

وَهَذا ما وصفه القُرآن: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُون}(۲). وَهُوَ تصوير وإشاره إلى تموّجهم فى الإفساد بنحو متداعٍ مترامٍ لا يقف ولا يتوقّف.

كما أنَّ تعدُّدَ وجهات الإفساد يعطيه عنوان كُلّ حَدَب، وأيضاً يُعطى محاوله سيطرتهم عَلَى المكان المستشرف، أى: مواقع السيطره فى المُجْتَمع والحياه الأرضيّه، كما مرَّ فى سوره البقره وسوره مُحمَّد والجمع بين الصفتين - كُلّ

۱- الكهف: آيه۹۳-۹۴.

۲- الأنبياء: آيه۹۶.

حدب ینسلون- یعطی أنَّ أمواجهم فی الإفساد وإحداثهم الإفساد ینطلق مِنْ بَعْدِ وصولهم إلی مواقع السیطره فی المُجْتَمع.

۴. ولا یبتعد مفاد الروایات فی وصفهم عَنْ هَذا المُتحصّل مِنْ مفاد الآیات والمعنی اللغوی، فعن حذیفه الیمان عَنْ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، قال: «أوَّل الآیات: الدجّال، ونزول عیسی، ونار تخرج مِنْ قعر عدن تسوق الناس إلی المحشر تقیل معهم إذا قالوا، والدخان، والدابه، ثمَّ ویأجوج ومأجوج. قال حذیفه: قلتُ: یا رسول الله، ما یأجوج ومأجوج؟ قال: یأجوج ومأجوج أُمم کُلّ أُمَّه أربعمائه ألف لا یموت الرَّجُل منهم حتّی یری ألف عین تطرف بین یدیه مِنْ صلبه وهم وُلد آدم، فیسیرون إلی خراب الدُّنیا ویکون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق، فیمرّون بأنهار الدُّنیا فیشربون الفرات ودجله وبحیره طبریه حتّی یأتوا بیت المقدس، فیقولون: قدْ قتلنا أهل الدُّنیا فقاتلوا مَنْ فی السماء. فیرمون بالنشاب إلی السماء فترجع نشابتهم مخضبه بالدم، فیقولون: قدْ قتلنا مَنْ فی السماء»(۱).

حدّثنا زید بن أسلم، عَنْ أبیه، عَنْ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) قال: «یفتح یأجوج ومأجوج، یخرجون عَلَی الناس کما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {مِن کُلِّ حَدَبٍ یَنسِلُون} فیغشون الأرض وینحاز المُسْلِمُون عنهم إلی مدائنهم وحصونهم ویضمّون إلیهم مواشیهم ویشربون میاه الأرض حتّی إنَّ بعضهم لیمرّ بالنهر فیشربون ما فیه حتّی یترکوه یبساً، حتّی إنَّ مَنْ بعدهم لیمرّ بذلک النهر فیقول: قدْ کَانَ ههُنا ماء

۱- الطبری، محمّد بن جریر، جامع البیان عن تأویل آی القرآن: ج۱۷، ص۱۱۵. السیوطی، جلال الدین، الدر المنثور: ج۴، ص۳۳۷، عَنْ جامع البیان. المتقی الهندی، علیّ، کنز العمال: ج۱۴، ص۲۵۹، ح۳۸۶۴۵.

مرّه، حتّى إذا لمْ يبقَ مِنْ الناس أحد إلّا فى حصن أو مدينه، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قدْ فرغنا منهم، بقى أهل السماء. قال: ثمَّ يهزّ أحدهم حربته، ثمَّ يرمى بها إلى السماء فترجع متخضبه دماً للبلاء والفتنه فبينما هُم عَلَى ذلك إذْ بعث الله دوداً فى أعناقهم كنغف الجراد الذى يخرُج فى أعناقهم فيصبحون موتى...»(۱).

۵. إنَّ مناهج وسلوك ومسار يأجوج ومأجوج هُوَ بعدم التقيّد وعدم الالتزام بأىّ ثابت، ونسف الثوابت الدينيّه والفطريّه المنتشره بصوره ارتكازات عُقلائيّه، وَمِنْ ثمَّ يستلزم ذلك الهرج والمرج والانقلاب.

۶. وَهَذا ما نلحظه فى الطابع والنهج الأُموى مِنْ أنَّه نهج ينسف كُلّ الثوابت الدينيّه وباسم الدِّين، فَمِنْ جهه واقع مناهجه هى اليأجوجيّه والمأجوجيّه، وظاهر شعاره (وا إسلاماه) نظير سير الخلفاء الأُمويين سابقاً، فإنَّ الوليد بن عبد الملك كَانَ يستهدف القُرآن بالسهم - كغرض- زندقهً، ومَعَ ذلك يتشدّق أنَّه خليفه المُسْلمين والراعى الأوَّل للإسلام، وَهَذا النهج الازدواجى طابع واضح فى النهج الأُموىّ.

ففى الروايه عَنْ عمّار بن أبى الأحوص، وفى ذيلها قوله(عليه السّلام): «أما علمت أنَّ إماره بنى أُمَيَّه كانت بالسيف والعسف والجور، وإنَّ إمامتنا [إمارتنا] بالرفق والتآلف، والوقار والتقيّه، وحُسن الخلطه والورع والاجتهاد، فرغّبوا الناس فى دينكم وفيما أنتم فيه»(۲).

۱- ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه: ج۲، ص۱۳۶۴ باختلاف يسير. وانُظر: المروزى، نعيم بن حماد، الفتن: ص۱۶۴.

۲- الصدوق، محمد بن على، الخصال: ص۳۵۴. الحر العاملى، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج۱۶، ص۱۶۴.

۷. هَـذا ما نلاحظه حالياً طابعاً مُتميِّزاً فی القاعده المشـكّله مِنْ السـلفيّه والوهابيّه، فإنَّ سـفك الدماء الذی يُمارسونه وقتل الأبرياء وخراب المُـدن بلاـ أیّ رادع ولاـ وازع، وبلاـ التزام بثـابت مِنْ الثوابت ولا تقيُّد بناموس مُقـدّس إلّا عَلَی مُسـتوی الشـعار كـدجل إعلامی وخداع إعلانی، كقناع يلبسونه لتغطيه صفه اليأجوجيّه والمأجوجيّه لديهم.

۸. ولا يخفی أنّ البلـدان الَّتِی ينطلق منها السُّفيانی الطابع الغالب عليها - قـديماً فی التاريـخ وحـديثاً فی الزمن المعاصـر- متّصـفه بصفات النهج الأُموی اليأجوجی والمأجوجی، فهی بيئه خصبه لترعرع المشروع السُّفيانی.

۹. مِنْ خصـائص صـفات النهـج الأُـموی وطبيعه اليـأجوج والمـأجوج ما أشار إليه القُرآن الكريم فی قوله تعالی: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُـكَ قَوْلُهُ فِی الْحَيَـاهِ الـدُّنْيَا وَيُشْـهِدُ الله عَلَی مَـا فِی قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَام * وَإِذَا تَوَلَّی سَـعَی فِی الأَرْضِ لِيُفْسِـدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَالله لاَ يُحِبُّ الفَسَاد * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّهُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَاد}(۱).

فالآيه تذكر عِدَّه صفات:

منها: إنَّ هَذا البعض مِنْ الناس لسانه وشعاره وإعلانه معسول، وفی الباطن هُوَ مِنْ النواصب اللدودين فی الخصومه والعداء مَعَ مَنْ أمر الله بمودّتهم.

ومنها: قصد هَذا البعض الاستيلاء وتقلّد الأُمور العامَّه عَلَی الناس.

ومنها: إفساده فی الأرض، أی: تخريب العمران والطابع المدنی والتمدُّنی سواء، فی الجانب المادّی والعمرانی أو طابع التمدُّن فی الأخلاق والإسفاف بها

۱- البقره: آيه۲۰۴-۲۰۶.

إلى الحاله الوحشيّه والأوباشيّه الَّتِى هى طبيعه يأجوج ومأجوج المنطبق عَلَى طبيعه النهج الأموى.

ومنها: التعصُّب الشديد الأعمى فى التمسُّك بهذهِ الوحشيّه الأوباشيّه مِنْ إهلاك الحرث والنسل، وبنحو يتعزّز ويفتخر بها، وَهَذا ما وَرَدَ فى روايات الفريقين مِنْ صفه يأجوج ومأجوج أنَّهم يتباهون بسفك الدماء وتخريب تمدّن الأرض ومدنيّتها وطابعها المدنى.

وكذلك قوله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم}(۱).

وهى وصف للذين فى قلوبهم مرض والذين قال عنهم القُرآن أيضاً: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ الله أَضْغَانَهُم}(۲)، أى: إنَّهم يحملون الضغينه تّجاه مَنْ أمر الله بمودّتهم وَهُوَ الضغينه لقربى النَّبى الذى أمر الله بمودّتهم، وَهَذا ما يتّصف به النهج الأُموى مِنْ البغض والضغينه لأهل البيت(عليهم السّلام) بجانب الإفساد فى الأرض ومحاوله المسك بزمام مقاليد الحُكم، والمُراد بتقطيع الأرحام؛ لأنَّها أعظم رحم أوصى القُرآن بصلتها، حتّى جعل أجر كُلّ الرساله مودّه ذوى القربى وصلتهم وبرّهم، وهى - تقطيع الأرحام- بعينها صفات اليأجوج والمأجوج والسُّفيانى.

۱- مُحمَّد: آيه۲۲.

۲- مُحمَّد: آيه۲۹.

الرجعه قُبَيل الظهور

هی محور أدوار مسرح أحداث الظهور

إنَّه قدْ كُتب فی ظهور الإمام الثّانِی عشر المهدی الحجّه بن الحسن(عجل الله تعالی فرجه الشریف) كتبٌ ودراسات وبحوث كثیره، وتمَّ فیها تنقیح كثیر مِنْ الأُمور وتوضیح الرؤیه وصقلها لجمله مِنْ الأحداث، إلّا أنَّه یجدر تسجیل المُلاحظه علیها بجمله مِنْ المؤاخذات والنقود البُنیویّه الرئیسه:

١. إنَّ معرفه حقیقه الظهور وحقیقه دوله العدل للإمام الثّانِی عشر(عجل الله تعالی فرجه الشریف) لا تتمُّ بدون معرفه الغایه مِنْ الظهور والغایه مِنْ الدوله؛ لأنَّ غایه كُلّ شیء هُوَ أبین أمر فی تعریف الشیء، حتّی إنَّه قِیلَ فی علم المنطق: إنَّ الأجزاء الركتیّه القوامیّه الَّتِی یتكوَّن منها الشیء لیست بمثابه مِنْ الأهمّیه فی تعریف الشیء بقدر تعریفه بغایته.

وقدْ دلَّت الروایات المُسْتفیضه والمتواتره علی أنَّ الغایه مِنْ ظهوره(عجل الله تعالی فرجه الشریف) وإقامه دولته هُوَ التمهید لرجعه آبائه(علیهم السّلام) ، وأنَّ ظهوره ودولته فاتحه لظهور آبائه برجعتهم إلی دار الدُّنیا مرَّه أُخری، وإقامه دولتهم ذات الشأن العظیم.

فإذا تقرّر ذلك؛ فیتبیَّن أنَّ بحوث الظهور والدراسات حول ظهور ودوله الإمام الثّانِی عشر غُیِّب فیها ما هُوَ لب لباب معرفتها، وما هُوَ محور كنه حقیقتها، وهذهِ النقطه بیّناها فی مباحث كتاب (الرجعه بین الظهور والقیامه)؛ وبسبب هَذا التغییب لحقیقه الظهور ودوله الإمام الثّانِی عشر(عجل الله تعالی فرجه الشریف) سهل عَلَی

كثير مِنْ الحركات والتيارات المُنحرفه للأدعياء والدجالين مسخ ماهيه الظهور وماهيه دوله العدل للإمام الثّانِی عشر، فأخذوا يرسمون لها ماهيات ممسوخه عَنْ أصل حقائق ثوابت الدِّين بتلاوين مارقه عَنْ صبغه الدِّين الحنيف.

۲. إنَّ هذهِ الدراسات والبحوث جعلت نجوم ومحاور مسرح أحداث سنه الظهور عباره عَنْ الخراسانی واليمانی والسُّفيانی، بينما الظاهر مِنْ روايات مُسْتفيضه أنَّ محور محاور أحداث سنه الظهور هُوَ حصول الرجعه فی أوائل رجب، أی: سته أشهُر قبل الظهور، وأنَّ الذی يرجع عدد غفير مِنْ الموتی مِنْ المؤمنين، يكون لهم دور بالغ الخطوره فی توازن معادلات الأحداث فی سنه الظهور، لاسيّما السبعه والعشرين نفراً وفرداً مِنْ أفراد الحُكومه المركزيّه لدوله الإمام الثّانِی عشر، وهم الخليّه المركزيّه فی أصحابه الثلاثمائه وثلاثه عشر، ويقومون بدور تمهيدی عظيم رئيسی فی العراق، ثمَّ فی مكّه، وَمِنْ عظم هَذا الدور لهم وَردت المقوله المُسْتفيضه عَنْ المعصومين(عليهم السّلام) : «العجب كُلّ العجب ما بين جمادی ورجب»(۱)، حتّی أنَّ أمير المؤمنين(عليه السّلام) كَانَ يردّدها باستفاضه عَلَی منبر الكوفه، وكَانَ الكثير مِنْ الجُلساء تَحْتَ منبره يستحفونه السُّؤال عن سبب هَذا التعجّب، فيخبرهم بحصول رجعه للمؤمنين فی ذلك التوقيت، وأنّه يكون لهم دور خطير فی سنه الظهور فی العراق ثمَّ فی مكّه، بلْ لمْ يأتِ فی كلام أمير المؤمنين(عليه السّلام) ذكر للحسنی ولليمانی وللسُّفيانی بقدر ما كَانَ يذكر العجب فی رجب أو ما بين جمادی ورجب؛ ممّا يؤثر عَلَی مزيد اهتمامه(عليه السّلام) بما لهذه المجموعه الراجعه مِنْ دور خطير فی مسرح الأحداث لسنه الظهور،

۱- القندوزی، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّه: ج۳، ص۴۳۴، باب۹۹، ح۴.

ثمَّ روايات العجب روايات صحيحه، منها ما عن الأصبغ بن نباته قال: خطب أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب(عليه السّلام) بالكوفه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «... فيا لهفاه على ما أعلم! رجب شهر ذِكْر، رمضان تمام السنين، شوال يُشال فيه من القوم، ذو القعده يقعدون فيه، ذو الحجّه الفتح من أول العشر، ألّا إنّ العجب كلّ العجب بعد جمادى ورجب، جمع أشتان وبعث أموات وحديثات هونات هونات بينهن موتات، رافعه ذيلها داعيه عولها معلنه قولها، بدجله أو حولها، ألّا إنّ منّا قائماً عفيفه أحسابه، ساده أصحابه، تنادوا عند اصطلام أعداء الله باسمه واسم أبيه فى شهر رمضان ثلاثاً، بعد هرج وقتال، وضنك وخبال، وقيام من البلاء على ساق، وإنّى لأعلم إلى مَن تخرج الأرض ودائعها، ويُسلَّم إليه خزائنها، ولو شئت أن أضرب برجلى فأقول: أخرجوا من ها هنا بيضاً ودروعاً»(۱).

وكذلك خطب علىّ(عليه السّلام) بعد انقضاء النهروان، فقال: «ذلك أمر الله وهو كائن وقتاً مريحاً، فيا بن خيره الإماء متى ننتظر، أبشر بنصر قريب من ربٍّ رحيم، فبأبى وأُمّى من عدّه قليله، أسماؤهم فى الأرض مجهوله، قد دان حينئذٍ ظهورهم، يا عجباً كلّ العجب بين جمادى ورجب! من جمع شتات، وحصد نبات، ومن أصوات بعد أصوات. ثمَّ قال: سبق القضاء سبق»(۲).

۳. إنَّ هذهِ الدراسات والبحوث تُركِّز عَلَى شخوص الحسنى واليمانى والسُّفيانى، والتدقيق فى أشخاصهم وشخصيتهم وخصوصياتهم الشخصيه،

۱- ابن المنادى، أحمد بن جعفر، الملاحم: ص۳۰۴-۳۰۷. المتقى الهندى، علىّ، كنز العمال: ج۱۴، ص۵۹۴-۵۹۴، ح۳۹۶۷۹ بتفاوت يسير.

۲- القندوزى، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّه: ج۳، ص۴۳۴، باب۹۹، ح۴.

مَعَ أنَّ الأهم بحسب الروايات فى الأحداث لَيسَ أشخاص الثلاثه وغيرهم ممَّن ذُكرت أسماؤهم فى أحداث سنه الظهور، بلْ الأهمّ هُوَ بيان طبيعه المناهج الثلاثه، وطبيعه المسار والمنطلق العقائدىّ والفكرىّ والفقهىّ لكلٍّ مِنْ التيارات البشريه الثلاثه، وبيان المنهج لهذه التيارات أعظم فِى ميزان البصيره وقواعد صحّه الرؤيه مِنْ شخوص الأشخاص.

فبوصله البحث فى دراسات الظهور أخذت منحىً صورى، بدل أنْ تدخل فى عمق الأسباب المؤثِّره فى الأحداث وحقيقه القوى الفاعله فى التيارات؛ وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ فى الروايات أنَّ الحسنى واليمانى والسُّفيانى وإنْ كَانَ مِنْ المحتوم، إلّا أنَّ إمكانيه وقوع البَداء فى الثلاثه، وإمكانيه البَداء فيها له عِدَّه تفسيرات وتأويلات قدْ تقدَّم بعض منها، إلّا أنّنا نُضيف فى المقام تأويلاً آخر، وَهُوَ الإشاره إلى ما نحنُ فيه مِنْ أهمّيه المنهج وخطورته للتيارات الثلاثه بدرجه تفوق شخوص الأشخاص الثلاثه، وأنَّ أشخاص الثلاثه لا ينحصر بهم وقوع مسرح الأحداث، بلْ المناهج الثلاثه فى التيارات البشريّه هى العُمده فى التأثير فى أحداث سنه الظهور، فالبحث فى المنهج والمسلك وشعارات كُلّ رايه مِنْ الرايات الثلاث هى أعظم وأخطر بدرجه بالغه عَنْ الحديث عَنْ الأشخاص، فكم حصل تغييب لُلباب الأحداث؟ ويتركّز ذلك عَلَى سطح الأُمور، واللُباب هُوَ التفسير المنطقىّ العقائدىّ الفقهىّ لكلِّ تيار كى يكون المؤمن عَلَى بصيره قواعد الموازين، ولا تُلبس عليه اللوابس فى كيفيّه تحمّل المسؤوليه والوظيفه؛ وَمِنْ ثَمَّ وقع التركيز عَلَى سطح الأُمور فى تلك الدراسات والبحوث ممّا مهّد الأرضيّه لخداع جمله مِنْ الأدعياء والدجّالين لتقمُّص صوره هؤلاء الثلاثه، فغُيِّب الوعى بالمنهج الذى هُوَ قوام البصيره،

واستُبدل واختُزل فی أسماء لأشخاص وشخوص.

۴. إنَّ بلوره العقیده المهدویّه بالإمام الثّانِی عشر وظهوره ودولته تمَّ صیاغتها وقولبتها بعیداً عَنْ ماهیه منهاج آبائه، کالمنهاج العلویّ والفاطمیّ والحسنیّ والحُسینیّ وبقیه الأئمّه، فصار البیان لماهیه الظهور - ومشروع الدوله للإمام الثّانِی عشر- مبتوراً عَنْ لُبّه الحقیقی ومجتثّاً عَنْ جذوره الأصلیّه، وکأنَّما منهج الحسین(علیه السّلام) مُغیَّب لونه فی منهج الظهور وإقامه دوله الظهور، وکذلک منهج أصحاب الکساء، بلْ الأعظم منهج سَیِّد الأنبیاء الذی هُوَ السیّد الأکبر وإمام الأئمّه(صلّی الله علیه و آله وسلّم)؛ وَمِنْ ثَمَّ سهل عَلَی الأدعیاء والدجّالین المُدّعین للمهدویّه إبداء منهج مهدویٍّ مُناقض للمنهج الحُسینیّ، ومُغیَّب فیه منهج أصحاب الکساء وثوابت ومُحکمات القُرآن العظیم؛ کُلّ ذلک بسبب البلوره المبتوره لحقیقه العقیده بالإمام الثّانِی عشر ومشروعه العظیم.

ص: ۲۸۶

السُّفیانی بین المحتوم والموقوف

وردت روایات کثیره أکّدت أنَّ السُّفیانی مِنْ المحتوم، وبعضها حدّد وقت خروجه، فعَنْ معلی بن خنیس، قال: سمعت أبا عبد الله(علیه السّلام) یقول: «مِنْ الأمر محتوم، ومنه ما لَیسَ بمحتوم، وَمِنْ المحتوم خروج السُّفیانی فی رجب»(۱)، وکذلک عَنْ عبد الملک بن أعین، قال: «کنت عِنْدَ أبی جعفر(علیه السّلام) فجری ذکر القائم(علیه السّلام) فقلتُ له: أرجو أنْ یکون عاجلاً ولا یکون سفیانی، فقال: لا والله، إنَّه مِنْ المحتوم الذی لا بدَّ منه»(۲)، وکذلک روایه حمران بن أعین، عَنْ أبی جعفر مُحمَّد بن علی(علیهاالسّلام) فی قوله تعالی: {ثُمَّ قَضَی أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّی عِندَهُ}(۳)، فقال: «إنَّهما أجلان، أجل محتوم، وأجل موقوف، فقال له حمران: ما المحتوم؟ قال: الذی لله فیه المشیئه، قال حمران: إنِّی لا أرجو أنْ یکون أجل السُّفیانی مِنْ الموقوف. فقال أبو جعفر(علیه السّلام): لا والله، إنَّه لِمَنْ المحتوم»(۴).

وکذلک وردت روایات کثیره فی شأن حرکه السُّفیانی وأنّها مِنْ المحتوم، کما أنَّها فصّلت فی الفتره الَّتِی یتحرّک فیها وفی وقتها، وما هی مساحه سلطانه، وَهَذا التفصیل إشاره إلی إمکان البَداء فی تفاصیل حرکته - کما سَنُبیّن- فقدْ وَرَدَ عَنْ عیسی بن أعین، عَنْ أبی عبد الله(علیه السّلام) أنَّه قال: «السُّفیانی

۱- النعمانی، محمد، الغیبه: ص۳۱۱، باب۱۸، ح۲.

۲- المصدر نفسه: ص۳۱۲، باب۱۸، ح۴.

۳- الأنعام: آیه۲.

۴- النعمانی، محمد، الغیبه: ص۳۱۲، باب۱۸، ح۵.

مِنْ المحتوم، وخروجه فی رجب، وَمِنْ أوَّل خروجه إلی آخره خمسه عشر شهراً ستّه أشهُر یقاتل فیها، فإذا ملك الکور الخمس ملك تسعه أشهُر ولم یزد علیها یوماً»(۱).

وفی تفسیر القمّی: سُئل الإمام أبو جعفر(علیه السّلام) قال: سألته عَنْ قوله تعالی: {غُلِبَتِ الرُّوم * فِی أَدْنَی الأَرْضِ وَهُم مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُون}(۲)، قال: أبو عبیده: قال(علیه السّلام): «إنَّ لهذا تأویلاً لا یعلمه إلّا الله والراسخون فی العلم مِنْ الأئمّه، إنَّ رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) لمّا هاجر إلی المدینه وقدْ ظهر الإسّلام کتب إلی ملك الروم کتاباً وبعث إلیه رسولاً یدعوه إلی الإسلام، وکتب إلی ملك فارس کتاباً وبعث إلیه رسولاً یدعوه إلی الإسلام، فأمَّا ملك الروم فإنَّه عظم کتاب رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وأکرم رسوله، وأمَّا ملك فارس فإنَّه مزّق کتابه واستخفّ برسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وکَانَ ملك فارس یقاتل یومئذٍ ملك الروم وکَانَ المُسْلِمُون یهوون أنْ یغلب ملك الروم ملك فارس، وکانوا لناحیه ملك الروم أرجی منهم لملك فارس، فلمّا غلب ملك فارس ملك الروم بکی لذلك المُسْلِمُون واغتمّوا، فأنزل الله: {غُلِبَتِ الرُّوم * فِی أَدْنَی...}. یعنی غلبها فارس فی أدنی الأرض، وهی الشامات وما حولها، ثمَّ قال، وفارس مِنْ بَعْدَ غلبهم الروم سیُغلبون فی بضع سنین.

وقوله: {لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ}، أنْ یقضی بما یشاء، قوله: {وَیَوْمَئِذٍ یَفْرَحُ الْمُؤْمِنُون * بِنَصْرِ الله یَنصُرُ مَن یَشَاء}. قلتُ: ألیس الله یقول: {فی بضع سنین}، وقدْ مضی للمُسْلمین سنون کثیره مَعَ رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وفی إماره أبی بکروإنَّما غلب المؤمنون فارس فی إماره عمر؟

۱- المصدر السابق: ص ۳۱۰، باب ۱۸، ح ۱.

۲- الروم: آیه۲-۳.

فقال: ألم أقل لك: إنَّ لهذا تأويلًا وتفسيراً والقُرآن - يا أبا عبيده- ناسخ ومنسوخ، أما تسمع قوله: {لِلّه الأمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ}؟ يعنى المشيئه فى القول أنْ يؤخِّر ما قدّم ويقدم ما أخَّر إلى يوم يحتم القضاء بنزول النصر فيه عَلَى المؤمنين، وذلك قوله: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُون * بِنَصْرِ الله يَنصُرُ مَن يَشَاء}»(۱).

والروايه المُتقدِّمه تُشير إلى أنَّ الانتصارات تكون بمشيئه الله وإرادته (عَزَّ وَجَلَّ)، وحتّى غلبه الروم فى كُلّ معاركهم، ومنها معركتهم مَعَ أتباع أهل البيت(عليهم السّلام) - بواسطه السُّفيانى- لله فيها الأمر مِنْ قَبل وَمِنْ بَعْد، أى: له فيها البَداء.

فى مقابل هذهِ الروايات هُناك بعض الروايات تُصرِّح بإمكان البَداء فى حركه السُّفيانى، حدَّثنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى، قال: «كُنّا عِنْدَ أبى جعفر بن مُحمَّد بن على الرضا(عليهم السّلام) فجرى ذِكْر السُّفيانى وما جاء فى الروايه مِنْ أمره مِنْ المحتوم، فقلت لأبى جعفر(عليه السّلام) هَلْ يبدو لله فى المحتوم؟ قال: نَعَمْ، قُلْنا له: فنخاف أنْ يبدو لله فى القائم. فقال: إنَّ القائم مِنْ الميعاد، والله لا يخلف الميعاد»(۲).

ومعنى كونه محتوم لا- يعنى عدم تطرّق البَداء فيه؛ لأنّ المحتوم ليس الذى وقع ووُجِد، إنّما قُدّر تقديراً باتّاً ولمّا يقع، وقد اكتملت أسباب وقوعه، أى: شارفت أسباب وقوعه على الاكتمال ولمّا يقع، وعلى ضوء ذلك فإمكان

۱- القمّى، علىّ بن إبراهيم، تفسير القمى: ج۲، ص۱۵۲. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴، ص۱۰۰.

۲- النعمانى، محمد، الغيبه: ص۳۱۵، باب۱۸، ح۱۰. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۵۰.

هیمنه تقدیر آخر حاکم ووارد.

وإنّما سُمّی محتوماً لأنّ أسباب وقوعه قد تکاملت وشارفت علی الاکتمال، بخلاف التقدیر الذی لمّا تجمع أسباب وقوعه، لا یسمّی تقدیراً محتوماً وکذلک الحال بالنسبه للقضاء المُبرَم؛ ومن ثَمّ ورد عنهم: «فإنّ الدعاء... یردّ البلاء وقد قُدر وقُضی ولم یبقَ إلّا إمضاؤُه»(۱)، وأنّ: «الدعاء یردّ القضاء بعدما أُبرم إبراماً»(۲)، کما هو الحال فی قوم یونس(علیه السّلام) عندما تحقق جمله من أسباب وقوع العذاب فی المحیط والبیئه خارجاً، حتی أنّ العذاب أظلهم، أی: قرُب من أکنافهم إلّا أنّهم لمّا دعوا وتضرّعوا وتابوا واستکانوا کُشف عنهم العذاب.

نعم، البَداء بکل مراتبه حتی الأعظم منه لا یتطرّق احتماله وإمکانه فیما وعد الله؛ لأنّ الله تعالی لا یخلف المیعاد، کذلک الحال فیما أخبر الله (عزّ وجلّ) عنه من أُمور مستقبلیّه تقع لاحقاً، فإنّه لا یتخلّف ما أخبر عنه تعالی، وقد تقدّم سابقاً شطر من الکلام فی ذلک فراجع.

دروس تربویّه فی البَداء

مِنْ جهه أُخری المعصوم(علیه السّلام) یُربّی المؤمنین علمیّاً وعملیّاً عَلَی کیفیّه التعاطی مَعَ البَداء، فعن الإمام أبی جعفر(علیه السّلام)، قال: قلتُ: لهذا الأمر وقت؟

فَقَالَ(علیه السّلام): «کَذَب الوقّاتون، کَذَب الوقّاتون، إنَّ موسی(علیه السّلام) لمّا خرج وافداً إلی ربّه، واعدهم ثلاثین یوماً، فلمّا زاده الله عَلَی الثلاثین عشراً، قال قومه: قدْ أخلفنا موسی. فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدّثناکم الحدیث فجاء عَلَی ما

۱- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۲، ص۴۷۰.

۲- المصدر نفسه.

حدّثناكم به، فقولوا: صدق الله، وإذا حدّثناكم الحديثَ فجاء عَلَى خلاف ما حدّثناكم به، فقولوا: صدق الله. تؤجروا مرّتين»(۱).

وفی مُناظره الإمام الرضا(علیه السّلام) مَعَ سلیمان المروزی: «لَقَدْ أخبرنی أبی، عَنْ آبائه أنَّ رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) قال: إنَّ الله (عَزَّ وَجَلَّ) أوحی إلی نبیٍّ مِنْ أنبیائه أنْ أخبر فلان المَلِک: أنِّی متوفیه إلی کذا وکذا. فأتاه ذلک النبیّ فأخبره، فدعا الله الملک وَهُوَ عَلَی سریره حتّی سقط مِنْ السریر، وقال: یا ربّ، أجّلنی حتّی یشبّ طفلی وأقضی أمری. فأوحی الله (عَزَّ وَجَلَّ) إلی ذلک النبیّ أنْ ائت فلان فأعلمه أنِّی قدْ أنسیت أجله وزدت فی عمره إلی خمس عشره سنه. فقال ذلک النبی: یا ربّ، إنَّکَ لتعلم أنِّی لمْ أکذب قط. فأوحی الله (عَزَّ وَجَلَّ) إلیه: إنَّما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلک، والله لا یُسئل عمّا یفعل»(۲).

وفی تفسیر قوله تعالی: {یَسْأَلُهُ مَن فِی السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِی شَأْن}(۳) عَنْ الإمام أبی عبد الله(علیه السّلام): عَنْ آبائه عَنْ أمیر المؤمنین(علیه السّلام) إنَّه قال: «إنَّ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) قال: قال الله تعالی: {کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِی شَأْن} فإنَّ مِنْ شأنه أنْ یغفر ذنباً ویفرِّج کرباً ویرفع قوماً ویضع آخرین»(۴).

وعن سلیمان الطلحی قال: «قلتُ للإمام أبی جعفر(علیه السّلام) أخبرنی عمّا أخبرتْ به الرُّسُل عَنْ ربّها وأنهت ذلک إلی قومها أیکون لله البَداء فیه؟ قال:

۱- المصدر السابق: ج۱، ص۳۶۸.

۲- الصدوق، محمّد بن علیّ، عیون أخبار الرضا(علیه السّلام): ج۱، ص۱۶۱. المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۴، ص۹۵.

۳- الرحمن: آیه۲۹.

۴- البحرانی، هاشم، البرهان فی تفسیر القرآن: ج۵، ص۲۳۷.

أمَّا إنِّی لا أقول لک: إنَّه یفعل، ولکن إنْ شاء الله فعل»(۱).

وکذلک عَنْ أبی بصیر عَنْ أحدهما: «إنَّ رأس المهدی العباسی یُهدی إلی موسی بن عیسی عَلَی طبق. قلتُ: فقدْ مات هَذا وَهَذا؟ قال: فقدْ قال الله: {ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَهَ الَّتِی کَتَبَ الله لَکُمْ}، فلم یدخلوها ودخلها الأبناء - أو قال أبناء الأبناء- فکان ذلک دخولهم. فقلت: أوَ تری أنّ الذی قال فی المهدی وفی ابن عیسی یکون مثل هذا؟ فقال : نعم یکون فی أولادهم»(۲).

وأیضاً عَنْ ضریس الکناسی قال: کنت عِنْدَ الإمام أبی عبد الله(علیه السّلام) وعنده أبو بصیر، فقال أبو عبد الله(علیه السّلام): «إنَّ داود ورث عِلْم الأنبیاء، وإنَّ سلیمان ورث داود، وإنَّ محمّداً(صلّی الله علیه و آله وسلّم) ورث سلیمان، وإنّا ورثنا محمّداً(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وإنَّ عندنا صُحف إبراهیم وألواح موسی. فقال أبو بصیر: إنَّ هَذا لهو العِلم، فقال: یا أبا مُحمَّد، لَیسَ هَذا هُوَ العلم، إنَّما العلم ما یحدث باللیل والنَّهار یوماً بیوم وساعه بساعه»(۳).

وعن الإمام أبی جعفر(علیه السّلام) قال: «إنَّ الله لمْ یدع شیئاً کَانَ أو یکون إلّا کتبه فی کتاب، فَهُوَ موضوع بین یدیه ینظر إلیه فما شاء منه قدّم، وما شاء منه أخّر، وما شاء منه محا، وما شاء منه کَانَ، وما لمْ یشأ لمْ یکن»(۴).

۱- المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۴، ص۱۲۲. نخبه من الرواه، الأُصول السته عشر: ص۱۱۰.

۲- المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۱۳، ص۱۷۹-۱۸۰.

۳- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۱، ص۲۲۵.

۴- القمی، علیّ بن إبراهیم، تفسیر القمی: ج۱: ۳۶. المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۴، ص۱۱۸-۱۱۹.

روايات البداء بلسان البشاره

هُنا يحسن بنا تطبيق قواعد البحث السابق عَلَى مشروع السُّفيانى المستقبلىّ؛ بياناً لآفاق الاختيار والمسؤوليّه فى ظلّ كونه مِنْ المحتوم، إلّا أنَّ حتميته لا تفلت مِنْ البَداء، ولم يكن تقريراً ضمن المباحث السابقه.

هُناك روايات عديده بيَّنت أنَّ نفس ظهور حركه السُّفيانى فيها بشاره؛ حيث إنَّها علامه مِنْ علامات الفرج بظهور صاحب الأمر، ونفس معنى أو عنوان (البشاره) فيه إشاره إلى إمكان البَداء فى حركه السُّفيانى تعجيلاً بالفرج. فَعَنْ هشام بن سالم، عَنْ أبى عبد الله جعفر بن مُحمَّد(عليهاالسّلام) إنَّه قال: «إذا استولى السُّفيانى عَلَى الكور الخمس فعدّوا له تسعه أشهُر. وزعم هشام أنَّ الكور الخمس: دمشق، وفلسطين، والأردن، وحمص، وحلب»(١) ، وَمِنْ الواضح هُنا أنَّ السُّفيانى يملك الكور الخمس فتكون منها فلسطين، وهُنا

إشاره إلى أنَّ إسرائيل قدْ تكون زائله، وإلّا فكيف يحكمها أو يسيطر عليها، وَمِنْ غَير المُحتمل أنْ يكون هُوَ الذى أسقطها.

وَمِنْ جهه أُخرى تُبيّن أنَّ لبنان خارجه عَنْ سيطره السُّفيانى، منه ما رواه

١- النعمانى، محمد، الغيبه: ص٣١٦. عَنْه المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٢، ص٢٥٢.

الصدوق، بإسناده عَنْ عبد الله بن أبی منصور البجلی، قال: «سألت أبا عبد الله(علیه السّلام) عَنْ اسم السُّفیانی، فقال: وما تصنع باسمه؟ إذا ملک کور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطین، والأردن، وقنسرین فتوقعوا عِنْدَ ذلک الفرج. قلتُ: یملک تسعه أشهُر؟ قال: لا، ولکن یملک ثمانیه أشهُر لا یزید یوماً»(۱).

إذاً؛ فی هذهِ الروایات إشارات کثیره لنصر المؤمنین، رغم أنَّها تصوّر لنا شدّه البأس الذی یلقاه المؤمنون مِنْ السُّفیانی، فإنَّ زوال إسرائیل بحدّ ذاته نصر عظیم وفرج کبیر وفرح عظیم وبشاره کبری، وحتّی قول الإمام(علیه السّلام): «إنَّ السُّفیانی یملک ثمانیه أشهُر». هَذا نصر آخر؛ باعتبار أنَّ قُصر فتره حُکمه کاشفه عَنْ شدّه مقاومه المؤمنین لمشروعه، ولذلک الإمام(علیه السّلام) یجعل الاستیلاء والسیطره عَلَی الکور الخمس بحدّ ذاته علامه ومؤشّر لحصول النصر للمؤمنین؛ حیث یقول: «فتوقّعوا الفرج».

نَعَمْ، هُناک روایات ذکرت أنَّ مُدّه ملکه تسعه أشهُر، وبعضها (حمل جمل)(۲). فقدْ جاء عَنْ عیسی بن أعین، عَنْ أبی عبد الله(علیه السّلام): «السُّفیانی مِنْ المحتوم وخروجه فی رجب، وَمِنْ أوَّل خروجه إلی آخره خمس عشر شهراً، سته

أشهُر یقاتل فیها، فإذا ملک الکور الخمس ملک تسعه أشهُر ولم یزد علیها یوماً»(۳). ولعلَّ هَذا التفاوت - الذی ذکرته الروایات- فی مُدّه ملکه إشاره لجهه البَداء الذی مِنْ أسبابه همّه المؤمنین الأبطال الغیاری فی مواجهته.

۱- الصدوق: محمّد بن علیّ، إکمال الدِّین: ص۶۵۲. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۰۶.

۲- اُنظر: الطوسی، محمد بن الحسن، الغیبه: ص ۴۵۰.

۳- النعمانی، محمد، الغیبه: ص ۳۱۰، باب۱۸، ح ۱.

رجفه الشام

عن المغیره بن سعید، عَنْ أبی جعفر الباقر(علیه السّلام) أنَّه قال: «قال أمیر المؤمنین(علیه السّلام): إذا اختلف الرمحان بالشام لَمْ تنجلِ إلّا عَنْ آیه مِنْ آیات الله. قِیلَ: وما هی یا أمیر المؤمنین؟ قال: رجفه تکون بالشام، یهلک فیها أکثر مِنْ مائه ألف، یجعلها الله رحمه للمؤمنین وعذاباً عَلَی الکافرین، فإذا کَانَ ذلک فانظروا إلی أصحاب البراذین الشُّهب المحذوفه، والرایات الصفر تُقبل مِنْ المغرب حتّی تحل الشام، وذلک عِنْدَ الجزع الأکبر والموت الأحمر، فإذا کَانَ ذلک فانظروا خسف قریه مِنْ دمشق یُقَال لها: حرستا، فإذا کَانَ ذلک خرج ابن آکله الأکباد مِنْ الوادی الیابس حتّی یستوی عَلَی منبر دمشق، فإذا کَانَ ذلک فانتظروا خروج المهدی»(۱).

وَمِنْ هذه الروایه یمکن استفاده عدّه أُمور:

۱. فی هذه الروایه یُبیّن أمیر المؤمنین(علیه السّلام) أنَّ الاختلاف والصراع فی الشام هُوَ رحمه للمؤمنین وعذاب للکافرین، أی: إنَّ النصر للمؤمنین إنْ شاء الله.

۲. إنَّ الرایات الصُفر الظاهر أنَّها کنایه عَنْ الغرب، حیث یتدخّلون بجیوشهم تدخّلاً مُباشراً بَعْدَ أنْ فشلت مُخططاتهم فی الشام مِنْ خلال إحداث الفتن بین أبناء الإسلام، وبعد أنْ تفشل مخططاتهم فی استئصال أهل الحقّ.

۳. وقدْ یستظهر مِنْ الروایه أنَّ السُّفیانی هُوَ الخیار الأخیر للغرب الکافر، وَهُوَ یأتی بَعْدَ (فشلین) فی مرحلتین: مرحله الاقتتال فی الشام،

۱- المصدر نفسه: ص۳۱۷، باب۱۸، ح۱۶. الطوسی، محمد بن الحسن، الغیبه: ص۴۱۶.

ومرحله التدخّل الغربی المُباشر، ولیسَ کما یتصوّر أنَّه هُوَ الذی یخوض المعارک فی الشام، بلْ هُوَ یسیطر علیها بدعم مباشر مِنْ الغرب الکافر، بَعْدَ حروب طویله فیسیِّطر عَلَی فلسطین، فَمِنْ البعید أنَّه هُوَ الذی یزیل الکیان الصهیونی عنها؛ لأنَّه حلیف لهم، ولعلَّ فی ذلک إشاره - وبشاره- بسقوط إسرائیل قبل خروج السُّفیانی وزوال دولتها، فإذا ظهر سیطر علیها بَعْدَ سقوطها. فحینها تقول الروایه، عَنْ عبد الله بن جعفر بن منصور البجلی، قال: «سألت أبا عبد الله عَنْ اسم السُّفیانی، فقال: وما تصنع باسمه؟ إذا ملک کور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطین، والأردن، وقنسرین فتوقّعوا عِنْدَ ذلک الفرج»(۱). فکونه یسیطر عَلَی فلسطین یعنی أنَّها خارجه عَنْ سیطره إسرائیل؛ وبالتالی هُوَ نبوءه بسقوط إسرائیل وفشل المشروع الإسرائیلی الغربی فی المنطقه بجهود المؤمنین مِنْ أهل الحقّ، وکما قُلْنا هُما فشلان: فشل فی جعل المُسْلمین یأکل بعضهم بعضاً، وفشل آخر بالتدخّل العسکری المُباشر مِنْ قَبل الغرب الکافر، حینها یخرجون صنیعتهم وورقتهم الرابحه - کما یتصورون- السُّفیانی.

روایات (البَداء) بلسان أنَّ السُّفیانی نقمه للمؤمنین

عَنْ مُحمَّد بن مُسْلِم، قال: سمعت أبا جعفر الباقر(علیه السّلام) یقول: «اتّقوا الله واستعینوا عَلَی ما أنتم علیه بالورع والاجتهاد فی طاعه الله، فأشدّ ما یکون أحدکم اغتباطاً بما هُوَ فیه مِنْ الدِّین لو قدْ صار فی حدّ الآخره وانقطعت الدُّنیا عَنْه، فإذا صار فی ذلک الحدّ عرف أنَّه قدْ استقبل النعیم والکرامه مِنْ الله والبشری بالجنّه، وأمن ممّا کَانَ یخاف، وأیقن أنَّ الذی کَانَ علیه هُوَ الحقّ، وأنَّ مَنْ خالف دینه عَلَی باطل، وأنّه هالک فابشروا، ثمَّ ابشروا بالذی تریدون،

۱- الصدوق: محمّد بن علیّ، إکمال الدِّین: ص۶۵۲، ح۱۱.

ألستم تريدون أعداءكم يقتتلون فی معاصی الله ويقتل بعضهم بعضاً عَلَی الدُّنيا دونكم وأنتم فی بيوتكم آمنون فی عزله عنهم؟ وكفی بالسُّفيانی نقمه لكم مِنْ عدوكم وَهُوَ مِنْ العلامات لكم، مَعَ إنَّ الفاسق لو قدْ خرج لمكثتم شهراً أو شهرين بَعْدَ خروجه لمْ يكن عليكم بأس حتّی يقتل خلقاً كثيراً دونكم.

فقال له بعض أصحابه: فكيف نصنع بالعيال إذا كَانَ ذلك؟ قال: يتغيّب الرجال منكم عَنْه فإنَّ حنقه وشرهه (حرصه) إنَّما هی عَلَی شيعتنا، وأمَّا النساء فليس عليهن بأس إنْ شاء الله. قِيلَ: فإذنْ، أين مخرج الرجال ويهربون منه؟ فقال: مَنْ أراد منهم أنْ يخرُج إلی المدينه أو إلی مكّه أو إلی بعض البلدان. ثمَّ قال: ما تصنعون بالمدينه وإنَّما يقصد جيش الفاسق إليها، ولكن عليكم بمكّه فإنَّها مجمعكم، وإنَّما فتنته حمل امرأه تسعه أشهُر لا يجوزها إنْ شاء الله»(۱).

وهذهِ الروايه أيضاً يمكن جعلها مِنْ روايات (البَداء بلسان البشاره) حَيْثُ يُبيّن فيها الإمام الباقر(عليه السّلام) أنَّ فی فتن آخر الزمان رحمه للمؤمنين وبشاره لهم، إنَّهم آمنون فی بيوتهم وأعدائهم يقتل بعضهم بعضاً، بلْ هُوَ(عليه السّلام) يجعل نفس السُّفيانی الذی فيه ما فيه وعليه ما عليه بشاره؛ لأنَّه نقمه مِنْ الأعداء، ومَعَ ذلك الإمام لمْ ينكر أنَّه يقتل منهم خلقاً كثيراً، بسبب تخاذلهم، أی: إنّهم لو لَمْ يتخاذلوا لكفكفوا نشاطه.

الإعلام المزيَّف للسُّفيانی

الروايه المُتقدِّمه تبيَّن أنَّ حرصه عَلَی قتل رجالات الشيعه، وليسَ عَلَی النساء والأطفال مِنْ بأس، وقدْ قرأنا أنَّه يبقر بطون الحوامل ويزنی بالمرأه فی

۱- النعمانی، محمد، الغيبه: ص۳۱۱، باب۱۸، ح۳.

وسط الطريق، فهل هُناک مُنافاه أم هُوَ بيان لشیء آخر؟

فنقول: هـذه الروايه هی بيان ما يعلنه مِنْ شـعار وما يحاول أنْ يمارسه مِنْ أعمال، يحاول مِنْ خلالها إظهار مدى التزامه بالإسـلام وتعـاليم النَّبی(صـلّی الله عليه و آله وسـلّم) حينمـا يكون أمـام الملأ- وأمام الرأی العام، أمَّا الروايات الأُخرى فهی تُبيِّن واقعه وما يمـارسه بشـكل عـام مِنْ قتل كُلّ مَنْ تبع أهل البيت(عليهم السّـلام) ، بلْ كُلّ مَنْ يقف فی طريقه، وأنّه لا نُبل عنـده ولا خُلق ولا إنسانيّه، وكذلك تُبيِّن بعض ممارساته الَّتِی لا يُريد إظهارها للإعلام والَّتِی تكشف حقيقته وواقعه وتُبيِّن زيف شعاراته.

فـإذاً؛ بعض الروايات يشـير إلی واقع وحقيقه السُّفيانی، وبعضـها يشـير إلی الإعلام الـذی ينشـره السُّفيانی بين الناس؛ وبالتالی هی ترسم كلا- الأمرين حـتّی يتمكّن المـؤمن أنْ يحتمی مِنْ عـدوّه، حيث يفهم أنَّ عـدوّه لو كـان بعيـداً عن الإعلام كيف يكون؟ فيتصرّف بحسب مُقْتضی الحال، وإذا كَانَ عدوّه فی العلن كيف يكون فيتصرَّف بما يُناسِب.

ثمَّ إنَّ الروايه تُبيِّن أين يكون همُّ السُّفيانی حتّی يلتفت المؤمن كيف وأين تكون نجاته منه.

وفی أمـالی الطوسـی عَنْ هشـام بن سالم، قال: قال أبو عبـد الله(عليه السّـلام) وذكر السُّفيانی، فقال: «أمَّا الرجال، فتواری وجوهها عَنْه، وأمَّا النساء فليس عليهن بأس»(۱)(۲).

۱- محمّد بن الحسن، الطوسی، الأمالی: ص۶۶۱. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۷۵.

۲- وهـذه الروايـات وروايات كثيره لا تتعارض مَعَ ضـروره القيام بالمسؤوليه وأهمّيه الأمر بالمعروف والنهی عَنْ المنكر، وحمايه الـدِّين ضـد الانحراف والباطل والضـلاله، وهذه العناوين عَلَی الجمله مِنْ ضـروريات الدِّين ولا يمكن تركها وإهمالها؛ فلا بُدَّ أنْ يكون المراد من التواری عنْ السُّفيانی أو معنی الاختباء والاختفاء معانٍ عديـده فنقول: ۱. معنی أنْ «الرجال تواری وجوهها عنه»، هُوَ أنْ لا يكونوا صـيداً سـهلاً ويعطوا أنفسـهم له، وهُوَ تنبيه لضروره التدبير وجمع القوّه وعَلَی التدابير والحيله لمواجهه السُّفيانی. ۲. قول الروايه «لَيسَ عَلَی النسـاء بـأس»، إشاره إلی أنَّ السُّفيانی لا يقتل النساء ولا يفجر بهنَّ، كما هُوَ فی الروايات الأُخرى، فهل تكون هـذهِ الروايه وأمثالها تعارض تلك؟ كلا، بَلْ هُوَ إشاره إلی أنَّ الاسـتهداف المباشـر للرجال، وأمَّا النساء فالاسـتهداف لهنّ غَير مباشر. ۳. الروايه حينما قالت: «لَيسَ عليهنّ بأس»، أی: لَيسَ عليهنّ بأس وشـدّه بقدر البأس والشدّه عَلَی الرجال. نعم، المعلن والمُقرر عَلَی الرجـال، وليسَ هُوَ عـدم للبـأس مُطلقـاً. مِنْ جهه أُخرى، إنَّ الرجـال ينبغی أنْ يتواروا لَيسَ لمُجرَّد حفظ النفس، بلْ لأجـل نصـر أكبر، أی: لا- يكونوا صـيداً سـهلاً للاعتقـال أو القتـل، بـلْ ليجمعوا قواهم لأجـل نصـر أكبر وليسَ - كما لعلَّه يفهم البعض- هُوَ الهروب والتقاعس وترك المسؤوليات، بلْ هی إشارات أمنيه واستخباريه لتحمّل المسؤوليه.

هـذهِ الروايه وروايـات أَخرى كثيره هى فى صـدد المعـالجه والإنقـاذ والنجـاه فى البُعـد الفردى، مَعَ لسان روايات أَخرى تتعرَّض لمُقتضى القاعده الأوليه مِنْ تحمّل المسؤوليه فى البُعد الجماعى مِنْ تشكيل مقاومات ومجاميع مواجهه مَعَ مشروع السُّفيانى، وأنَّ التخاذل عَنْ هـذهِ المسؤوليات عصـيان كبير، وَهَذا ما يظهر مِنْ الروايه فى عقد الدرر: «ثمَّ يدخُل الكوفه فيصـير أهلها ثلاث فرق: فرقه تلحق به وهم أشرّ خلق الله، وفرقه تقاتله وهم عِنْدَ الله

شُهداء، وفرقه تلحق بالأعراب وهم العُصاه... فيبلغ الخبر أهل البصره فيركبون إليهم فى البرّ والبحر فيستنقذون أُولئك النساء مِنْ أيديهم»(۱). وهذهِ الروايه حاكم ومحكم عَلَى الروايه المتقدِّمه وبقيه المتشابهات.

الخسف عنوان للبَداء فى حركه السُّفيانى

نُقل فى عقد الدرر عن النقاش المقرى - فى تفسير قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ}(۲)- روايهً وهى: «ثمَّ يدخُل الكوفه فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقه تلحق به وهم أشرّ خلق الله تعالى، وفرقه تقاتله وهم عِنْدَ الله شُهداء، وفرقه تلحق الأعراب وَهُم العصاه، ثمَّ يغلب عَلَى الكوفه فيفتض أصحابه ثلاثين ألف عذراء، فإذا أصبحوا كشفوا شعورهنّ، وأقاموهن فى السوق يبيعوهنّ فعند ذلك كم مِنْ لاطمه خدّها كاشفه شعرها بدجله أو عَلَى شاطئ الفرات، فيبلغ الخبر أهل البصره، فيركبون إليهم فى البرّ والبحر، فيستنقذون أُولئك النساء مِنْ أيديهم، فيصير أصحاب السُّفيانى ثلاث فرق: فرقه تسير نحو الرى، وفرقه تبقى فى الكوفه، وفرقه تأتى المدينه وعليهم رجل مِنْ بنى زهره، فيحاصرون فيقبلون جميعاً، فيقتل بالمدينه مقتله عظيمه حتّى يبلغ الدم الرأس المقطوع ويقتل رجل مِنْ أهل بيت النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وامرأه، واسم الرَّجُل مُحمَّد، ويُقَال: اسمه علىّ، والمرأه فاطمه فيصلبونهما عراه؛ فعند ذلك يشتدّ غضب الله تعالى عليهم، ويبلغ الخبر إلى ولى الله تعالى، فيخرج مِنْ قريه مِنْ قرى جرش فى ثلاثين رجلاً- فيبلغ المؤمنين خروجه، فيأتونه مِنْ كُلّ أرض يحنّون إليه كما تحنّ الناقه إلى فصيلها، فيجىء فيدخُل مكه فتقام الصَّلاه

۱- المقدسى، يوسف بن يحيى، عقد الدرر فى أخبار المنتظر: ص۷۷.

۲- سبأ: آيه ۵۱.

فیقولون: تقدَّم یا ولی الله. فیقول: لا أفعل أنتم الذین نکثتم وغدرتم. فیصلی بهم رجل، ثمَّ یتداعون علیه بالبیعه تداعی الإبل الهیم یوم ورودها حیاضها، فیبایعونه، فإذا أفرغ مِنْ البیعه تبعه الناس ثمَّ یبعث خیلاً إلی المدینه علیهم رجل مِنْ أهل بیته لیقاتل الزهری، فیُقتل مِنْ کلا الفریقین مقتله عظیمه، ثمَّ یرزق الله تعالی ولیَّه الظفر فیقتل الزهری ویقتل أصحابه، فالخائب یومئذٍ مَنْ خاب مِنْ غنیمه کلب ولو بعقال، فإذا بلغ الخبر السُّفیانی خرج مِنْ الکوفه فی سبعین ألفاً حتّی بلغ البیداء وعسکّر بها، وَهُوَ یُرید قتال ولیّ الله، وخراب بیت الله، فبینما هُم کذلک بالبیداء إذْ نفر فرس لرجل مِنْ العسکر، فیخرج الرَّجُل فی طلبه وبعث الله إلیه جبرائیل فضرب الأرض برجله ضربه، فیخسف الله تعالی بالسُّفیانی وأصحابه، ویرجع الرَّجُل لیقود فرسه، فیستقبله جبرائیل(علیه السّلام) فیقول: ما هذهِ الضجّه فی العسکر؟ فیضربه جبرائیل(علیه السّلام) بجناحه فیحول وجهه مکان القفا. ثمَّ یمشی القهقری فهذهِ الآیه نزلت فیهم {وَلَوْ تَرَی إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ}(۱)»(۲).

هذهِ روایه بیَّنت جوانب عدیده مِنْ حرکه السُّفیانی یمکن الإشاره إلی بعضها:

۱. یجب تحمّل المسؤولیه أمام حرکه السُّفیانی؛ لأنَّ الروایه وصفت الفرقه الَّتِی تواجه حرکه السُّفیانی بأنَّ أصحابها شُهداء وفی طریق الحقّ الصحیح، ووصفت الفرقه الَّتِی تهرب للأعراب بأنْ تکون عصاه ووصفت الفرقه الَّتِی تلحق الأعراب بأنَّها أشرّ الخلق، وَهَذا بحدّ ذاته لَیسَ وصفاً لما

۱- سبأ: آیه ۵۱.

۲- المقدسی، یوسف بن یحیی، عقد الدرر فی أخبار المنتظر: ص۷۷-۷۹.

يحدث، وليسَ إخباراً بحوادث تاريخيّه؛ فإنَّه لَيسَ مِنْ دأب المعصوم(عليه السّلام) أنْ يكون قصّاصاً، بلْ هُوَ إشاره إلى مسؤوليّه المؤمن فى عصر الغيبه وضروره القيام بالمسؤوليه الديتيّه؛ ولذلك الروايه صنّفت المواقف تجاه السُّفيانى مِنْ حيث القيام بالمسؤوليّه إلى أصناف عديده.

إذاً؛ الروايه تحذِّر المؤمن وتقول له: إياك أنْ تكون مِنْ الفرقه الأُولى الَّتِى تلحق به؛ لأنَّها شرّ الخلق وكذلك تحذِّر مَنْ يترك المسؤوليّه - لَيسَ مَنْ ينحرف فقط- ويلحق بالأعراب، وتمدح الفرقه الَّتِى تواجهه وتقول: إنَّ أصحابها شُهداء.

٢. إنَّ هذهِ الروايه تشير إلى مسأله البَداء، ولكن لَيسَ بالصراحه وبصوره مُبَاشره، بلْ بالإشاره إلى أنَّ نفس القيام بالمسؤوليّه سوف يقلِّل مِنْ النشاط المتزايد للسُّفيانى ويكفكف مِنْ توسعاته، فمثلاً حينما تقول: «فرقه تقاتله، وهم عِنْدَ الله شهداء». إشاره إلى صدّ المؤمنين لتحرّكاته، كذلك حينما تقول الروايه: «فيبلغ الخبر أهل البصره، فيركبون إليهم فى البرّ والبحر،فيستنقذون أولئك النسوه مِنْ أيديهم»، فليس معنى الحتميّه فى حركه السُّفيانى هُوَ الحتم الجبرى أو القسرى الذى يؤدِّى إلى ترك المسؤوليّات وترك المواجهه، كَمَا بيَّنا ذلك.

الوظيفه الأوليّه للمؤمنين هى المقاومه

هُناک روايات عديده أشارت إلى أنَّ الوظيفه الأوليّه للمؤمنين هى المقاومه:

الروايه الأُولى: فى عقد الدرر، عن النقاش المقرى فى تفسير قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ}(۱):

«ثمَّ يدخُل الكوفه، فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقه تلتحق به وهم أشرّ خلق الله، وفرقه تقاتله وهم عِنْدَ الله شُهداء، وفرقه تلحق الأعراب وَهُم العصاه، ثمَّ يغلب عَلَى الكوفه فيفتضّ أصحابه ثلاثين ألف عذراء، فإذا أصبحوا كشفوا شعورهنّ، وأقاموهنّ فى السوق يبيعوهن، فعند ذلک كم مِنْ لاطمه خدّها كاشفه شعرها بدجله أو عَلَى شاطئ الفرات، فيبلغ الخبر أهل البصره؛ فيركبون إليهم فى البرّ والبحر، فيستنقذون أُولئک النساء مِنْ أيديهم، فيصير أصحاب السُّفيانى ثلاث فرق: فرقه تسير نحو الرى، وفرقه تبقى فى الكوفه، وفرقه تأتى المدينه وعليهم رجل مِنْ بنى زهره...»(۲).

وفى الروايه مواضع دالّه عَلَى أنَّ الوظيفه الأوليّه والمسؤوليّه هى المقاومه والمواجهه لمشروع السُّفيانى؛ وذلک عِنْدَ قوله: «فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقه تلحق به وهى أشرّ خلق الله»، وَهُوَ يشير إلى حرمه الانقياد والذوبان مَعَ

۱- سبأ: آيه ۵۱.

۲- المقدسى، يوسف بن يحيى، عقد الدرر فى أخبار المنتظر: ص۷۷.

مشروعه؛ لأنَّه يوجب الخسران الأبدى ومقتضاه لزوم مقاومته.

ثمَّ قوله(عليه السّلام): «وفرقه تقاتله وَهُم عِنْدَ الله شهداء»: فى هَذا البيان منه(عليه السّلام) دلاله عَلَى أنَّ القاعده الأوليّه والوظيفه والمسؤوليّه هى مقاومه مشروعه ومواجهته بلغ ما بلغ، ولا ريب أنَّ هذهِ الوظيفه ليست مقرّره قبل دخوله الكوفه أيضاً مِنْ كُلّ البلدان حتّى فى الشام؛ لأنَّ مشروعه - كما مرَّ- إباده للدين باسم الدِّين، كما هى شاكله النهج الأُموى.

وقوله(عليه السّلام): «وفرقه تلحق الأعراب وهم العصاه»، وَهَذا أيضاً بيان منه(عليه السّلام) إلى أنَّ ترك مقاومه السُّفيانى والتخاذُل عَنْ هذهِ المسؤوليّه والاهتمام بنجاه النفس معصيه كبيره جدّاً.

ووجه الدلاله عَلَى أنَّها كبيره أنَّ هَذا العنوان - العصاه- والتوصيف قدْ وَرَدَ نظيره فى الذين خالفوا رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) فى مواطن عدّه، نظير ما وَرَدَ فى الصوم فى السفر مِنْ جماعه كانوا مَعَ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وبقوا صياماً سمّاهم النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) العُصاه، وبقى ذلك الوصف عليهم.

وقوله(عليه السّلام): «ثمَّ يغلب عَلَى الكوفه». أيضاً دالّ عَلَى أنَّه ستكون مقاومه قوّيه من المؤمنين، ولا يسيطر بسهوله مِنْ دون تلك المعارك. وكما لا يخفى أنَّ الكوفه لَيسَ المقصود منها خصوص مدينه الكوفه، بلْ الفرات الأوسط كُلّه إلى قرب بغدد(1)، وفيها دلاله عَلَى أنَّ الوظيفه هى مقاومته ومواجهته العسكريّه، وإذا كانت الوظيفه هى ذلك فاللازم عَلَى المؤمن إعداد العِدّه فى كُلّ العراق، بلْ الشام وليسَ فى الكوفه فقط؛ لأنَّ الفتنه إنَّما تخمد وتوأد فى

١- وهذا أمر معروف لا يخفى على المتتبع لما هو المعروف فى ذلك الزمن عن مساحه مدينه الكوفه.

مهدها أصلح وأنجع، وَهَذا دليل عَلَى أنَّ ما قدّمناه(۱) مِنْ تفسير: «كُنْ حِلْساً مِنْ أحلاس بيتك»(۲)، إنَّما هُوَ التزام منهاج أهل البيت(عليهم السّلام) والبقاء والثبات عليه، لا الهروب مِنْ المسؤوليّه العامَّه.

وقوله(عليه السّلام): «فيبلغ الخبر أهل البصره؛ فيركبون إليهم فى البرّ والبحر، فيستنقذون أُولئك النساء مِنْ أيديهم». دالّ - هُوَ الآخر- عَلَى أنَّ المسؤوليّه هى التعبئه والمُقاومه فى مجاميع ضد عسكر السُّفيانى، ودالّ أيضاً على أنَّه يلقى مقاومه مِنْ المؤمنين وتصيبه إخفاقات عديده، وهذهِ الظاهره مُتكرره فى الروايات، وَهِىَ: أنَّ سيطره جيش السُّفيانى - عَلَى كُلّ منطقه يسيطر عليها- لا تبقى ثابته، بلْ دوماً بين كرٍّ وفرٍّ، بلْ فى كثير مِنْ المدن يكون الفرار لأصحابه وانحسارهم مِنْ دون كرّ أشبه ما يُرى حالياً فى اقتتال سوريا أو البُلدان الَّتِى سيطرت عليها القاعده كالصومال وأفغانستان. ولا يخفى أنَّ المُراد مِنْ البصره لَيسَ خصوص البصره، بلْ مُدن الجنوب كما هُوَ الإطلاق التاريخى فى ذلك الأوان.

وقوله(عليه السّلام): «فيصير أصحاب السُّفيانى ثلاث فرق»، يدلُّ عَلَى أنَّ جيوب المُقاومه مِنْ المؤمنين تُضعف عمق السيطره بجيش السُّفيانى وتبدد قواه.

الروايه الثَّانيه: «وتهرُب خيل السفيانى»

عَنْ على(عليه السّلام): «إذا خرجت خيل السُّفيانى إلى الكوفه بعث فى طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان فى طلب المهدى، فيلتقى هُوَ والهاشمى برايات سود، عَلَى مُقدمته شعيب بن صالح، فيلتقى هُوَ والسُّفيانى بباب إصطخر

۱- قد تقدّم ذلك فى القاعده الأُولى، قاعده (كن حِلْساً)، فراجع.

۲- المتقى الهندى، علىّ، كنز العمال: ج۱۱، ص۲۱۴.

فتکون ملحمه عظیمه، فتظهر الرایات السود وتهرب خیل السُّفیانی، فعند ذلک یتمنّی الناس المهدی ویطلبونه»(۱). وموضع الشاهد مِنْ الروایه هو:

قوله(علیه السّلام): «إذا خرجت خیل السُّفیانی إلی الکوفه، بعث فی طلب أهل خراسان، ویخرج أهل خراسان فی طلب المهدی، فیلتقی هُوَ والهاشمی برایات سود... فیلتقی هُوَ والسُّفیانی بباب إصطخر، فتکون ملحمه عظیمه».

وَهَذا المقطع یشیر إلی شدّه مقاومه جیش السُّفیانی بباب إصطخر، وهی نقطه التقاء جیش السُّفیانی مَعَ الحسنی أو الهاشمی، وهی نقطه التقاء محافظه خوزستان ومحافظه أصفهان؛ فتکون نهاوند ثانیه، إلّا أنَّ هذه المرّه تکون الهزیمه لجیش السُّفیانی، وهذه الروایه تُظْهِر أنَّ انکسار جیش السُّفیانی فی هذهِ الملحمه تکسر شوکه السُّفیانی؛ لقوله(علیه السّلام): «فعند ذلک یتمنّی الناس المهدی ویطلبونه».

وَهَذا ما تُشیر إلیه الروایه الأُخری الَّتِی منها هَذا المقطع: «بقتل کُلّ مَنْ اسمه مُحمَّد، وعلیّ، وحسن، وحسین، وفاطمه، وجعفر، وموسی، وزینب، وخدیجه، ورُقیّه بُغضاً وحنقاً لآل مُحمَّد(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، وذلک لما یصنع الهاشمی الذی یخرُج عَلَی أصحابه مِنْ المشرق، یقول [السُّفیانی]: ما هَذا البلاء کُلّه وقتل أصحابی إلّا مِنْ قبلهم [بنی هاشم]».

الروایه الثَّالثه: السُّفیانی یفشل فی البصره

فی إلزام الناصب (فی ذیل خطبه البیان): «... فیأتی البصره، فیقتل

۱- المتقی الهندی، علیّ، کنز العُمال: ج۱۴، ص۵۸۸، ح۳۹۶۶۷. الیزدی، علیّ، إلزام الناصب فی إثبات الحجّه الغائب: ج۲، ص۱۷۳.

ساداتها ویسبی حریمها، فإنی لأعرف کم وقعه تحدث بها وبغیرها، وتکون بها وقعات بین تلول وآکام، فیقتل بها اسم ویُتعبّد بها صنم... ألا- وإنَّ السُّفیانی یدخُل البصره ثلاث دخلات، یذل العزیز، ویسبی فیها الحریم»(۱). وکذلک فی نفس المصدر عَنْ علیّ(علیه السّلام): «ألا وإنَّ السُّفیانی یدخُل البصره ثلاث دخلات، یذلُّ العزیز ویسبی فیها الحریم، ألا یا ویل المنتفکه وما یحلّ بها مِنْ سیف مسلول وقتیل مجذول وحرمه مهتوکه...».

وتدلُّ هاتان الروایتان عَلَی أنَّ السُّفیانی یُلاقی مُقاومه مجامیع مؤمنه، فلا تستتبّ له السیطره علی المناطق الَّتِی دخلها، بلْ یکون هُناک کَرٌّ وفَرٌّ، وَهَذا یعطی استراتیجیه ثانیه، وهی الرفع بَعْدَ الاستراتیجیه الأُولی الَّتِی هی الدفع، أی: دفع سیطرته قبل السیطره. فکلا الاستراتیجیتین دالّتان عَلَی لزوم شدَّه المقاومه وصلابتها حدوثاً وبقاءً، وفی کُلّ الظروف، وأنْ لا تهدأ مجامیع المؤمنین عَنْ المُقاومه، حتّی لو تحقّق لجیش السُّفیانی سیطره نسبیه فی بعض المناطق؛ فإنَّ ذلک لا یعنی بقاء تلک السیطره والقدره له عَلَی تلک المناطق عَلَی درجه ووتیره واحده، بلْ بالإمکان إضعافها وإزالتها، وهذه الدلاله نجدها فی روایات کثیره دالّه عَلَی هشاشه بقاء سیطره السُّفیانی فیما یسیطر علیه مِنْ مناطق، وَهَذا مفتاح أمل لبقاء ومسؤولیّه المقاومه والمواجهه لمشروعه.

الروایه الرَّابعه: السُّفیانی ضعیف فی عاصمته

عَنْه(علیه السّلام): «إذا بعث السُّفیانی إلی المهدی جیشاً فخُسف بهم البیداء، وبلغ ذلک أهل الشام قالوا لخلیفته: قدْ خرج المهدی فبایعه وادخل فی طاعته وإلّا

۱- الیزدی، علیّ، إلزام الناصب فی إثبات الحجّه الغائب: ج۲، ص۱۶۵.

قتلناک. فیرسل إلیه بالبیعه ویسیر المهدی حتّی ینزل بیت المقدس...»(۱).

وهـذهِ الروایات تشیر إلی هشاشه سیطره السُّفیانی وقاعدته حتّی فی عاصمه دولته، فضلاً عَنْ بقیه المناطق الَّتِی یحاول السیطره علیها، فإنَّ تَزَلزُل سیطرته ونفوذه فیها أضعف بکثیر حتّی بَعْدَ سیطرته، وَهَذا ما أکّدنا علیه مِنْ وجود دلاله - فی کثیر مِنْ الروایات- علی أنَّ مشروعه وإنْ کَانَ فی بدو الصخب العسکری له مرعب إلّا أنَّه هشّ ثباتاً، ویتزلزل بسرعه ومسارعه؛ لأنَّ طبیعه تمددّه وتوسّعه مِنْ قبیل فوره، سُرعان ما تتبدد فقاعتها.

الروایه الخامسه: أهلُ مکَّه یقومون بواجبهم

عَنْ کعب الأحبار: «... وإذا خرج السُّفیانی... ویکثر القتل فی الدُّنیا، فعند ذلک یجتمعون أهل مکه إلی السُّفیانی یخوِّفونه عقوبه الله (عَزَّ وَجَلَّ) فیأمر بقتلهم وقتل العُلماء والزُّهاد فی جمیع الآفاق، فعند ذلک یجتمعون إلی رجل مِنْ قریش له اتّصال برسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) لهلاک السُّفیانی ویتّصل بمکّه، ویکونون عَلَی عدد أهل بدر - ثلاثمائه وثلاثه عشر رجلاً- ثمَّ تجتمع إلیه المؤمنون عدد أهل بدر ثلاثمائه وثلاثه عشر رجلاً، ثمَّ تجتمع إلیه المؤمنون وینکسف القمر ثلاث لیالی متوالیات، ثمَّ یظهر المهدی بمکّه...»(۲).

وفی هذه الروایه إشاره إلی أنَّ أهل مکّه ضدّ السُّفیانی، وأنَّ أغلب أهلها یقومون بمسؤولیه التصدّی لحرکه السُّفیانی؛ حیث إنَّهم یأتونه ویتکلّمون بکلمه الحقّ عِنْدَ السُّفیانی (الجائر) وینذرونه مِنْ عقوبه الله، بلْ إنَّ الهاشمیین فی مکَّه والمدینه یقاتلون جیش السُّفیانی ویهزمونه شرَّ هزیمه، فَعَنْ حنش بن

۱- المتقی الهندی، علیّ، کنز العُمال: ج۱۴، ص۵۸۹، ح۳۹۶۶۹.

۲- المقدسی، یوسف بن یحیی، عقد الدرر فی أخبار المنتظر: ص۸۰.

عبد الله سمع ابن عباس (رض) يقول: «يبعث صاحب المدينه إلى الهاشميين بمكّه جيشاً فيهزموهم، فيسمع بذلك الخليفه بالشام؛ فيقطع إليهم بعثاً فيهم ستمائه عريف، فإذا أتوا البيداء فنزلوها فى ليله مُقمره أقبل راعى ينظر إليهم ويعجب... فينصرف إلى غنمه، ثمَّ يرجع فلا يرى أحداً فإذا هُم قدْ خُسف بهم...»(۱).

عَنْ أبى هريره، عَنْ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «يخرُج رجل يُقَال له: السُّفيانى فى عمق دمشق، وعامَّه مَنْ يتبعه مِنْ كلب، فيقتل حتّى يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس فيقتلها حتّى لا يمنع ذنب تلعه، ويخرج رجل مِنْ أهل بيتى فى الحرّه فيبلغ السُّفيانى، فيبعث إليه جنداً مِنْ جُنده فيهزمهم، فيسير إليه السُّفيانى بمَنْ معه حتّى إذا صار ببيداء مِنْ الأرض خُسف بهم، فلا ينجو منهم إلّا المُخبر عنهم»(۲).

والعباره المُهمّه فى هَـذا المجال هى: «ويخرج رجل مِنْ أهل بيتى فى الحرّه فيبلغ السُّفيانى، فيبعث إليه جُنداً مِنْ جُنده فيهزمهم»، وهى دالّه عَلَى أنَّ المسؤوليّه والفريضه لا تسقط عَنْ بلد مِنْ البُلدان، فالكُلّ مسؤول ومُكلَّف بالدِّفاع عَنْ حرمات الدِّين؛ حيث يستهدفها مشروع السُّفيانى، لا أنَّه يُرفض بالتخاذل والتخلّى والهروب عَنْ المسؤوليّه.

الروايه السَّادسه: بطوله أهل الكوفه

فى تفسير الطبرى: حدّثنا عصام بن روَّد بن الجرّاح، قال: حدّثنا أبى

۱- المروزى، ابن حمّاد، الفتن: ج۱، ص۲۰۲.

۲- الحاكم النيسابورى، محمد بن عبد الله، المستدرك: ج۴، ص ۵۲۰. المتقى الهندى، علىّ، البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان: ص۱۱۳، عَنْ المستدرك.

قال: حدّثنا سفیان بن سعید، قال: حدَّثنی منصور بن المعتمِر، عَنْ ربعی بن حِراش قال: سمعت حذیفه بن الیمان، یقول: قال رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) - وذکر فتنه تکون بین أهل المشرق والمغرب- قال: «فبینما هُم کذلک إذْ خرج علیهم السُّفیانی مِنْ الوادی الیابس... ثمَّ ینحدرون إلی الکوفه فیُخرِّبون ما حولها، ثمَّ یخرجون مُتوجهین إلی الشام، فتخرج رایه هُدی مِنْ الکوفه فتلحق ذلک الجیش منها عَلَی الفئتین، فیقتلونهم فلا یفلت منهم مُخبر، ویستنفذون ما فی أیدیهم مِنْ السبی والغنائم... ویحلّ جیشه الثانی بالمدینه... یخسف الله بهم، فذلک قوله فی سوره سبأ: {وَلَوْ تَرَی إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ} الآیه...»(۱).

وهذهِ الروایه بهذا المضمون وَرَدَتْ مِنْ طُرقٍ عدیده مَعَ تغیّر فی بعض عباراتها، وکلّها مَعَ ذلک التغیّر أُوردت - فی تفاسیر العامَّه- لتفسیر الآیه الکریمه المُتقدِّمه، وهذهِ الروایه أیضاً أوردها الطبرسی فی مجمع البیان(۲) مُرسلاً عَنْ حذیفه بن الیمان، وبنفس هَذا المضمون وردت روایات کثیره عَنْ الباقر والصادق(علیهاالسّلام)، والذی یهمّنا مِنْ الروایه عبارتان:

الأُولی: «فینحدرون إلی الکوفه فیُخرِّبون ما حولها، ثمَّ یخرجون متوجهین إلی الشام».

الثّانِیه: «فتخرج رایه هُدی مِنْ الکوفه، فتلحق ذلک الجیش منها عَلَی الفئتین، فیقتلونهم فلا یفلت منهم مُخبر».

۱- الطبری، محمد بن جریر، جامع البیان عن تأویل آی القرآن: ج۲۲، ص۱۲۹. المقدسی، یوسف بن یحیی، عقد الدرر فی أخبار المنتظر: ص۷۵.

۲- اُنظر: الطبرسی، مجمع البیان فی تفسیر القرآن: ج۸، ص۲۲۸. وقال: أورده الثعلبی فی تفسیره، وروی أصحابنا فی أحادیث المهدی، عَنْ أبی عبد الله وأبی جعفر(علیهاالسّلام) مثله.

والعباره الأولى تَدلّ بظاهرها عَلَى انكسار جيش السُّفيانى فى العراق قَبل دخوله الكوفه، بلْ ظاهر الروايه أنَّه ينكفئ راجعاً إلى الشام، فضلاً عَنْ أنْ يتوجّه إلى المدينه، ولا تنافى بين مفاد هذهِ الروايه وكثير مِنْ الروايات الأُخرى الدالّه عَلَى دخول جيش السُّفيانى الكوفه وتوجّهه بَعْدَ ذلك إلى المدينه والبصره وغيرهما، كخراسان.

ووجه عدم المُنافاه: أنَّه تُحمل هذه الروايات عَلَى اختلاف المقادير والقدر تّجاه مصير جيش ومشروع السُّفيانى بحسب تحمّل وقيام المؤمنين بمسؤولياتهم، فبقدر ما يقومون به مِنْ أداء المسؤوليّه والواجب يحصل إخفاق فى مشروع السُّفيانى، وإنَّ الإخفاق فى مشروعه مُقدّر عَلَى تقادير مُخْتلِفه، ففى بعضها أنَّه لا يظفر بَعْدَ الشام إلّا بشمال العراق ثمَّ ينكفئ، وفى بعضها بالكوفه فينكفئ، ويتّجه للمدينه بمقاومه أهل البصره وجنوب العراق، وفى بعضها إلى باب إصطخر - أى: أصفهان- فينكفئ ويُكسر جيشه وفى بعضها إلى شيراز، وهذهِ كُلّها لا تضارب بينها، وإنَّما تُبيِّن مقادير مُخْتلِفه لما يبرم الوقوع عَلَى أحدها، وتنبّه عَلَى ضروره القيام بالمسؤوليّه وتحمّلها وحسن تدبير أدائها بفطنه، وأنَّ المجال والباب للمقاومه وصدّ مشروع السُّفيانى مفتوح عَلَى مصراعيه أمام خيارات مُتعدّده.

مِنْ جهه أُخرى تنصيص وفيه (البَداء) يأخذ مساحات مُتحرِّكه وليست جامده، ولفظ (البَداء) مفاده أنَّ التقدير مُتحرِّك غَير جامد عَلَى حدّ ومدى واحد؛ وبالتالى فروايتان مِنْ روايات البداء فى السُّفيانى حاكمه عَلَى طوائف الروايات ومُفسِّره لوجه الاختلاف، كما هُوَ الحال فى قضيه قوم يونس(عليه السّلام) أخبره الله بعذابهم، ثمَّ بعدما تضرّعوا بَدا فيهم، وكذلك قوم نوح(عليه السّلام)، حَيْثُ

حصل فيهم البَداء مرّات كثيره قبل زمن حصول الطوفان.

وأمَّا العباره الثَّانيه: «فتخرج رايه هُدى مِنْ الكوفه...»، فهى صريحه فى أنَّ أهل الكوفه - أو أهل الفرات الأوسط عموماً- إذا قاوموا جيش السُّفيانى قبل وصوله إلى المدينه أو مناطق أُخرى فلا تقوم له قائمه، كما تُبيِّن هذهِ الروايات أنَّ الدِّفاع عَنْ القباب المُقدَّسه لا يتمُّ عِنْدَ حدود مُدنها، بلْ الدِّفاع الضامن لأمنها هُوَ بالتقدُّم لمواجهه السُّفيانى فى عقر داره، بلْ إنَّ الدِّفاع عَنْ الحرمين الشريفين بيت الله الحرام ومسجد وقبر النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، وقبر فاطمه الزهراء(عليهاالسّلام) وقبور أئمّه البقيع(عليهم السّلام) إنَّما يتمُّ بمقاومه وكسر جيشه فى العراق والشام لا بفتح المجال له لينفلت ويتقدّم باتّجاه الحجاز ليهتك الحُرمات وليهدم المُقدَّسات.

البَداء فی خاتمه السُّفیانی

وحتّی إنَّ خاتمه السُّفیانی قابله للبَداء ویمکن هُنا أنْ نُورد عِدَّه مقاطع مِنْ عِدَّه روایات، تُشیر إلی أنَّ خاتمه السُّفیانی بالقتل مُردّده بین عِدَّه أماکن؛ ممّا یدلُّ عَلَی أنَّ إمکان البَداء حتّی فی مکان قتله، وبالتالی هُوَ یُشیر إلی ضیق أو سعه حرکته، فیبقی أمر السُّفیانی فی تفاصیل حرکته قابل للبَداء، فتتضیّق حرکته وتُقهر فی عقر دارها إذا قام المؤمنون بمسؤولیّاتهم، ففی الروایه عَنْ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) قال: «لتترکنّ المدینه أحسن ما کانت حتّی یجیء الکلب فیشغر عَلَی ساریه المسجد... ثمَّ تسیر خیل السُّفیانی تُرید مکّه... فیُخسف بهم... ویأتی البشیر المهدی وَهُوَ بمکّه، فیخرج معه اثنا عشر ألفاً، فهم الأبدال والأعلام حتّی یأتی المباء (المیاه) فیأسر السُّفیانی ویغیر عَلَی کلب...»(۱).

وعَنْ مُحمَّد بن علیّ(علیهاالسّلام)، قال: «إذا سمع العائذ الذی بمکّه بالخسف خرج مَعَ اثنی عشر ألفاً فیهم الأبدال حتّی ینزلوا إیلیا... ویؤدّی إلیه السُّفیانی الطاعه ثمَّ یخرُج... فیأتیه إلی إیلیا، فیقول: أقلنی. فیقول: إنِّی غَیر فاعل... فیأمر به عِنْدَ ذلک فیُذبح عَلَی بلاطه إیلیا...»(۲).

وکذلک عَنْ جرّاح، عَنْ أرطأه، قال: «یدخُل الصخری(۳) الکوفه...

۱- البلخی، أحمد بن سهل، البدء والتاریخ: ج۲، ص۱۷۸-۱۷۹.

۲- المروزی، نعیم بن حمّاد، الفتن: ص۲۱۵. المتقی الهندی، علیّ، البرهان فی علامات مهدی آخر الزمان: ص۱۲۳، عَنْ الفتن.

۳- الصخری هُوَ (السُّفیانی) نسبه إلی صخر جدّ بنی أُمیّه.

فإذا تشافت الخيلان ولّت كلب أدبارها وأخذ الصخرى فيُذبح عَلَى الصفا المُعترضه عَلَى وجه الأرض عِنْدَ الكنيسه الَّتِى فى بطن الوادى...»(۱).

وأيضاً عَنْ أبى هريره، عَنْ النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «إنَّ المهدى والسُّفيانى وكلباً يقتتلون فى بيت المقدس حين يستقبله البيعه، فيؤتى بالسُّفيانى أسيراً فيُأمر به، فيُذبح عَلَى باب الرحبه، ثمَّ تُباع نساؤهم وغنائمهم عَلَى درج دمشق»(۲).

وهذهِ الروايات الأربع - الَّتِى ذكرنا منها موضع الشاهد- يتّضح منها الاختلاف فى كيفيّه خاتمه السُّفيانى، وَهُوَ إشاره لإمكان البَداء فيها.

۱- المروزى، نعيم بن حمّاد، الفتن: ص۲۱۸. المتقى الهندى، علىّ، البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان: ص۱۲۵-۱۲۶.

۲- المروزى، نعيم بن حمّاد، الفتن: ص۲۱۶. اُنظر: الحاكم النيسابورى، محمد بن عبد الله، المستدرك: ج۴، ص۴۳۱. المقدسى، يوسف بن يحيى، عقد الدرر فى أخبار المنتظر: ص۸۴، عَنْ المستدرك.

أمرهم(عليهم السّلام) بالوجوب العينى والتعيُّنى

لتصدى شيعه العراق بالخصوص للسُّفيانى بقوّه وحزم

إنَّ الأئمّه(عليهم السّلام) بالنسبه للانخراط فى بعض الرايات الشيعيّه الحقّه يوجبون الانخراط فيها ومناصرتها وغير ذلك، وحينما تذكر مناصره الحركات المهدويّه فى مناطق كثيره لا تركّز عَلَى ضروره مناصره رايه الحقّ فيها ولم تصف المُتخاذل بأنَّه عاصٍ، فعَنْ أبى جعفر(عليه السّلام): «كأنِّى بقوم قدْ خرجوا بالمشرق يطلبون الحقّ فلا يُعطونه... قتلاهم شُهداء، أما إنِّى لو أدركت ذلك لأبقيتُ نفسى لصاحب هَذا الأمر»(۱).

أمَّا فى العراق، فالأمر عينى تعيُّنى، وواجب وفريضه كُبرى، بحيث يكون التخلُّف عنها يوسم المتخاذل بوصف العصاه إلى يوم القيامه، ولم يكن التعبير بهذهِ الشهاده والتأكيد فى الروايات الَّتِى ذكرت البلدان الأُخرى، ففى روايه عقد الدرر المُتقدِّمه: «ثمَّ يدخُل الكوفه فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقه تلتحق به وَهُم أشرّ خلق الله، وفرقه تقاتله وهم عِنْدَ الله شُهداء، وفرقه تلحق الأعراب وَهُم العصاه»(۲).

والروايات الَّتِى ذكرت أنَّ المؤمن يخفى نفسه إنَّما يتوسَّل الهروب أو الاختفاء إذا وصلت المرحله إلى دخول جماعات السُّفيانى وغلبتهم؛ حيث

۱- النعمانى، محمد، الغيبه: ص۲۸۲، باب۱۴، ح ۵۰.

۲- المقدسى، يوسف بن يحيى، عقد الدرر فى أخبار المنتظر: ص۷۷.

يكون التصـدّى لهم يعرض المُؤمن للهلاـك بلا أدنى فائـده تُـذكر، فينبغى التوسُّل بالهروب لأجل جمع القوى والاصـطفاف مَعَ الحركات المُحقّه، لأجل مواجهه جيش السُّفيانى، أمَّا فى غَير هَذا الفرض فالوظيفه الأصليّه هى المُقاومه والدِّفاع.

ص: ٣١۶

الشّعوب كُلّها ضدّ السُّفيانى

فى الروايه عَنْ حذيفه، عَنْ النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) أنَّه قال: «إذا دخل السُّفيانى أرض مصر أقام فيها أربعه أشهُر يقتل ويسبى أهلها، فيومئذٍ تقوم النائحات، فباكيه تبكى عَلَى استحلال فرجها، وباكيه تبكى على ذلّها بعد عزّها، وباكيه تبكى على قتل أولادها، وباكيه تبكى على قتل رجالها، وباكيه تبكى شوقاً إلى قبورها»(۱)، وكذلك عَنْ علىّ(عليه السّلام)، قال: «إذا خرجت خيل السُّفيانى إلى الكوفه بعث فى طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان فى طلب المهدى فيلتقى هُوَ والهاشمى برايات سود، عَلَى مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقى هُوَ والسُّفيانى بباب إصطخر، فتكون ملحمه عظيمه، فتظهر الرايات السود، وتهرب خيل السُّفيانى، فعند ذلك يتمنّى الناس المهدى ويطلبونه»(۲).

وقال المتقى الهندى فى كنز العمّال: «إذا بعث السُّفيانى إلى المهدى جيشاً فخُسف بهم بالبَيداء وبلغ ذلك أهل الشام قالوا لخليفتهم: قدْ خرج المهدى فبايعه وأُدخل فى طاعته وإلّا قتلناك. فيرسل إليه بالبيعه ويسير المهدى حتّى ينزل بيت المقدس وتُنقل إليه الخزائن...»(۳).

۱- المروزى، نعيم بن حمّاد، الفتن: ص۱۵۸.

۲- المتقى الهندى، علىّ، كنز العُمال: ج۱۴، ص۵۸۸، ح۳۹۶۶۷. المروزى، نعيم بن حمّاد، الفتن: ص۱۹۲. اليزدى، علىّ، إلزام الناصب فى إثبات الحجّه الغائب: ج۲، ص۱۷۳.

۳- المتقى الهندى، علىّ، كنز العُمال: ج۱۴، ص۵۸۹، ح۳۹۶۶۹.

وهذهِ الروايات وأمثالها روايات أَخرى كثيره تشير إلى أَمور أهمّها:

أوَّلاً: إنَّ المُدن العربيه بجملتها ضد السُّفيانى إلّا قلّه مِنْ المؤيدين لحركته؛ لذلك هُوَ يخرِّب المدن ويقتل الناس، ولو كَانَ الناس معه فلماذا يقتلهم؟ ولماذا يبقى فى مصر أربعه أشهُر يقتل أهلها ويسبى نساءها، كذلك المدينه المنوَّره الَّتِى يتصوّر الناس أنَّها أُمويه أو وهابيّه، حيثُ ظهرَ مِنْ الروايه المُتقدِّمه أنَّها ضدّه؛ لأنَّه يقتل أهلها، بلْ حتّى أهل الشام ضدّه، لأنَّهم يتظاهرون ضدّه: أنْ ادخلْ فى بيعه المهدى. فيبايع مُكرهاً، بلْ يصل الأمر أنْ يُهدد بالقتل مِنْ قِبلهم، وَهَذا دليل عَلَى عدم سيطرته وضعفه وقلّه تأييده مِنْ قِبَل الشعوب فى المنطقه.

ثانياً: مِنْ جهه أُخرى بيَّنت عِدَّه روايات هزائمه المُتكرّره، ومنها هزيمته أمام رايات أهل خراسان والبصره، وهى مسؤوليّه كُبرى عَلَى عاتق المؤمنين أمام هذهِ الحركات الضالّه المُضِلّه، الفاسده المُفسِده، القويّه ظاهراً، الضعيفه واقعاً، بلْ إنَّها مسؤوليّه تتحمّلها حتّى ملائكه السماء، كما فى الروايه عَنْ أمير المؤمنين(عليه السّلام): «ويخرج السُّفيانى وبيده حربه ويأمر بالمرأه فيدفعها إلى بعض أصحابه فيقول له: افجر بها فى وسط الطريق. فيفعل بها، ثمَّ يأمر ببقر بطنها ويُسقط الجنين مِنْ بطن أُمّه، فلا يقدر أحد ينكر عليه ذلك، قال: فعندها تضطرب الملائكه فى السماوات، ويأذن الله بخروج القائم مِنْ ذرّيتى، وَهُوَ صاحب الزمان، ثمَّ يشيع خبره فى كُلّ مكان، فينزل حينئذٍ جبرائيل عَلَى صخره بيت المقدس، فيصيح فى أهل الدُّنيا: قدْ جاء الحقّ وزهق الباطل، إنَّ الباطل كَانَ زهوقاً...»(1).

١- اليزدى، علىّ، إلزام الناصب فى إثبات الحجّه الغائب: ج٢، ص١٧٣.

فيظهر مِنْ ذلك أنَّ القضيه تتدخل فيها الملائكه وتضجّ إلى الله، أو تقف إلى جانب مَنْ يُحارب السُّفيانى، وتكون تلك الفتن - والإفساد الذى يحدثه اللعين ويهتزّ له عرش الرحمن- تعجيلاً فى خروج مولانا المهدى صاحب العصر والزمان(عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ص: ۳۱۹

الرایات المُناهضه لمشروع السُّفیانی

القیام بالمسؤولیه

عَنْ أبی عبد الله(علیه السّلام)، قال: «خروج الثلاثه - الخراسانی والسُّفیانی والیمانی- فی سنه واحده، فی شهر واحد، فی یوم واحد، ولیس فیها رایه بأهدی مِنْ رایه الیمانی یهدی إلی الحق»(۱).

عَنْ أبی بصیر، عَنْ أبی جعفر مُحمَّد بن علی(علیهم السّلام) أنَّه قال: «خروج السُّفیانی والیمانی والخراسانی فی سنه واحده، وشهر واحد، وفی یوم واحد، نظام کنظام الخرز یتبع بعضه بعضاً، فیکون البأس مِنْ کُلّ وجه، ویل لِمَنْ ناوأهم»(۲).

عَنْ عبید بن زُرَاره، ذُکر عِنْدَ أبی عبد الله(علیه السّلام) السُّفیانی، قال: «أنّی یخرُج ذلک ولم یخرُج کاسر عینه بصنعاء»(۳).

وهذه الروایات بمجموعها تُشیر إلی أنَّ هُناک مَنْ یتحمّل المسؤولیه، نَعَمْ هی تُبیِّن أنَّ الیمانی رایته أهدی، وبذلک هی تدفع المؤمنین للقیام

۱- المفید، محمد بن محمد، الإرشاد: ج۲، ص۳۷۵. الطوسی، محمد بن الحسن، الغیبه: ص۴۴۶، ص۴۴۳. الطوسی، الفضل بن الحسن، إعلام الوری بأعلام الهدی: ج۲، ص۲۸۴.

۲- النعمانی، محمد، الغیبه: ص۲۶۴.

۳- النعمانی، محمد، الغیبه: ص۲۸۶. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۴۵.

بواجباتهم ومسؤولياتهم تّجاه الأخطار وحركات الضلال؛ فإنَّ اليمانى ليس هو مِنْ الملائكه المُقرّبين ولا الأنبياء والمُرسلين، بل هو مؤمن قام بواجبه وتحمّل مسؤوليته، وبالتالى هو قدوه للآخرين - مِنْ هذه الجهه- حيث لا ينبغى لهم القعود وترك المسؤوليات، ومِنْ جهه أُخرى هى تؤكِّد أنَّ حركه السُّفيانى رغم قسوتها وشدّتها يمكن للمؤمنين أنْ يقهروها، أو يُقلّلوا مِنْ توسّعها، فيكفون شرّها بالجمله أو فى الجمله، مُضافاً إلى سلامه التوجّه الذى يدعو إليه، مِنْ مركزيه إمامه الأئمه الاثنى عشر(عليهم السّلام) ، وإمامه الإمام الثانى عشر(عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ص: ۳۲۱

الرايات المُمهِّده للسُّفيانى

اشاره

عَنْ جابر الجعفى، قال: سألت أبا جعفر عَنْ السُّفيانى، فقال: «وأنّى لكم بالسُّفيانى حتّى يخرُج قبله الشيصبانى، يخرُج مِنْ أرض كوفان، ينبع كما ينبع الماء، فيقتل وفدكم، فتوقّعوا بَعْدَ ذلك السُّفيانى وخروج القائم(عجل الله تعالى فرجه الشريف)»(۱).

وعن على بن أبى حمزه، قال: رافقت أبا الحسن موسى بن جعفر(عليه السّلام) بين مكّه والمدينه، فقال لى يوماً: «يا على، لو أنَّ أهل السماوات والأرض خرجوا على بنى العباس، لسقيت دماؤهم الأرض حتّى يخرُج السُّفيانى. قلت له: يا سيّدى، أمره مِنْ المحتوم؟ قال: نَعَمْ. ثمَّ أطرق هُنيئه، ثمَّ رفع رأسه، وقال: مُلك بنى العباس مكر وخداع، يذهب حتّى يُقَال: لمْ يبقَ منه شىء. ثمَّ يتجدّد حتّى يُقَال: ما مرَّ به شىء»(۲).

فهذه الروايات وغيرها تُؤكِّد أنَّ قبل حركه السُّفيانى هُناك حركات ضالّه ومضلّه وباطله تَفتِن المؤمنين، وكأنَّها تُشير إلى أنَّ السُّفيانى نتيجه سلبيه متولِّده مِنْ سلبيه أُخرى؛ وهى عدم قيام المؤمنين بمسؤولياتهم تّجاه أنفسهم وتّجاه المُجْتَمع، بالتصدى لتلك الحركات ووأدها فى مهدها، ولعدم توعيه المُجْتَمع للقيام بمسؤوليته بالتحرُّك الصحيح والتصرُّف المُتقن.

۱- النعمانى، محمد، الغيبه: ص۳۱۴. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص ۲۵۰.

۲- النعمانى، محمد، الغيبه: ص۳۱۴. الحر العاملى، محمد بن الحسن، إثبات الهداه: ج۳، ص ۷۴۰.

الشيصبانى

الأوصاف للحركات التى قبل السُّفيانى (المعروف) عديده، بعض الحركات يصفها المعصوم(عليه السّلام) بحركه السُّفيانى، ومِنْ الواضح أنَّه ليس اسماً للسُّفيانى الذى قُبيل ظهور الإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وهُناك حركه الأصهب والأبقع وغيرهما.

وأيضاً حركه الشيصبانى، وهذا الوصف لعلَّه - والله العالم- وصف مُركّب مِنْ كلمتين دُمجتا فى كلمه واحده، والكلمتان هُما (شيطان، صبى)؛ فتصير (شيصبان)، كما هو موجود فى كثير مِنْ المُصطلحات، فمثلاً: يدمجون الزمان مع المكان فتصير (زمكان). فالنتيجه أنَّ حكومه شيصبان حكومه شيطانيه صبيانيه، لا تُحسن التصرُّف كالصبى، وتنحدر فى مهاوى الفسق والفجور والرذيله كالشيطان، وبطابع مُراهق انفلاتى نحو الوجوم، وهذه الحُكومه مُقدّمه وأرضيه لفجور وفسق ودمار وتقاعس أكبر بواسطه تسلُّط السُّفيانى.

حكومه بنى العباس

كذلك حكومه بنى العباس، فالإمام موسى بن جعفر(عليه السّلام) يقول فى الروايه المُتقدّمه: «إنَّ ملكهم لقائم»، ومِنْ الواضح أنَّه لا يقصد أشخاصهم ولا أولادهم؛ لأنَّه يقول ملكهم، أى: حكمهم وسياستهم، فحكمهم وسياستهم قدْ بُنيت وأُسست على (الرضا مِنْ آل مُحمَّد)، ولكنَّه مُجرَّد شعار ليس فيه إلّا الخُداع والتضليل الإعلامى، وكأنَّ كُلّ حكومه تُؤسّس بنيانها على ذلك الشعار انتهازاً لغرض الوصول للحكم؛ لأنَّ الأرضيه العامّه للمُسْلمين تهتف بأهل البيت(عليهم السّلام) ؛ لأجل ذلك كلّه يُسمّيها المعصوم(عليه السّلام) حكومه بنى العباس.

فالمُستشعر مِنْ لسان الروايات أنَّ المؤمنين وجماعتهم إذا لمْ يقوموا بالمسؤوليه المُلقاه على عاتقهم، ولم يُدركوا بوعى - وهمّه عاليه وبُعد فى النظر- عُمقَ الخطر المُحدق بهم فسوف تستمر حكومات المكر والخداع والتضليل الإعلامى، وكذلك الحكومات الشيطانيه التى لا تُحسن التصرُّف بالتسلُّط عليها، وسيذوقون الذلّ والهوان، ثمَّ يدخلون فيما هو أتعس، وهو تسلُّط السُّفيانى، فهذا لا يكون حتماً عليهم إلّا بتلك المُقدّمات المُهيأه لأشرِّ وأقسى حكومه عرفها تاريخ البشريه، فالمعصوم(عليه السّلام) حينما يُفصّل فى تعاقُب الحكومات الباطله (شيصبانى، بنى العباس، سفيانى)، ليس ذلك نبوءه فلكيه، بل هو ما قدّمناه سلفاً، من أنَّه قراءه هدفها التوصيه، وإيجاد الوعى فى كيفيه تحمّل المسؤوليه، قال تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(1).

۱- الرعد: آیه ۱۱.

نفاق الإيمان (البتريه)

البتريه: هی ظاهره تلفيقيه مزجيه مخلِّطه؛ لأنَّهم يخلطون مع ولايه أهل البيت(عليهم السّلام) ولايه الشيخين، وأوَّل مَنْ سمّاهم هذا الاسم هو زيد بن علی بن الحسين(عليه السّلام) فی محضر أخيه الباقر(عليه السّلام).

فعَنْ سدير، قال: «دخلتُ علی أبی جعفر(عليه السّلام)، ومعی سلمه بن كهيل، وأبو المُقدام ثابت الحدّاد، وسالم بن أبی حفصه، وكثير النواء، وجماعه معهم، وعند أبی جعفر(عليه السّلام) أخوه زيد بن علی(عليه السّلام)، فقالوا لأبی جعفر(عليه السّلام): نتولّی علياً وحسناً وحُسيناً، ونتبرأ مِنْ أعدائهم؟ قال: نعم. قالوا: نتولی أبا بكر وعمر، ونتبرأ من أعدائهم! فالتفت إليهم زيد بن علی، قال لهم: أتتبرؤون مِنْ فاطمه؟! بترتم أمرنا بتركم الله! فيومئذٍ سُمّوا البتريه»(۱).

وهُناك مِلَلٌ ونِحَلٌ كثيره شبيهه بمسلك البتريه كالسليمانيه وغيرهم، ولكن ذكرنا البتريه؛ لأهميّه هذا العنوان ووضوحه من جهه، وسلوك بعض المحسوبين علی الشيعه اليوم هذا المسلك مِنْ جهه أُخری، ومِنْ جهه ثالثه إنَّ روايات آخر الزمان تذكر فرقه البتريه ضمن المحاربين للإمام(عجل الله تعالی فرجه الشريف)، كما سَنُبيِّن.

۱- الطوسی، محمد بن الحسن، اختيار معرفه الرجال: ج۲، ص۵۰۵. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۶۹، ص۱۷۸.

أمَّا أسباب انحراف البتريه فكثيره منها:

أ) إنَّهم فرقه مِنْ فرق الزيـديّه والمعروف أنَّ فرق الزيـديّه ترى أنَّ الإمـامه لِمَنْ يقوم بالسـيف، وهم حريصون على إنهاض جميع الأُـمّه؛ ومِنْ هُنـا تُحـاول السُّلطه تفكيكهم بالمكر والحيله، بواسـطه إحراجهم حول موقفهم مِنْ الشـيخين، فإذا قالوا: نحنُ براء مِنْ الشيخين ونهج السقيفه، فسوف تضعف شعبيتهم وتصطف جماهير سنه الخلافه مع السُّلطه القائمه؛ فلذا تركوا البراءه مِنْ الشيخين. بـلْ هُم روّجوا المنهـج التلفيقى بين الأُـمّه، وهو منهـج جـامع يجمع بين منهاج أهل البيت(عليهم السّـلام) وولايه منهاج السـقيفه؛ غرضه الحصول على الحضوه الجماهيريه عِنْدَ الجميع (شيعه وسنه).

ب) إنَّ الـبراءه مِنْ أعـداء آل البيت(عليهم السّـلام) والتخطئه لمنهـج الجُمهور عبء ثقيـل لاـ يمكن لكـلِّ أحـد تحمله، لارتفـاع ضريبته؛ فـإنَّ سواد الناس الأعظم يميل إلى الـدِّعه والراحه والقعود عَنْ تحمُّل المسؤوليه، وبالتالى تصـعب وتثقُّل البراءه والتبرى، وتتـولَّد الاـنهزاميّه والتقهقر النفسـى والفكرى، وبالتـالى التخلِّى عَـنْ إنكـار المُنكر وتخطئـه الباطـل، ويكتفـون فى تعـذير ذمّتهم بالتمسك بولايه أهل البيت(عليهم السّـلام) ومحبتهم ومودّتهم؛ إرضاءً لمحاسـبه الضمير واكتفاءً منهم بعدم التنكّر لمقامات أهل البيت(عليهم السّلام) فى القُرآن والسنه.

على طرفى نقيض

إنَّ ظاهره التلفيق بين منهاج أهل البيت(عليهم السّـلام) والمناهـج الأُخرى - وعـدم التبرى والبراءه مِنْ تلك المناهـج والمـدارس المنـاوئه لأهـل البيت(عليهم السّـلام) - هى ظـاهره تتكرّر كظـاهره المُقصّـره والمارقه، وهى فى كُلّ عصـر تأخـذ ألواناً وأشـكالاً ومُسمّيات مُخْتلِفه تحت أُطر الوحده والتقريب بين المذاهب، وتحت

أَطر وذرائع مُخْتلِفه أَخرى.

فى مقابل هذا التيار المُخلِّط نرى هُناك تياراً مصادماً يُشدّد على الفصل والتمييز بين مدرسه أهل البيت(عليهم السّلام) والمدارس الأُخرى، ويحصر التبعيّه والمرجعيّه الشرعيّه الإلهيه بأهل البيت(عليهم السّلام) (وهوما يُعرف بالتولّى) وسلبها، ونفى الصلاحيه عَنْ بقيه المدارس، وتخطئه المسارات المباينه للعتره (وهو ما يُعرف بالتبرّى)، وقدْ طُعن على هذا التيار الثانى بالتشدّد والغلو فى أهل البيت(عليهم السّلام) . وهذا التجاذُب بين الظاهرتين جدليه تتكرّر فى الأزمنه المُختلفه، وهى قائمه فى الزمان الحاضر أيضاً، ورُبَّما يُبرِّر التيار الأوَّل بمنهجه المزجى والتلفيقى بجمله مِنْ الذرائع، كما أنَّه قدْ تُسجّل على التيار الثانى جمله مِنْ المؤاخذات؛ بسبب صراحته الصارخه وعدم مداراته، وعدم اتّخاذه أُسلوب الرُّفق واللّين فى تبيين الحقائق، ومفاجأه الوسط العام بخطاب لمْ تتهيأ له الذهنيه العامّه فى الوسط الخاص فضلاً عَنْ الوسط العام.

وهُناك أسباب عديده لتجدّد ظاهره البتريه فى كُلّ جيل:

١) السطحيّه وعدم العمق والغور فى حقيقه أهل البيت(عليهم السّلام) .

٢) روح الانهزام أمام سيطره وتسلُّط المذاهب الإسلاميّه الأُخرى.

٣) التأثُّر أمام السيل الإعلامى السلطوى المُتكرّس عبر التأريخ فى بطون الكتب، وأعماق الأذهان فى الأجيال المُزيّفه للحقائق.

ويظهر مِنْ جمله مِنْ النصوص أنَّ هذه الظاهره - البتريه- تستمر حتّى ظهور الإمام المهدى(عجل الله تعالى فرجه الشريف) فى الوسط الشيعى كحاله نفاقيه فى الإيمان.

فقدْ روى الطبرسى فى دلائل الإمامه - فى باب وجوب معرفه القائم- بإسناده عَنْ الحميرى ... «عَنْ أبى الجارود، عَنْ أبى جعفر(عليه السّلام)، قال: سألته:

متی یقوم قائمکم؟ قال: یا أبا الجارود، لا تدرکون ... ویسیر إلی الکوفه، فیخرج منها سته عشر ألفاً مِنْ البتریه شاکّین فی السلاح قُرّاء القُرآن، فُقهاء فی الدین، قدْ قرحوا جباههم، وشمروا ثیابهم، وعمهم النفاق، وکلّهم یقولون: یا بن فاطمه، ارجع لا حاجه لنا فیک. فیضع السیف فیهم علی ظهر النجف عشیه الإثنین مِنْ العصر إلی العشاء، فیقتلهم أسرع مِنْ جزر جزور، فلا یفوت منهم رجل، ولا یُصاب مِنْ أصحابه أحد، دماؤهم قربان إلی الله»(۱).

وروی المُفید فی الإرشاد بهذا اللفظ، قال: روی أبو الجارود، عَنْ أبی جعفر(علیه السّلام) - فی حدیث طویل- «إنَّه إذا قام القائم(عجل الله تعالی فرجه الشریف) سار إلی الکوفه، فیخرج منها بضعه عشر ألف نفس - یُدعون البتریه- علیهم السلاح، فیقولون له: ارجع مِنْ حیث جئت؛ فلا حاجه لنا فی بنی فاطمه. فیضع فیهم السیف حتّی یأتی علی آخرهم، ویدخُل الکوفه فیقتل بها کُلّ مُنافق مُرتاب»(۲).

وهذا الخبر یُشیر إلی تکرُّر هذه الظاهره واستمرارها فی الوسط الشیعی إلی عام الظهور، وأنَّ أصحاب هذا التیار البتری التوفیقی التلفیقی یعتمدون المسحه العلمیّه، ویتضرّعون بالمبررات الفقهیه لهذا المنهج، ونداؤهم وخطابهم القائم ببنی فاطمه إشاره إلی نهج فاطمه(علیهاالسّلام) فی الإنکار علی مسار السقیفه، والبراءه مِنْ الانحراف، فکأنَّ المیزان المائز لهم رفض التبرّی مِنْ أعداء فاطمه(علیهاالسّلام)، کما أنَّهم فی بدایه أمرهم أنکروا البراءه مِنْ الشیخین، وأظهروا البراءه مِنْ أعدائهما، فالتفت إلیهم زید بن علی فی محضر أخیه

۱- الطبری، محمد بن جریر، دلائل الإمامه: ص۴۵۵.

۲- المفید، محمد بن محمد، الإرشاد: ج۲، ص۳۸۴. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵، ص۳۳۸.

الباقر(علیه السّلام)، وقال لهم: أتتبرؤون مِنْ فاطمه؟! بترتم أمرنا یبترکم الله. فیومئذٍ سُمّوا البتریه(۱) فعدم المعاداه مع الشیخین یأول إلی مُعاداه فاطمه؛ ولذلک یُخاطبون الحجّه(عجل الله تعالی فرجه الشریف) «ارجع یا بن فاطمه، لا حاجه لنا فیک. أی: لا حاجه لنا فی النهج الفاطمی الذی ینطلِق مِنْ البراءه لأعداء آل مُحمَّد(صلّی الله علیه و آله وسلّم)».

۱- اُنظر: الطوسی، محمد بن الحسن، اختیار معرفه الرجال: ج۲، ص۵۰۵.

الغايه مِنْ استعراض روايات سنه الظهور

سؤال يُطرح بإلحاح: إنَّه ما هى الغايه والهدف مِنْ بيان الأئمه لتفاصيل مشروع السُّفيانى ورايته، ثمَّ للرايات المُناهضه - الشيعه- له المُناصره لمشروع الإمام المهدى(عجل الله تعالى فرجه الشريف) بروايات مُسْتفيضه جداً.

فهل يُظن مِنْ ذلك أنَّ هذه الروايات لأجل السمر فى تاريخ المُستقبل، والتفرُّج الجذّاب للحديث المُثير للمشاهدين لمشهد تصويرى، أو أنَّ هُناك حكمه وغايه مِنْ هذا التأكيد والإصرار فى البيان مِنْ أئمه أهل البيت(عليهم السّلام) بهذه الأحداث الخطيره، الجواب فى نقاط:

١) ليس هى مُجرَّد تكهنات يتنبّأ بها الكُهّان والعياذ بالله؛ ليحوزوا ويكسبوا موقع فى قلوب المستمعين والقُرّاء، أو كما يفعله القصّاصون أو كتنبؤات المُنجّمين والفلكيين؛ لأجل كسب مودّه ومساحه من جمهور، بلْ إنَّ أئمه أهل البيت(عليهم السّلام) أئمه دين، ووظيفتهم ومنصبهم الإلهى مِنْ الله تعالى هى تعليم الناس وإرشادهم إلى المسؤوليه، والوظيفيه المُلقاه على عاتقهم، فغايه كُلّ هذه الروايات هى بيان وتقرير المسؤوليه والوظيفه الشرعيّه، ولزوم الالتزام بموقف وجدوى المنهاج الذى رسموه فى ميدان العمل.

٢) وبعباره أُخرى: إنَّ سِرّ استعراض هذه الروايات المُستفيضه المُتكاثره لتفاصيل عسكريّه وأمنيّه، وإحداثيات جغرافيّه، وملفات سياسيّه، وملفات ومعلومات أمنيه، عَنْ طبيعه حركه السُّفيانى، ونقاط الضعف والقوه فيها، وكذلك فى الرايات الشيعيّه المُناهضه لها، فهل يا ترى هذه معلومات قمر

صناعی عَنْ المُستقبل؟ کلا، بلْ هو دعوه للمؤمنین للاطلاع علی هذه المعلومات لیرسموا لأنفسهم استراتیجیه وبرنامج مقاومه ومواجهه، وهذه القراءه لنصوص علامات الظهور تختلف عَنْ القراءه السائده لها کتنبؤات فلکیه أو تکهنات کهان أو أبراج فلکیه للمنجمین.

۳) إنَّ فحوی مفاد هذه الروایات - التی رُبَّما تکون متواتره حول ملامح آخر الزمان وعلامات الظهور- هی کتنبؤات القُرآن عَنْ المعاد والقبر والقیامه؛ لغایه تحشید الهِمم والإرادات والعزائم للقیام بالمسؤولیه، وتخطیط برنامج یقوم بعبء ضخامه الحدث: «ونصرتی لکم مُعدّه»(۱) - وهذا النص ورد مُستفیضاً فی زیاراتهم- سواء فی جانب الملف الأمنی، أو العسکری، أو التعبوی للنفوس، ولحماس الهمم، أو فی الملف السیاسی، أو فی الملف العقدی والفکری والإیدیولوجی فی الملفات الأُخری مِنْ الرعایات الحزمیه التی یلزم علی المؤمنین النهوض بها.

۴) سیأتی فی الروایات الدعوه الأکیده لجیوش المقاومه فی کُلّ المناطق وتشکیل مجامیع المواجهه، سواء قبل مجیء عساکر السُّفیانی أو بَعْدَ مجیئها، لا سیّما أنَّ الروایات تُشیر إلی إمکانیه تغییر القضاء والقدر والبداء فی أصل مشروع السُّفیانی، أو فی درجه نجاحه، أو فی درجه توسعه، أو درجات إخفاقه، وأنَّ کُلّ هذه الخیارات مفتوحه للتغییر بقدر ما یقوم المؤمنون به مِنْ مسؤولیه المقاومه والمواجهه، أو إجهاض لمشروعه وهو أعلاها همّه وأوفاها تعهداً، ولا سیّما إذا کان فی مهد أراضی الشام.

۵) إنَّ الروایات تؤکِّد ظاهره مُهمّه فی مشروع السُّفیانی، وهو عدم

۱- الشهید الأوَّل، محمد بن مکی، المزار: ص۱۲۵.

ثبات سيطرته فی المناطق التی يتمدَّد ويتوسَّع فيها حتّی فی مهد عاصمته، وهی الشام فضلاً عَنْ المناطق الأخری؛ وذلک نظراً للفساد والإفساد فی البلاد والعباد الذی يُحدثه مشروع السُّفيانی.

۶) هُنَاک محاور مُهمّه يجب استخراجها واستنباطها مِنْ الروايات المُسْتفيضه عَنْ أهل البيت(عليهم السّلام) حول ذلک، واللازم قيام دراسات تخصّصيه دقيقه فی هذه الملفات والمجالات التی تستعرضها الروايات لتخرج المجاميع المؤمنه برؤی وخيارات عديده، فی کيفيه المواجهه لمشروع السُّفيانی الذی هو مشروع غربی فی الأصل بتحالف أُموی ناصبی.

۷) وهذه القراءه لهذه الروايات المُسْتفيضه والمتواتره، حاکمه بياناً ومخطئه للقراءه المعهوده مِنْ لسان الروايات المُتقدّمه المُتضمّنه ل-« کُنْ حلساً مِنْ أحلاس بيتک»(۱)، بمعنی التفرّج والاستکانه والإحجام والنکول والوهن والاستضعاف بالضراعه.

۸) بلْ يُؤکِّد ما سبق استظهاره مِنْ هذا اللسان بمعنی الثبات علی منهاج أهل البيت(عليهم السّلام) بقوه الحذر وشدّه الکتمان، والإخفاء لآليات النشاط والتحصين عَنْ التأثر بالتيارات المنحرفه عَنْ الولاء لأهل البيت(عليهم السّلام) ، اعتقاداً أو اصطفافاً سياسياً، أی: المنحرفه فی الموقف الاعتقادی أو السِّياسی عَنْ أهل البيت(عليهم السّلام) ، بأنَّ لا يصبّ مشروع تلک الجماعات فی صالح الموالين لآل البيت(عليهم السّلام) ، «ولیٌّ لِمَنْ والاکم وعدو لِمَنْ عاداکم»(۲)، وهو بمعنی الولاء السياسی فضلاً عَنْ الولاء القلبی.

۱- النمازی، علی، مُستدرک سفينه البحار: ج۲، ص۳۶۶. المتقی الهندی، علی، کنز العمال: ج۱۱، ص۲۱۳.

۲- ابن قولويه، جعفر بن محمد، کامل الزيارات: ص۳۳۰. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۹۹، ص۶۵.

دور المؤمن فی عصر الفتن وخصوصاً فتنه السُّفیانی

قـدْ تقـدَّمت روایه خلّـاد (الصـفّار) عَنْ أبی عبـد الله(علیه السّـلام)، أنَّه قال: «السُّفیانی لا بـدَّ منه، ولا یخرُج إلّا فی رجب. فقال له رجل: یا أبا عبد الله، إذا خرج فما حالنا؟ قال: إذا کَانَ ذلک فإلینا»(۱).

وکـذلک عَنْ یونس بن أبی یعفور، قـال: سـمعت أبـا عبـد الله(علیه السّـلام) یقول: «إذا خرج السُّفیـانی یبعث جیشاً إلینا، وجیشـاً إلیکم فإذا کَانَ کذلک، فأتونا عَلَی کُلّ صعب وذلول»(۲).

وهاتان الروایتان وغیرهما بنفس المضمون، إشاره إلی أُمور عدیده.

والظاهر ظهوراً مِنْ مفاد هـذه الروایات هو الأمر بالمشارکه فی المجامیع التی تنطلق مِنْ مکَّه فی رکب ظهور الإمام، وهـذا المثال یقرِّر مسؤولیه المؤمنین أنْ لا یتخاذلوا عَنْ الإعـداد والتعبئه لتشـکیل جیش لنصـره الإمام المهدی. فی مکَّه المکرَّمه، وهذا المفاد یُکرِّس المسؤولیه ویلزم بهـا، ولاـ یرخِّص فی التخـاذل والسـکون وترک الأُمور علی غاربها، بلْ یلزم المؤمن بأنْ یکون له موقف مِنْ نصـره الحقّ والمشـارکه فی حمل العبء والمسؤولیه، فلیس الأمر ب- (إلینا) لأجل الهروب مِنْ السُّفیانی؛ لکی ینجو کُلّ فرد بجلدته، بلْ خروج السُّفیانی صفّاره إنذار لبدء التعبئه وتشکیل جیش لنصره الإمام فی مکَّه، فهذه

۱- النعمانی، محمد، الغیبه: ص۳۱۳. وعنه: المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۴۹.

۲- النعمانی، محمد، الغیبه: ۳۱۸. الطبری، محمد بن جریر، دلائل الإمامه: ص۴۸۷.

الطائفه مِنْ الروايات مع الطائفه السابقه الآمره بمقاومه السُّفيانی کلتاهما تصبّ فی مقاومه السُّفیانی وتحمّل المسؤولیه، إلّا أنَّ أحدهما هی فی المقاومه والتصدّی المباشر للسفیانی، والثانیه لتشکیل جیش؛ فیکون هو القوه الضاربه القادره علی استئصال جیشه.

وما یظهر فی بعض الروایات مِنْ حثّ المؤمن علی السکون وعدم الحرکه، فإنَّ لها تفسیرات مُتعدّده، منها أنَّها لیس السکون المُطلق وترک المسؤولیات التی منها الأمر بالمعروف والنهی عَنْ المنکر، بلْ إنَّ ذلک لوقت مُعیّن وفی وقت مُعیّن. عَنْ جابر قال: قال أبو جعفر(علیه السّلام): «یا جابر، الزم الأرض ولا تحرِّک یداً ولا رجلاً حتّی تری علامات أذکرها لک إنْ أدرکتها ...»(۱).

والواضح مِنْ الروایه أنَّ لزوم الأرض وعدم الحرکه لیس مُطلقاً، بلْ اللزوم هو لوقت مُعیَّن إلی حین رؤیه بعض العلامات، فإنَّ الحرکه قبل ظهور هذه العلامات غیر صحیحه؛ لأنَّها تؤدی إلی إزهاق النفس دون الحصول علی النتیجه المرجوّه.

وکذلک عَنْ أبی خالد الکابلی، عَنْ أبی جعفر(علیه السّلام) أنَّه قال: «کأنِّی بقوم قدْ خرجوا بالمشرق، ولا یدفعونها إلّا إلی صاحبکم، قتلاهم شُهداء، أمَّا إنِّی لو أدرکت ذلک لاستبقیت نفسی لصاحب هذا الأمر»(۲).

وهُنا الإمام الباقر(علیه السّلام) رغم أنَّه یقول: إنَّ تلک الحرکه علی حقّ وإنَّ

۱- النعمانی، محمد، الغیبه: ص۲۸۹. عنه: المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۳۷.

۲- النعمانی، محمد، الغیبه: ص۲۸۲. وعنه: المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۲۴۳.

قتلاهم شُـهداء، إلّا أنَّه يقول: لو أدركتها لأبقيت نفسى للقائم، فهو بذلك يدفع المؤمن للبحث عَنْ نصر أكبر وشهاده أعظم؛ لأنَّ القتال بين يدىّ القائم(عجل الله تعالى فرجه الشريف) والاستشهاد بين يديه أعلى مرتبه مِنْ تلك الشهاده رغم أنَّ كلتيهما شهاده.

ونفس الكلام فى روايه هشام بن سالم التى تقـدّمت سابقاً، قال: أبو عبـد الله(عليه السّـلام): «- وذكر السُّفيانى- فقال: أمَّا الرجال، فتوارى وجوهها عَنْه، وأمَّا النساء فليس عليهنّ بأس»(۱)(۲). والتوارى عَنْ السُّفيانى ليس هو الهروب، بلْ

۱- النعمانى، محمد، الغيبه: ص ۳۱۰.

۲- إنَّ قـانون الفتنه عـام شامـل للسـابقين واللاـحقين، للمؤمنين والفاسـقين على حـدٍّ سواء، بـلْ هو حتى للكاملين، وحتى للـذين اسـتثناهم الشـيطان مِنْ غـوايته - إلّا عبـادك مِنْهم المخلَصـين- والمعصوم(عليه السّـلام) يصف الفتن: أنَّهـا كقطع الليـل المُظلم، ويصف زماننا بالشدّه وطول المدّه وإدبار الزمان، زمانٌ يكون القابض على دينه كالقابض على جمره، كيف نصنع يا إمامنا؟ قال: «إلينا». وهـذه الكلمه - إلينا- تتكرَّر بكثره فى الروايات التى تُخبر بظهور السُّفيانى، وتأمر المؤمن بالاختباء والاختفاء مِنْ السُّفيانى إلى أنْ تنتهى حركته، فهذا الكلام وشبهه فى الروايات كثير، يُشيرُ بَدواً بأنَّ التكليف يتبدّل أو يتوقّف؛ حيث إنَّ هذه الروايات لو أُخـذ بظاهرها البـدوى أنَّه لا أمر بالمعروف ولا نهى عَنْ المنكر، ولا جهاد ولا كلمه حقّ، كذلك تُشير إلى التخلّى عَنْ كثير مِنْ الواجبات الاجتماعيه، فما معنى (إلينا) وما معنى «البدوا ما البدنا»، يمكن تفسير ذلك على مستويات - وهذه المستويات لا تقاطع بينها، ولا تتنافى مع ما ذكره سـماحه الشَّيخ (دام ظله) أيضاً- عديده منها: ۱. إنَّ اللجوء إلى أهل البيت(عليهم السّلام) - على كُلّ حال- وهو الاسـتمساك واللجوء العقائدى، والاستمساك بالعروه الوثقى التى لا انفصام لها. ۲. اللجوء العلمى والعملى مِنْ خلال العمل برواياتهم والسير على نهجهم وخطّهم. ۳. تطبيق حـديث الثقلين، وهو التمسُّك بحبـل الله الممـدود، وهو كتاب الله وعتره النَّبى(صـلّى الله عليه و آله وسلّم)؛ لأنَّهما بحسب - قول الرسول(صلّى الله عليه و آله وسلّم) - لَنْ يفترقا حتى يردا عليه الحوض. ۴. إلينـا: تعنى التوسُّل بنـا إلى الله والـدعاء وطلب الحـاجه بنا، وهـذا لا يعنى التخلّى عَنْ المسؤوليه وترك الحبل على الغارب. ۵. إلينا: معناه الاقتداء بنا والتصـرُّف كما نتصرف، والعمل بمقتضى تلك الظروف، أى: إلى حجّه الله فى أرضه الإمام الغائب وجعله قـدوهً وأُسوهً ونبراسـاً يُقتـدى به، فكمـا هو غـائب عَنْ الظهور وليس غائباً عَنْ الحضور والعمل، فكـذلك أنتم اجعلوا غيبتكم عَنْ الظهور للناس والأعـداء، لكن لا تغيبوا عَنْ الميدان؛ لذلك قالت الروايه: «البدو ما البدنا». ۶. إلينا: يعنى لا تتصرفوا تصرفاً إلّا بَعْدَ مراجعتنـا، مِنْ خلاـل مـا يتوفّر لـديكم مِنْ الطُّرق العديـده والوسائـل العلميّه الصـحيحه، الـتى تجعلكم فى نجـاه إذا مـا طبقتموها بالشكل الصحيح. ۷. إلينا: اتخذوا إمامكم قدوه مِنْ حيث التريُّث فى العمل والصبر حتى نضوج الأمر، وعدم التهوّر بالشكل الذى يؤدِّى إلى أنْ يفقـد الإنسـان حياته، دون أنْ يتحقّق أىّ هـدف، أو يحقّق هـدفاً بسـيطاً لا قيمه له، فالفرد المؤمن ينبغى أنْ يسـعى لتحقيق الأهداف العاليه. ۸. إلينا: معناه اتخاذ الإمام المنتظر قدوهً، فكما أنَّه يترقّب الفرصه الكُبرى للظهور وتحقيق نصر أكبر وفتح أعظم، فكذلك أنتم تحيّنوا ذلك النصر وتلك الفرصه المُناسبه، باعتبار أنَّ الجهاد والاستشهاد درجات، وأنَّ العمل لتربيه النفس والمُجْتَمع وتوعيته بعمق مسؤوليته لهى أعظم الجهاد.

هو لجمع القوى لأجل الحصول على نصر أكبر؛ لأنَّ كلام الإمام(عليه السّلام) لا يُنافى الثوابت والعموميات التى تأمر المؤمن بمواجهه الباطل وأهله، فيكون الكلام فى خصوص آليات المواجهه وكيفيه المواجهه؛ لأنَّ السُّفيانى جهه باطل يجب على المؤمن مواجهتها، لكن آليات المواجهه مختلفه.

ص: ۳۳۶

مقاطع مختاره

نـذكر مقـاطع مُهمّه مِنْ روايـات - ذكرناها سابقاً- التصـدّى للسُّفيانى وتحمّل المسؤوليه نضـعها بين يـدى القارئ؛ لتكون نبراساً مُهمّاً وواضحاً يدفع المؤمن لشحذ الهمم:

* «ثمَّ يدخُل الكوفه [السُّفيانى] فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقه تلتحق به وهم أشرّ خلق الله، وفرقه تقاتله وهم عِنْدَ الله شُهداء، وفرقه تلحق بالأعراب وهم العصاه».

* «فيبلغ الخبر أهل البصـره، فيركبون إليهم فى البرِّ والبحر، فيسـتنقذون أُولئك النساء مِنْ أيديهم، فيصير أصحاب السُّفيانى ثلاث فرق».

* «فيلتقى هو والهاشمى برايات سود... فيلتقى هو والسُّفيانى بباب إصطخر؛ فتكون ملحمةً عظيمةً».

* «إذا بعث السُّفيانى إلى المهدى جيشاً، فخسف بهم البيداء ....».

* «... وبلغ ذلك أهل الشام، قالوا لخليفته: قدْ خرج المهدى فبايعه وادخل فى طاعته وإلّا قتلناك».

* «... وإذا خرج السُّفيانى... ويكثر القتل فى الـدُّنيا، فعنـد ذلك يجتمعون (كـذا) أهل مكَّه إلى السُّفيانى، يخوّفونه عقوبه الله (عَزَّ وَجَلَّ) ...».

* «... ويخرج رجل مِنْ أهل بيتى فى الحرّه، فيبلغ السُّفيانى، فيبعث إليه جنداً مِنْ جنده فيهزمهم ...».

* «يبعث صاحب المدينه إلى الهاشميين بمكَّه جيشاً فيهزمونهم...».

* «يـدخُل الصـخرى الكوفه... فإذا تصافّت الخيلان ولّت كلب أدبارها، وأُخـذ الصـخرى فيُذبـح على الصـفا المعترضه على وجه الأرض...».

خلاصه الفصل الثانی

ممّا تقدَّم نخرُج بنقاط عديده مُهمّه:

أوَّلاً: إنَّ السُّفيانی ثمره مِنْ تلك الشجره الخبيثه الملعونه.

ثانياً: إنَّ الروايات تؤكِّد حتميه ظهور حركه السُّفيانی.

ثالثاً: إنَّ الروايات فی حين تؤكِّد فيه الحتميه تؤكِّد أنَّ فيه البداء.

رابعاً: إنَّ الروايات تُشير إلی صعوبه الظروف والتباسها، بلْ وشدّتها فی جمله مِنْ الموارد، وأنَّها تحتاج إلی مزيد مِنْ اليقظه والتدبير وزياده فی تحمّل المسؤوليه، وأنَّ هذه الأوضاع العصيبه تتطلب المزيد مِنْ التخطيط والمُراقبه المُستمره، وتحمّل العبء وأنَّها شبيهه بالإرهاصات التی سبقت ثوره الحسين، وهی بعينها التی تسبب قيام المهدی(عجل الله تعالی فرجه الشريف) بالخروج.

خامساً: إنَّ الحركات الضالّه والمُضلّه - والحركات المُعاديه للإسلام، والمُعاديه لأتباع أهل البيت(عليهم السّلام) بالخصوص- تُعلن شيئاً وتُخفی شيئاً، تُعلن أنَّها إسلاميّه وتُريد تطبيق الإسلام، وتُخفی واقعها اللاإنسانی واللادينی.

سادساً: إنَّ الشعوب وأهالی البُلدان ليست مُنقاده لحكم السُّفيانی الأُموی، بلْ مناوئه له لما ينطوی عليه مِنْ الفساد، بلْ تقدَّم بحسب الروايه أنَّ الشام - مهد قاعدته وأرضيتها- تهتف وتميل إلی الإمام المهدی(عجل الله تعالی فرجه الشريف)، كما فی الروايه عَنْ عليّ(عليه السّلام): «وبلغ ذلك أهل الشام، قالوا لخليفتهم: قدْ خرج المهدی، فبايعه وادخل فی طاعته، وإلّا قتلناك. فيُرسل إليه بالبيعه»(1).

۱- المتقی الهندی، علی، كنز العمال: ج۱۴، ص۵۸۹.

سابعاً: إنَّ الروايات التى تُحذِّر المؤمنين مِنْ الفتن، وفتنه السُّفيانى بالخصوص، وتُبشِّر برحمه للمؤمنين، وهلاك لأعداء أهل البيت(عليهم السّلام) وأتباعهم على يد السُّفيانى، وأنّه سيتم القضاء فى حركه السُّفيانى على كثير مِنْ الفاسدين والمفسدين الضُلّال، ولكن ذلك لا يقتضى القعود وترك المسؤوليات؛ لأنَّ ترك المسؤوليات يُؤدِّى لاستبدالها بحركه باطله أشدُّ غيّاً.

ثامناً: الروايه التى تقدّمت عَنْ علىّ(عليه السّلام) تُشير إلى أُمور عديده، منها: وعى الشعوب وإيمانها بمودّه أهل البيت(عليهم السّلام) وطهارتهم وأحقيتهم بالأمر، وإذا كان الأمر هكذا فى الشام، فكيف بك ببقيه البُلدان وشعوبها؟! باعتبار أنَّ الشام أقرب للسُّفيانى نهجاً وسلوكاً، لكن مع ذلك يثورون ضدّه، ويطالبونه بالبيعه للمهدى(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وهذه بشاره عظيمه للمؤمنين: أنَّ شعوب المنطقه كُلّها - إلَّا ما ندر- تميل إلى الحقّ المُتمثِّل بالحجه(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وأنَّ أرضيه المؤمنين كافّه تهتف وتتطلّع إلى المهدى مِنْ آل مُحمَّد(صلّى الله عليه و آله وسلّم).

تاسعاً: خروج الخراسانى واليمانى، إشاره إلى أنَّ هُناك مَنْ يتصدّى للقيام بالمسؤوليه، وهُناك جهه حقّ، بلْ رايات أُخرى وجهات وجماعات عديده ذُكرت فى تفاصيل الروايات، وكُلّ ذلك يصبّ فى تحمّل المسؤوليه، كُلّ حسب موقعه وقدرته.

عاشراً: تقدَّم أنَّ تحمّل المسؤوليه يُكفكف مِنْ نشاط السُّفيانى، وبعكسه تماماً التخلّى عَنْ المسؤوليه والقعود وترك الحبل على الغارب؛ لأنَّه يؤدِّى إلى تفاقم واشتداد الفتن، فإنَّ تسلّط الظالم لمْ يكن حتماً جبرياً مِنْ قِبل الله، بلْ إنَّ حتميته جاءت نتيجه ترك الناس مقاومه مَنْ هو أقلّ منه فتنهً وشدّهً، وهو الشيصبانى أو غيره مِنْ أهل الضلاله والفتنه كبنى العباس.

الحادی عشر: فی روایه ذکرت الخسف بجیش السُّفیانی، فی عقد الدرر، عَنْ عبد الله بن الزبیر أنَّ عائشه قالت: «عبث [أی: اضطرب] رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) فی منامه، فقلنا: یا رسول الله: صنعت شیئاً فی منامک لمْ تکن تفعله؟

فقال: العجب أنَّ ناساً مِنْ أُمَّتی یؤمّون بالبیت برجل مِنْ قریش، قدْ لجأ بالبیت، حتّی إذا کانوا بالبیداء خُسف بهم، قُلْنا: یا رسول الله، إنَّ الطریق قدْ تجمع الناس.

فقال: نعم، فیهم المُستبصر والمجبور وابن السبیل، یهلکون مهلکاً واحداً، ویصدرون مصادر شتّی یبعثهم الله تعالی علی نیاتهم»(۱).

وکذلک فی عقد الدرر: عَنْ عبد الله بن القبطیه، قال: «دخل الحارث بن أبی ربیعه، وعبد الله بن صفوان، وأنا معهما علی أُمِّ سلمه أُمّ المؤمنین، فسألاها عَنْ الجیش الذی یُخسف به، وکان ذلک فی أیّام ابن الزبیر، فقالت: قال رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم): یعوذ عائذٌ فیبعث الله إلیه بعثاً، فإذا کانوا بالبیداء مِنْ الأرض خُسف بهم.

فقلت: یا رسول الله، کیف بمَنْ کان کارهاً؟

قال: یُخسف به معهم، ولکنَّه یُبعث یوم القیامه علی نیّته»(۲).

وفی روایه أُخری فی تتمتها قال أبو جعفر: «هی بیداء المدینه»(۳)، هاتان الروایتان وروایات أُخری بنفس المضمون.

۱- المقدسی، یوسف بن یحیی، عقد الدرر: ص۶۷. عن النیسابوری، مسلم بن الحجاج، صحیح مسلم: ج۸، ص۱۸۶.

۲- المقدسی، یوسف بن یحیی، عقد الدرر: ص۶۸. عن النیسابوری، مسلم بن الحجاج، صحیح مسلم: ج۸، ص۱۶۶.

۳- المقدسی، یوسف بن یحیی، عقد الدرر: ص۶۸. عَنْ النیسابوری، مسلم بن الحجاج، صحیح مسلم: ج۸، ص ۱۶۷.

وقدْ أوردنا سابقاً هذا المضمون فی روایه الخسف إلّا أنَّ هُنا زیاده، وهی قوله(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «منهم المستبصر والمجبور وابن السبیل»، وکذلک فی الروایه الأُخری حین سُئِل(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «کیف بمَنْ کان کارهاً؟ قال: یُخسف به معهم، ولکنّه یُبعث یوم القیامه علی نیته»(۱).

وفی هذا إشارات عدیده:

۱) لیس کلُّ مَنْ فی جیش السُّفیانی فاسق أو ظالم، وبالتالی لیس مصیر کُلّ الجیش إلی النار، بلْ یُحشرون علی نیاتهم؛ وذلک لأنَّ فی جیش السُّفیانی مَنْ هو مُعادی له، وإنَّما أُلجئو کما أخرجت قریش عقیلاً والعباس بن عبد المطلب، حَیْثُ أمر رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) بعدم التعرُّض لبنی هاشم؛ لأنَّهم أُخرجوا مُکرهین، کذلک فی حرب الجمل هُناک مَنْ أُکره علی الخروج مِنْ قریش حَیْثُ تأسَّف أمیر المؤمنین(علیه السّلام) علی قتلهم.

۲) إنَّ فی جیش السُّفیانی مَنْ یکون مجبوراً أو ابن سبیل ولعلَّه یجمعهم عنوان الکاره؛ وبالتالی کُلّ کاره بما لدیه مِنْ درجه الکراهه یُحشر علی نیته.

۳) إنَّ فی هذا إشاره أمنیّه مِنْ المعصوم(علیه السّلام)، وهی إشاره عملیَّه مُهمّه، تُشیر إلی إمکان اختراق جیش السُّفیانی مِنْ قِبل المؤمنین، وبالتالی تصدیعه مِنْ داخله، وإیجاد خروقات أمنیّه، فمکوناته خلیط مِنْ النَّاس، ممّا یدلُّ علی ضعف وهشاشه هذا الجیش؛ بسبب الضعف الأمنی والاستخباری الذی یؤدِّی إلی سهوله تفکیک هذا الجیش وهزیمته، وهو لیس علی نسیج وشاکله واحده.

۱- وهذا النص وردت فیه روایات عدیده مِنْ طُرق العامَّه قدْ تصل إلی حدّ التواتر أو الاستفاضه، دون الإشاره إلی أنَّ هذا الجیش هو جیش السُّفیانی. نَعَمْ، أئمه أهل البیت(علیهم السّلام) أشاروا إلی أنَّه جیش السُّفیانی.

الفصل الثالث :خارطه المسؤوليات فی النشاط الوظیفی الدینی العسکری خارطه المسؤولیات فی النشاط الوظیفی الدینی العسکری

اشاره

ص: ۳۴۳

قواعد أساسیه فی مراتب الجهاد الدفاعی

وظیفه تقدیس المُقدّسات

القسم الأوَّل: الدفاع الوقائی الرادع عَنْ عدوان المعتدی.

القسم الثانِی: الدفاع العلاجی.

القسم الثالث: الدفاع الاقتصاصی.

القسم الرابع: الجهاد الدفاعی الاستباقی.

القسم الخامس: الجهاد الاقتصاصی فی الدفاع عَنْ المُقدّسات.

القسم السادس: الجهاد الدفاعی الاستباقی عَنْ المُقدّسات.

القسم السابع: الجهاد الاقتصاصی تعصباً لأهل البیت(علیهم السّلام) .

القسم الثامن: الجهاد المواساتی.

ص: ۳۴۵

مُقدّمه

قـدْ ورد فی نهـج البلاـغه: «أَمَّا بَعْـدُ، فَـإِنَّ الجِهَـادَ بَـابٌ مِنْ أَبْـوَابِ الجَنَّهِ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَـاصَّهِ أَوْلِيَـائِهِ، وَهُوَ لِبـاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللهِ الحَصِـينَهُ، وَجُنَّتُـهُ الـوَثِيقَهُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَهً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَـوْبَ الـذُّلِّ، وَشَـمِلَهُ البَلاَـءُ، وَدِيثَ الصَّغَـارِ وَالقَمَـاءَهِ، وَضُـرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بالأسـداد، وَأُدِيلَ الحَقُّ مِنْهُ بِتَضْـيِيعِ الجِهَادِ، وَسِـيمَ الخَسْفَ، وَمُنِعَ النَّصَفَ. أَلاَ وَإِنِّی قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هؤُلاَءِ القَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلاَناً، وَقُلْتُ لَكُمُ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ. فَوَ اللهِ، مَا غُزِیَ قَوْمٌ قَطُّ فی عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الغَـارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الاَوْطَـانُ .وَهـذَا أَخُـو غَامِـدَ قَـدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْبَـارَ، وَقَـدْ قَتَـلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ البَكْرِیَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَـا، وَلَقَـدْ بَلَغَنِی أَنَّ الرَّجُـلَ مِنْهُمْ كَـانَ يَـدْخُلُ عَلَى المَرْأَهِ المُسْـلِمَهِ، وَالاُخْـرَى المُعَاهَـدَهِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَـا وَقُلْبَهَا وَقَلاَئِدَهَا وَرِعَاثَهَا، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاَّ بِالاسْتِرْجَاعِ وَالاِسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَـرَفُوا وَافِرِينَ، مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ، وَلاَ أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِن بَعْدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِی جَدِيراً.فَيَا عَجَباً! عَجَباً - وَاللهِ- يُمِيتُ القَلْبَ وَيَجْلِبُ الهَمَّ مِن اجْتِمَـاعِ هؤُلاَـءِ القَوْمِ عَلَى بَـاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحـاً لَكُمْ وَتَرَحـاً! حِينَ صِـرْتُمْ غَرَضـاً يُرمَى: يُغَـارُ عَلَيْكُمْ وَلاَ تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلاَ تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ!»(۱).

۱- خطب أمير المؤمنين علی(علیه السّلام)، نهج البلاغه: ج۱، ص۶۸.

الجهاد الدفاعی

قواعد أساسیه فی مراتب الجهاد الدفاعی

اشاره

ینقسم الجهاد الدفاعی فقهیّاً بحسب الأدلّه علی أقسام أربعه:

القسم الأوّل: الدفاع الوقائی الرادع عَنْ عدوان المعتدی

وهو مضمون القاعده فی الآیه الکریمه: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ}(۱)، وهذا النوع مِنْ الجهاد باب مفتوح علی مصراعیه؛ لإعداد المُجْتَمع للقوه أمام عدوان المُعتدی، ولیس هُناک سقف مُعیَّن یقف عنده ذلک الإعداد، وهو نحو مِنْ القوه الناعمه - فی الاصطلاح الاستراتیجی الحدیث- لأنَّه لا تُراق فیه محجمه دم، ولا تنشب فیه نار تشتعل، بلْ قُوّه ردع واقیه عَنْ العدوان، ومِنْ خصائص هذا القسم أنَّه لا یُعطّل فی حال مِنْ الأحوال، کما أنَّه عینی علی الجمیع استغراقاً، کُلّ بحسب قدرته وطاقته، فضلاً عَنْ کفایته بحسب مراتب الإعداد.

القسم الثانی: الدفاع العلاجی

وهذا القسم یُقرِّر أنَّ الدفاع بَعْدَ وقوع الاعتداء؛ لرفع العدوان والغزو وطرده مِنْ بقاع الإیمان، مکانیّهً کانت أو جغرافیّهً أو غیرهما، وهو المعهود فی الأذهان والثقافه الفقهیّه.

۱- الأنفال: آیه ۶۰.

القسم الثالث: الدفاع الاقتصاصی

وهـذا القسم غـایته الردع عَنْ تکرّر العـدوان، وهو مفـاد قاعـده {وَلَکُمْ فِی الْقِصَاصِ حَیَاهٌ یَاْ أُولِیْ الأَلْبَابِ}(۱). وَمِنْ الواضح أنَّ عِدَّه مضامین قرآنیّه تصبُّ فی هذا المفاد، وهی:

قوله تعالی: {یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُواْ کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِصَاصُ فِی الْقَتْلَی الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَی بِالأُنثَی فَمَنْ عُفِیَ لَهُ مِنْ أَخِیهِ شَیْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَیْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِکَ تَخْفِیفٌ من رَّبِّکُمْ وَرَحْمَهٌ فَمَنِ اعْتَدَی بَعْدَ ذَلِکَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِیم * وَلَکُمْ فِی الْقِصَاصِ حَیَاهٌ یَاْ أُولِیْ الأَلْبَابِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُون}(۲).

وکـذلک قوله تعـالی: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحرَامِ وَالْحرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَی عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَی عَلَیْکُمْ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِین}(۳).

وأیضاً قوله تعالی: {وَالَّذِینَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْیُ هُمْ یَنتَصِرُون * وَجَزَاء سَیِّئَهٍ سَیِّئَهٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَی اللهِ إِنَّهُ لاَ یُحِبُّ الظَّالِمِین * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِکَ مَا عَلَیْهِم من سَبِیل * إِنَّمَا السَّبِیلُ عَلَی الَّذِینَ یَظْلِمُونَ النَّاسَ وَیَبْغُونَ فِی الأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِکَ لَهُم عَذَابٌ أَلِیم * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُور}(۴).

فی خطبه المخزون لأمیر المؤمنین(علیه السّلام): «... فابشروا بنصر مِنْ الله عاجل وفتح یسیر، یُقرُّ الله به أعینکم، ویُذهب بحزنکم، کُفّوا ما تناهی الناس عنکم، فإنَّ ذلک لا یخفی علیکم، إنَّ لکم عِنْدَ کُلّ طلعه عوناً مِنْ الله، یقول علی الألسن

۱- البقره: آیه ۱۷۹.

۲- البقره: آیه ۱۷۸-۱۷۹.

۳- البقره: آیه۱۹۴.

۴- الشوری: آیه۳۹-۴۳.

ویثبت علی الأفئده، وذلک عون الله لأولیائه یظهر فی خفی نعمته لطیفاً، وقدْ أثمرت لأهل التقوی أغصان شجره الحیاه، وإنَّ فرقاناً مِنْ الله بین أولیائه وأعدائه، فیه شفاء للصدور، وظهور للنور، یعزّ الله به أهل طاعته، ویُذلُّ به أهل معصیته، فلیعد امرؤ لذلک عدّته، ولا عُدَّه له إلّا بسبب بصیره وصدق نیه ...»(۱).

فقوله(علیه السّلام): «کُفّوا ما تناهی الناس عنکم». مفاده ولسانه لسان الروایات المُسْتفیضه فی الهدنه مع المخالفین، ولفظ الناس مُستعمل فی الروایات کنایه عنهم، وهو مُطابق للسان: «الزَم بیتَک وَکُنْ حلساً مِنْ أحلاسه...»(۲).

ورغم ذلک، فقدْ قیّد أمیر المؤمنین هذا الکفّ «الأمر بالهدنه». بالکف ما لمْ یکن هُناک عدوان منهم علینا، وإلّا فالدفاع لا یُعطّل فی حال مِنْ الأحوال، وهذا ما علیه إجماع وتسالُم عُلماء الإمامیّه مِنْ وجوب الجهاد الدفاعی، وإن بنو علی تعلیق بقیه أبواب الجهاد؛ ومِنْ ثَمَّ هذه الروایه وأمثالها کالمفسّر الحاکم لمستفیض روایات الهدنه والروایات الآمره بالکون حِلساً مِنْ أحلاس البیت، وإذا تقرَّر وجوب الجهاد الدفاعی، فهذا یُقرِّر ما أسلفناه مِنْ قاعده وجوب إعداد القوه والعُدَّه والعدد علی الدوام وبالاستمرار مِنْ دون توقُّف، ومدح الانتصار بَعْدَ الظلم، کما فی قوله تعالی: {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِکَ مَا عَلَیْهِم مِّن سَبِیل}(۳) - کما هو مفاد الآیات التی أوردناها فی القسم

۱- الحلی، حسن بن سلیمان، مختصر بصائر الدرجات: ص۱۹۶. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۳، ص۷۸.

۲- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۸، ص۲۶۴. الحر العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۱۵، ص۵۱.

۳- الشوری: آیه۴۱.

الثالث- حكمته وغايته فى الاقتصاص الرادع عَنْ تكرار العدوان، فيدخُل الاقتصاص فى الدفاع الوقائى بنمط آخر كما أنَّ ذلك مفاد الحفاظ على الحياه كفلسفه وحكمه للقصاص، كما أنَّ الآيه الثانيه مِنْ سوره البقره: {ولكم فى القصاص}. تُبيّن أنَّ حكمه وغايه القصاص أيضاً هى الوقايه، وأنَّ القصاص هو مُقْتضى التقوى، ولا يخفى أنَّ أعظم أقسام الجهاد الدفاعى هو القسم الأوَّل الوقائى؛ لأنَّ الوقايه خير مِنَ العلاج؛ ومِنْ ثَمَّ أكَّدت الآيه على وجوب الاستعداد والتعبئه، وتنامى القوه على نحو الدوام والاستمرار، وأنْ يكون بقدر الاستطاعه لا بقدر العاده ولا بقدر الراحه، بلْ بتمام وكمال الاستطاعه، أى: استفراغ الوسع، ثمَّ تُبيِّن الآيه أنَّ فلسفه هذا النمط مِنْ الإعداد هو الدفاع والوقايه والردع؛ لقوله تعالى: {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ الله يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ الله يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُون}(1).

كما أنَّ القسم الثانى فى جملهٍ مِنْ الموارد وإنْ كان هو المعروف المعهود مِنْ الجهاد الدفاعى، إلّا أنَّ مِنْ الواضح بحسب الأدلّه المُتقدِّمه أنَّه لا يختصّ به، بلْ يشمل الأوَّل والثالث، بلْ فى جمله مِنْ الموارد، ولو اقتُصر عليه - الثانى- فإنَّه لا تحصل غايه الدفع وهى تحصيل الأمن، إلَّا مِنْ القسم الثالث، نظير ما يفصل فى قتال البُغاه بين مَنْ لهم فئه يرجعون إليها، فيجوز الإجهاز على جريحهم وإتباع مُدبِرهم وقتل أسيرهم، وبين مَنْ ليس لهم فئه فلا يُتبع لهم مُدبر، ولا يُجهز على جريحهم، ولا يُقتل لهم مأسور، فإنَّ حكمه التفصيل هو تكرُّر البغى، أو فيمَنْ لهم فئه؛ فيكون الإجهاز على الجريح وقتل الأسير والمُدبر قطعاً عَنْ استمرار البغى وتكرره.

١- الأنفال: آيه ٦٠.

القسم الرابع: الجهاد الدفاعی الاستباقی

اشاره

وهو یُقام به فی المورد الـذی یعلم بأنَّ العـدو مُتربِّص لشنّ عـدوان قریب، قـدْ أخـذ أُهبته فی ذلک وبدت علامات ولوائح ذلک شاهره ظاهره، والقـدر المُتیقّن مِنْ مشـروعیه هـذا القسم، ما إذا کان عـدم الاسـتباق بالحرب والتوانی عَنْ المُبادره، یسـتلزم عـدم القُـدره علی الجهـاد الـدفاعی مِـنْ القسم الثـانِی وهـو العلاـجی، أو أنَّه سـیُکبّد المـؤمنین والمسـلمین خسـائر کـبیره فی الأـرواح والثروات، ویُشیر إلی ذلک قوله تعالی: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِیَانَهً فَانبِذْ إِلَیْهِمْ عَلَی سَوَاء إِنَّ الله لاَ یُحِبُّ الخَائِنِین}(۱).

والإشـاره فی الآیـات والروایات کثیره منها: دُعاء لأمیر المؤمنین(علیه السّـلام) کان یـدعو به، وهو مِنْ أدعیه الصـحیفه السـجادیه أیضاً ، قال: «والحمـد لله الذی مَنَّ علینا بمحمَّد نبیه(صـلّی الله علیه و آله وسـلّم) دون الأُمم الماضـیه... کما نصب لأمرک نفسه، وعرض فیـک للمکروه بـدنه، وکـاشف فی الـدعاء إلیـک حـامّته، وحـارب فی رضـاک أُسـرته، وقطع فی إحیـاء دینک رحمه، وأقصـی الأدنین علی جحودهم، وقرّب الأقصـین علی اسـتجابتهم لک، ووالی فیک الأبعدین، وعادی فیک الأقربین، وهاجر إلی بلاـد الغربه ومحـلّ النأی عَنْ موطن رحله، وموضع رجله، ومسـقط رأسه، ومأنس نفسه، إراده منه لإعزاز دینک، واسـتنصاراً علی أهل

الکُفْر بـک، حتّی اسـتتب له مـا حـاول فی أعـدائک، واسـتتم له ما دبّر فی أولیائک، فنهـد إلیهم مسـتفتحاً بعونک، ومتقویاً علی ضعفه بنصرک، فغزاهم فِی عُقر دیارهم، وهجم علیهم فی بُحبوحه قرارهم، حتّی ظهر أمرک، وعلت کلمتک،

۱- الأنفال: آیه۵۸.

ولو كره المشركون...»(۱).

وموضع الشاهد المُنَاسِب للقسم الرابع مِنْ أقسام الجهاد الدفاعی هو قوله(علیه السّلام): «فنهد إلیهم مستفتحاً بعونک، ومتقویاً علی ضعفه بنصرک، فغزاهم فِی عُقر دیارهم، وهجم علیهم فی بُحبوحه قرارهم، حتّی ظهر أمرک، وعلت کلمتک، ولو کره المشرکون». أی: إنَّ رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) نهض إلی المشرکین الذین کانوا یعدّون العُدّه ویتربصون الدوائر بالنبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وبالمسلمین، بصوره سریعه ومباغته بلا توانٍ أو کسلٍ، رغم أنَّ العدو أقوی وأکثر عُدَّه وعدد منه، لکنَّه مع ذلک بادرهم حتّی لا تکون الخساره أکبر... معتمداً علی الله وحده ومتقویاً به لنصره، فغزاهم فی عُقر دیارهم وهجم علیهم فی بحبوحه قرارهم حتّی ظهر أمره، وعلت کلمته، ولو کره المشرکون.

۱- ابن أبی الحدید، عبد الحمید، شرح نهج البلاغه: ج۶، ص۱۶۸. أدعیه الإمام السجاد(علیه السّلام)، الصحیفه السجادیه: ص۵۲.

قواعد لا محيص عنها فی الدفاع عَنْ المُقدّسات

اشاره

ثمَّ إنَّ ها هُنا أقساماً أُخری مِنْ أقسام الدفاع، وهی کالأقسام السابقه إلّا أنَّها أعظم منها؛ لأنَّ هذه الأقسام للدفاع عَنْ الأراضی المُقدَّسه، أی: البلاد التی فیها مراقد المعصومین(علیهم السّلام) ، وفیها المساجد المشرَّفه، فالحرم المکّی أرض مُقدّسه والحرم المدنی کذلک، بلْ یشمل ما هو أوسع مِنْ الحرم المکّی والمدنی، فیشمل أرض الحجاز کُلّها، فهذه الأرض ینبغی تطهیرها مِنْ دنس المنتهکین لقُدسیتها وحرمتها، کذلک النجف وکربلاء، والکاظمیه وسامراء، وخراسان، مدنٌ یجب الدفاع عنها وحمایتها وقطع أیدی الباطل عنها إنْ کانت فی أیدیهم، بلْ حمایه المُقدّسات تُوجب حمایه کُلّ أرض العراق، وهذا حال وحکم کُلّ البلدان التی فیها المُقدّسات.

فهُناک واجبان: واجب للدفاع عَنْ عموم کُلّ بلاد المُسْلمین، وواجب آخر هو لخصوص الأراضی المُقدَّسه، وهو أعظم مِنْ الواجب الأوَّل، ونفس الضوابط التی ذُکرت فی الأقسام السابقه مِنْ الجهاد الدفاعی، تُذکر هُنا.

نظام تعدد مراتب الدفاع طولیاً متعاکساً مع قاعده الرفق المرن

إنَّ مراتب الدفاع عَنْ الأراضی المُقدَّسه - وباقی الأقسام السابقه کمراتب الأمر بالمعروف والنهی عَنْ المنکر- لا تجوز المرتبه اللاحقه إلّا بَعْدَ العجز عَنْ السابقه، فکما أنَّ مراتب الأمر بالمعروف والنهی عَنْ المنکر تبدأ مِنْ الید وتنتهی بالقلب، فکذلک فی مراتب الجهاد الدفاعی، کما فی الحدیث عَنْ

أبی سعید الخدری أنَّه سمع رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) یقول: «مَنْ رأی منکم مُنکراً فاستطاع أنْ یغیّره بیده فلیفعل، فإنْ لمْ یستطع فبلسانه، فإنْ لمْ یستطع فبقلبه، وذلک أضعف الإیمان»(۱).

وهذا عین ما رسمه سیّد الشهداء(علیه السّلام)؛ لأنَّه وصف جهاده لأهل الباطل بأنَّه أمرٌ بالمعروف ونهیٌ عَنْ المنکر، حیث یقول: «ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، إنَّما خرجت لطلب الإصلاح فی أُمَّه جدّی رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، أُرید أنْ آمر بالمعروف وأنهی عَنْ المنکر وأسیر بسیره جدّی وأبی، فمَنْ قبلنی بقبول الحقّ فالله أوْلی بالحق، ومَنْ ردّ علیَّ أصبر حتّی یحکم الله وَهُوَ خیر الحاکمین»(۲)، فالشارع المُقدّس لا یسمح لِلمُکلَّف مع توفّر ظروف الردع بالید أنْ یردع بلسانه، بلْ قیّد مرتبه ردع المنکر باللسان بعدم الاستطاعه لمرتبه الید.

أمَّا قاعده الرفق المرن، فهِی قاعده إعدادیه تبدأ مِنْ الدرجه البسیطه، ثمَّ تتصاعد إلی الدرجات العُلیا.

القسم الخامس: الجهاد الاقتصاصی فی الدفاع عَنْ المقدّسات

سبق أنْ تکلّمنا عَنْ الجهاد الدفاعی الاقتصاصی، وکان الکلام فیه بشکل عام شامل لکلِّ حُمی ومعاقل وأراضی المُسْلمین، سواء کان فیها المُقدّسات أو لیس فیها، بینما الکلام فی هذه القاعده فی خصوص الجهاد الدفاعی الاقتصاصی، وفی الدفاع عَنْ المُقدّسات، أو البُلدان التی فیها المُقدّسات.

۱- الطوسی، محمد بن الحسن، الخلاف: ج۱، ص۶۶۴. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج۳، ص۲۰.

۲- ابن شهر آشوب، محمد بن علی، مناقب آل أبی طالب: ج۳، ص۲۴۱.

ونفس الآيـات التى ذُكرت فى الجهاد الـدفاعى الاقتصاصى تـذكر هُنا، فإنَّ الاقتصاص عام وهو أنْ يشـمل غَير المُقـدّسات، فإنَّه يشمل المُقدّسات بطريق آكد وأشدّ مُضافاً إلى الآيات الخاصَّه بأراضى المُقدّسات، فراجع ما ذكرنا هُناك.

القسم السادس: الجهاد الدفاعى الاستباقى عَنْ المُقدّسات

ثمَّ إنَّ ها هُنا قسماً سادساً وهو متولِّد مِنْ القسم الرابع ومتفرِّع عليه، ولكنَّه أعظم منه ونفس الترتيب الذى ذكرناه هُناك يأتى هُنا، أى: إنَّ وجوب الجهاد الـدفاعى الاسـتباقى عَنْ المُقدّسات الذى هو القسم السادس ينضـبط بالمراتب، فكما لا يَصِحّ القسم الثانِى وهو الجهاد العلاجى إلّا بَعْدَ العجز عَنْ القسم الرابع مع توفَّر شروط القسم الرابع (الاستباقى)، والقسم الأوَّل لا يَصِحّ إلّا بَعْدَ العجز عَنْ القسم الثانى والرابع.

والقسم الأوَّل لا يمكن بحال مِنْ الأحوال التنازل عَنْه؛ لأنَّه لا سـقف له، وفتح فيه الباب على مصراعيه؛ لإعداد المُجْتَمع للقوه أمام عدوان المعتدى، وليس هُناك سقف يقف عنده ذلك الإعداد، كما هو مفاد الآيه الكريمه: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم...}.

فتحصّل ممّا تقـدَّم أنَّ الـدفاع عَنْ المُقدّسات هو مِنْ أُمهات الواجبات، ولا محيص من الدفاع عَنْ تلك المُقدّسات، ولكن آليات الدفاع مُخْتلِفه مِنْ حيث الزمان والمكان والأفراد... إلخ.

القسم السابع: الجهاد الاقتصاصى تعصباً لأهل البيت×

اشاره

هُنـاك أدلّه عديـده تُشـير إلى أنَّ مشـروع أهـل البيت(عليهم السّـلام) كان بَعْـدَ شـهاده الحسـين(عليه السّـلام) هو الانتقام له مِنْ أعدائه، وهذه القاعده مِنْ أقسام الجهاد

الدفاعی تختلف عَنْ القاعده السابقه (الجهاد الاقتصاصی فی الدفاع عَنْ المُقدّسات)، وإنْ کان کلاهما اقتصاصاً؛ لأنَّ الاقتصاص هُنا لأجل ذات المعصوم، ولیس لأجل الأراضی المُقدَّسه أو المُقدّسات الأُخری.

أهمیّه ذات المعصوم کرکن مِنْ أرکان الدین

وهـذه القاعـده لهـا أدلّه وشواهـد کثیره فی روایات أهل البیت(علیهم السّلام) وزیاراتهم وأدعیتهم، وهُنا ابتـداءً نُبیّن أهمیّه ذات المعصوم(علیه السّلام) کرکن مِنْ أرکان الدین:

۱) (فاجعل أفئده مِنْ النَّاس تهوی إلیهم):

هُناک آیات کثیره تُشیر إلی أهمیّه ذات المعصوم وأنَّ ذاته تُمثِّل الدین، قال تعالی: {وَمَن یَخْرُجْ مِن بَیْتِهِ مُهَاجِراً إِلَی الله وَرَسُولِهِ ثُمَّ یُدْرِکْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلی الله}(۱).

القُرآن هُنا یجعل الهجره إلی الله مقرونه بالهجره إلی النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، وکأنَّ مَنْ لمْ یقرن مع هجرته لله الهجره للرسول(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، فهجرته باطله کمَن لا یتشـهّد الشـهاده الثانیه مُبیّناً أهمیّه ذات المعصوم کأساس فی الدین؛ لذلک فإنَّ القُرآن یقول حکایهً عَنْ إبراهیم(علیه السّلام): {فَاجْعَلْ أَفْئِدَهً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ}(۲).

فـإنَّ أهمیّه ذات المعصوم یُبیّنهـا الوحی فی القُرآن علی لسـان إبراهیم، بأنْ تهوی القلوب إلیهم ولا تهوی إلی بیت الله، أی: ذات المعصوم أکثر قُدسـیّه مِنْ نفس الأرض المُقـدَّسه، بـلْ إنَّ قُدسـیّه الأرض کـانت مِنْ قُدسـیتهم، ولعلَّ فی سوره یُوسف إشارات کثیره منها: {یَا بَنِیَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن یُوسُفَ وَأَخِیهِ وَلاَ

۱- النساء: آیه ۱۰۰.

۲- إبراهیم: آیه۳۷.

تَيْأَسُواْ مِن روْحِ الله إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن روْحِ الله إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُون}(۱)، وهُنا قَرن اليأس مِنْ المعصوم باليأس مِنْ روح الله وهو الكُفْر، وهُنا مِنْ المُحتمل جداً أنَّه ليس البحث عَنْ جسد المعصوم بما هو، بلْ بما هو زعيم الدين؛ ولذا فإنَّه ليس هُناك يأس مِنْ أخي يوسف مِنْ حَيْثُ جسده، لأنَّ مكانه معروف في مصر وليس هو خفياً حتّى يحصل اليأس منه؛ فيكون المقصود مِنْ التحسّس هو التحسّس في البحث عَنْ المعصوم(عليه السّلام) الذي يمثل الدين؛ لذلك قال: {مِنْ يوسف وأخيه}؛ لأنَّ البحث أوَّلاً وبالذات عَنْ يوسف(عليه السّلام) وثانياً وبالعرض عَنْ أخيه.

۲) في روايه مرّت في قواعد دفاعيه سابقه، نرى فيها التخاذل عَنْ دخول الأرض المُقدَّسه يُفَسِّره الإمام(عليه السّلام) بالتخاذل عَنْ عليّ(عليه السّلام) باعتبار تكرّر السنن الإلهيه، فَعَنْ حريز عَنْ بعض أصحابه، عَنْ أبي جعفر(عليه السّلام) قال: «قال رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم): والذي نفسي بيده، لتركبُنّ سنن مَنْ قبلكم حذوا النعل بالنعل والقذّه بالقذّه، حتّى لا تُخطئون طريقهم، ولا يخطئكم سنّه بني إسرائيل»، ثمَّ قال أبو جعفر(عليه السّلام): «قال موسى لقومه: {يا قوم ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَهَ الَّتِي كَتَبَ الله لَكُمْ}، فردوا عليه... فتاهوا أربعين سنه؛ لأنَّهم عصوا فكان حذوا بالنعل بالنعل. إنَّ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) لمّا قُبض لمْ يكن على أمر الله إلّا عليّ والحسن والحسين، وسلمان والمقداد وأبو ذر، فمكثوا أربعين سنه حتّى قام عليّ(عليه السّلام) فقاتل مِنْ خالفه»(۲).

۱- يوسف: آيه۸۷.

۲- العيّاشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي: ج۱، ص۳۰۳. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۱۳، ص ۱۸۰.

نُلاحظ هُنا أنَّ الدفاع عَنْ الأراضی المُقدَّسه متولّد أساساً مِنْ نصره المعصوم(علیه السّلام)، فبالأساس النصره کانت للمعصوم(علیه السّلام)، والدفاع المذکور متفرّع علیها، فیظهر هُنا سوء عاقبه مَنْ یتخاذل عَنْ نصره المعصوم(علیه السّلام)، وبالمقابل نعرف حُسن عاقبه مَنْ ینصر المعصوم(علیه السّلام).

فإنَّ سبب قُدسیّه الأرض المُقدَّسه هو الأنبیاء؛ فإنَّ تقدیسها بسبب الإشعاع الذی لدی الأنبیاء، فکیف بنفس الأنبیاء؟! فالأصل هو المعصوم وهدایته، والتیه عَنْ الأرض المُقدَّسه هو بلحاظ التیه عَنْ المعصوم وهدایته، لذلک ورد: «إنَّما أُمروا أنْ یطوفوا بها، ثمَّ ینفروا إلینا، فیعلمون ولایتهم»(۱).

بلْ إنَّ القُرآن یُؤکِّد هذا المعنی فی قوله تعالی: {فَاجْعَلْ أَفْئِدَهً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ}(۲)؛ فتکون الغایه مِنْ الأراضی المُقدَّسه والوفود علیها هو الوفود علی المعصوم، فالوفود علی بیت الله الحرام والحج غایته هوی القلوب إلیهم؛ لأنَّهم الباب الأقصد، وقوله تعالی - کما فی الروایه المُتقدمه-: {یَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَهَ الَّتِی کَتَبَ الله لَکُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَی أَدْبَارِکُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِین * قَالُوا یَا مُوسَی إِنَّ فِیهَا قَوْماً جَبَّارِینَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلَهَا حَتَّی یَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن یَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُون * قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِینَ یَخَافُونَ أَنْعَمَ الله عَلَیْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَیْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّکُمْ غَالِبُونَ وَعَلَی الله فَتَوَکَّلُواْ إِن کُنتُم مُّؤْمِنِین * قَالُواْ یَا مُوسَی إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُواْ فِیهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّکَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون * قَالَ رَبِّ إِنِّی لا أَمْلِکُ إِلَّا نَفْسِی وَأَخِی فَافْرُقْ بَیْنَنَا وَبَیْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِین}(۳).

۱- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۱، ص۳۹۲.

۲- إبراهیم: آیه۳۷.

۳- المائده: آیه۲۱-۲۵.

فالآیات تُشیر إلی وجوب الدفاع وتحریر الأراضی المُقدَّسه الذی هو مِنْ الجهاد الدفاعی، وهو نوع مِنْ الاقتصاص واسترداد الأرض، وأنْ لا تکون تَحْتَ هیمنه وسلطه الجبارین، بلْ تَحْتَ ولایه الأولیاء المصطفین، کُلّ هذا الحِمی والدفاع عَنْ الأرض المُقدَّسه إنَّما هو بلحاظ الصفوه المعصومه مِنْ الأنبیاء والأوصیاء والحجج.

والروایات التی تُشیر إلی أنَّ ذات المعصوم(علیه السّلام) هی الأصل الذی یتفرّع علیه قُدسیّه الأراضی المُقدَّسه، وبالتالی یکون وجوب الدفاع عَنْ الأراضی المُقدَّسه مُتفرِّعاً علی وجوب الدفاع عَنْ ذات المعصوم(علیه السّلام).

ومِنْ هذهِ الروایات ما ورد عَنْ أبی عبد الله الصنابحی، عَنْ علیّ(علیه السّلام) قال: قال رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «یا علیّ، أَنْتَ بمنزله الکعبه، یؤتی إلیها ولا تأتی»(۱).

کذلک عَنْ أبی ذر قال: قال رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «مَثلُ علیّ فیکم کمثل الکعبه المستوره - أو المشهوره- النَّظر إلیها عباده، والحج إلیها فریضه»(۲).

۳) عَنْ علیّ بن الحسین(علیه السّلام) قال: «لمْ یدخل الجنه حمیه غَیر حمیه حمزه بن عبد المطلب؛ وذلک حین أسلم غضباً للنبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، فی حدیث السَّلَی الذی أُلقی علی النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)»(۳)، وَمِنْ الواضح أنَّ الحمیّه تبقی حمیّه ومع ذلک تدخل الجنه؛

۱- الطبری، محمد بن جریر، المسترشد: ص۳۸۷. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۷۸.

۲- ابن المغازلی، علی بن محمد، مناقب علی بن أبی طالب(علیه السّلام): ص۱۱۱. ابن شهر آشوب، محمد بن علی، مناقب آل أبی طالب: ج۳، ص۶. ابن عساکر، علی بن الحسن، تاریخ مدینه دمشق: ج۴۲، ص۳۵۶.

۳- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۲، ص۳۲۳.

والسبب فی ذلک، أنَّها أضیفت لذات المعصوم(علیه السّلام) - تعصباً لذات المعصوم- بلْ إنَّ الکثیر مِنْ الماهیّات السیئه ظاهراً تتبدل هکذا إلی حَسن وحسنه بإضافتها إلی المعصوم(علیه السّلام).

وهذا المضمون له إشارات قرآنیّه وروائیّه عدیده، تُشیر إلی أنَّ هُنا ماهیّات سیئه تتبدل إلی حسنه بإضافتها إلی المعصوم، کما فی قول یعقوب(علیه السّلام) مُعلّلاً شدّه جزعه علی یوسف(علیه السّلام) وذهاب عینیه مِنْ الحزن فهو کظیم، قال تعالی: {إِنَّمَا أَشْکُو بَثِّی وَحُزْنِی إِلی الله وَأَعْلَمُ مِنَ الله مَا لاَ تَعْلَمُون}(۱)، کذلک قول أمیر المؤمنین(علیه السّلام) - ساعه دفن النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)-: «إنَّ الصبر لجمیل إلّا عنک، وإنَّ الجزع لقبیح إلّا علیک»(۲)؛ فإنَّ الجزع رغم أنَّه قبیح، لکنّه علی المعصوم(علیه السّلام) یکون جمیلاً.

بیت المقدس قُدِّس لوجود الأنبیاء فیه

بیت المقدس إنَّما صار قبلهً وقُدِّس؛ لعباده الأنبیاء فیه ولقُدسیتهم، کما فی الروایه عَنْ ابن عباس (رض): «فسار بهم موسی فانطلقوا یؤمون الأرض المُقدَّسه وهی فلسطین، وإنَّما قدّسها؛ لأنَّ یعقوب(علیه السّلام) وُلِدَ بها، وکانت مسکن أبیه إسحاق(علیه السّلام)، ویوسف(علیه السّلام) وُلِد بها، ونقلوا کلّهم بَعْدَ الموت إلی أرض فلسطین»(۳).

ومِنْ هُنا؛ یظهر وجه کون الکعبه مُقدّسه، وأنَّها کانت قِبله لآدم حسب

۱- یوسف: آیه۸۶.

۲- خطب أمیر المؤمنین(علیه السّلام)، نهج البلاغه: ج۴، ص۷۱. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۷۹، ص۱۳۴.

۳- قطب الدین الراوندی، سعید بن هبه الله، قصص الأنبیاء: ص۱۷۶.

الروايـات، وقـدْ ورد أنَّ جميع الأنبياء قـدْ حجّوا بيت الله فى مكّه المُكرّمه، ولعلَّ تحوّل القبله إلى بيت المقـدس فى شـريعه النَّبى موسى وشريعه النَّبى عيسى؛ نظراً لتحوّل مكَّه إلى عباده الأوثان مِنْ جهه، وانقطاعها عَنْ تولّى وولايه الأنبياء والأوصياء، بينما بيت المقـدس صـار مركزاً وقطب رحى لتواجـد الأنبياء والأوصـياء؛ فصارت القبله إليه فلمّا بُعث سيِّد الأنبياء اسـتعادت مكَّه المكرّمه اسـتحقاق اتّجاه الاسـتقبال لها، بعدما بُعث سيِّد الأنبياء فيها وأهل بيته(عليهم السّلام) وشارف الأمر على تولّى النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وأهل بيته(عليهم السّلام) على المسجد الحرام بفتح مكَّه، وإنْ كان تغيير القبله فى السنه الثانيه للهجره.

ومِنْ ذلـك يظهر أنَّ القبله فى الأـرض والبقعه المُقـدَّسه، إنَّمـا هو بلحـاظ الاتّجـاه إلى هـدايه المعصوم(عليه السّـلام) مِنْ الأنبياء والأوصياء.

ومِـنْ هُنـا؛ قـال تعـالى: {وَمَـا جَعَلْنَـا الْقِبْلَهَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَـا إِلاَّ ـ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِـعُ الرَّسُـولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ}(1)، فغـايه القبله وحقيقتها اتّباع الرسول(صلّى الله عليه و آله وسلّم).

كذلك ما أوحى الله لموسـى وهارون(عليه السّلام) قال تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَهً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَهَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِين}(2).

لا ترفعوا أصواتكم ....

قـال تعـالى: {يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ ـ تُقَـدِّمُوا بَيْنَ يَـدَىِ الله وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله سَـمِيعٌ عَلِيم * يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِى وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُون * إِنَّ الَّذِينَ

۱- البقره: آیه۱۴۳.

۲- یونس: آیه۸۷.

يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ الله أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيم}(۱).

فی هذه الآیات أحکام عدیده کُلّها تُشیر إلی أهمیّه تعظیم وقدسیه ذات النبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، وأنَّه یحرم هتک هذه القُدسیه، وفی قِبال ذلک تعتبر الآیات الکریمات مَنْ یُقدس النَّبی ویراعی حرمته أنَّه ممتحن للتقوی:

۱. {لَا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ الله وَرَسُولِهِ}، قال المفسرون: إنَّ أحد تفاسیر هذه الآیه هو «عدم تقدیم شیء ما مِنْ الحُکم، قبال حکم الله ورسوله»(۲)، فکان حکم الرسول(صلّی الله علیه و آله وسلّم) له مِنْ الهیبه والاحترام والقُدسیه والطاعه ما یؤدِّی للمنع مِنْ إبداء المُقترحات أو الرغبات الشخصیّه أو الفئویّه، بلْ مُطلقاً؛ لأنَّ إحاطته(صلّی الله علیه و آله وسلّم) أکبر وأوسع مِنْ إحاطه کُلّ المخلوقات، فإذا کانت القُدسیه لحکم النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) فقُدسیه ذاته أعلی وأوْلی بالاحترام والتقدیس.

۲. الآیه الثانیه جعلت رفع الصوت (مُجرَّد رفعه) فوق صوت النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) یؤدِّی إلی حبط الأعمال، دون أنْ یشعر المؤمن بذلک، بلْ حتّی الجهر له بالقول، فیکون مُجرَّد إساءه الأدب فی التعامل مع النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) یؤدِّی إلی ذلک، فکیف بک بقدسیه واحترام ذات النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) أو المعصومین(علیهم السّلام) مِنْ أهل بیته الذین هُم امتداد لنوره وقدسیته.

۳. فی قبال ذلک؛ فإنَّ مَنْ یُعظِّم النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) ویُقدّس ذاته یکون ناجحاً فی الامتحان الإلهی، بلْ هو مِنْ المُتقین وله مغفره وأجر عظیم، وهذا المعنی عظیم. فإذاً؛ مَنْ ینتهک القدسیه ویستهین بعمله ویعتبره بسیطاً یحبط عمله

۱- الحجرات: آیه۱-۳.

۲- الطباطبائی، محمد حسین، المیزان: ج۱۸، ص۲۴۹.

العظيم، وَمَنْ يُعظِّم النَّبى يـأتيه عظيم الأـجر، ولعلَّه لاـ يعلم، وتكون له المفاجـأه يوم القيامه كما يُفاجئ الطرف الآخر بأنَّ لا عمل له.

المعصوم(عليه السّلام) مِنْ مُقدّسات الدِّين

وردت روايات كثيره تُشير إلى أنَّ مَنْ سبّ أحـد المعصومين(عليهم السّـلام) - النَّبى(صـلّى الله عليه و آله وسـلّم) أو أحـد أهل بيته(عليهم السّـلام) - قُتل، وهـذه إشاره إلى أهميّه ذات المعصوم(عليه السّـلام) وقُدسـيتها، وأنَّها مِنْ أهمّ مُقدّسات الدين التى لا يجوز انتهاكها كما فى صحيحه هشام بن سالم، قال: قلت: لأبى عبد الله(عليه السّلام) «ما تقول فى رجل سبّابه لعلى(عليه السّلام)؟ قال: فقال لى: حلال الدم - والله- لولا أنَّ تعمّ به بريئاً...»(۱).

كـذلك عِنْـدَ عبيد بن زُرَاره، عَنْ أبيه، عَنْ أبى جعفر(عليه السّـلام)، قال: «مَنْ قعد فى مجلس يُسبّ فيه إمام مِنْ الأئمه يقدر على الانتصاف منه فلم يفعل ألبسه الله (عَزَّ وَجَلَّ) الذل فى الدنيا، وعذّبه فى الآخره، وسلبه صالح ما مَنَّ به عليه مِنْ معرفتنا»(۲).

كذلك معتبره علىّ بن هدير، قال سـمعت مَنْ سأل أبا الحسن الأوَّل(عليه السّـلام) فقال: إنِّى سـمعت مُحمَّد بن بشير يقول: إنَّكَ لست موسـى بن جعفر الـذى أنت إمامنـا وحجتنـا فيمـا بيننـا وبين الله. قـال: فقال: «لعنه الله - ثلاثاً- أذاقه الله حرّ الحديـد، قتله الله أخبث مـا يكون مِنْ قتله. فقلت له: إذا سـمعت ذلك منه، أوَ ليس حلال لى دمه، مباح كما أُبيـح دم السابّ لرسول الله(صـلّى الله عليه و آله وسلّم) والإمام؟ قال: نَعَمْ، حلّ واللهِ، حلّ واللهِ دمه، وأباحه لك ولمَن سمع ذلك منه. قلت: أوَ ليس

۱- الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج۷، ص۲۶۹. الطوسى، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ۱۰، ص۸۶.

۲- الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج۲، ص۳۷۹. الحر العاملى، محمد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج۱۶، ص۲۶۲.

ذلك بسبّاب لك؟ قال: هذا سبّاب لله، وسبّاب لرسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، وسبّاب لآبائى وسبابى، وأىُّ سبٍّ ليس يقصر عَنْ هذا ولا يفوقه هذا القول. فقلت أرأيت إذا أنا لمْ أخفْ أنْ أغمر بذلك بريئاً، ثمَّ لمْ أفعل ولم أقتله، ما علىّ مِنْ الوزر؟ فقال: يكون عليك وزره أضعاف مضاعفه مِنْ غَير أنَّ ينقص مِنْ وزره شىء، أَما علمت أنَّ أفضل الشُّهَداء درجةً يوم القيامه مَنْ نصر الله ورسوله بظهر الغيب، وَرَدّ عَنْ الله وَعَنْ رسوله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)»(۱).

يظهر مِنْ هذه الروايات المُتّفق عليها فتوى عِنْدَ الأصحاب وروايات كثيره - لمْ نوردها اختصاراً- عقوبه مَنْ يسبّ المعصوم، وشدّه عقوبه مَنْ يسكت عمَّن يسب المعصوم(عليه السّلام)، وهو قادر على ردّه، وفى الروايه - المُتقدّمه- أحكام عديده بيّنها الإمام موسى بن جعفر(عليه السّلام):

۱. إنَّه(عليه السّلام) لعن ثلاثاً مَنْ أنكر حُجّيته وعصمته.

۲. دعا(عليه السّلام) عليه بأنْ يموت قتلاً وبأخبث ما يكون مِنْ القتل.

۳. إنَّه(عليه السّلام) أباح دمه وألحقه بمَنْ يُباح دمه؛ لأجل سبّ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) أو أحد المعصومين(عليهم السّلام) ، بلْ جعل سبّه(عليه السّلام) سبّاً لله ولرسوله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) ولآبائه.

۴. إنَّه(عليه السّلام) جعل مَنْ يستطيع قتل السابّ ولا يقتله أنَّه يلحقه مِنْ الوزر أضعافاً مُضاعفه مِنْ غَير أنْ ينقص مِنْ وزره شىء.

۵. جعل(عليه السّلام) الناصر لله ولرسوله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) بظهر الغيب مِنْ أفضل الشُّهَداء درجةً عِنْدَ الله، بلْ فى الروايه المُتقدّمه، نرى أنَّ مَنْ يتخاذل عَنْ المعصوم(عليه السّلام) له عقوبه دنيويه ويسلبه الله صالح معرفتهم.

۱- الطوسى، محمد بن الحسن، اختيار معرفه الرجال: ج۲، ص۷۷۸. الحر العاملى، محمد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج۲۸، ص۲۱۷

سب المعصوم(علیه السّلام) ارتداد عَنْ الدین کما عَنْ جماعه مِنْ الأصحاب

أقوال العُلماء فی ذلک:

۱. الجواهری، قال: بالإجماع علی قتل مَنْ سبّ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) أو أحد الأئمه(علیهم السّلام) ، بلْ هو ینقل عباره المسالک «فی إلحاق باقی الأنبیاء بذلک قُوّه؛ لأنَّ کمالهم وتعظیمهم مِنْ دین الإسلام ضروره، فسبّهم ارتداد، وتبعه علیه غیر واحد»(۱).

۲. فی الریاض مِنْ المغنیه الإجماع علیه.

۳. الشهید الثانی فی المسالک یقول: مَنْ سبّ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) جاز لسامعه قتله، ما لمْ یخف الضَّرر علی نفسه أو ماله أو غیره مِنْ أهل الإیمان، وکذا مَنْ سبّ أحد الأئمه(علیهم السّلام) (۲).

۴. قال السیّد الخوئی فی مسأله (۲۱۴): یجب قتل مَنْ سبّ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) علی سامعه ما لمْ یخف الضَّرر علی نفسه أو عرضه أو ماله الخطیر، ویُلحق به سبّ الأئمه(علیهم السّلام) ، وسبّ فاطمه الزهراء(علیهاالسّلام)، ولا یحتاج إلی الإذن مِنْ الحاکم الشرعی(۳)((۴).

یظهر مِنْ الروایات المُتقدّمه التی تُشیر إلی أنَّ سبّ المعصوم(علیه السّلام) هو سبّ لله ولرسوله(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، وهتک لحرمه الإسلام، بلْ حَکَم بعض الفُقهاء علی مَنْ یفعل

۱- الجواهری، محمد حسن، جواهر الکلام: ج۴۱، ص۴۳۶.

۲- الشهید الثانِی، زین الدین بن علی، مسالک الأفهام: ج۱۴، ص۴۵۲.

۳- الخوئی، أبو القاسم، مبانی تکمله المنهاج: ج۱، ص۲۶۴.

۴- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۷، ص۱۷۵-۱۸۵. الحر العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۲۸، ص۱۳.

ذلک بالارتداد عَنْ الدین، وبالقتل، باعتباره هتک لأعلی وأعظم المُقدّسات.

وإذا کان الشارع یحتاط فی الدماء والفروج والأموال، ویجعل لها حرمه وکرامه لکرامه المؤمن، فإنَّ کرامه وحرمه المعصوم(علیه السّلام) أعلی؛ لأنّها حرمه للدین وصیانتها صیانه للدین والمُقدّسات، وإذا کانت الدماء والفروج والأموال لها حرمه وکرامه علی المستوی الفردی، فإنَّ هتک حرمه المعصوم(علیه السّلام) هتک لحرمه مِنْ الحرمات والحقوق العامَّه، فهو انتهاک لحرمه کُلّ المؤمنین، بلْ ولکلِّ حرمات الله والدین.

تعطیل الحدود یُؤثر فی التکوین والتشریع

۱. ما ورد مِنْ أنَّ تعطیل حدٍّ مِنْ حدود الله هو عنادٌ لله، وکذلک إقامه الحدّ أفضل مِنْ مطر أربعین صباحاً، قال أبو جعفر(علیه السّلام): «حدّ یُقام فی الأرض أزکی فیها مِنْ مطر أربعین لیلهً وأیامها»(۱).

۲. فإذا کان حدّ یسیر لمخالفه جنائیه - یسیره لفرد اعتیادی- غرض الشارع فیه قائم بهذا المستوی، وتأثیره فی التکوین هکذا، فکیف بأمر وحدّ مرتبط بأعظم مُقدّسات الدین، وهو المعصوم مِنْ أهل البیت(علیهم السّلام) ، والذی عظّم القُرآن مِنْ شأنهم.

۳. ومِنْ ثَمَّ ورد فی سابّ المعصوم حدّ القتل، فإذا کان ذلک فِی سابّ المعصوم، فکیف بقاتل المعصوم، وکیف إذا کان القاتل فئه مِنْ الناس وجماعه کثیره.

۴. فکیف بسببِ عرض رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، وقدْ اشترکت فی ذلک فرقه مِنْ

۱- الطوسی، محمد بن الحسن، تهذیب الأحکام: ج ۱۰، ص۱۴۶. الحر العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۲۸، ص۱۲.

الأمّه، أی: الحزب الأموی ومَنْ تبعهم.

۵. وممّا یُبیّن مـدی خطوره هذا الأمر فی الدین وعند الشارع ما جری مِنْ ظواهر کونیه وبروز الدم تَحْتَ کُلّ حجر ومدر بَعْدَ قتل أمیر المؤمنین(علیه السّلام)، وقتل الحسین(علیه السّلام).

۶. مـا ورد فی الفقیه عَنْ أبی عبـد الله(علیه السّـلام): «لو أنَّ رجلاً دخل الکعبه فبال فیها مُعانـداً أُخرج منها وَمِنْ الحرم، وضُـربت عنقه»(۱).

ومِنْ الواضح أنَّ قول الإمام(علیه السّلام): (ضربت عنقه)، أی: لأنَّه انتهک قدسیه الکعبه، فما بالک بمَنْ هتک ما هو أعظم حرمه وقدسیه مِنْ الکعبه، وهو المعصوم(علیه السّلام)؟! بلْ ما بالک بمَن قتل المعصوم(علیه السّلام)؟!

۷. کـذلک ما ورد عَنْ سـداد بن أوس - بَعْـدَ أنْ شارک فِی معرکه الجمل إلی جنب أمیر المؤمنین(علیه السّـلام)- قال: لما کان یوم الجمل... فدخلت علی أُمُّ سـلمه... قالت: نِعْمَ ما عملت، لَقَدْ سمعت رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) یقول: «مَنْ حارب علیاً فقدْ حاربنی، ومَنْ حاربنی فقدْ حارب الله»(۲).

فیظهر مِنْ هذه الروایه أنَّ الحرب لأحد المعصومین(علیهم السّـلام) هی حرب لرسول الله(صـلّی الله علیه و آله وسلّم) ولله تعالی؛ فیکون الطلب بثأر المعصوم(علیه السّلام) والدفاع عَنْ المعصوم(علیه السّلام) دفاعاً عَنْ الله وعَنْ دین الله ورسوله، ویکون التخاذل عَـنْ ذلـک تخاذلاً عَـنْ الله ورسـوله(صـلّی الله علیـه و آله وسـلّم). کمـا ورد ذلـک فی مسـتفیض الزیـارات (ثـار الله) و(وتر الله الموتور).

۸. عَنْ علیّ بن الحسین(علیه السّلام): «خرجنا مع الحسین(علیه السّلام) فما نزل منزلاً ولا

۱- الصدوق، محمد بن علی، مَن لا یحضره الفقیه: ج۲، ص۲۵۱.

۲- القمی، علی بن محمد، کفایه الأثر: ص۱۸۱.

ارتحل عَنْه إلّا وذكر يحيى بن زكريا...». ثمَّ ذكر قصه قتل يحيى(عليه السّلام)، وكيف خسف الله الأرض بتلك المرأه التى حرّضت الملك على قتل يحيى(عليه السّلام)، «وسلّط الله عليهم بُخت نصر، فجعل يرمى عليهم بالمجانيق ولا يعمل شيئاً، فخرجت عليه عجوز مِنْ المدينه فقالت: إنَّ هذه مدينه الأنبياء - أى: إنَّها مُقدّسه قُدّست لوجود الأنبياء فيها- لا تُفتح إلّا بما أدُلّك عليه. قال: لكِ ما سألتِ. قالت: ارمها بالخبث والعَذَره. ففعل فتقطّعت، فدخلها، فقال: علىّ بالعجوز. فقال لها: ما حاجتك؟ قالت: فى المدينه دم يغلى فاقتل عليه حتّى يسكن. فقتل عليه سبعين ألفاً حتّى سكن.

يا ولدى يا علىّ، والله، لا يسكن دمى حتّى يبعث الله المهدى، فيقتل على دمى مِنْ المنافقين الكفره الفسقه سبعين ألفاً» (۱).

۹. فى قوله تعالى: {وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلاً * سُنَّه مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً}(۲).

جاء فى تفسير الآيتين أنَّ الاستفزاز لرسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) ليخرجوه مِنْ مكّه، أنَّهم لو أخرجوه مِنْ مكّه لما لبثوا - أقاموا- فيها إلّا قليلاً، وقال عباس والضحّاك: المُدّه التى لبثوا بعده، هى ما بين خروج النَّبى مِنْ مكّه، وقتلهم يوم بدر.

وقوله تعالى: {سُنَّهَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا...}. أى: إنَّ عدم لبثهم خلاف خروج النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وهلاكهم بَعْدَ خروجه هو سنّهٌ فى كُلّ الأنبياء الذين كانوا قبله(۳).

۱- ابن شهر آشوب، محمد بن على، مناقب آل أبى طالب: ج۳، ص۲۳۸. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴۵، ص ۲۲۹.

۲- الإسراء: آيه۷۶-۷۷.

۳- اُنظر: الطوسى، محمد بن الحسن، التبيان فى تفسير القرآن: ج۶، ص۵۰۸.

وَمِنْ هُنا؛ تظهر قُدسيه ذات المعصوم(عليه السّلام)، وحرمه ذاته المُقدَّسه، مِنْ الأهميّه بمكان؛ حَيْثُ تُعجّل لِمَنْ ينتهكها العقوبات الدنيويه قبل العقوبات الأُخرويه.

موقف زينب العقيله(عليهاالسّلام) مِنْ وجوب أخذ الثأر

ما ورد فى الأخبار، عَنْ زينب(عليهاالسّلام) أنَّها كانت كأُمِّها الزهراء(عليهاالسّلام)فى اتخاذ أُسلوب الحرب الساخنه، فكانت تُحرّض الناس فى المدينه على الثأر مِنْ قتله الحسين(عليه السّلام).

فقدْ رُوى فى الخبر مسنداً عَنْ مصعب بن عبد الله، قال: كانت زينب بنت علىّ وهى بالمدينه، تؤلّب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين(عليه السّلام)(١).

وهذا بعينه موقف الزهراء(عليهاالسّلام) حين كان أمير المؤمنين(عليه السّلام) فى حرب بارده، وعدم المواجهه مع الطرف الآخر، كانت الزهراء(عليهاالسّلام) تحرّض الأنصار على القتال، وكذلك زين العابدين(عليه السّلام) يختار الحرب البارده، فى حين تختار زينب وهى العالمه غير المعلّمه والفهِمه غير المفهّمه - كما وصفها الإمام زين العابدين(عليه السّلام)- لمْ تكن لتتصرف إلّا فيما يأمر به الشرع وتَحْتَ نظر الإمام(عليه السّلام).

فهُنا نهجان يسيران فى عرض بعضهما - وكلاهما تَحْتَ نظر ورعايه الإمام السجّاد(عليه السّلام)- بلا اختلاف وبلا تقاطع، بلْ كمال الوئام والتوافق، وبسبب ذلك السلوك الزينبى - أُسلوب الحرب الساخنه- اُضطر الوالى إلى إخراج زينب إلى مصر، كما فى تتمه الخبر الذى أوردناه، وهو: «فخطبت فيهم زينب(عليهاالسّلام) وصارت تؤلّبهم على القيام للأخذ بالثأر، فبلغ ذلك عمر بن سعيد، فكتب إلى يزيد يُعلمه الخبر، فكتب إليه: أنْ فرّق بينها وبينهم. فأمر أنْ يُنادى عليها بالخروج مِنْ المدينه والإقامه حَيْثُ تشاء، فقالت: قدْ علم الله ماصار

١- اُنظر: التسترى، محمد تقى، قاموس الرجال: ج١١، ص٤١.

إلينا، قتل خيّرنا، وسقنا كما تُساق الأنعام، وحُملنا على الأقتاب، فو الله، لا خرجنا وأنْ أَهريقت دماؤنا...»(۱).

وهذا يُشير إشاره قويه إلى الثوره والثأر، وضروره المطالبه بثأر الحسين(عليه السّلام) مِنْ أعدائه مهما كانت الظروف ومهما كلّف الأمر، كما قدْ كلّف زينب الخروج مِنْ المدينه.

نَعَمْ، قدْ تختلف الآليات فمرّه تكون الآليه باردة، ومرّه تكون ساخنه، بلْ إنَّه حسب ما تذكر القصه نفسها أنَّها رفضت الخروج لولا إلحاح الهاشميات، قال: «فأبت الخروج، ثمَّ اجتمع عليها نساء بنى هاشم وتلطفن معها فى الكلام، فاختارت مصر»(۲).

وفى هذا إشاره إلى أنَّ زينب(عليهاالسّلام)كانت مُصرّه على الاستمرار فِى الثوره لولا إلحاح الهاشميات، وكذلك يُشير إلى أنَّ حكومه بنى أُميَّه لَمْ تستطع مواجهه الثوره الزينبيه، إلَّا بالأساليب القذره فِى الضغط على بنى هاشم، وهذا أمر بالغ الأهميّه أغفله الكثير.

استمرار برنامج الثأر والثوره

قوله فى الزياره: «السلام عليك يا ثار الله وابن ثأره والوتر الموتور»(۳).

الثوره والثأر للإمام الحسين(عليه السّلام) مُستمر إلى يومنا هذا وإلى يوم الظهور وما بعده، بلْ حتّى فى الرجعه التى هى بَعْدَ الظهور، كما فى الدعاء: «فأخرجنى

۱- المصدر نفسه.

۲- الخطى، على محمد، وفيات الأئمه: ج۵، ص۴۶۵.

۳- المشهدى، محمد بن جعفر، المزار: ص۴۲۲. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۱۴، ص۴۹۱.

مِنْ قبری، مؤتزراً کفنی، شاهراً سیفی، مجرّداً قناتی، مُلبیاً دعوه الداعی»(۱).

وهذا یُشیر إلی أنَّ برنامج الثأر والثوره مُستمر.

وهو فرع التعصب لـذات المعصوم(علیه السّـلام)، فلیس التعصب مختصـاً بحیـاه المعصوم(علیه السّـلام)، بـلْ لمـا بَعْـدَ حیاه الإمام المعصوم، کمـا یظهر مِنْ قوله(علیه السّـلام): «لو أنَّ عبـداً زنجیـاً تعصّب لنـا...»، فیکون التعصب غیر مقیّـد بزمـان أو مکان ما دام یصبّ فی نصـرتهم ویضاف نسـبته إلیهم، وإذا کنّا نقول فی زیاره أبی الفضل(علیه السّلام): «اُنتهکت بقتلک حرمه الإسلام»(۲)، فکیف بک بمَنْ هو أعظم حرمهً وقدسیّهً مِنْ المعصومین؟! کالنّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وأهل البیت(علیهم السّلام) .

ما ورد فی الإذن والحثّ علی الأخذ بثأر الحسین(علیه السّلام)

قـال جعفر بن نمـا: ... فقـدْ رویت عَنْ والـدی أنَّه قال لهم مُحمَّد بن الحنفیه: قوموا بنا إلی إمامی وإمامکم علیّ بن الحسـین(علیه السّـلام)، فلمّـا دخل ودخلوا علیه، خبّره بخبرهم الـذی جاءوا لأجله، قال(علیه السّـلام): «یا عم، لو أنَّ عبـداً زنجیاً تعصّب لنا أهل البیت، لوجب علی الناس مؤازرته، وقدْ ولّیتُک هذا الأمر، فاصـنع ما شئت»(۳). فخرجوا، وقدْ سـمعوا کلامه وهم یقولون: أَذِنَ لنا زین العابدین(علیه السّلام) ومُحمَّد بن الحنفیه(۴).

۱- المصدر نفسه.

۲- المشهدی، محمد بن جعفر، المزار: ص۶۶۴. الکفعمی، إبراهیم، المصباح: ص ۵۵۱.

۳- الشهید الأوّل، محمد بن مکی، المزار: ص۱۷۷. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۹۸، ص۲۱۹.

۴- ابن نما ، محمد بن جعفر، ذوب النضار: ص۹۷. وعنه: المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴۵، ص۳۶۵.

وهذه الروايه وردتْ فِی جماعه کان لهم ارتیاب فی حرکه المختار، وکانوا قدْ سألوا مُحمَّد بن الحنفیه، فأجابهم، ثمَّ جاء بهم إلی الإمام زین العابدین(علیه السّلام) یسألونه، فالإمام(علیه السّلام) یُعطیهم ضابطه عامّه مُهمّه، وهی أنَّ التعصب لذات المعصوم(علیه السّلام)، مِنْ أعظم مواطن النصره التی لا تحتاج إلی ضمّ قرائن أُخری للثأر، وهذه الروایه مِنْ أهمِّ المستندات لقاعدتنا.

کذلک ما ورد عَنْ الإمام أبی عبد الله(علیه السّلام): «ما امتشطت فینا هاشمیه ولا اختضبت، حتّی بعث إلینا المختار برؤوس الذین قتلوا الحسین(علیه السّلام)»(۱).

کذلک ما ورد عَنْ الإمام الباقر(علیه السّلام): «لا تسبّوا المختار؛ فإنَّه قتل قَتَلتَنا، وطلب بثأرنا، وزوّج أراملنا، وقسّم فینا المال علی العُسره»(۲).

کذلک قول السجّاد(علیه السّلام): «الحمد لله الذی أدرک ثأری مِنْ أعدائی، وجزی الله المختار»(۳).

نلاحظ مِنْ الروایات أُموراً:

أوَّلاً: إنَّ الدعاء للمختار إشاره إلی أهمیّه وعظمه ما فعله المختار، مِنْ الثأر لأهل البیت(علیهم السّلام) .

ثانیاً: إنَّ دعاء الإمام(علیه السّلام) للمختار إشاره إلی ضروره تحمّل المؤمنین مسؤولیه الدفاع عَنْ ذات المعصوم(علیه السّلام) والتعصّب له، ولیس هو مُجرَّد وصف لحاله تأریخیه وقعت، بلْ هو رسم لمنهاج عمل، ودعوه للمؤمنین للسیر فی ذلک الطریق؛ لأنَّ لازم الدعاء هو کون ما أتی به المختار علی السنن الشرعیّه

۱- الطوسی، محمد بن الحسن، اختیار معرفه الرجال: ج۱، ص۳۴۱.

۲- المصدر نفسه.

۳- المصدر نفسه.

والمنهاج الدينى اللازم الأخذ به، ويُشير إلى أهميّه ما فعله المختار بالتعصب لأهل البيت(عليهم السّلام) ، وهو بالتالى دعوه للسير فى مسيره طلب الثأر للحسين(عليه السّلام) مِنْ أعدائه.

ثالثاً: إنَّه قدْ استُفيض فى الزيارات للحسين(عليه السّلام)، ولعموم أهل البيت(عليهم السّلام) الحثّ على توطين النفس، والعزم على الأخذ بثأرهم، وطلب وترهم كتعاليم مكرره لترسيخها لدى المؤمن الزائر لمراقدهم.

طلب الثأر لآل مُحمَّد(صلّى الله عليه و آله وسلّم)

ورد فى دعاء النُّدبه: «أين الطالب بدم المقتول بكربلاء؟»(1)، مِنْ شعارات مشروع الحجّه هو (طلب الثأر لآل مُحمَّد(صلّى الله عليه و آله وسلّم)).

عَنْ عبد الله بن القاسم البطل، عَنْ أبى عبد الله(عليه السّلام) فى تفسير قوله تعالى: {بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيد فَجَاسُواْ خِلَالَ الدِّيَار}(2)، قال: «قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم، لا يدعون وتراً لآل مُحمَّد إلّا قتلوه، وكان وعداً مفعولاً»(3)، وتقريب دلالله الروايه: أنَّ ما تقوم به تلك الجماعه المؤمنه هو مِنْ الأغراض الدينيّه والشرعيّه البالغه الأهميّه؛ ومِنْ ثمّ كان لسان الروايه المدح لهم، وقدْ ذكر فى صدر الروايه قَتْلَ أمير المؤمنين(عليه السّلام)، وطعن الحسن والحسين(عليهماالسّلام).

١- المشهدى، محمد بن جعفر، المزار: ص٥٧٩. ابن طاووس، على بن موسى، إقبال الأعمال: ص٥٠٩.

٢- الإسراء: آيه٥.

٣- الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج٨، ص٢٠٦. الحلى، حسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات: ص٤٨.

وهُناك روايات أُخرى تُشير إلى نفس المضمون الذى أوردناه أعلاه: «ونزول أربعه آلاف ملك لنصرته فوجدوه قدْ قُتل، فهم عِنْدَ قبره شعث غبر، إلى أنْ يقوم القائم فيكونون مِنْ أنصاره وشعارهم: يا لثارات الحسين»(۱)، وكذلك عَنْ الصادق(عليه السّلام) فى وصف أصحاب الحجّه: «ويتمنّون أنْ يُقتلوا فى سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحسين(عليه السّلام). إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيره شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصر الله إمام الحق»(۲)، وكذلك ما رواه المشهدى فى أحد زيارات الإمام «السلام على الإمام العالم الغائب عن الأبصار، والحاضر فى الأمصار، الغائب عن العيون، الحاضر فى الأفكار، بقيه الأخبار، الوارث ذا الفقار، الذى يظهر فى بيت الله ذى الأستار، الذى ينادى بشعار يا لثارات الحسين، أين الطالب بالأوتار؟»(۳).

القسم الثامن: الجهاد المواساتى

اشاره

من أقسام الجهاد (الجهاد للمواساه) وهو يغاير الجهاد؛ لأجل الدفاع أو الدعوه، حيث إنَّ غايته ليس حصول الدفاع والنجاه، ولا الدعوه واستجابه الطرف والخصم، بل مواساه المعصوم(عليه السّلام) فى القتل والقتال، فهو وإنْ تحقق منه التحامى والذبّ والدفع، لكنّه لا يصل إلى نتيجه إنقاذ حياه المعصوم(عليه السّلام)، كما هو الحال فى مشهد كربلاء، سواء بلحاظ ليله العاشر عندما أعطاهم الرخصه وأَذِن لهم الحسين(عليه السّلام) فى الذهاب، عندما بانَ انقطاع المدد للنصر، أو بلحاظ

۱- الصدوق، محمد بن على، عيون أخبار الرضا: ج۱، ص۲۶۸. الصدوق، محمد بن على، الأمالى: ص۱۹۲. المشهدى، محمد بن جعفر، المزار: ص۳۲۸.

۲- المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۳۰۸.

۳- المشهدى، محمد بن جعفر، المزار: ص۱۰۷.

وسط المعركه نهار العاشر، فإن قتال الأصحاب وأهل البيت(عليهم السّلام) عنه لم يكن إلّا مواساةً له فی القتل کما ورد ذلک، لاسیّما فی أبی الفضل العباس(علیه السّلام).

وهذا القسم - الثامن- متفرّع عن القسم السابع من أقسام الجهاد، وهو قسم آخر؛ لأنَّه وإن کان یتفق من حیث الموضوع مع القسم السابع، إلّا أنّه قسم مستقل برأسه، وهو عباره عن الجهاد الذی یکون من أجل ذات المعصوم(علیه السّلام) فی حیاته، بلا رجاء إنقاذ حیاته، بل للمواساه فقط.

والجهاد الذی مرّ سابقاً بغضّ النظر عن حیاه المعصوم(علیه السّلام)، بل هو یدافع عن مقام الذات المُقدّسه وعن کلّ ما یتصل بها من شؤونات وحیثیات، وبعباره أُخری: إنَّ الدفاع من أجل ِ ذات المعصوم(علیه السّلام) فی حیاه المعصوم(علیه السّلام) یکون لأجل إنقاذ حیاه المعصوم(علیه السّلام). أمّا مع الیقین بالمصیر المحتوم للمعصوم(علیه السّلام) - بقطع النظر عن فکره الإیمان بالبداء- یکون القتال لأجل جهه أُخری غیر الجهه التی ینزع إلیها فکر الأفراد العادیین، وهی جهه المواساه. فکما یکون الجود بالمال کذلک یکون بالنفس، والجود بالنفس أقصی غایه الجود، وکذلک المواساه قد تکون بالمال، أو بالجاه، أو بالنفس، وهی أعلی وأنبل أنواع المواساه.

وقد یستغرب بعضٌ من هذا العنوان؛ لعدم وجوده فی البحوث الفقهیّه، أو فی الثقافه الفقهیّه لدی المتشرّعه، بل إنَّ بعضٌ یرفض وجود هکذا قسم، وعلی أحسن الأحوال یرجعه للقسم السابق - الجهاد تعصباً لذات المعصوم(علیه السّلام)- وکیف کان، فنحن سنحاول أن نُشیر إلی وجود هذا العنوان فی جمله التراث الحدیثی والروائی، وفی ارتکاز المتشرّعه، وفی الثقافه الفقهیّه الجهادیّه العامّه التی کانت فی زمن المعصوم(علیه السّلام)، والتی أصبحت نسیاً منسیّاً - هذا الیوم-

كما أنّا سنحاول إيجاد الفرق بين هذا القسم والقسم السابق، وأنّ هناك تغايراً بين القسمين:

أوّلاً: التغاير الثبوتی (الماهوی)

يمكن القول: إنّ عنوان الجهاد المواساتی مغاير لعنوان الجهاد الذی من أجل ذات المعصوم(عليه السّلام)، من جهه أنّه خاص بحياه المعصوم(عليه السّلام)، وليس دفاعاً عن مطلق مقام ذات المعصوم(عليه السّلام) كالقسم السابق.

ومن جهه أُخری، هو لا يبتغی من حيث الغايه الحفاظ علی حياه المعصوم(عليه السّلام)، بعد يقينه بشهاده المعصوم(عليه السّلام) وشهادته، ولكنّه يقاتل ويُقتل مواساه مع المعصوم(عليه السّلام).

ثانياً: التغاير الإثباتی

اشاره

هناك شواهد عديده فی معركه الطفّ تُشير إلی أنّ جهاد المواساه مرتكز من حيث الثقافه العامّه، وكان مقرراً، لكنّه من حيث الظهور الجلی - بَلوَره- لم يظهر بصورته الواضحه إلاّ فی ساحه الطفّ، حيث كان أصحاب الحسين(عليه السّلام) يتسابقون للشهاده بين يديه مع يقينهم بشهادته(عليه السّلام) وشهادتهم.

فهذا حبيب بن مظاهر الأسدی يقول لمسلم بن عوسجه - حين صُرِع-: «عزَّ علیَّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنه». فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: «بشّرك الله بخير». فقال له حبيب: «لولا أعلم أنّی فی الأثر، لأحببت أن توصينی بكلِّ ما أهمّك».

فقال مسلم: «فإنّی أُوصيك بهذا وأشار بيده نحو الحسين(عليه السّلام)، فقاتل دونه حتی تموت»(۱).

۱- المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴۵، ص ۲۰.

والحسین(علیه السّلام) مشی إلی مسلم قبل حبیب، وهو یؤکد هذا المعنی بقوله(علیه السّلام): «رحمک ربّک یا مسلم بن عوسجه، فمنهم مَن قضی نحبه ومنهم مَن ینتظر وما بدلوا تبدیلاً»(۱).

وقد کان من قبلُ یقول لحبیب(رض): «حسبک یا أخا أسد، فقد قضی القضاء وجفَّ القلم، والله بالغ أمره، والله، إنِّی لأشوق إلی جدّی وأبی وأخی وأسلافی من یعقوب إلی یوسف وأخیه، ولی مصرع أنا لاقیه»(۲).

وحبیب یُبیّن معنی جهاد المواساه بشکل واضح وجلی حین یخاطب الإمام(علیه السّلام) قائلاً: «یا أبا عبد الله، نفسی لک الفداء، إنِّی أری هؤلاء قد اقتربوا منک، ولا والله، لا تُقتل حتی أُقتل دونک إن شاء الله، وأحبُّ أنْ ألقی ربی وقد صلّیت هذه الصلاه التی قد دنا وقتها»(۳).

بل إنَّ ارتکاز باب ومنهاج المواساه - العظیمه- کانت حتی عند أُمِّ وهب النصرانی، حیث جاء فی الإرشاد: «فأخذت أُمُّ وهب امرأته عموداً، ثمَّ أقبلت نحو زوجها تقول له: فداک أبی وأُمّی، قاتل دون الطیبین ذریه محمَّد، فأقبل إلیها یردها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه، ثمَّ قالت: إنّی لن أدعک دون أن أموت معک»(۴) ، فهنا نری أُمَّ وهب تحثّ أبا وهب علی مواساه الحسین(علیه السّلام) بنفسه، وتوطّن نفسها علی مواساه زوجها؛ لأنَّه یواسی ذریه محمّد(صلّی الله علیه و آله وسلّم).

۱- المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴۵، ص۲۰.

۲- الخوارزمی، محمد بن أحمد، مقتل الحسین: ص۲۰۹.

۳- الطبری، محمد بن جریر، تاریخ الأُمم والملوک: ج۴، ص۳۳۴.

۴- المصدر نفسه.

والأخرى التى أخذت عمود الخيمه وهى تقول:

أنا عجوز فى النسا ضعيفه

أضربكم بضربه عنيفه

باليه خاويه نحيفه

دون بنى فاطمه الشريفه(۱)

وفى رجز الحجاج الجعفى (رض) حين برز يتضح المعنى أكثر من جواب الحسين(عليه السّلام) له، قال الحجاج الجعفى (رض):

فدتك نفسى هادياً مهدياً

ثمَّ أباك ذا الندا عليا

اليوم ألقى جدّك النبيا

ذاك الذى نعرفه الوصيا

فقال له الحسين(عليه السّلام): «نَعم، وأنا ألقاهما على أثرك»(۲) . فرجع يُقاتل حتّى قُتل (رض).

كذلك الطبرى حينما يروى قصه الغفاريين لم يغفل عن مفهوم المواساه حيث قال: «فلمَّا رأى أصحاب الحسين أنَّهم قد كُثروا، وأنَّهم لا يقدرون على أنْ يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم تنافسوا أن يُقتلوا بين يديه»(۳).

وأوضح الشواهد رثاء الإمام الحجه فى الزياره المعروفه بزياره الناحيه المُقدّسه؛ حيث رثى أصحاب الحسين(عليه السّلام) واحداً بعد واحد، مشيراً إلى مفهوم (الجهاد المواساتى).

قال: «السلام على مسلم بن عوسجه الأسدى، القائل للحسين - وقد أَذِن له فى الانصراف-: أنحن نُخلى عنك؟! وبمَ نعتذر عند الله من أداء

۱- الخوارزمى، محمد بن أحمد، مقتل الحسين: ص۲۲۸.

۲- الأمين، محسن، أعيان الشيعه: ج۴، ص۵۶۸.

۳- الطبرى، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج۴، ص۳۳۷.

حقک؟! لا والله، حتّی أکسر فی صدورهم رمحی هذا، وأضربهم بسیفی ما ثبت قائمه فی یدی ولا أفارقک، ولو لم یکن معی سلاح أُقاتلهم به لقذفتهم بالحجاره، ولم أُفارقک حتی أموت معک، وکنتُ أوَّل مَن شری نفسه، وأوَّل شهید شهد الله، وقضی نحبه، ففزت وربِّ الکعبه. شکر الله استقدامک، ومواساتک إمامک؛ إذ مشی إلیک وأنت صریع، فقال: یرحمک الله یا مسلم بن عوسجه، وقرأ: فمنهم مَن قضی نحبه ومنهم مَن ینتظر وما بدلو تبدیلاً»(۱).

کذلک فی سلامه علی سعد الحنفی (رض): «السلام علی سعد بن عبد الله الحنفی، القائل للحسین - وقد أَذِن له فی الانصراف-: لا والله، لا نخلیک حتی یعلم الله أن قد حفظنا غیبه رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، والله، لو أعلم أنّی أُقتل، ثمَّ أُحیا، ثمَّ أُحرق، ثمَّ أُذری، ویُفعل ذلک بی سبعین مرّهً، ما فارقتک حتی ألقی حِمامی دونک، وکیف أفعل ذلک؟ وإنّما هی موته أو قتله واحده. ثمَّ هی بعدها الکرامه التی لا انقضاء لها أبداً. فقد لقیت حِمامک، وواسیت إمامک، ولقیت من الله الکرامه فی المقامه، حشرنا الله معکم فی المستشهدین، ورزقنا مرافقتکم فی أعلی علّیین»(۲).

أعظم المواساه مواساه أبی الفضل(علیه السّلام)

وبما تقدّم تتضح عظمه الشهاده بجهاد المواساه التی شهدها المعصوم(علیه السّلام) لأبی الفضل(علیه السّلام)؛ فقد ورد معنی المواساه فی زیاره أبی الفضل(علیه السّلام) التی رواها - بسند معتبر- أبو حمزه الثمالی عن الإمام الصادق(علیه السّلام)، قال: «...أشهد لک بالتسلیم والتصدیق، والوفاء والنصیحه لخلف النّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)...

۱- المشهدی، محمد بن جعفر، المزار: ص۴۹۲.

۲- المصدر نفسه.

أشهد لقد نصحت لله ولرسوله، فنِعم الأخ المواسى»(۱).

فما معنى المواساه التى كانت عند أبى الفضل(عليه السّلام) التى يشهد بها المعصوم(عليه السّلام)؟! كما أنَّه يشهد له بالتسليم والتصديق، والوفاء والنصيحه، فالإمام الصادق يشهد بأن أحد أوصاف أبى الفضل هو بذله لنفسه مواساةً لأخيه الحسين، فما هو هذا المعنى العظيم الذى يُسجل المعصوم شهاده له عند الله وهو عنوان وباب المواساه.

۱- المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص۱۲۱. المشهدى، محمد بن جعفر، المزار: ص۱۷۷.

جهاد بلا دم

إنَّ الآليه التى اتّفق عليها جميع الفُقهاء - ولم يُشكك فيها أحد منهم- هى قاعده (إعداد القوه). واستُدلَّ لهذه القاعده بقوله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ الله يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ الله يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُون}(۱). فهُنا نرى الآيه الكريمه تُبيِّن لنا أنَّ قاعده الإعداد مُطلقه عَنْ الزمان وعن المكان، ولم تخصّص بفرد أو مجتمع، أو رئيس أو مرؤوس، أو شاب أو شيخ، رجل أو امرأه، كُلّ بحسبه تَحْتَ ضابطه: «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عَنْ رعيته»(۲). وهى ضابطه نفيسه مِنْ جوامع الكلم، حيث تُبيِّن أنَّ الجميع راعٍ، والآيه الكريمه أيضاً لمْ تخصّص القوه بنوع معين مِنْ السلاح، بلْ إعداد مُطلق القوه، والمساعده على ذلك الإعداد العالى بالجهد والمال، وبكلِّ أنواع الطاقات والقُدرات، ففى ذلك سعاده وعزَّه، وأمن وأمان للمؤمنين، كما أنَّ الآيه الكريمه تُبيِّن أنَّ ذلك يجعل عدو الله وعدوكم فى خوف ورعب منكم، بلْ حتّى بعض الأعداء الذين أنتم فى غفلهٍ عنهم - ولعلَّهم يعيشون

۱- الأنفال: آيه ۶۰.

۲- المجلسى، محمد تقى، روضه المُتقين: ج۵، ص۵۱۵. البخارى، محمد بن مسلم، صحيح البخارى ج۶، ص۱۴۶.

بينكم أيضاً- تدخلهم الرهبه وتحققون الانتصارات الداخليه والخارجيه بمُجرَّد إعداد القوه والاستعداد واليقظه؛ لأنَّ العدو الداخلى لا يواجَه بالسلاح، وإنَّما باليقظه والحسّ الاستخبارى العالى والحيطه والحذر وعدم التهاون والضعف.

ونفس هذا المنطق (منطق أعدّوا) موجود فى كثير مِنْ مضامين الآيات والروايات، بلْ هو عرف عقلائى ومنطق إنسانى موجود فى كُلّ الدول والمجتمعات، ويقرُّ به جميع العُقلاء، وهى آليه أمنيّه نظيفه توفِّر الحمايه والدفاع بلا دم.

سلاح السلام لا الاستسلام

وهذا المُقدار المُتّفق عليه دينيّاً وشرعيّاً وعقلائيّاً، العدو يرفضه ويتهموننا بالأوباشيه، ويحاولون قصّ أظافرنا وأجنحتنا بحجّه أنَّها مخالب عدوانيّه، نقول لهم: إنَّها ليست للعدوان؛ بلْ للدفاع عَنْ أنفسنا، نُريد حمايه أنفسنا، لمْ ولَنْ نبدأ الآخرين بعدوان، هذا هو منطق ديننا ومنطق قادتنا المعصومين(عليهم السّلام) ولكن أنتم الذين بدأتم الحرب وأججتم نار الفتنه فى مجتمعنا.

مَنْ الذى أجج الحرب العالميه الأُولى والثانيه وغيرهما. بلْ كذلك هم يكرهون حتّى تديننا لأئمتنا ومواساتنا لهم، كذلك هُم يُعبّرون عَنْ شعائرنا بأنَّها صراخ وضجيج وإرهاب، ولسان حالهم لسان حال أسلافهم، قال تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}(1). شعاراتنا هى إرخاص النفوس واسترخاص الموت لأجل ديننا ومذهبنا وقادتنا

١- البقره: آيه ١٢٠.

المعصومين(عليهم السّلام) ، وليس الخلود للدنيا وحربهم مفتوحه ضدّ ديننا وضدّ شعائرنا بالإعلام والشعارات، بَلْ يتّهمنا بَعْض المحسوبين علينا بأنَّ بعض الشعائر توهن المذهب. نَعَمْ، هى توهِن مذهب الدنيويين الوادعين الفاكهين، والمُهم فى هذا الكلام أنَّنا إذا تركنا هذه المرتبه والنوع مِنْ الدفاع مِنْ إعداد القوه والقُدره، فَلَنْ تقوم لنا قائمه ولَنْ نُتارك.

ص: ۳۸۴

وليس مِنْ مستحبات الشَّريعه

اشاره

الـدين مِنْ الأُـمور ذات المراتب، فهُناك مرتبه العقائـد وهى أعلى مراتب الـدين، ثمَّ تأتى مرتبه الأخلاق، ثمَّ مرتبه فروع الـدين، كما بيَّنها الحديث النَّبوى الذى هو مِنْ جوامع الكلم، فعن النَّبى(صـلّى الله عليه و آله وسلّم): «العلم ثلاثه: آيه مُحكمه، أو فريضه عادله، أو سنّه قائمه...»(۱). ومِنْ الواضـح أنَّ هـذه المراتب رُتّبت مِنْ حيث الأهميّه؛ وبالتالى يكون الواجب فى كُلّ مرتبه أوجب مِنْ الواجب فى المرتبه الأُـخرى، فمثلاً: الصـلاه ركن مِنْ أهمِّ أركـان فروع الـدين، لكن لا تقـاس بواجب رُكنى اعتقادى رغم ركنيتها، فضلاً عَنْ أنْ تُقاس بأصل مِنْ أُصول الاعتقاد كالولايه.

وهذا ما تُبيّنه الآيات والأحاديث الشريفه فى مواطن عديده، منها:

۱. قوله تعـالى: {وَمَا كَانَ صَـلاَتُهُمْ عِنـدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْـدِيَةً فَـذُوقُواْ الْعَـذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُون}(۲). فالصـلاه رغم عظمتها حالها بـدون ولايه الله ورسوله وأُولى الأمر حركات ضوضائيه كالتصـفيق والصـفير، وهـذه الصـلاه مُكاء وتصـديه حتّى لو كانت بزعم ولايه الله وحده دون نبيّه وأهل بيته(عليهم السّلام) ؛

۱- المجلسى، محمد تقى، روضه المتقين: ج۱۲، ص۱۵۸. ابن قدامه، عبد الله، المغنى: ج۷، ص۲.

۲- الأنفال: آيه۳۵.

ولـذلك رغم أنّهم يؤمنون بـالله، أى: يقرّون بالشـهاده الأولى ولا يقرّون بالشـهاده الثانيه للرسول، يَعِدّ ويعتبر الله سُبْحَانَهُ وتعالى طـوافهم وحجّهـم وعبـادتهم وتقربّهـم إليـه بُعـداً عنـه ونجـاسه، ينبغى إزالتهـا وإبعادهـا عَنْ المسـجد الحرام، قـال تعـالى: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}(۱).

فتحصّـل: إنَّ الولاـيه ركنٌ، والأُصول والصـلاه ركنٌ الفروع، والركن الفرعى متقوّم بالركن الأُصولى (الاعتقادى)، ولا ينفع الفرع بلا أصل يقوّمه.

۲. والولايه التى لمْ يُنادَ بشىء كما نُودى بها... لها وجه وعنوان آخر وهو المودّه (مودّه الله ورسوله وأهل بيته(صلّى الله عليه و آله وسلّم)). (وقدْ عظّم الله سُبْحَانَهُ وتعالى فى القُرآن المودّه، حيث قال تعالى: {قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبَى}(۲). فجعـل أجر الرساله - بل الرساله كُلّها- فى هـذه المودّه، كما فى آيه أُخرى أيضاً؛ حَيْثُ ربطت الولايه بالرساله، حَيْثُ كانت هى الرسـاله، قـال تعـالى: {يَـا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}(۳). فـإذا كانت المودّه أجر الرساله، وإذا كانت المودّه وكُلّ المودّه تجعل فى ذى القربى، أى: لا مودّه إلّا مودّتهم، فلا آباء ولا أبناء، ولاـ زوجه ولاـ بيت ولا أىّ عنوان دنيوى إلّا عنوان مودّتهم؛ لـذلك نادى المعصوم(عليه السّلام): «بأبى أنت وأُمّى يا بن رسول الله»(۴)، بلْ ولا حتّى مودّه الصلاه

۱- التوبه: آيه۲۸.

۲- الشورى: آيه۲۳.

۳- المائده: آيه۶۷.

۴- الطوسى، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص۷۸۹.

تعدل مودتهم، وإذا كنت تودّ الصلاه وتحبّ الصلاه دون مودّتهم، عملك باطل وحبّك عاطل.

۳. والمودّه لها أشكال مُخْتلِفه وممارسات منها: تعظيم شعائرهم والتى عظّمها الله فى القُرآن {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب}(۱). ومنها: تعاهد قبورهم بالزياره والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم؛ ولذلك قضيه مودّتهم وولايتهم والبراءه مِنْ أعدائهم قضيه لا تقبل المزايده، وكذلك تعميق تلك المودّه بالأشكال المختلفه أيضاً، وهو أمر لا يقبل المزايده.

ومِنْ العجيب أنَّ بعضاً مِنْ أوساطنا الشيعيّه مَنْ يقول: إنَّ أىّ شىء يمسّ حجاب المرأه ولو مِنْ بعيد مرفوض ولا تُقاس به الزياره؛ لأنَّها مستحبه، وهذا خلط وخبط وعدم تمييز ومعرفه بمراتب الدين، فأيُّهما هو المُستحبّ وأيُّهما هو الواجب؟! بلْ الزياره تتضمن عِدَّه واجبات كفائيه، وأُخرى واجبات عينيّه مِنْها: ترويج الدين وإرشاد وتعاهد المؤمن لولايه أهل البيت(عليهم السّلام) ، وعماره المُقدّسات، وغيرها مِنْ العناوين الواجبه المُنطبقه.

نَعمْ، الزياره على المستوى الفردى كعمل فردى مستحبه، ولكن إذا كان عنوان الزياره عنواناً لتعاهد الدين وعنواناً لتعظيم الشعائر، وعنواناً للمودّه التى جُعلت أجراً للرساله، فلا يُقاس بها مِنْ هذه الناحيه فرع مِنْ فرع الدين لا حجاب ولا صلاه.

۴. لا ـ بُدَّ مِنْ ضابطه لِمَنْ يُريد أنْ يتكلّم حول نقد الشعائر حتّى لا ـ يصبح خلطاً وخبطاً، وتخبّطاً يولّد اشتباهات لدى عامّه المُكلَّفين، والضابطه هى كما بيّناها مُلخصها: (إنَّ مودّه أهل البيت وولايتهم(عليهم السّلام) والبراءه مِنْ

۱- الحج: آيه۳۲.

أعـدائهم مِنْ أصول الـدين، ويجب حفظها وتعاهـدها؛ لأنَّ حفظها هو حفظ لإيمان المؤمن، وبدونها لا تنفع صـلاه ولا صوم، ولا أىّ فرع مِنْ فروع الدين مِنْ الأركان أو الواجبات فضلاً عَنْ المُستحبات).

۵. تُبيِّن أنَّ موقعيه مودّه أهـل البيت(عليهم السّـلام) مِنْ حيث كونهـا أجراً لكلِّ الرساله، ومَنْ لمْ يُعطِ أجيراً أُجرته فهو ملعون عِنْدَ الله ورسوله، كما فى حـديث النَّبى(صـلّى الله عليه و آله وسـلّم): «أَلا مَنْ عقّ والديه فلعنه الله عليه، أَلا مَنْ أبقَ مِنْ مواليه فلعنه الله عليـه، أَلاـ مَـنْ ظلم أجيراً أُجرته فلعنه الله عليه ...»(۱)، فينبغى أنْ يكون الـدفاع عَنْ هـذه المودّه بمُقْدار وحجم تلـك المودّه فى الدين وفى الحديث: «مَنْ مات دون ماله فهو شهيد»(۲). وبما أنَّ المودّه فيها حفظ الـدين فيكون فى الدفاع عَنْ المُقدّسات حفظ الدين والشهاده فى سبيله أعظم شهاده.

بِشَارَهٌ وَنذارهٌ

ورد فى الروايه عَنْ يعقوب بن السـرّاج، قـال: «قُلْتُ لأَبِى عَبْـدِ الله(عليه السّـلام): مَتَى فَرَجُ شِـيعَتِكُمْ؟ قَـالَ: فَقَـالَ: إِذَا اخْتَلَفَ وُلْدُ الْعَبَّاسِ، ووَهَى سُـلْطَانُهُمْ، وطَمِـعَ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَطْمَـعُ فِيهِمْ، وخَلَعَتِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَـا، ورَفَعَ كُـلُّ ذِى صِيصِـيَهٍ صِيصِـيَتَه، وظَهَرَ الشَّامِيُّ، وأَقْبَلَ الْيَمَانِيُّ، وتَحَرَّكَ الْحَسَنِيُّ...»(۳). والروايه هُنا تُشير إلى بشاره؛ لأنَّها تُبشّر الشيعه عِنْدَ اختلاف بنى العباس وضعف سلطانهم، وتُبيِّن أنَّ الناس تتّجه نحو الإسـلام وبالخصوص نحو نهج أهل البيت(عليهم السّلام) كما فى روايات أُخرى، ولكن هى تُعطى نذاره مِنْ جهه

۱- المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ۴۰، ص۴۵.

۲- الطبرانى، سليمان بن أحمد، المُعجم الأوسط: ج۸، ص۹۳.

۳- المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۵۲، ص۳۰۱.

أَخرى؛ لأنَّ أبواب الشرّ ستُفتح على مصراعيها، وينبغى مِنْ هذه الناحيه على الجميع تحمّل كامل المسؤوليه فى مواجهتها، بعدم ترك الاستعداد، ولا قطع استمراره والمواجهه بمختلف الطُّرق وبكُلّ الإمكانات، بجهود مُتضافره ومُتعاضده. وتؤكِّد مِنْ جديد أهميّه الوقايه، فالوقايه خير مِنْ العلاج؛ لأنَّها دائماً أسهل وأقلّ مؤنه، ولا بدَّ أنْ يكون زمام المُبادره بَيْدَ المؤمنين الواعين الحركيين، وعلى الجميع التضافر لأجل جعل القياده بأيديهم، لا بأيادى غَير المؤمنين.

ص: ٣٨٩

الأرض المُقدَّسه

قال تعالى: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَهَ الَّتِى كَتَبَ الله لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِين * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُون * قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين * قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون * قَالَ رَبِّ إِنِّى لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِى وَأَخِى فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِين * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَهٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَهً يَتِيهُونَ فِى الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِين}(۱).

فهُنا دعوه مِنْ القُرآن على لسان موسى بدخول الأرض المُقدَّسه التى كتب الله لهم دخلوها، فعن أبى بصير عَنْ أحدهما: «إنَّ رأس المهدى - العباسى- يُهدى إلى موسى بن عيسى على طبق. قلت: فقدْ مات هذا وهذا؟ قال: فقدْ قال الله: {أُدخلوا الأرض المُقدَّسه الَّتِى كتب الله لكم}، فلم يدخلوها، ودخلها الأبناء. أو قال: أبناء الأبناء»(۲).

وكذلك عَنْ حريز، عَنْ بعض أصحابه، عَنْ أبى جعفر(عليه السّلام)، قال: قال

۱- المائده: آيه ۲۱-۲۶.

۲- المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۱۳، ص۱۷۹.

رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «والذى نفسى بيده، لتركبنّ سُنن مَنْ كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذّه بالقذّه، حتّى لا تُخطئون طريقهم، ولا يُخطئكم سُنّه بنى إسرائيل. ثمَّ قال أبو جعفر(عليه السّلام): قال موسى لقومه: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَهَ الَّتِى كَتَبَ الله لَكُمْ}. فردّوا عليه، وكانوا ستمائه ألف، ف-{ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُون* قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا} (أحدهما يوشع بن نون والآخر كالب بن يافنا). قال: وهُما ابنا عمّه، فقال: {ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ}... إلى قوله: {إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون}. قال: فعصى أربعون ألفاً، وسلم هارون وابناه، ويوشع بن نون، وكالب بن يافنا. فسمّاهم الله فاسقين، فقال: {لاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِين}. فتاهوا أربعين سنه؛ لأنّهم عصوا، فكان حذوا النعل بالنعل.

إنَّ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) لمّا قُبض لمْ يكن على أمر الله إلّا عليّ والحسن والحسين، وسلمان والمقداد وأبو ذر، فمكثوا أربعين سنه(۱) حتّى قام على(عليه السّلام) فقاتل مِنْ خالفه»(۲).

عَنْ مسعده بن صدقه، عَنْ أبى عبد الله(عليه السّلام): «إنَّه سُئل عَنْ قوله تعالى: {ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَهَ الَّتِى كَتَبَ الله لَكُمْ}، قال: كتبها لهم ثمَّ محاها، ثمَّ كتبها لأبنائهم فدخلوها، والله يمحو ما يشاء ويُثبت وعنده أُمُّ الكتاب»(۳).

۱- هُنا يُعلّق صاحب البحار على الأربعين سنه: «ولعلَّه(عليه السّلام) حَسَبَ الأربعين مِنْ زمان إظهار النَّبى خلافه أمير المؤمنين(عليه السّلام)، وإنكار المُنافقين ذلك بقلوبهم حتّى أظهروه بعْدَ وفاته(صلّى الله عليه و آله وسلّم)». المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۱۳، ص ۱۸۰.

۲- المصدر نفسه.

۳- المصدر نفسه: ص ۱۸۱.

والإشارات القُرآنيه واضحه بضروره دخول المؤمنين الأرض المُقدَّسه، وبالتالى ضروره إخراج الكفّار والفُسّاق والمنحرفين منها، وإلّا سيكون المؤمن الذى كتب الله له أنْ يدخُل الأرض، هو الفاسق وسيشمله عنوان الفسق، فهو تعالى يمحو ما يشاء ويُثبت: {يَمْحُو الله ما يشاء ويُثْبِتُ وعِندَهُ أُمُّ الْكِتَاب}(۱)، وهو تعالى لا يغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم: {إنَّ الله لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(۲)، فإنَّ الأرض المُقدَّسه - كما يقول الإمام فى الروايه الأخيره عَنْ مسعده بن صدقه- كتبها الله لهم، ثمَّ محاها عنهم، ثمَّ كتبها للأبناء فدخلوها، والروايه التى قبل الأخير تُخبر أنَّ الأُمّه ابتُليت بَعْدَ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) بنصره البيوت المُقدَّسه، فلم يستجيبوا، فتاهوا أربعين سنه.

وسنُبتلى بمثلها إنْ تخاذلنا؛ لأنَّ دخول الأراضى المُقدَّسه فَرْضٌ عينى على كُلّ المؤمنين، وليست القضيه مختصّه بزمن النَّبى موسى(عليه السّلام)، وهذا ما أراد الإمام الإشاره إليه، حيث أرود حديث النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «لتركبُنّ سنن مَنْ كان قبلكم حذوا النعل بالنعل والقذّه بالقذّه». وطبّقه على قول القُرآن: {ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَهَ}. وأكّد أنَّ الأُمّه تتخاذل عَنْ علىّ(عليه السّلام) ولا تنصره، فيصيبها الله بالتيه أربعين سنه، وما دامت سنّه إلهيه فى كُلّ الأُمم السابقه، فينبغى بنا أنْ نعى خطوره ما يجرى وعظم المسؤوليه المُلقاه على عواتقنا، وإلّا فسوف نُبتلى بالتيه أربعين عاماً، ونكون مِنْ المؤخرين للظهور ولسنا المُعجلين.

۱- الرعد: آيه۳۹.

۲- الرعد: آيه۱۱.

نتائج مهمّه من الآیات المُتقدّمه

اشاره

۱. الآیات الکریمه تُبیِّن أنَّ جمله مِنْ الفروض المرتبطه بالأراضی المُقدَّسه والتی مِنْ أعظمها - بالإضافه إلی الحرمین الشریفین المکّی والمدنی- مراقد أهل البیت(علیهم السّلام) ، أهل آیه التطهیر، وهی قبر علیّ وفاطمه وأئمه البقیع، والکاظمین والرضا، والعسکریین(علیهم السّلام) ، بنصوص عِدَّه مِنْ آیات القُرآن والأحادیث النبویه کما سیأتی، والفروض هی:

الفرض الأوَّل: تحریر هذه الأراضی المُقدَّسه مِنْ تسلُّط الظالمین والعُتاه الجبّارین.

الفرض الثانی: عماره هذه الأراضی بالتواجد فیها والمجاوره لها، وبزیارتها وبقیه أنحاء العِماره.

وسیأتی أنَّ الجوار للمراقد المُقدَّسه مِنْ الجهاد کما ورد فی الروایه.

الفرض الثالث: الاهتداء والاستبصار بهذه الأراضی المُقدَّسه، بالوفود علیها والاستغفار، وعباده الله فیها؛ فإنَّها أبواب الآخره کما فی قوله تعالی: {فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَیُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ}(۱)، وورد فی ذیلها الآیه مِنْ طریق الفریقین أنَّها بیوت الأنبیاء، بیوت النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، وأنَّ مِنْ أفاضلها بیت علیّ وفاطمه(علیهاالسّلام).

فلاحظ: تعلیل الأمر فی الآیه {ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَهَ} ب- {الَّتِی کَتَبَ

۱- النور: آیه۳۶.

الله لَكَمْ}، فكما كتب الصلاه والصيام والجهاد، فقدْ كتب دخول وإحياء وتعظيم وعماره الأراضى المُقدَّسه والعباده فيها.

٢. إنَّ عدم القيام بهذه الفروض المُرتبطه بالأراضى المُقدَّسه ارتداد على الأدبار: {وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ}، وإنَّه خُسران: {فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِين}، فيتبدّل حالهم إلى الخُسران.

٣. إنَّ هذه الفروض لو توقّفت على القتال، فاللازم القيام به {فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا}، {فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ}.

٤. إنَّ عصيان هذه الفروض يندرج العاصى فى عنوان الفاسقين {فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِين}، {فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِين}.

٥. إنَّ الإعراض عَنْ الأراضى المُقدَّسه وعَنْ حمايتها وعَنْ التوافد إليها؛ يُسبب التيه والضلال، وإنَّ الهدايه والاستقامه مُتقدّمه على الارتباط بها والتواجد فيها.

أوَّلاً: ورد فى تفسير قوله تعالى: {ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ}، وهى أريحا مِنْ بلاد الشام، وادخلوا باب القريه سُجّداً لله؛ تعظيماً لمثال مُحمَّد وعلى، مثّل الله تعالى على الباب مثال مُحمَّد وعلى، وأمرهم أنْ يسجدوا تعظيماً لذلك المثال، وأنْ يجددوا على أنفسهم بيعتهما وذكر موالاتهما، وليذكروا العهد والميثاق المأخوذ عليهم: {وَقُولُواْ حِطَّةٌ}، أى: قولوا: إنَّ سجودنا لله تعظيماً لمثال مُحمَّد وعلى، واعتقادنا لولايتهما حطّه لذنوبنا ومحو لسيئاتنا: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ}. أى: لمْ يسجدوا كما أُمروا، ولا قالوا ما أُمروا، ولكن دخلوها مستقبليها بأستاههم، وقالوا: هنطا سمقانا - أى: حنطه حمراء نتقوتها أحبُّ إلينا مِنْ هذا الفعل- وهذا القول: { فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا}، أى:

بدلوا

ما قِيلَ لهم، ولم ينقادوا لولايه مُحمَّد وعلىّ وآلهما الطيبين: {رِجْزاً منَ السَّمَاء}، والرجز الذى أصابهم، أنَّه مات منهم بالطاعون فى بعض يوم مائه وعشرون ألفاً، وهم مَنْ علم الله أنَّهم لا يؤمنون ولا يتوبون(۱).

ثانياً: عَنْ ابن عباس (رض)، قال: قال بنوا إسرائيل لموسى(عليه السّلام) حين جاز بهم البحر: خبّرنا يا موسى، بأىّ قوّهٍ وبأىّ عدّهٍ وعلى أىّ حموله تبلغ الأرض المُقدَّسه، ومعك الذّريه والنّساء، والهرمى والزمنى؟ فقال موسى(عليه السّلام): «ما أعلم قوماً ورّثهم الله مِنْ عرض الدُّنيا ما ورّثكم... وسيجعل الله لكم مخرجاً. قالوا: فادعه يُطعمنا ويسقينا ويظلّنا... فأوحى الله تعالى إلى موسى: قدْ أمرت السّماء أنْ تمطر عليهم المنّ والسّلوى، وأمرت الرّيح أنْ تشوى لهم السّلوى، وأمرت الحجاره أنْ تنفجر، وأمرت الغمام أنْ تظلّهم، وسخّرت ثيابهم أنْ تثبت بقدر ما يثبتون. فلمّا قال لهم موسى ذلك سكنوا، فسار بهم موسى فانطلقوا يؤمون الأرض المُقدَّسه وهى فلسطين، وإنَّما قدّسها؛ لأنَّ يعقوب(عليه السّلام) وُلِدَ بها، وكانت مسكن أبيه إسحاق(عليه السّلام)، ويوسف(عليه السّلام) ونقلوا كلّهم بَعْدَ الموت إلى أرض فلسطين»(۲).

الدفاع عَنْ المُقدّسات بتعظيم باب حطّه

يظهر مِنْ الروايتين المتقدّمتين أنَّ الأرض المُقدَّسه قُدّست لولاده يعقوب(عليه السّلام)، ولكونها مسكن أبيه إسحاق وولده يوسف(عليه السّلام)، وأنَّ سجود بنى إسرائيل هو تعظيم لمحمَّد وعلىّ(عليهاالسّلام)، وإذا كان كذلك فإنَّ بيوت المعصومين (مراقدهم المُقدَّسه) أحرى بالسجود لله والتوجّه إليه فيها، والتوجّه فيها وبها

۱- اُنظر: التفسير المنسوب للإمام العسكرى: ص ۲۶۰-۲۶۱.

۲- قطب الدين الراوندى، سعيد بن هبه الله، قصص الأنبياء: ص۱۷۵.

إليه تعالى والخضوع والتقديس له جَلَّ جَلالَهُ.

قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِين * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً منَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُون}(۱).

وقوله تعالى: {وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِين * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً منَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُون}(۲).

وقدْ ورد مُستفيضاً لدى الفريقين أنَّ باب حطّه فى هذه الأُمّه - كما قال النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم)- هُمْ أهل البيت(عليهم السّلام) ، بلْ إنَّ باب حطّه فى بنى إسرائيل كان؛ لأنَّ أسماء النَّبى وأهل بيته مكتوبه عليه استشفاعاً بهم كما ورد فى الروايه المتقدِّمه، وتُفيد الآيتين حينئذٍ:

۱. افتراض دخول باب حطّه افتراض سكنى القريه المُقدَّسه عمارهً وإحياءً لها.

۲. افتراض التوسُّل والاستشفاع؛ لغفران الذُّنوب بباب حطّه فى الأراضى المُقدَّسه، وهم أهل البيت(عليهم السّلام) .

۳. لزوم الخضوع والسجود لله تعالى فيها، والعباده له بالتوجّه بها إليه تعالى.

۴. إنَّ الإعراض عَنْ التوجّه والتوسُّل بباب حطّه عقوبته دنيويه عاجله قبل الأُخرويه، وبنزول الرجز مِنْ السماء على العصاه لذلك.

۱- البقره: آيه۵۸-۵۹.

۲- الأعراف: آيه ۱۶۱-۱۶۲.

منهجيّه تربويه يرسمها رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)

فى حديث الباقر(عليه السّلام) مع قتاده البصرى، نقله أبو حمزه الثمالى: «... قال قتاده: والله، لقد جلست بين يدى الفُقهاء وقدام ابن عباس فما اضطراب قلبى قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك. قال له أبو جعفر(عليه السّلام): ويحك! أتدرى أين أنت؟ أنت بين يدى بيوت أذِنَ الله أنْ تُرفع ويُذكر فيها اسمه»(۱).

ففى الراويه عَنْ ابن عباس، قال: قال رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «مَنْ دان بدينى وسلك منهاجى واتبع سنتى فليدن بتفضيل الأئمه مِنْ أهل بيتى على جميع أُمَّتى، فإنَّ مَثَلهم فى هذه الأُمّه مثل باب حِطّه فى بنى إسرائيل»(۲).

وهذه منهجيّه تربويّه فى القُرآن الكريم والسنّه النبويّه؛ لبيان أنَّ مودَّه ومحبَّه والاعتقاد بأفضليه أهل البيت(عليهم السّلام) مِنْ الدين، مِنْ تفاصيل فروع الشريعه قال تعالى: {فِى بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَال*رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَهٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله...}(۳).

يذكر السيوطى - وهو مِنْ أهل السنّه- فى كتاب الدرّ المنثور: أخرج ابن مردويه، عَنْ أنس بن مالك وبريده، قال: قرأ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) هذه الآيه: {فِى بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}. فقام إليه رجل، فقال: أىّ بيوت هذه يا رسول الله؟ قال(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «بيوت الأنبياء». فقام إليه أبو بكر فقال: يا

۱- الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج۲، ص۲۵۶. المجلسى، محمد تقى، روضه المُتقين: ج۷، ص۴۷۶.

۲- الصدوق، محمد بن على، الأمالى: ص۱۳۳. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۲۳، ص۱۱۹.

۳- النور: آيه۳۶-۳۷.

رسول الله، هذا البيت منها - بيت علیّ وفاطمه(علیهاالسّلام)- قال(صلّی الله علیه و آله وسلّم) «نَعَمْ، مِنْ أفاضلها»(۱).

فالنبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) لمْ یقل: (نَعَمْ منها)، بلْ قال: «مِنْ أفاضلها»، واللافت للانتباه أنَّ علیاً وفاطمه لمْ یتوهّم مُتوهم أنَّهما مِنْ الأنبیاء، فما الذی دعا أبا بکر أنْ یسأل هذا السُّؤال؟ وما العُلقه بین بیت علیّ وفاطمه، وبین بیت الأنبیاء؟ وما ذلک إلّا کاشف ودالّ علی أنَّ القُرآن الکریم والرسول(صلّی الله علیه و آله وسلّم) لهم تربیه خاصّه للمجتمع الإسلامی ولِوسط المُسْلمین، بأنَّ أهل البیت(علیهم السّلام) حجج معصومون، فبالتالی هُناک مناسبه، من أنَّه إذا قِیلَ شیء فی الأنبیاء قِیلَ شیء أیضاً فی الأوصیاء.

فهذا الحدیث دالّ علی المُرتکز فی عقلیه المُسْلمین، من أنَّ بیت علی وفاطمه أفضل مِنْ بیوت الأنبیاء؟

وعلیه؛ فإنَّ بیوت أهل البیت(علیهم السّلام) بیوت أَذِن الله أنْ تُرفع ویُذکر فیها اسمُه، فهی لیست مساجد فقط، بلْ مِنْ المشاعر التی شعّرها الله تعالی، فإنَّ مراقدهم(علیهم السّلام) مِنْ المشاعر بروایات أهل السنّه فضلاً عَنْ روایاتنا، والمشاعر أعظم مِنْ المساجد؛ إذْ المسجد رُبَّما تنتهی وقفیته أو یُزال لسبب ما، کضروره إقامه طریق ونحوه، فإنَّ الضرورات تُقدّر بقدرها، أمَّا المشعر فلا، فإنَّه کالمزدلفه ومِنی وغیرهما مِنْ مناسک الحج.

یقول الشیخ کاشف الغطاء: «هذه بیوت شعّرها الله، فهی أعظم مِنْ المساجد»(۲).

فهذه المراقد الشریفه یجب أنْ تُعمّر وتُعظّم بنصّ کُلّ المُسْلمین، وکذا

۱- السیوطی، جلال الدین، الدرّ المنثور: ج۵، ص ۵۰.

۲- کاشف الغطاء، جعفر، کشف الغطاء عن مبهمات الشریعه الغراء: ص۵۴.

أفضليتهم على الأنبياء بنصّ الروايه عِنْدَ المُسْلمين وهذه مِنْ الدين.

فإذن؛ يظهر مِنْ ذلك أنَّ البيوت التى أمر الله أنْ تُرفع وتُعظّم، هى بيوت المعصومين ومراقدهم المُقدَّسه، وأنَّ الأرض التى فيها قبورهم، هى أراضى مُقدّسه أخذت قُدسيتها وشرفيتها مِنْ وجودهم الشريف.

كيف نُقدِّسهم

مع مُلاحظه تلك الآيات التى وردت فى بنى إسرائيل، وأَمرهم بدخول الأرض المُقدَّسه وتعظيمها، وأن يدخلوا الباب سُجّداً ويقولوا: (حطّه)؛ فإنّها خصائص خُصّ بها أهل البيت(عليهم السّلام) ، بَلْ بما يفوق ذلك بحسب الروايات، وتعظيم أهل البيت(عليهم السّلام) بما عظّمهم القُرآن به ليس لهم فقط، بلْ للمدن التى هُم فيها، فينبغى أنْ نحفظ قدسيتهم وقُدسيّه بيوتهم ومُدنهم وذلك ب-:

أوَّلاً: السكن فيها مع مراعاه الاحترام والحُرمه والتقديس.

ثانياً: الالتزام بالشريعه المُقدَّسه فيها أكثر مِنْ غيرها من الأماكن والمُدن الأُخرى، كما قال الله تعالى: {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}(1). حَيْثُ اعتُبر الظلم البسيط عِنْدَ البيت الحرام إلحاداً.

ثالثاً: يجب طرد أهل الباطل وتطهيرها مِنْ أَسر واستحواذ أهل الشرّ.

رابعاً: حفظ الأمن فيها، وهذا له لوازم عديده، مِنْ أهمّها وجوب الدفاع عَنْ تلك المدن مِنْ الاعتداء الخارجى، ومِنْ التخريب والفساد الداخلى.

خامساً: إنَّ موسى أمر قومه أنْ يدخلوا الأرض المُقدَّسه، ولو كان فيها الجبّارون، ولو استلزم ذلك التضحيات الكثيره؛ فيجب أنْ ندخل (نَزور) البيوت المُقدَّسه - أضرحه المعصومين(عليهم السّلام) - ولو كان فى ذلك تضحيات.

١- الحج: آيه٢٥.

سادساً: إنَّ المُقدّسات تُمثِّل الإسلام وحفظها حفظ الإسلام، ولا يُشكَل هُنا من أنَّ حرمه المؤمن وحرمه دمه أعظم مِنْ حرمه الكعبه؛ فإنَّ تعظيم الأراضى المُقدَّسه هو فريضه فى الآيات المُتقدِّمه كركن فى الدين وتعظيم للإسلام، والتضحيه فى سبيل رفعتها تضحيه فى سبيل الإسلام، الذى ضحّى مِنْ أجله الحسين(عليه السّلام).

سابعاً: عمارتها المعنويه بالإضافه إلى السكن فيها، وعمارتها الماديه وتشييد بنائها، وتوسعه عمارتها المعنويه بكثره الزياره - سواء سكنها أو لمْ يسكنها- وشدّ الرحال إليها وعدم تركها لخوف الظالمين والجبّارين، لكن مع الأسف، الكثير فى غفله عَنْ هذه الفروض الإسلاميّه العظيمه، ولسان حال الناس كلسان حال قوم موسى، إنَّ فيها قوماً جبّارين، وإنّا لَنْ ندخلها ما داموا فيها، فالناس بالأمس القريب يقولون: إنَّ فيها قوماً جبّارين (صدام والبعث)، وإنّا لَنْ ندخلها ما داموا فيها ومسلّطون عليها، أمَّا اليوم فيقولون: إنَّ فيها الوهابيه الجبارين، فاذهب أنت وربك يا موسى؟!

ثامناً: كُلّ مراقد أهل البيت(عليهم السّلام) مشاعر إلهيّه، وكُلّ واحد منها حرم الله وحرم رسوله وأهل بيته(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، فكربلاء حرم الله وحرم رسوله وحرم أهل بيته(عليهم السّلام) ، وهكذا النجف والكاظميه، وكذلك مشهد و سامراء وباقى مشاهد المعصومين(عليهم السّلام) ؛ فيكون مِنْ التعظيم والتكريم أن نتعهدها بالعمران بأسمى وأعظم ما يُمكن، ففى منهاج الرشاد للشيخ جعفر كاشف الغطاء(قدسّ سرّه)، ينقل روايه بعدم جواز أخذ زينه الكعبه، ففى الخبر: قِيلَ لعمر: لو أخذت حُليّ الكعبه فجهّزت به جيوش المُسْلمين كان أعظم الأجر، وما تصنع الكعبه بالحلى؟ فهمّ بذلك، فسأل علياً(عليه السّلام) فقال له: «إنَّ القُرآن أُنزل على النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم)

والأموال أربعه: أموال المُسْلمين فقسّمها بين الورثه فی الفرائض، والفیء فقسّمه علی مُستحقیه، والخُمس، فوضعه الله حیث وضعه، والصدقات فجعلها الله حیث جعلها، وکانت حُلیّ الکعبه فیها یومئذٍ فترکه الله علی حاله، ولم یترکه نسیاناً، ولم یخفَ علیه مکاناً، فأقرّه حیث أقرّه الله ورسوله. فقال له عمر: لولاک لافتضحنا. وترکه»(۱)، فعمارتها کرکن فی الدین لا یُقدّم علیها فروض أُخری رکنیه.

کذلک ما رواه البنانی واعظ أهل الحجاز، عَنْ جعفر بن مُحمَّد، عَنْ أبیه، عَنْ جدّه الحسین بن علی، عَنْ علیّ، أنَّ رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) قال له: «والله، لتُقتلَنّ فی أرض العراق، فتُدفن بها. فقلتُ: یا رسول الله، ما لِمَنْ زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها؟ قال: یا أبا الحسن، إنَّ الله جعل قبرک وقبر ولدیک بقاعاً مِنْ بقاع الجنّه، وإنَّ الله جعل قلوب نجباء مِنْ خلقه، وصفوه مِنْ عباده تحنّ إلیکم، وتحتمل المذله والأذی فیکم، فیُعمّرون قبورکم، ویکثرون زیارتها، تقرّباً إلی الله تعالی، ومودّه منهم لرسوله... یا علی، مَنْ عمّر قبورکم وتعاهدها، فکأنّما أعان سلیمان بن داوُد(علیه السّلام) علی بناء بیت المقدّس. ومَنْ زار قبورکم عدل ذلک ثواب سبعین حجّه بَعْدَ حجّه الإسلام، وخرج مِنْ ذنوبه حتّی یرجع مِنْ زیارتکم کیوم ولدته أُمّه»(۲).

تاسعاً: ذکر ملا أحمد النراقی فی کتابه (المعاد)(۳)، دلیلاً نقلیاً وعقلیاً علی

۱- الزمخشری، محمود بن عمر، ربیع الأبرار: ج۴، ص۴۴۰.

۲- الحسنی، عبد الکریم بن طاووس، فرحه الغری: ص۱۰۵. وعنه: المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۹۷، ص۱۲۱.

۳- النراقی، أحمد، المعاد (کتاب فارسی طبع أخیراً).

أنَّ قبر أمير المؤمنين(عليه السّلام) وقبور أهل البيت(عليهم السّلام) أعظم مِنْ الجنان، فضلاً عن المساجد، والشيخ جعفر كاشف الغطاء يعتبرها مشاعر إلهيه، وكثير مِنْ العُلماء يقولون: (هى أفضل مِنْ المساجد)(۱).

عاشراً: تطاول الوهابيّه على الُمقدّسات.

طبعت الوهابيه - إلى الآن- ثلاثه كتب لتشريع وجوب هدم قبّه النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) جهاراً نهاراً، بلْ هُم ينوون - كما أسلفنا- هدم كُلّ المراقد المُقدَّسه، بلْ وهدم البيت الحرام استناداً لبعض التأويلات والتحريفات، فيما ورد عَنْ النَّبى أنَّه(صلّى الله عليه و آله وسلّم) سيهدم الكعبه، تاركين بذلك تتمّه الحديث: «لنقضت البيت فبنيته على أساس إبراهيم»(۲)، وفى الحقيقه أنَّ هذه السياسه ليس هى لتخريب المراقد والمساجد فقط، بلْ لتخريب الدين والدُّنيا والسِّلم والأمن المدنى كما أسلفنا.

الحادى عشر: عماره قبورهم واجب عقائدى وليس مستحباً شرعياً.

إنَّ نظام تعظيم المُقدّسات كقبور المعصومين(عليهم السّلام) التى هى مشاعر مُقَدَّسَه إلهيه، لا ينبغى أنْ يكون عملاً فردياً فقط، بلْ هو عمل جماعى اجتماعى وعلم مؤسساتى، بلْ هو عمل الدول، وهو نظام أعلى مِنْ الأنظمه التى تحكم الدول والمجتمعات، ولو جعلت الدول فى مبادئها الدستوريه صيانه وتعظيم وعماره - المعنويه والمادّيه- وحمايه تلك المُقدّسات، لأكلت مِنْ فوقها ومِنْ تَحْتِها، ولتنعّمت بحياه فيها خير الدُّنيا والآخره، فإنَّ نظام تعظيم

۱- اُنظر: الحكيم، محسن، المستمسك: ج۵، ص۵۱۹.

۲- النسائى، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى: ج۵، ص۲۱۵. المتقى الهندى، على، كنز العمال: ج۱۲، ص۲۰۲.

المُقدّسات أعلى مِنْ كُلّ نظام، به تُحفظ كرامه الدول والمجتمعات والناس، وكُلّ البشر على وجه الأرض، وعلى أرض المعاد.

الثانى عشر: الملائكه تُدافع عَنْ الأراضى المُقدَّسه وتتدافع عليها.

ورد فى كامل الزيارات، عَنْ ابن سنان، عَنْ أبى عبد الله(عليه السّلام)، قال: «سمعته يقول: قبر الحسين بن على(عليه السّلام) عشرون ذراعاً فى عشرين ذراعاً مكسّراً، روضه مِنْ رياض الجنّه، وفيه معراج الملائكه إلى السماء، وليس مِنْ مَلك مقرّب ولا نبىّ مُرسل إلّا وهو يسأل الله أنْ يزوره، ففوج يهبط وفوج يصعد»(۱).

فإذاً؛ مراقد المعصومين عروش إلهيه، وهى ليست نظام أعلى مِنْ أنظمه الدُّنيا يجب أنْ تنتظم به الدول والمجتمعات والأفراد فقط، بلْ هو نظام أُخروى تحتاجه الملائكه، وتنتظم به أفواجهم، وأرواح الأنبياء، فتكون زياره المراقد مِنْ الدين؛ لذلك تزورها الملائكه وأرواح الأنبياء، وليست هى مِنْ الشريعه فحسب، بلْ إنَّ الدفاع عنها مِنْ الدين، ومكان تُقدّسه الملائكه وتدافع عَنْه وتنتظم به فى تلك النشأه، وهى وأرواح الأنبياء ترفض أنْ يدنسه أو يهتك حرمته أحد مِنْ الناس؛ لأنَّ ذلك بمثابه قتل لنفس المعصوم(عليه السّلام) الذى ضجّت وبكت له ملائكه السماء، فعن سدير قال: قال أبو عبد الله(عليه السّلام): «يا سدير، ما أجفاكم بالحسين(عليه السّلام)، أمَّا علمت أنَّ لله ألف ألف مَلك شُعثاً غُبراً يبكونه، ويَرْثونه لا يفترون، زواراً لقبر الحسين، وثوابهم لِمَنْ زاره...»(۲).

۱- ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص۲۲۲. وعنه: المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۹۸، ص ۶۰.

۲- ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص۴۸۷. وعنه: المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۹۸، ص۶.

وکونهم یبکونه ویَرْثونه یُشیر إلی أنَّ نفس البکاء والرثاء علم وکمال لهم، وکونهم شُعثاً غُبراً یُشیر کذلک لنفس المطلب.

الثالث عشر: سبق أنْ عرفنا أنَّ مرکز القُدسیّه والأساس الذی کسبت منه هذه الأرض دون غیرها، هو وجود المعصوم سواء ولادته أو حیاته أو مدفنه، وقدْ ذکرنا سابقاً أنَّ الأرض المُقدَّسه قُدست لولاده یعقوب فیها، ولکونها مسکن أبیه إسحاق وولده یوسف(علیهم السّلام) ، وهذه المرکزیه تُشیر إلیها آیات وروایات عدیده، کما فی قوله تعالی: {وَأَذِّن فِی النَّاسِ بِالْحَجِّ یَأْتُوکَ رِجَالاً وَعَلَی کُلِّ ضَامِرٍ یَأْتِینَ مِن کُلِّ فَجٍّ عَمِیق}(۱). فی هذه الآیه إشاره واضحه إلی أنَّ غایه الحج هو إبراهیم؛ لأنَّها قالت: «یأتوک». ولم تقل: یأتونی، أو یأتوا البیت. للدلاله علی أهمیّه الولایه، وأنَّها مفتاح قبول الأعمال.

وکذلک قوله تعالی: {وَاتَّخِذُواْ مِن مَقَامِ إِبْرَاهِیمَ مُصلّی}(۲)، وقوله: {فِیهِ آیَاتٌ بَیِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِیمَ وَمَن دَخَلَهُ کَانَ آمِناً}(۳)، هذه الآیه جعلت المرکزیه لمقام إبراهیم؛ حَیْثُ لا تُقبل صلاه الطائف إلّا بالصلاه خلف المقام، وجعلت المرکزیه لمقام إبراهیم أیضاً.

الرابع عشر: إنَّ الجهاد الدفاعی المُقدّس عَنْ الأرض المُقدَّسه وتخلیصها مِنْ براثن الفساد والتجبر، فرع وجوب تعاهدها بالزیاره؛ لأنَّ التعاهد ینتج ضروره عمرانها وتأمینها؛ وبالتالی ضروره الدفاع عنها.

الخامس عشر: قال تعالی: {وَیَصُدُّونَ عَن سَبِیلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِی

۱- الحج: آیه۲۷.

۲- البقره: آیه۱۲۵.

۳- آل عمران: آیه۹۷.

جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم}(۱).

فالآیه تذمّ الذین یصدّون عَنْ سبیل الله عموماً، وعَنْ المسجد الحرام بالخصوص، وتجعل الظلم البسیط عظیماً بمنزله الإلحاد، ففی صحیح الحلبی، قال: «سألت أبا عبد الله(علیه السّلام) عَنْ قول الله (عَزَّ وَجَلَّ): {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ}. فقال(علیه السّلام): كُلُّ الظلم فیه إلحاد، حتّی لو ضربت خادمک ظلماً خشیت أنْ یکون إلحاداً؛ فلذلک کان الفُقهاء یکرهون سکنی مکّه»(۲).

السادس عشر: استفاد جمله مِنْ الفُقهاء مِنْ الآیه المُتقدّمه {... الَّذِی جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ...}. حرمه تملک أراضی مکّه وحرمه إجارتها؛ لاستواء استحقاق الناس لها بمقتضی الآیه، وأنَّه لا ینبغی أنْ یُمنع الحاج شیئاً مِنْ دور مکّه ومنازلها، وهذا ما تؤکّده الروایه، کما عَنْ الصادق(علیه السّلام): «فکانت مکّه لیس علی شیء منها باب، وکان أوَّل مَنْ علّق علی بابها المصراعین معاویه بن أبی سفیان، ولیس ینبغی لأحد أنْ یمنع الحاج شیئاً مِنْ الدور ومنازلها»(۳).

السابع عشر: حفظ الأمن فی البقاع المُقدَّسه وتأمینها واجب، کذلک تأمین الطریق للوصول إلیها؛ لأنَّ مقدّمه الواجب واجبه، کذلک ینبغی تسهیل أداء

۱- الحج: آیه۴۵.

۲- الطوسی، محمد بن الحسن، تهذیب الأحکام: ج۵، ص۴۲۰.

۳- العلّامه الحلی، الحسن بن یوسف، تذکره الفُقهاء: ج۱، ص۴۰۲. العلّامه الحلی، الحسن بن یوسف، المُخْتلف: ج۲، ۸۷۹. اُنظر: الطوسی، محمد بن الحسن، الخلاف: ج۳، ص۱۸۹. ابن إدریس، محمد بن منصور، السرائر: ج۱، ص۶۴۴.

العباده فيها وإقامه الصلاه ، والممارسات الدينيه كافّه كالشعائر وغيرها.

الثامن عشر: بما أنَّ عماره البيت الحرام متولّده مِنْ وجوب زيارته، فإنَّ تعاهد المساجد المُكرَّمه والمشاهد المُشرّفه تتولد منه ضروره عمارتها، بلْ إنَّ على الوالى إجبارهم إذا تركوا الحج، ففى صحيح الفضلاء، عَنْ أبى عبد الله(عليه السّلام)، قال: «لو أنَّ الناس تركوا لحج لكان على الوالى أن يُجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده، ولو تركوا زياره النَّبى، لكان على الوالى أنْ يُجبرهم على ذلك، وعلى المقام عنده، فإنْ لمْ يكن لهم أموال أنفق عليهم مِنْ بيت مال المُسْلمين»(١).

التاسع عشر: قوله تعالى: {فِى بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَال}(٢).

إنَّ هذه البيوت رفعها الله وأوجب بذلك على المؤمنين رفعها، وأنْ يُذكر فيها اسمُه، فهذا تشعير لها لجعلها مشاعر مُقدّسه، ثمَّ قال بَعْدَ ذلك: (يسبّح له فيها)، أى: التسبيح جاء بَعْدَ مفروغيه رفعها (تشعيرها وتقديسها)، وأنَّ لازم رفعها وتعظيمها القنوت والإخبات والضعه والتواضع فيها.

العشرون: كما فى روايه عَنْ الحسن بن العباس بن الجريش، عَنْ أبى جعفر الثانِى(عليه السّلام)، فى حديثٍ طويلٍ فى شأن: «إنّا أنزلناه»، قال(عليه السّلام): «ولا أعلم فى هذا الزمان جهاداً إلّا الحج والعمره والجوار»(٣)، ومفادها تنزيل الجوار للمشاهد المُشرّفه منزل الجهاد.

١- الحر العاملى، محمد بن الحسن، وسائل الشيعه:ج١١، ص٢۴.

٢- النور: آيه٣۶.

٣- الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج١، ص٢۵١. الحر العاملى، محمد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج١۵، ص۴٧.

ولكن بنظره أخرى وبفهم أعمق ولمّا قُرّر فى العُلوم الروحيّه، وعلوم النفس، والاجتماع، مِنْ وجود الطاقات الغيبيّه التى تكون كأمواج روحيّه مرسله، وهى بحسب مَنْ أُرسلت منه، فإنْ كان صالحاً كانت، وبالعكس إنْ كان طالحاً، كما أنَّ هُناك إشاره أُخرى تُشير إلى المُعاناه التى يعانيها المجاور لهم والزائر مِنْ قِبل الظالمين على مرَّ العصور، كما أنَّ الزائر حين الزياره يستلهم معانى الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عَنْ المنكر، بلْ وكُلّ العقائد الحقّه.

الواحد والعشرون: قال تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَهَ الْحَاجِّ وَعِمَارَهَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِى سَبِيلِ الله لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ الله وَالله لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِين}(۱).

فى الآيه الكريمه إشاره إلى أنَّ عماره بيت الله الحرام وسقايه (خدمه) زوّار بيت الله شىءٌ عظيمٌ، كذلك سقايه (خدمه) زوّار البيوت التى أَذِن الله أنْ تُرفع ويُذكر فيها اسمُه وعمارتها شىءٌ عظيمٌ، ولكن الجهاد أعظم مِنْ سقايه وخدمه الحجّاج والزوّار، وكذلك أعظم مِنْ العماره، فيكون الجهاد فى الدفاع عَنْ المُقدّسات عظيماً وأعظم، لأنَّه يجمع بين عنوان الجهاد وعنوان العماره والسقايه؛ لأنَّه مُقدّمه لبقائها وعمارتها وخدمه الزائرين بها.

الثانى والعشرون: قال تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لمنْ حَارَبَ الله وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلّا الْحُسْنَى وَالله يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُون*لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَالله يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِين}(۲).

۱- التوبه: آیه۱۹.

۲- التوبه: آیه۱۰۷-۱۰۸.

فی قصه معروفه حاول فیها المنافقون احتواء الناس، واحتواء القیاده الدینیه؛ وذلک ببناء مسجد (ضرار) الذی وصفه القُرآن الکریم بأنَّه کفر ورصد ضد المؤمنین، فالقرآن یأمر بعدم الصلاه فیه أبداً، ویطلب القیام فی مسجد له صفتان: أنَّه أسس علی التقوی. وأنَّ فیه رجال یحبّون أنْ یتطهروا.

فإذا کان القُرآن یُشید بالتأسیس لذلک المسجد؛ لأنَّه أُسس علی التقوی سواء أسّسه النَّبی أو أسّسه المُسْلِمُون بأمر النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، فکیف بک ببیوت هی أعظم مِنْ المساجد؛ لأنَّ المؤسس لها هو الله؛ لأنَّه رفعها وعظّمها؟! وإذا کان المسجد عظیماً؛ فلأنَّه أُسس علی التقوی، فکیف بنفس التقوی ومعدن التقوی؟!

الثالث والعشرون: ذهب مشهور فُقهاء الإمامیّه إلی أنَّ المسافر یُخیر بین القصر والتمام فی أربعه أماکن: فی المسجد الحرام، ومسجد النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)، والحائر الحسینی، ومسجد الکوفه، وذهب الکثیر إلی أنَّ التخییر المذکور هو فی مدن تلک المُقدّسات علی سعتها، وبعضهم قال بالتخییر فی کُلّ مراقد المعصومین(علیهم السّلام) ، وکأنَّ الشریعه حین شعّرت هذه الأماکن جعلتها بمثابه وطن عالمی لکلِّ الناس.

العناصر الكليّه لخارطه مسؤوليات العصر الراهن

اشاره

هناک عناوين أُخرى لنفس هذا العنوان، تُمثل جوانب وزوايا فى نفس العنوان:

- خارطه المسير والمسار الصحيح فى العصر الراهن.

- خارطه وظائف المؤمنين فى الظرف المعاصر.

- دور الرعايه للمؤمنين فى العصر الحاضر.

- كيفيه التعاطى مع لغه المرحله الراهنه.

- الإصرار فى تحمل المضى بإداره المسؤوليه.

- التخطيط الممنهج فى تطبيق المسؤوليات.

- برمجه المسارات الصحيحه للوصول إلى الهدف المنشود.

- الصمود فى تذليل العقبات لتحقيق الهدف المنشود.

فيما يلى قواعد تُمثل عناصر مشتركه، أو عمومات فوقانيه لكلِّ القواعد التى ذكرنا والتى لم نذكر، من القواعد التى تُمثّل مناهجاً للنشاط الدينى والسياسى، والاجتماعى والعسكرى، فهى قواعد لتلك القواعد.

قاعده: إعداد القوه

قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم ما اسْتَطَعْتُم من قُوَّهٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ...}(۱)، وهذه الفريضه القرآنيّه العظيمه ليست مختصه بباب الجهاد، وحال مناجزه العدو،

۱- الأنفال: آيه ۶۰.

بل هی مطلقه علی الدوام، وأن یبنی المؤمنون أنفسهم وقوّتهم صرحاً یهابه العدو رادعاً له عن التطاول.

قاعده: (کلّکم راعٍ) وعموم المسؤولیّه علی الجمیع

- عدم سقوطها حتی لو تقاعس الأغلب.

- عدم عذریه ترک المسؤولیه حتی لو تخاذل الأکثر.

قال النَّبِیّ(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «کلّکم راعٍ وکلّکم مسؤول عن رعیته»(۱).

وهذه الوصیه النبویه الخطیره لم تقصر المسؤولیه علی بعضٍ دون بعض، ولا علی النُّخب دون عامّه آحاد الأُمّه، بل کلٌّ من موقعه یتحمل الثقل والعبء، سواء قام الآخرون بمسؤولیاتهم أم تخلّوا عنها.

فإذاً؛ أنت مسؤول عن إعداد القوه، وأنت مسؤول عن رعایتها، حتی لو تخاذل الأغلب، ولا عُذر لک حتی لو تخاذل الأکثر.

قاعده: الصبر لا یعنی الجمود

إنَّ الصبر والتصبّر لا یعنی الجمود، بل الاندفاع فی النشاط والفاعلیه، والرعایه والتدابیر المتعدده الواسعه، کما أنَّ للصبر مواضع ومواطن یُمدح فیها وأُخری یُذم .

قاعده: للوفاء مواطن

قال أمیر المؤمنین(علیه السّلام): «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله»(۲).

۱- المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۷۲، ص۳۸.

۲- خطب أمیر المؤمنین(علیه السّلام)، نهج البلاغه: ج۴، ص۵۷. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۷۲، ص۹۷.

وهـذا البيـان العَلوى المحكم إشـاره إلى أنَّ الالتزام مع الفاتك والهاتك للحرمات شـراكه معه فى إفساده فى الأرض، بل اللازم المناوره للتخلّص من خداعه ودجله وألاعيبه، وهذه الوصيه أصل كبير فى التعاطى مع تحايل العدو ومراوغته.

قاعده: ضروره توازن القوى مع العدو

فى وسط مواجهه سيّد الشـهداء(عليه السّـلام) مع المارد الأُموى فى الطفِّ، أراد أحد الأنصار وعظ العدو، فأجابه(عليه السّلام) - بما مضمونه-: إنَّ المرحله التى وصل لها العدو فى عِتوه وطغيانه ليست تُعالج بوعظ ونصح، بل بتجاذب القوه معه ومناوره الشدّه، وهذا أصل مهم فى تشخيص لغه المرحله، ونمط المكافحه مع العدو.

المعصوم لنا قدوه

إنَّ لنا قدوةً عظيمةً بإمام عصرنا صاحب والعصر والزمان المهدى؛ حَيثُ إنَّ تطاول الدهور والعصور على الظهور بمشروعه الإلهى بإقـامه دوله العـدل والقسـط فى سـائر أرجـاء الأرض، لم يُثنه عن الاسـتقامه والرباط والمرابطه على الطريق؛ لتحقيق الهـدف، ولا زعزع طول المـدّه من أمله ورجاءه بالله تعالى فى تقـدير وتدبير الفتح والنصـر، فكم هائل وعظيم هذا الإصـرار من التحمل لإداره المضى بالمسؤوليه والتخطيط عِبر عشره قرون.

مقاطع مختاره

اشاره

هذه مقاطع مختاره من البحوث المتقدمه بمثابه خلاصه فی نقاط:

۱. إنَّ نشاط الحسین(علیه السّلام) عباره عَنْ رجاء، وتعطیل شیء مِنْ النشاط یعنی تعطیلاً لعنوان الرجاء، فلا بُدَّ أنْ یبقی عنوان الرجاء مَعَ بقاء عنوان الخوف بموازاته کموازنه بین الخوف والرجاء کما نصّت الروایات.

۲. أعطی الحسین(علیه السّلام) درساً مِنْ خلال عمله یُقتدی به، شعاره: أنا أتحرک فی إراده الله ولیسَ تجاوزاً عَلَی إراده الله، بلْ ضمن إرادته (مِنْ الإراده ولیسَ عَلَی الإراده).

۳. الحسین(علیه السّلام) لمْ یتجاوز قانون الأسباب والمُسبَّبات مِنْ خلال نشاطه وحرکته الدؤوبه فی الطّف، بلْ کَانَ یرجو - بمکابده التدبیر والتوکّل- سبباً فوق الأسباب وسبباً مُسبَّباً مِنْ قِبل مُسبِّب الأسباب.

۴. منهاج کربلاء یرفض المسلک الجبری الذی یُحدّد ویُقیِّد قدره الله .

۵. إنَّ مسأله الأمر بین الأمرین لَیسَت مُختصه بأفعال المخلوقین، بلْ هُوَ قاعده ونظام وجودی فی کُلّ علاقه بین الخالق والمخلوق، وفی کُلّ وجوده وشؤونات وجوده المُتّصله بخالقه هی أمر بین أمرین، وَهَذا هُوَ دین التوحید الخالص الذی رسمه لنا أهل البیت(علیهم السّلام) .

۶. الجزع الممدوح - فی الروایات التی أوردناها- بمعنی الإلحاح فی الرجاء والدعاء والطلب مِنْ الله تعالی، وَهَذا میزان لموضع الحراک والفعالیّه والنشاط لإراده التغییر قبل نزول أمر الله وقبل وقوع القضاء، أمَّا بَعْدَ وقوع

أمر الله ووقوع القضاء، فهُنا موطن التسليم والرضا بما ثبت حصوله ولا يُرغب فى غيره.

٧. الحركه والحراك ليس اعتراضاً على قضاء الله وقدره، بل استمطاراً من سعه بحر المشيئه، ومن طمطامه الزخّار للعلم الإلهى.

٨. إنّ يونس(عليه السّلام) كان مسلِّماً لأمر الله، راضياً متفائلاً بسعه رحمه الله، ولكن الفرق أنّه تحرّك إلى خارج الحدث والمواجهه ولم يتحرّك فى الداخل - كما تحرّك الحسين(عليه السّلام)- تحرّك إلى خارج معركه الهدايه؛ إذ ذهب مغاضباً. فالآيه القرآنيه تصف يونس أنّه ظنّ أن لن يضيِّق الله عليه فى المسؤوليّه.

٩. العذاب رُفع عَنْ قوم يونس وقدْ أُبرم إبراماً، حيث أظلّهم قريباً منهم؛ لأنَّهم تضرّعوا ودعوا ربَّهم دعاء المُضطر، والله يجيب المُضْطر إذا دعاه ويكشف السوء، وَهُوَ إيمان عظيم بعظمه تدابير الله؛ وبالتالى هُوَ إيمان بعظمه الله، والسبب أنَّ التعظيم خُلقٌ عظيم ينحدر عَنْ عقيده صحيحه، وعظمه ذلك أنَّهم عندما نظروا مُقدّمات العذاب وقدْ تحقّقت أجزاء منها، وإنَّ المُخبِر بالعذاب صادق؛ لأنَّه نبى مِنْ الأنبياء، مَعَ ذلك ظنّوا أنَّ الله أعظم مِنْ ذلك وَمِنْ الأسباب الطبيعيّه.

١٠. إنَّ الحَسم والحَتم فى أصل الحدث - الشهاده- والتقدير الكُلِّى والعنوان الكُلِّى لما يحدث لا يعنى الحَسم والحَتم فى العنوان الجزئى، أى: فى التفاصيل الجزئيه لملابسات الحدث والواقعه، فيمكن الحركه والحراك والنشاط فى صياغه وقوع التفاصيل للحدث، بنحو تُقلِّل مِنْ نتائج الخساره، وتصاعد أرقام الفتح والكيفيّات الإيجابيه فى الظروف المحيطه بالواقعه، وهذهِ معرفه عميقه وقراءه ثاقبه لمعنى التوكُّل على الله تعالى والرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء والقدر.

۱۱. هُناک حقیقه أخری ونظره ثالثه بین الحَتمیه الجبریه مِنْ جهه، والتفویضیّه مِنْ جهه أخری، وهی حتمیه البَداء وبدائیه الحَتم.

وهُنا نُکته لطیفه ینبغی الالتفات إلیها: فحتمیه البَداء لا تری حَتماً وحَسماً فی شیء إلّا للبَداء، فیکون کُلّ شیء خاضعاً لحَتمیه البَداء، فلا حَتمیه إلّا له، أو قُلْ - بعباره أُخری-: إنَّ الحتمیات الصغری تنصهر فی الحَتمیه الکُبری (حَتمیه البداء).

۱۲. إنَّ الله تبَارَکَ وَتعَالی یعلم بسجود الملائکه وامتناع إبلیس، ولکن (لا قصاص قَبل الجریمه)، فالله لا - ولَنْ- یطرد إبلیس مِنْ رحمته قَبل صدور العصیان، وإنْ کَانَ یعلم بصدور العصیان منه، وَهَذا أصل عظیم وقاعده أساسیه وَمِنْ مُحکمات المنظومه الخُلقیّه التأدیبیّه الإلهیّه فی تعامل البعض مَعَ البعض الآخر، مؤسّسه علی أساس عقیده البَداء.

۱۳. بَعْدَ أنْ أسَّس(علیه السّلام) شعار «هیهات مِنَّا الذُّلّه» طلب الموت الذی هُوَ حیاه، حَیْثَ قال(علیه السّلام): «إنِّی لا أری الموت إلّا سعاده والحیاه مَعَ الظالمین إلّا برماً»(۱).

عقیده البَداء أهم مقوّمات النشاط الدینیّ والسیاسیّ والاجتماعیّ للأئمّه^

۱۴. إنَّ الأسالیب الَّتی اتّخذها أئمّه أهل البیت(علیهم السّلام) فِی مواجهه أعدائهم عدیده وأغلبها کانت عباره عَنْ حرب بارده، وَهَذِهِ الحرب لا تنافی إیمانهم بسعه الرحمه وسعه البَداء وحَتمیه القضاء، وَقَدْ خفی عَلَی کثیر مِنْ

۱- ابن شهر آشوب، محمّد بن علیّ، مناقب آل أبی طالب: ج۳، ص۲۲۴. الهیثمی، علی بن أبی بکر، مجمع الزوائد: ج۹، ص۱۹۳. الطبرانی، سلیمان بن أحمد، المعجم الکبیر: ج۳، ص۱۱۵.

السطحيين الأساليب المتنوّعه - العديده والكثيره- الَّتِى كَانَ يواجه بها الأئمّه(عليهم السّلام) أعداءهم.

۱۵. كانت أكبر دوله إسلاميه تتخوّف وتتحسس من الإمامين الباقر والصادق(عليهاالسّلام)، كما تبيّن مواقفهما(عليهاالسّلام) توازن مسيرهما السياسىّ، فلم يكونا فى الانتماء المعلن موالين للسلطه، بحيث يغيب صراط الشرعيّه عن وعى الأُمّه.

۱۶. رسم الإمام الصادق(عليه السّلام) للمؤمن منهاجاً حياتياً يقول لَهُ: إنَّكَ إنسان صغير والدِّين إنسان كبير، والمُهم هُوَ الحفاظ عَلَى الإنسان الكبير، وتكون المحافظه عَلَى الإنسان الصغير بالتبع، أى: بتبع محافظته عَلَى الإنسان الكبير.

۱۷. إنَّ الإمام الصادق(عليه السّلام) لمْ يترك الخيارات الأُخرى مَعَ تمسّكه بخيارات معيّنه، ففى حين كانت الظروف مؤاتيه لتأسيس الحوزات، لمْ يغفل(عليه السّلام) جوانب الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عَنْ المُنكر بآليات مُتكثِّره، فكَانَ يواجه أعداءه بحرب بارده مُبَاشره أو غَير مُبَاشره بواسطه أتباعه كُلّما سنحت الفرصه وتوفَّر الظرف.

۱۸. مشهد الغيبه - غيبه الإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف)- مشهد عكس مشهد سيِّد الشُّهَداء(عليه السّلام)، ففى المشهد الحالى رغم حَتميه النصر فلا يدعوه(عجل الله تعالى فرجه الشريف) ذلك إلى السكون عَنْ النشاط، وَهَذا مِنْ بديع معرفه الأئمّه بالقضاء والقدر وعلمهم بالبَداء الإلهى الأعظم.

۱۹. التلطّف هُوَ فِى الكلام بقدر السُّؤال مَعَ عدم الزياده، والكلام بشكل إجمالى ومُقتضب، أو بشكل بسيط وسلس وغير مُعقّد؛ لأنَّ التعقيد يزيد السُّؤال، فالتلطّف وعدم إشعار الآخرين هُوَ إشاره للحسّ الأمنىّ العالى

الذی مارسه أصحاب الکهف، کذلک الخضر(علیه السّلام) حینما جاء إلیه موسی(علیه السّلام) یتعلّم منه.

۲۰. تلاقی موسی والخضر(علیهاالسّلام) وإنْ کَانَ وعداً إلهیّاً وقدراً محتّماً وقضاءً مُبرماً، إلّا أنَّ ذلک لَمْ یدع موسی والخضر(علیهاالسّلام) یتوانیان عَنْ تحمّل أعلی المسؤولیّه وإتیان قمّه النشاط، ومراعاه أشدّ الحذر وأدقّ الترقُّب، مَعَ أنَّ الخضر قدْ شرب مِنْ عین الحیاه ومضمون البقاء إلی یوم الظهور المُقدّس للإمام(عجل الله تعالی فرجه الشریف)، إلّا أنَّ حذره مُتصاعد حتّی مَعَ مثل موسی نبیٍ مِنْ أُولی العزم.

۲۱. هذهِ التقیّه مِنْ الإمام(عجل الله تعالی فرجه الشریف) وأصحابه، والبرنامج الأمنی المُکثّف لَیسَ تشکیکاً فی وعد الله المحتوم بالنصر والعیاذ بالله، ولا تشکیکاً فی قُدْره الله، بلْ هُوَ عَلَی العکس تماماً زیاده فی الإیمان بمدی سعه القدره والمشیئه الإلهیّه، وزیاده فی المعرفه بمشیئه الله وسعه قدرته الَّتِی هی البَداء.

۲۲. لذلک المخلِصون عَلَی خطر عظیم ووجل کبیر لتهیُّبهم مِنْ سعه المشیئه والعلم والقُدره والبَداء، فبقدر ما لدیهم مِنْ رجاء ومعرفه بالجمال لدیهم خوف ومعرفه بالجلال، وَهُوَ ما یشیر إلیه سیِّد الشُّهداء فی دعاء عرفه: «إلهی، إنَّ اختلاف تدبیرک وسرعه طواء مقادیرک منعا عبادک العارفین بک عَنْ السکون إلی عطاء والیأس منک فی بلاء»(۱).

۲۳. قدْ جذّر ثقافه الأمل والنشاط ما وَرَدَ فی زیاره الحسین(علیه السّلام) أنَّه کَانَ - أسیر الکُرُبات(۲)- أی: إنَّ تعقید الظروف کَانَ یحیط به مِنْ کُلّ جانب،

۱- المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۹۵، ص۲۲۵.

۲- اُنظر: الطوسی، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص۷۸۸. المشهدی، محمد بن جعفر، المزار: ص۵۱۴.

وبرغم كُلّ ذلك لمْ يكن(عليه السّلام) مستسلماً لتلك الظروف، بلْ كَانَ فی قمّه الحيويّه والنشاط.

الإيمان بالبَداء فی النتائج والتداعيات المُترتبه عَلَی الحدث

۲۴. إنَّ النتائج والتداعيات المُترتّبه عَلَی الحدث غَير محسومه سلفاً ومُسبقاً، والتفاصيل الأُخری المُتولِّده مِنْ الحدث الخارجه عَنْ حاقّ الواقعه كذلك المجال فيها مُمكن للحركه والحراك والسعی بلحاظها لإنجاز أكبر قدر مِنْ الأهداف العاليه، فلا يأس ولا إياس، بلْ عنفوان رجاء ملؤه تفاؤل بالخير والأمل، وهذهِ معرفه غائره بالتوكُّل عَلَی الله تعالی والرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء والقدر.

۲۵. التفاصيل ممّا يتطرَّق إليها البَداء والتغيير، فلا بُدَّ مِنْ الخوف واليقظه والحذر، وَهَذا ممّا يوجب الحيويّه والنشاط فی الحراك رغم أنَّ الظفر والنصر محتوم، إلّا أنَّه لا يوجب ترك تحمّل المسؤوليّه، وَهَذا معنی ظريف تفسيری لقاعده لا جبر ولا تفويض، أی: لا جبر فی التفاصيل، رغم أنَّه لا تفويض فی أصل الحدث وأصل الوقوع والواقعه.

۲۶. هَذا المعنی تفسير توحيدی لقاعده الزهد التی قال عنها أمير المؤمنين(عليه السّلام): إنَّها مشروحه فی قوله تعالی: {لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَی مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}(۱)، أی: لا تفرحوا بحَتميه النصر وتتركوا الخوف والحذر واليقظه، كما لا تأسوا مِنْ حَتميه البلاء فتتركوا النشاط والحراك والرجاء فی تحسين النتائج والتفاصيل.

۱- الحديد: آيه۲۳.

التفاؤل رجاءٌ بسعه البَداء

۲۷. أحد أهم تفاسير قول النُّبِيّ(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «تفاءلوا بالخير تجدوه»(۱). هو إيجاده الخير بواسطه التفاؤل، فيصبح المعنى واضحاً (تفاءلوا بالخير توجدوه). فالتفاؤل حاله تكوينيّه تعيشها النفس والروح، تصنع المُعجزات فى عالم تدبير وإداره الحدث فِى التكوين الخارجى، كما صنعته فى عالم التكوين الباطنى للنفس، وليسَ الأمر مُختصاً بالأفراد، بلْ هُوَ حتّى عَلَى صعيد المُجتمعات وعَلَى صعيد الدول والحكومات.

۲۸. ليس التفاؤل على إطلاقه ممدوحاً، فهناك مواطن يُذمّ فيها التفاؤل، وَهِيَ المواطن الَّتِى ينبغى فيها الحذر والخوف مِنْ سخطه تَعَالَى - مثلاً- ونحوها، فينبغى التعرُّف على تلك المواطن، فإنّ مواضع العفو والرحمه تغاير مواضع النكال والنقمه الإلهيّه، وهى مواقع تكوينيّه لا يمكن أن يمتزج بعضها بالبعض الآخر، كما فى دعاء الافتتاح: «أيقنتُ أنّك أنت أرحمُ الراحمين فى موضع العفو والرحمه، وأشدُّ المعاقبين فى موضع النكال والنقمه...»(۲).

۲۹. تبليغ الولايه رغم عظمتها وخطورتها فى الأمر الإلهى النازل عَلَى النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، إلّا أنَّ ذلك لمْ يدفع بالنبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) إلى الاندفاع فى الحركه والحراك مِنْ دون تدبير وتخطيط فى توخّى الأفضل فى المساحه المفتوحه، بَعْدَ أنْ لمْ يكن الأمر مُضيَّقاً بَلْ موسّعاً، حتّى جاء الأمر مرّه أُخرى بالفوريّه والتضييق، فترك

۱- الطباطبائى، محمّد حسين، الميزان فى تفسير القرآن: ج۱۹، ص۷۷. الريشهرى، محمّد، ميزان الحكمه: ج۳، ص۲۳۵۳، كَمَا وَرَدَ فى قصّه الحديبيه وكذلك فى قصه كتابه(صلّى الله عليه و آله وسلّم) إلى خسرو برويز.

۲- الطوسى، محمد بن الحسن، مصباح المتهجِّد: ص۵۷۸.

التأخير بسبب التروّى والتحرّى إلى المُبادره والإسراع.

۳۰. وَرَدَ النهى الشديد فى السنّه الإلهيّه عَنْ التضييق بكثره السُّؤال، كما فى بنى إسرائيل ضيَّقوا عَلَى أنفسهم الأوامر الإلهيّه المُتّسعه ذَاتَ العموم بسبب كثره السُّؤال عَنْ التفاصيل والقيود، كما فى أمره تعالى لهم بذبح البقره فكان المجال - فى البدء- مُتّسعاً لهم فى التفاصيل والحركه فيها، إلّا أنَّهم أكثروا السُّؤال عَنْ القيود فى التفاصيل ليحتّموها عَلَى أنفسهم، مَعَ أنَّها لمْ تكن مُبرمه بالقيود مُضيّقه عليهم رغم إبرام أصل الأمر.

۳۱. الهدهد فى قصه سليمان(عليه السّلام) قد يبدو مِنْهُ التكبّر عَلَى سليمان(عليه السّلام) حين قَالَ: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِين}(۱)، فهو تصوّر - كما هو حال بعض مدّعى المعرفه- أنَّ ما عَلِم به كُلّ الحقيقه، مَعَ أنَّهُ جهل ما عدا ذَلِكَ، وَمِنْ ثَمَّ وقع فِى صفه غَيْر محموده بسبب الجهل واختلاطه مَعَ مرتبه العلم لديه.

الفتح الحسينى

۳۲. لمْ تكن شجاعه الحسين(عليه السّلام) شجاعه فرد أو شجاعه فرديّه فحسب، بلْ كانت شجاعه فى التدبير وشجاعه فى الحكمه وفى التخطيط والتقدير، وهى ما يُسمّى: (بشجاعه القياده وشجاعه إداره الأزمات وإمامه الأُمّه).

۳۳. هُناك نفوس واسعه الأمل والرجاء تستطيع أنْ تحوّل الهزيمه إلى نصر، تحوّل الغصّه إلى فرصه.

۳۴. إنَّ الحسين(عليه السّلام) وإنْ كَانَ يبحث عَنْ الفتح الذى هُوَ أعظم مِنْ

۱- النمل: آيه۲۲.

النصر، لکن ذلک لا یعنی مُطلقاً التفریط بالجوانب الأخری وعدم البحث عَنْ الانتصارات فیها - الجوانب الأخری- فیما هُوَ ممکن ومقدور.

۳۵. کثیر من الانتصارات التی انتصر فیها الْنبِیّ(صلّی الله علیه و آله وسلّم) رغم ذلک أنّ القُرآن لمْ یسمّها فتحاً، فما هی الأبعاد الَّتِی حملها صلح الحدیبیه حتّی سمّاه القُرآن (فتحاً)؟ بَلْ وزاد فِی وصفه فسمّاه (فتحاً مُبیناً) رغم أنَّ الکثیر مِنْ المُسْلمین وخصوصاً المُشکّکین والمُرجفین یرونها هزیمه وفشلاً.

۳۶. فی قمّه الضیق والمضیق الذی یمرّ به النهر ینفتح عَلَی البحار والمحیطات العظیمه، هکذا کَانَ الحسین(علیه السّلام) یُؤسِّس لبناءٍ معرفیٍّ ویوصل رساله للناس، فی أنَّ الفتح غَیر النصر، والنصر العسکری الخارجی قدْ یکون مُخالفاً للفتح؛ فتصبح الخساره فتحاً وإنْ لمْ تکن نصراً، قال(علیه السّلام): «مَنْ لَحِق بی استُشهد، ومَنْ لمْ یلحق بی لمْ یدرک الفتح»(۱).

۳۷. کَانَ المُسْلِمُون ینتظرون کلمه تُشید بالانتصار بَعْدَ المعرکه، فإذا بأمیر المؤمنین(علیه السّلام) یُشیر إلی الفتح بقوله: «أنا فقأت عین الفتنه، وَلَمْ یکن لیجرأ علیها أحدٌ غیری»(۲)، لیقول(علیه السّلام) لکلِّ مؤمن: لا تنظر إلی ما تحت قدمیک من الانتصارات، بل اُنظر إلی ما هو الأهم، وهو تغییر المعادلات بظهور الحقّ وانقشاع الفکر الباطل، بسقوط قاده الباطل من النفوس، فإنَّ البصیره المعرفیّه فی متشابه المفاهیم الدینیّه - کموقعیّه أزواج النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وموقعیّه صحابته

۱- القمّی، جعفر بن محمّد، کامل الزیارات: ص۱۵۷. الحلی، حسن بن سلیمان، مختصر البصائر: ص۶. باختلاف یسیر.
۲- خُطَب أمیر المؤمنین علیّ(علیه السّلام)، نهج البلاغه: ج۱، ص۱۸۲. الهلالی، سلیم بن قیس، کتاب سلیم بن قیس: ص۲۵۶.

وموقعيّه المصحف وموقعيّه الرايه والشعار بكلمه حقّ توظّف لغايه باطله- أعظم مِنْ النصر العسكرى.

فى معنى الحِلْس

۳۸. إنَّ قول أبى عبد الله(عليه السّلام): «فكونوا أحلاس بيوتكم»(۱)، أى: استقم عَلَى ما أنت عليه مِنْ الإيمان وبيئه المؤمنين، والتزام جماعه الإيمان وبنمط ورويه الخفاء وكتمان موضع القوّه والضعف فى المؤمنين عَنْ الأعداء والمخالفين، والمواصله فى مشروع أهل البيت(عليهم السّلام) ، بدون صخب فى العلانيه تُثير الأعداء وتعرقل مسيره الإيمان.

۳۹. إنَّ المقصود من كلمه (حِلْس) فى الروايه وأمثالها ليس هو الجمود والخمول، بل المراد من (البيوت) هو تشبيه المؤمن فى بيت العقيده المستقيمه بالمتاع الذى فى البيت، يظنّ الداخل أنّه لا قيمه له، فى حين أنّه من الأشياء البالغه الأهمّيه والقيمه والفائده الكبيره، وأنّه لا يفارق البيت أبداً، أى: فى حين أنّ له أهمّيه ودوراً كبيراً فى البيت إلّا أنّه فى غطاء أمنى واحتراس خفى عن أن يفطن إليه العدو.

۴۰. فالمراد من أحلاس بيوتكم، أى: لا بدَّ من تصاعد الحِسّ الأمنى فى طبعكم وسيرتكم كيلا يفطن ولا يطمع بكم العدو فى حين كونكم سبباً فاعلاً كبيراً فى نفع وفائده بيت العقيده، ملازمين له لا تفارقوه ولا تتأثّروا بفتن الموجات الفكريّه المختلفه عن بيت منهاج العقيده الحقّه من تيارات فكريّه

۱- النعمانى، محمد، الغيبه: ص ۲۰۰. وقدْ نُقل نفس المضمون فى روايات أُخرى مِنْ طرق الشيعه والسنّه، حَيْث نُقل فى سنن أبى داود - وَهُوَ مِنْ مصادر السنّه- عنوان (الأحلاس). اُنظر: أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبى داود: ج۲، ص۳۰۵.

منحرفه وضاله، وقولهم(علیهم السّلام) : «فاسكَنوا ما سكنت السماء والأرض»(۱)، أی: اثبتوا ما كنتم علیه من الحقّ قَبل أن تعصف بكم الفتن، ولذلك فلسان هذه الروایات القیام بالواجب لحمایه الدین والعقیده بقوّه الثبات العقائدیّ، لا التخاذل والتفرّج عن حمایه بیت العقیده.

۴۱. النشاط وتحمّل المسؤولیّه لا یعنی الضجیج والصخب وإعلان الأسرار للأعداء فی العلانیه، وكذلك الخفاء والكتمان لا یعنی الجمود والانعزال والتفرّج مِنْ بعید، ولنا فی الإمام المهدی(عجل الله تعالی فرجه الشریف) القدوه البالغه؛ فإنَّه(عجل الله تعالی فرجه الشریف) فی قمّه الخفاء مَعَ قمّه تحمّل كافه المسؤولیّات فی كُلّ الساحات والمیادین الساخنه والبارده.

۴۲. لا بدَّ أن تكون وسطیاً فی الحدث، فإنّ الوسطیّه بمعنی المعادل الموضوعی والعامل المشترك الذی لا غنی عنه لكثیر من العملیات التدبیریّه الحسابیه.

۴۳. التمركّز لا یعنی التقوقع الجغرافی بقدر ما هُوَ تمركّز الاستراتیجیه.

۴۴. هَذا المعنی لا یعنی السكون والركود والنكول عَنْ هدف الانتظار، بلْ یعنی دوام استهدافه فی السعی والنشاط والحركه والحراك، والسكون والسكوت عَنْ بقیه الأهداف الأُخری الدنیویّه، وكذلك هُوَ - بتوظیف الأهداف المتوسطه لذلك الانتظار والظهور مِنْ دون الاغترار بتلك الأهداف لنفسها بنظره موضوعیه لها- تطبیق لقوله تعالی: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَلَا یَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِینَ لَا یُوقِنُونَ}(۲).

۱- المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۴۷، ص۲۷۴.

۲- الروم: آیه ۶۰.

۴۵. الانتظار مِنْ مادّه الناظر، أی: المتطلّع لشیء آتٍ، حیث یجعل مرکز کُلّ برامجه وتخطیطه وخطاه وخططه السعی لذلک الهدف، والدوران حول تلک النقطه المرکزیّه مِنْ دون رسم هدف مغایر لذلک الفرج الحقیقی؛ وذلک بعدم الاغترار والفرح بالانفراج النسبی الضئیل؛ وبذلک یکون السعی والعمل والنشاط أکبر مِنْ الأهداف المتوسطه، فضلاً عَنْ الأهداف المقطعیّه الشخصیّه.

قاعده إعداد القوّه

۴۶. قال تعالی: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ}(۱)، هذهِ الآیه ترسم أصلاً مُحکماً وقاعدهً خطیرهً استراتیجیه، ألا وهی: (إنَّ بناء القوّه لَیسَ له سقف یقف عنده، بلْ هُوَ أُفق مفتوح لا یتناهی).

۴۷. بناء القدره والقوّه لیس له سقف فی دعوه القرآن، نعم استخدام القوّه تّجاه الآخرین ولو کانوا من الأعداء المُعتدین له سقف وحدٌّ محدود، کما أنّ استخدام القوّه تّجاه الآخرین حاله استثنائیه واضطراریّه ولیست حاله أولیّه فی منطق القرآن ومدرسه أهل البیت(علیهم السّلام) .

۴۸. فبین بناء القوّه وإعدادها واستخدام القوّه واستعمالها بون شاسع، ومن ذلک تُفهم التوصیه ب- «فکونوا أحلاس بیوتکم»(۲).

برنامج التقیّه الأمنیّه والإعداد الخفیّ (الذکی)

۴۹. مِنْ الطریف أنَّ قاعده الإعداد الأمنیّ مُتمازجه ومُتداخله مع أقسام الجهاد الدفاعی - التی ستأتی- ومَعَ ذلک هی مُتعاکسه معها، ولیسَ

۱- الأنفال: آیه ۶۰.

۲- النعمانی، محمد، الغیبه: ص ۲۰۰.

معنی التعاکس هُوَ التضاد، بلْ هُوَ تعاکس السیر المنظومیّ لتنامی هذهِ القاعده مَعَ تلک الأقسام.

فینبغی بالمؤمن أن یعی بذکاءٍ ذلک السیر العکسی ویستثمره بشکل صحیح.

۵۰. إنَّ النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) وأهل بیته(علیهم السّلام) وسّعوا عنوان التقیّه إلی التقیّه التعلیمیه (الأمن التعلیمی أو المعلوماتی) والتقیه المداراتیه.

الحذر أنواع ومراتب

۵۱. ینبغی بالإنسان أن یخطّط بخفاء لمواجهه مستوی الخداع أو الجهل الموجود فی النفس الأمّاره بالسوء، أو عند الأزواج أو الأولاد أو الأعداء الحقیقیین، وهذا یحتاج إلی ضابط ومیزان لا یسقط فیه التدبیر إلی الازدواجیه، بل یبقی علی الاستقامه بتدبیر خفی یحرس فیه الأمن؛ ولذلک حذر المعصوم(علیه السّلام) المؤمنین من استخدام التقیه فی غیر موطنها، کما فی احتجاج الحسن العسکری(علیه السّلام) – فی حدیث- أنّ الرضا(علیه السّلام) جفا جماعه من الشیعه، فقال لهم: «وتتّقون حیث لا تجب التقیّه، وتترکون التقیّه حیث لا بدّ من التقیّه»(۱).

۵۲. کتمان الإیمان دور عظیم وَهُوَ المحافظه بالتقیّه عَلَی النفس أو عَلَی جماعه الإیمان، ولکن هناک ما هُوَ أعظم، وهی قاعده أُخری ملازمه لقاعده (الکتمان الذکی)، وهی قاعده (اصطناع الکُفْر تقیّه وخداعاً للعدو)، وکلا الدورین مارسهما أبو طالب(علیه السّلام)، فهناک روایه شبّهته بمؤمن آل فرعون، وأُخری تشبّهه بأصحاب الکهف وَهُوَ دور ثُنائی مزدوج أعظم مِنْ الدور الأوَّل.

۱- الطبرسی، أحمد بن علی، الاحتجاج: ج۲، ص۲۳۷. الحرّ العاملیّ، محمد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۱۶، ص۲۱۷.

۵۳. قول أمير المؤمنين(عليه السّلام): «فأما السبّ فسبّونی؛ فإنّه لی زکاه ولکم نجاه، وأمّا البراءه فلا تتبرّأوا منّی...»(۱)، هذه الروايه المستفيضه هی تحديد لأمد التقيّه بأن لا تصل بالإنسان فی ذوبان هويته فی نهج الباطل وانسلاخه عن هويه منهاج الإيمان، إذ ليس المراد تحريم البراءه اللفظيّه فی مقابل تجويز السبّ لفظاً - وهذا ما كذّبه الإمام الصادق(عليه السّلام) فی نسبه ذلك لأمير المؤمنين(عليه السّلام)- بل المراد بالبراءه كسيره ومنهاج عمل ينسلخ فيه عن أمير المؤمنين(عليه السّلام).

۵۴. إنّ سبب عدم استمرار النبیّ موسی(عليه السّلام) فی مصاحبه الخضر(عليه السّلام) هو عدم صبره علی الصرامه - انضباطاً- فی إنفاذ الأُمور بلا تتعتع سؤال وتلكؤ استنكار؛ مما يُفشی سرّ المهمات.

۵۵. إنّ أحد تفاسير: «لولا الحجّه لساخت الأرضُ بأهلها»، ليس أن تسيخ الأرض فقط بأهلها تكويناً بسبب الملكوت بالقضاء والقدر الإلهی، بل أيضاً بحسب الأسباب الطبيعيّه، أی: لولا رعايه الإمام(عجل الله تعالی فرجه الشريف) وفعل الإنسان الكامل - بالأسباب الطبيعيّه الإداريّه والتدبيريّه والتنظيميّه- بإحداث الموازنات والمعالجات السياسيّه والأمنيّه والاجتماعيّه الظاهريّه والخفيّه وكلّ المجالات المعيشيّه الأُخری لساخت الأرض بأهلها.

جدليّه حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغيّر

۵۶. لعلَّ البعض ينظر إلی الإمام الحسن(عليه السّلام) بأنَّه تحرّك فی صُلحه مَعَ معاويه عَلَی أساس البراغماتيه، وكَانَ فی مُنتهی الواقعيه (البراغماتيه) ولم يكن مثاليّاً، تطبيقاً - بحسب زعمهم- لأُسس أساس مبادئ السياسه (لا توُجد عداوه دائمه ولا صداقه دائمه، وإنَّما توُجد مصلحه دائمه).

۱- الحرّ العاملیّ، محمد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج۱۶، ص۲۲۸.

۵۷. ولكن هَـذا الكلام غَير صحيح؛ لأنّه(عليه السّلام) تحرّك عَلَى أساس (المبدأيه والواقعيّه)، مزجاً بين الواقعيه الَّتِى تتحرّك عَلَى أساس النفع، والمبدأيه الَّتِى تسير وفق ثوابت الدِّين، بابتكار سلوكى لمْ يسبقه أحد مِنْ الأنبياء والأولياء، نستطيع أنْ نُسميه - كاصطلاح بين المبدأيّه والنفعيّه- (المبدأيّه النفعيّه)، وهى علاقه متوازنه بين النفع التفويضى والجبريّه المبدأيّه (لا- جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين)؛ وبالتالى يكون الإمام الحسن قدْ وفّق بين النزعتين، أى: إنَّه لمْ يخسر أىّ ورقه إيجابيه فى هَـذا الطرف مَعَ تفادى الطعون عَلَى الطرف المُقابل.

۵۸. البراغماتى يطالب بالانعطاف مَعَ الواقع - مرونه التعاطى- والإمام الحسن(عليه السّلام) ينعطفُ مَعَ الواقع مَعَ عدم التفريط بأىّ مبدأ مِنْ المبادئ، وعدم خسران أىّ ورقه مِنْ الأوراق، حَيْثُ يمكن استثمار بدائل آليّه للحفاظ عَلَى المبدأ.

۵۹. إنّ كلمه عبد المطلب(عليه السّلام) لإبرهه: «وللبيت ربٌّ هُوَ أمنع له مِنْ الخلق كلّهم وأوْلى به منهم»(۱)، هى كلمه تحدٍّ وتهديد، وقوّه وقُدْره فى مناوره العدو للحصول عَلَى مكاسب أُخرى مِنْ خلال المُناوره فى المسير والمسار، وفعلاً حصل عَلَى ما يريد.

۶۰. والدرس المُهِم الذى نبع مِنْ صُلح الإمام الحسن(عليه السّلام) ومناوره جدّه عبد المطلب(عليه السّلام)، هو أنَّ الإنسان إذا كَانَ فى معركه ويتوقّع الخسران مِنْ جهه فلا ينبغى أنْ يفرِّط فى كُلّ شىء، بلْ يتوخّى مِنْ خلال محاورته ومناورته الإبقاء عَلَى بقيه القُدرات.

۱- المفيد، محمّد بن محمّد، الأمالى: ص۳۱۳. المجلسى، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۱۵، ص۱۳۱.

الوسطيه فی المسير والمسار

۶۱. الوسطيّه قد تكون بالمناوره الَّتِی تحافظ عَلَی الثابت التوليفی الذی يوازن بين النهج التقليدی والنهج الحديث العصری.

وبعباره: هُوَ استخراج للبّ الثابت فی النهج التقليدی عَنْ القشور القديمه وتلبيسه آليات عصريّه.

۶۲. النَّاس بين الإفراط فی التغيُّر بإيصاله للبّ الثابت، وبين التفريط وتضييع الأُمور بحجّه الثبات فيصاعدون بالثابت إلی الآليه، بلا موازنه بين الثابت والمُتحرّک، بين الآليه المُتغيّره وبين اللبّ الثابت.

۶۳. الدِّين وسيع ومتين، والشَّريعه سمحه سهله ليِّنه، وهی مِنْ الدِّين، وَمِنْ أصعب الصعاب الذی حارت فيه الألباب، هو التوفيق بين ما هُوَ ثابت ومتين وبين ما هُوَ سهل ليّن هيّن، فالليونه والسهوله فی الآليّه تعنی التغيّر، وتغيُّر الآليه لا يعنی تغيُّر الدِّين الثابت.

۶۴. قَالَ تعالی: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}(۱)، هُناک قاعده يبنی عليها الفُقهاء وهی أنَّ (الصلح أعظم مِنْ القضاء) - أی: الصلح بحق وليسَ بباطل- باعتبار أنَّ القضاء يكون فيه طرف خاسر وطرف رابح، وكأنَّ هُناک نوعاً مِنْ القهر والإلجاء للطرف الآخر، ولنفس السبب هو أفضل مِنْ الحرب.

معنی نسبيّه الحقيقه

۶۵. الحقيقه نسبيّه، بمعنی أنّها ذات مراتب لا متناهيه وليست نسبيّه سفسطيّه، يختلط فيها السراب مَعَ الحقيقه، فهی نسبيه فی نفس الحقيقه، وليسَ

۱- النساء: آيه۱۲۸.

فی الحقّ المختلط بالباطل والوهم والسراب؛ لأنَّ هَذا یؤدِّی إلی أنَّ أیّ شیء یساوی أیّ شیء.

الوفاء مع أهل الغدرِ غدرٌ عند الله

۶۶. إنّ غدر العدو أذا قوبل بسلمیّهٍ وبوداعه وحسن ظنّ فهو غدر عند الله، فیصبح المؤمن - المغدور- غادراً عند الله؛ لأنّه أحسن الظنّ بأهل الغدر، فنخطط لمواجهه غدره من حیث هو غادر وقد ظهرت منه بوادر الغدر، وهذا أصل عظیم فی التعاطی مع تحایل العدو وخدعه ومراوغته.

نظریه تخادم القواعد

۶۷. لاـ شکّ فی أنّ بین جمیع القواعد الدینیّه تعاون بترابط منظومی نظامی متّصل ومتواصل بین القواعد کحلقات فی سلسله وسلاسل وطبقات، کنظام الولایه للمُحکمات.

وکمثال للتخادم: فإنّ قاعده الرعایه وقاعده الإعداد إحداهما أکبر من الأُخری من جهه، فقاعده الرعایه المستقاه من قول النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم): «کلُّکم راعٍ وکلُّکم مسؤول عن رعیته»(۱)، تُمَنهِج وتُمَنطِق قاعده إعداد القوّه المأخوذه من قوله تَعَالَی: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ}(۲)، من جهه أنّ الإعداد یحتاج إلی رعایه، فلیس الإعداد کیفما اتّفق، ولیس هو بشکل عشوائی ینفرط وینفلت فیه الأمر، فیمکن للمؤمنین فی الساحات العلمیّه أو العملیّه أن یمازجوا ویزاوجوا بین القواعد لاستیضاح بعض التکالیف والواجبات، أو لاستکشاف تکالیف جدیده.

۱- المجلسی، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج۷۲، ص۳۸.

۲- الأنفال: آیه ۶۰.

المعنى الصحيح لمفهوم الانتظار

۶۸. ينبغى أن يفهم المؤمن أنّه الآـن يعيش كفرد فى مجتمع دوله الإمـام(عجـل الله تعـالى فرجه الشـريف) الخفيّه، فكيف يتعامل معها؟ وكيف يبنيها؟ وهـذه النظره هى شـكل آخر غير التعبّـد الدينىّ المحض وغير فكره إسـقاط الواجب الدينىّ - التعبّدى- بل بفكره استثمار الواجب التعبّدى.

۶۹. عن أبى عبد الله(عليه السّـلام): «يا عمّار، الصدقه - والله- فى السـرّ [فى دوله الباطل] أفضل من الصدقه فى العلانيه، وكذلك عبادتكم فى السرّ مع إمامكم المستتر فى دوله الباطل أفضل؛ لخوفكم من عدوِكم فى دوله الباطل وحال الهدنه...»(۱).

۷۰. المنهج الصـحيح الواقعى لقراءه أحداث مسرح الظهور ولعلامات الظهور ولشخصيات الظهور، هو منهج (الأمر بين الأمرين)، فلا تفويضـيّه بجعل المحور هو العلامات، أو بيد شخصيات مسرح الظهور، ولا جبريّه مطلقه لا ترى أهمّيه لأىّ دور وشخصيّه فى مسـرح الظهور، بل إنّما أمر بين أمرين، وذلك بالالتفات إلى المناهج الذى يتّبعها هؤلاء الثلاثه (اليمانى والخراسانى والسـفيانى) وغيرهم.

۷۱. لا جَبر ولا حَتميه مطلقه للأسـباب الغيبيّه والإعجاز الغيبى والإداره الغيبيّه بمعزل عن الأسباب الطبيعيّه فى تعجيل الظهور، كما أنّه لا تفويضيّه بجعل كلّ الأسباب بيد المؤمنين فى إداره وتنامى الحكومه الخفيّه للإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف).

۷۲. ما ذكرناه من منهج سوف يبطل منهج مَن يجعل العلامه بمثابه

۱- الصدوق، محمّد بن علىّ، إكمال الدين: ص۶۴۶.

العلّه إذا حدثتْ حدثَ الظهور، وإذا لم تحدث سوف لا يحدث الظهور، وكأنّه يُعلِّق ظهور الإمام المهدى(عجل الله تعالى فرجه الشريف) على ظهور هذه العلامات، فهو فى الحقيقه مُنتَظِر للعلامات - كاليمانى والخراسانى والسفيانى وغيرهم برؤيه جبريه للظهور لا رؤيه مسؤوله- وليس مُنتَظِراً انتظار نصره وعون للمهدى(عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ وسيكون من الفاشلين فى الامتحان - لأنّ كلّ العلامات قابله للبَداء- كما فشل المُنتَظِرون فى زمن نوح(عليه السّلام)؛ حيث علّقوا انتظارهم على العلامات (نوى التمر).

٧٣. كذلك يبطل منهج مَن يُعلِّق أمله وعمله فقط على حدوث البَداء فى كلِّ العلامات - وهذا مسلك جبرىّ- لأنّه يقول: ما دامت العلامه يمكن فيها البَداء ولا يرتبط بها الظهور فلماذا أنظر إليها؟ وبما أنّ الله ناصر وليّه ومظهر دينه على الدين كلّه، فما الداعى للبحث وراء العلامات ومتابعه الأحداث تسارعت أم تباطأت؟

والمنهج الصحيح يتّضح بضوابط ثلاث:

أ) ضابطه معرفه المنهج:

إنّ معرفه منهاج هؤلاء الثلاثه (اليمانى والخراسانى والسفيانى) فى سنه الظهور أهمّ من معرفه أشخاصهم؛ لأنّ الميزان هو على المنهج لا على الشخص، والبصيره هى على الحقِّ لا على الرجال؛ ومن ثَمَّ فمن أخطاء ثقافه التعليم لعلامات الظهور شخصنه البصيره بأشخاص، بينما البصيره مرهونه بالمنهج والميزان.

ب) ضابطه النظره المجموعيّه:

وهى ضابطه خطيره أيضاً فى قراءه علامات الظهور، وهى أنّ الثقافه والمعرفه بالمشروع المهدوىّ مبتوراً عن الثقافه والمعرفه بأصحاب الكساء، بدءاً بالمعرفه النبويّه ومعرفه المنهاج العلوىّ والفاطمىّ والحسنىّ والحُسينىّ، فضلاً

عن التوحيد، وثمره ذلک هيمنه ثوابت الدين العُليا فی قراءه المشروع المهدوىّ.

ج) ضابطه فی کيفيّه قراءه روايات علامات الظهور بالعلامه المرکزيّه (محوريّه الرجعه):

* إنّ روايات علامات الظهور هی فی الحقيقه إحداثيات ومعلومات استطلاعيه بُغيه التحفيز للقيام بالممانعه عن وقوع مخططات العدو، والوقايه عن حصول الإخفاقات والدعوه إلی إطلاق مبادرات استباقيه تستهدف أوکار ومعاقل العدو، ورسم خارطه سياسيّه وعسکريّه أمنيّه واجتماعيّه لسنين أو لسنه الظهور، وأنّها تقرير يرسم الوظيفه الاستراتيجيّه والتکتيکيّه والتقنيّه واللوجستيّه للمؤمنين فيما ينبغی عليهم القيام به والحذر منه واليقظه تجاهه، لا أنّها أنباء عن مقدرات لا بديّه الغرض منها التفرّج والخروج عن الخوض مع اللاعبين فی لعبه المواجهه.

* إنَّ معرفه حقيقه الظهور وحقيقه دوله العدل للإمام الثّانِی عشر(عجل الله تعالی فرجه الشريف) لا تتمُّ بدون معرفه الغايه مِنْ الظهور، والغايه مِنْ الدوله؛ فإنَّ غايه کُلّ شیء هُوَ أبين أمر فی تعريف الشیء حتّی أنَّه قِيلَ فی علم المنطق: إنَّ الأجزاء الرُکنيّه القواميّه الَّتِی يتکوَّن منها الشیء ليست بمثابه مِنْ الأهمّيه فی تعريف الشیء بقدر تعريفه بغايته.

* إنَّ هذهِ الدراسات والبحوث جعلت نجوم ومحاور مسرح أحداث سنه الظهور، عباره عَنْ الخراسانی واليمانی والسُّفيانی، بينما الظاهر فی روايات مُسْتفيضه أنَّ محور محاور أحداث سنه الظهور هُوَ حصول الرجعه لثُلّه من الأموات فی الکوفه هم سبعه وعشرون نفراً، وهم الدائره المرکزيّه من ال- (٣١٣)

أعضاء الحكومه المركزيّه لدوله المهدى(عجل الله تعالى فرجه الشريف).

* إذاً؛ لهؤلاء الراجعين دور بالغ الخطوره فى توازن معادلات الأحداث، وَمِنْ عظم هَذا الدور لهم وَردت المقوله المُسْتفيضه عَنْ المعصومين(عليهم السّلام) : «العجب كُلّ العجب ما بين جمادى ورجب»(۱).

* من غير الصحيح بلوره العقيده المهدويّه بالإمام الثّانِى عشر وظهوره ودولته بصياغتها وقولبتها بعيداً عَنْ ماهيّه منهاج آبائه، كالمنهاج العلوىّ والفاطمىّ والحسنىّ والحُسينىّ وبقيّه الأئمّه(عليهم السّلام) ، فصار البيان لماهيّه الظهور ومشروع الدوله للإمام الثّانِى عشر - هَذا البيان- مبتوراً عَنْ لبّه الحقيقى ومجتثّاً عَنْ جذوره الأصليّه.

* وبهذه الضوابط يُقطع الطريق على الأدعياء، ويكون التمحور بهذه الضوابط تمحوراً حول منهج الإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ لأنّ تلك المحاور مسارات وخطوط هم(عليهم السّلام) رسموها لنا.

۱- القندوزى، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّه: ج۳، ص۴۳۴، باب۹۹، ح۴.

الرايات المُناهضه لمشروع السُفيانى

(القيام بالمسؤوليّه)

۷۴. عَنْ أبى عبـد الله(علیه السّـلام)، قال: «خروج الثلاثه (الخراسانى والسُّفیانى والیمانى) فى سـنه واحـده فى شـهر واحد فى یوم واحد، ولیسَ فیها رایه بأهدى مِنْ رایه الیمانى یهدى إلى الحقّ»(۱).

۷۵. الیمـانى یتحمّـل المسؤولیّه: وهـذهِ الروایـات بمجموعهـا تُشـیر إلى أنَّ هُناک مَنْ یتحمّل المسؤولیّه، نَعَمْ هى تُبیِّن أنَّ الیمانى رایته أهدى، وبذلک هى تدفع المؤمنین للقیام بواجباتهم ومسؤولیاتهم تّجاه الأخطار وحرکات الضلال، فإنَّ الیمانى لَیسَ هُوَ مِنْ الملائکه المُقرّبین ولا من المعصومین(علیهم السّـلام) ، بلْ هُوَ مؤمن قام بواجبه وتحمّل مسؤولیته؛ وبالتالى هُوَ قـدوه للآخرین - مِنْ هَذِهِ الجهه- حیث لا ینبغى لهم القعود وترک المسؤولیّات.

۷۶. السـفیانى حرکه مقهوره: إنَّ حرکه السُّفیانى رغم قسوتها وشدّتها یمکن للمؤمنین أنْ یقهروها أو یُقلِّلوا مِنْ توسّعها؛ فیکفّون شرّهـا بالجمله أو فى الجمله، مُضافاً إلى سـلامه التوجّه الـذى یـدعو إلیه مِنْ مرکزیّه إمامه الأئمّه الاثنى عشـر وإمامه الإمام الثّانى عشر.

۱- المفیـد، محمـد بن محمـد، الإرشاد: ج۲، ص۳۷۵. الطوسـى، محمّـد بـن الحسن، الغیبه: ص۴۴۶-۴۴۳. إعلام الورى بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسى: ج۲، ص۲۸۴.

الرايات المُمهِّده للسُّفيانى

۷۷. الأوصاف للحركات الَّتِى قَبل السُّفيانى عديده، بعض الحركات يصفها المعصوم(عليه السّلام) بحركه السُّفيانى، وَمِنْ الواضح أنَّه لَيسَ للسُّفيانى - الذى قُبيل ظهور الإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف)- اسم، فهُناك حركه الأصهب والأبقع وغيرهما.

۷۸. السفيانى نتيجه لتقاعس المؤمنين: هذهِ الروايات وغيرها تؤكِّد أنَّ قَبل حركه السُّفيانى هُناك حركات ضالّه ومضلّه وباطله تفتن المؤمنين، وكأنَّها تشير إلى أنَّ السُّفيانى نتيجه سلبيه متولِّده مِنْ سلبيه أُخرى، وَهِىَ عدم قيام المؤمنين بمسؤولياتهم تّجاه أنفسهم وتّجاه المُجْتَمع بالتصدّى لتلك الحركات، ووأدها فى مهدها ولعدم توعيه المُجْتَمع للقيام بمسؤوليّته بالتحرُّك الصحيح والتصرُّف المُتقن.

الشيصبانى

۷۹. هَذا الوصف (الشيصبانى) لعلَّه - والله العالم- وصف مُركّب مِنْ كلمتين دُمجتا فى كلمه واحده، والكلمتان هُما (شيطان وصبى)، فتصير (شيصبان) كما هُوَ موجود فى كثير مِنْ المُصطلحات، فمثلاً يدمجون الزمان مَعَ المكان فتصير (زمكان).

۸۰. فالنتيجه: أنَّ حكومه شيصبان حكومه شيطانيّه صبيانيّه لا- تحسن التصرُّف كالصبى، وتنحدر فى مهاوى الفسق والفجور والرذيله كالشيطان، وبطابع مُراهق انفلاتى نحو الوجوم، وهذهِ الحُكومه مُقدّمه وأرضيه لفجور وفسق ودمار وتقاعس أكبر بواسطه تسلُّط السُّفيانى.

حكومه بنى العبّاس

۸۱. الروايات تؤكِّد أنَّ ملكهم - بنى العباس- لقائم، وَمِنْ الواضح أنَّه لا

يقصد أشخاصهم ولا أولادهم؛ لأنَّه يقول (ملكهم)، أى: حكمهم وسياستهم، فحكمهم وسياستهم قدْ بُنيت وأُسست عَلَى (الرضا مِنْ آل مُحمَّد(صلّى الله عليه و آله وسلّم))، ولكنَّه مُجرَّد شعار لَيسَ فيه إلّا الخُداع والتضليل الإعلامى، وكأنَّ كُلّ حكومه تُؤسِّس بنيانها عَلَى ذلك الشعار انتهازاً لغرض الوصول للحكم - لأنَّ الأرضيه العامَّه للمُسْلمين تهتف بأهل البيت(عليهم السّلام) - يسميها المعصوم حكومه بنى العبّاس، ولو كانت فى هذا الزمن!

٨٢. حكومه المكر والخُداع: المُستشعر مِنْ لسان الروايات أنَّ المؤمنين وجماعتهم إذا لمْ يقوموا بالمسؤوليّه المُلقاه عَلَى عاتقهم ولم يدركوا - بوعى وهمّه عاليه وبُعد فى النَّظر- عُمقَ الخطر المُحدق بهم سوف تستمرّ حكومات المكر والخُداع والتضليل الإعلامى، وكذلك الحكومات الشيطانيّه الَّتِى لا تُحسن التصرُّف بالتسلُّط عليها، وسيذوقون الذلّ والهوان، ثمَّ يدخلون فيما هُوَ أتعس وَهُوَ تسلُّط السُّفيانى، فهذا لا يكون حَتماً عليهم إلّا بتلك المُقدّمات المُهيأه لأشرّ وأقسى حكومه عرفها تاريخ البشريّه، فالمعصوم(عليه السّلام) حينما يفصّل فى تعاقُب الحكومات الباطله (شيصبانى، بنى العباس، سفيانى)، لَيسَ هُوَ نبوءه فلكيّه، بل هى قراءه هدفها التوصيه وإيجاد الوعى فى كيفيّه تحمّل المسؤوليّه، قَالَ تعالى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله إِنَّ الله لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(١).

السفيانى وداعش ويأجوج ومأجوج وجوه لعمله واحده

السفيانى وداعش(٢) ويأجوج ومأجوج وجوه لعمله واحده

٨٣. إنَّ خراب العمران والطابع المدنى والإفساد وسفك الدماء والهرج

١- الرعد: آيه ١١.

٢- هذا المصطلح هو عباره عن حروف يرمز بها إلى (الدوله الإسلاميه فى العراق والشام).

والمرج هى صفه يأجوج ومأجوج الَّتِى ذكرها القُرآن الكريم، وقدْ ذُكر فى جمله مِنْ الروايات الوارده فى ملاحم آخر الزمان نبوءه عَنْ خروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان، والظاهر أنَّ المُراد به عنوان وصفى، لا أنَّه عنوان واسم علم لجنس مخلوق، وإنْ كَانَ المعنى الوصفى يُأول للمعنى الثّانِى مِنْ الحقيقه النوعيّه؛ وذلك بناءً عَلَى تجسّم الأعمال وتجوهر الذات بسنخ الأعمال، أى: إنَّ الذات والروح والنفس وما لها مِنْ أبدان تنمسخ ويتكوّن بها جوهر مسانخ لطبيعه العمل، فالصوره صوره إنسان، وأمَّا الروح فقدْ تبدّلت إلى جنس يأجوج ومأجوج.

٨۴. لا ناموس ولا قاموس لهم: يصف القرآن هرجهم ومرجهم بتموّج بعضهم فى بعض عندما يزول السدّ - المعنوى- تبياناً لعدم انضباطهم بمبدأ، ولا ناموس ولا قاموس يتعاطى معه فى المعيشه بشكل لا يُطاق حيث لم يتحمّله أُولئك الأقوام البدائيين رغم جهلهم وأُمّيَّتِهم وتخلُّفهم، وإذا كان يهود (بنو قريظه وبنو النضير) نتيجه غدرهم فى ذمّه التعايش المدنى مَعَ مجتمع المُسْلمين أجلاهم وأبعدهم النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) عَنْ أرض الحجاز، فكيف بمَن يفسدون فى الأرض مِنْ كُلّ حدب وصوب؟ فهؤلاء لا يكفى فيهم الإجلاء والإبعاد عَنْ النسيج المدنى - كما فى اليهود- بلْ لا بدَّ مِنْ إقامه سدّ عازل يحول بينهم وبين انطلاق أمواج فسادهم تجاه المُجْتَمع المدنى الإنسانى الآمن، فضلاً عَنْ المُجْتَمع المؤمن المُسالم.

٨۵. هَذا ما نلاحظه حالياً طابعاً مُتميّزاً فى القاعده المشكَّله مِنْ السلفيّه والوهابيّه وداعش، فإنَّ سفك الدماء الذى يُمارسونه وقتل الأبرياء وخراب المُدن بلا أىّ رادع ولا وازع، وبلا التزام بثابت مِنْ الثوابت، ولا تتقيّد

بناموس مُقدّس إلّا عَلَى مُستوى الشعار كدجل إعلاميّ وخداع إعلانى، كقناع يلبسونه لتغطيّه صفه اليأجوجيّه والمأجوجيّه لديهم.

شخصيّات فى مسرح الظهور نفاق الإيمان (البتريّه)

البتريّه: هى ظاهره تلفيقيّه مزجيّه مخلّطه؛ لأنَّهم يخلطون مَعَ ولايه أهل البيت(عليهم السّلام) ولايه الشيخين.

۸۶. الروايات تُشير إلى تكرُّر هذهِ الظاهره واستمرارها فى الوسط الشيعيّ إلى عام الظهور كحاله نفاقيه فى الإيمان، وإنَّ أصحاب هَـذا التيـار البترى التوفيقى التلفيقى يعتمـدون المسحه العلميَّه، ويتضـرّعون بالمبررات الفقهيه لهـذا المنهـج، ونـداؤهم وخطابهم القائم ببنى فاطمه إشاره إلى نهـج فاطمه(عليهاالسّـلام) فى الإنكار عَلَى مسار السـقيفه والبراءه مِنْ الانحراف، فكأنَّ الميزان المائز لهم هو رفض التبرى مِنْ أعـداء فاطمه(عليهاالسّـلام)، كما أنَّهم فى بدايه أمرهم حيث أنكروا البراءه مِنْ الشـيخين وأظهروا البراءه مِنْ أعدائهما، «فالتفت إليهم زيدُ بن علىّ فى محضـر أخيه الباقر(عليه السّـلام)، وقال لهم: أتتبرأون مِنْ فاطمه؟! بترتُم أمرَنا بتركم اللهُ. فيومئذٍ سُمّوا البتريّه»(۱)، فعـدم المعاداه مَعَ الشـيخين يأول إلى مُعاداه فاطمه؛ ولـذلك يُخاطبون الحجّه(عجل الله تعالى فرجه الشـريف): «ارجع يـا بن فـاطمه، لاـ حـاجه لنـا فيـك». أى: لاـ حـاجه لنـا فى النهـج الفـاطمى الـذى ينطلق مِنْ البراءه لأعـداء آل مُحمَّد(عليهم السّلام) .

عَلَى طرفى نقيض

۸۷. إنَّ ظـاهره التلفيـق بيـن منهـاج أهـل الـبيت(عليهـم السّـلام) والمناهـج الأُـخرى - وعـدم التـبرّى والـبراءه مِنْ تلـك المنـاهج والمدارس المناوئه لأهل البيت(عليهم السّلام) كظاهره

۱- الصدوق، محمّد بن علىّ، مَن لا يحضره الفقيه: ج۴، ص۵۴۴.

المُقصّره والمارقه- هى ظاهره تتكرّر فى كُلّ عصر، تأخذ ألواناً وأشكالاً ومُسمّيات مُخْتلِفه، تَحْتَ أَطر الوحده والتقريب بين المذاهب، وتَحْتَ أُطر وذرائع مُخْتلِفه أُخرى.

٨٨. التيّار المصادم: فى مقابل هَذا التيّار المخلط نرى هُناك تيّاراً مصادماً يُشدّد عَلَى الفصل والتمييز بين مدرسه أهل البيت(عليهم السّلام) والمدارس الأُخرى، ويحصر التبعيّه والمرجعيّه الشَّرعيّه الإلهيه بأهل البيت(عليهم السّلام) ، وهو ما يُعرف ب- (التولّى)، وسلبها ونفى الصلاحيه عَنْ بقيه المدارس، وتخطئه المسارات المباينه للعتره، وَهُوَ ما يعرف ب-(التبرّى)، وقدْ طُعن عَلَى هَذا التيار الثّانِى بالتشدّد والغلو فى أهل البيت(عليهم السّلام) .

وَهَذا التجاذُب بين الظاهرتين جدليّه تتكرّر فى الأزمنه المُختلفه، وهى قائمه فى الزمان الحاضر أيضاً، وَرُبَّما يُبرَّر التيار الأوَّل بمنهجه المزجى والتلفيقى بجمله مِنْ الذرائع، كما أنَّه قدْ تُسجّل عَلَى التيار الثّانِى جمله مِنْ المؤاخذات بسبب صراحته الصارخه وعدم مداراته وعدم اتّخاذه أُسلوب الرِّفق واللّين فى تبيين الحقائق، ومفاجأه الوسط العام بخطاب لمْ تتهيأ لها الذهنيّه العامَّه فى الوسط الخاص، فضلاً عَنْ الوسط العام.

٨٩. إنَّ سِرّ استعراض هذهِ الروايات المُستفيضه المُتكاثره لتفاصيل عسكريه وأمنيّه، وإحداثيات جغرافيّه، وملفات سياسيّه، وملفات ومعلومات أمنيّه عَنْ طبيعه حركه السُّفيانى ونقاط الضعف والقوّه فيها، وكذلك فى الروايات الشيعيّه المُناهضه لها، فهل يا ترى كُلّ هَذا إنَّما هُوَ كمعلومات قمر صناعى عَنْ المُستقبل؟! كلا بلْ هُوَ دعوه للمؤمنين بالاطّلاع عَلَى هذهِ المعلومات ليرسموا لأنفسهم استراتيجيّه وبرنامج مقاومه ومواجهه،

وهـذهِ القراءه لنصـوص علامـات الظهـور تختلـف عَـنْ القراءه – الخـاطئه– السائـده، كتنبـؤات فلكيّـه أو كهانـات أو أبراج فلكيّه للمنجمين.

صور عديده للبَداء فى مشروع السفيانى

۹۰. قواعد البَداء التى ذكرناها تنطبق عَلَى مشـروع السُّفيانى المسـتقبلى بياناً لآفاق الاختيار والمسؤوليه فى ظل كونه مِنْ المحتوم، إلّا أنَّ حتميّته لا تفلت مِنْ البَداء، ولم يكن تقريراً ضمن المباحث السابقه.

۹۱. المحتوم مَن شارفت أسبابُ وقوعه: معنى كونه محتوماً لا يعنى عـدم تطرّق البَـداء فيه؛ لأنّ المحتوم ليس الـذى وقع ووُجِد، إنّما قُدر تقديراً باتاً ولمّا يقع، وقد اكتملت أسباب وقوعه، أى: شارفت أسبابُ وقوعه على الاكتمال ولمّا يقع، وعلى ضوء ذلك فإمكان هيمنه تقدير آخر حاكم وارد.

۹۲. استراتيجيّه الـدفع: تـدلُّ الروايـات عَلَى أنَّ السُّفيـانى يُلاقى مُقـاومه مجاميع مؤمنه، فلا تسـتتب له السـيطره على المناطق الَّتِى يسـيطر عليها، بلْ يكون هُناك كرٌّ وفرٌّ، وَهَـذا يعطى استراتيجيّه ثانيه وهى الرفع بَعْـدَ الاستراتيجيّه الأُولى الَّتِى هى الدفع، أى: دفع سيطرته قبل السيطره.

۹۳. مفتـاح الأمـل: كلاـ الاـستراتيجيتين دالتان عَلَى لزوم شِـدَّه المقاومه وصـلابتها حـدوثاً وبقاءً وفى كُلّ الظروف، وأنْ لا تهـدأ مجـاميع المؤمنين عَنْ المُقـاومه حتّى لو تحقّق لجيش السُّفيـانى سـيطره نسبيه فى بعض المنـاطق، فـإنَّ ذلـك لاـ يعنى بقـاء تلك السـيطره والقدره له عَلَى تلك المناطق عَلَى درجه ووتيره واحده، بلْ بالإمكان إضعافها وإزالتها، وهذهِ الدلاله نجدها فى روايات كثيره دالّه عَلَى هشـاشه بقـاء سـيطره السُّفيـانى فيمـا يسـيطر عليه مِنْ مناطق، وَهَـذا مفتاح أمل لبقاء ومسؤوليّه المقاومه والمواجهه لمشروعه.

۹۴. فی عقد الدرر: «ثمَّ یدخُل الکوفه فیصیر أهلها ثلاث فرق: فرقه تلحق به وهم أشرّ خلق الله، وفرقه تقاتله وهم عِنْدَ الله شُهداء، وفرقه تلحق بالأعراب وهم العصاه... فیبلغ الخبر أهل البصره، فیرکبون إلیهم فی البرّ والبحر، فیستنقذون أُولئک النساء مِنْ أیدیهم»(۱).

الروایه - حاکم ومُحکم- وفیها مواضع دالّه عَلَی أنَّ الوظیفه الأوّلیّه والمسؤولیّه هی المقاومه والمواجهه.

لمشروع السُّفیانی:

أ) حرمه الخضوع للسفیانی: ذلک عِنْدَ قوله: «فیصیر أهلها ثلاث فرق: فرقه تلحق به وهی أشرّ خلق الله»، وَهُوَ یشیر إلی حرمه الانقیاد والذوبان مَعَ مشروعه؛ لأنَّه یوجب الخسران الأبدی ومقتضاه لزوم مقاومته.

ب) ثمَّ قوله(علیه السّلام): «وفرقه تقاتله وَهُم عِنْدَ الله شهداء»، فی هَذا البیان منه(علیه السّلام) دلاله عَلَی أنَّ القاعده الأولیّه والوظیفه والمسؤولیّه هی مقاومه مشروعه ومواجهته بلغ ما بلغ، ولا ریب فی أنَّ هذهِ الوظیفه لیست مقرّره - قبل دخوله الکوفه أیضاً- مِنْ کُلّ البلدان حتّی فی الشام؛ لأنَّ مشروعه - کما مرَّ- إباده للدین باسم الدِّین، کما هی شاکله النهج الأُمویّ.

ج) وقوله(علیه السّلام): «وفرقه تلحق الأعراب وهم العصاه»، وَهَذا أیضاً بیان منه(علیه السّلام) إلی أنَّ ترک مقاومه السُّفیانی والتخاذُل عَنْ هذهِ المسؤولیّه والاهتمام بنجاه النفس معصیه کبیره جدّاً، ووجه الدلاله عَلَی أنَّها کبیره أنَّ هَذا العنوان (العصاه) والتوصیف قدْ وَرَدَ نظیره فی الذین خالفوا رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم) فی مواطن، نظیر ما وَرَدَ فی الصوم فی السفر مِنْ جماعه کانوا مَعَ رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم)

۱- المقدسی، یوسف بن یحیی، عقد الدرر: ص۷۷.

وبقوا صياماً سمّاهم النَّبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم) العُصاه وبقی ذلک الوصف علیهم.

۹۵. خصوصیه أهل العراق: ذکر(علیه السّلام) البصره والکوفه(۱) إشاره لخصوصیه - خاصه- لأهل العراق، فالأمر - بالنسبه إلیهم- عینی تعیُّنی وواجب وفریضه کُبری، بحیث یکون التخلُّف عنها معصیه، ویوسم المتخاذل بوصف العصاه إلی یوم القیامه، ولم یکن التعبیر بهذهِ الشهاده والتأکید فی الروایات الَّتِی ذکرت البلدان الأُخری.

۱- من المعروف بحسب النقول التأریخیه أنّ البصره تشمل الجنوب، والکوفه تشمل الفرات وبعض مناطق الوسط.

الجهاد الدفاعی

اشاره

ینقسم الجهاد الدفاعی فقهیّاً بحسب الأدلّه إلی أقسام أربعه:

القسم الأوّل: الدِّفاع الوقائی الرادع عَنْ عدوان المعتدی:

وَهُوَ مضمون القاعده فی الآیه الکریمه: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ}(۱) وَهَذا النوع مِنْ الجهاد الباب مفتوح عَلَی مصراعیه لإعداد المُجْتَمع للقوّه أمام عدوان المُعتدی، ولیسَ هُناک سقف مُعیَّن یقف عنده ذلک الإعداد، وَهُوَ نحو مِنْ القوّه الناعمه - فی الاصطلاح الاستراتیجی الحدیث- لأنَّه لا تُراق فیه محجمه دم ولا تنشب فیه نار تشتعل، بلْ قُوّه ردع واقیه عَنْ العدوان، وَمِنْ خصائص هَذا القسم أنَّه لا یعطل فی حال مِنْ الأحوال، کَمَا أنَّه عینیّ عَلَی الجمیع استغراقاً کُلٌّ بحسب قدرته وطاقته، فضلاً عَنْ کفایته بحسب مراتب الإعداد.

القسم الثّانِی: الدِّفاع العلاجی:

وَهَذا القسم یُقرِّر أنَّ الدِّفاع بَعْدَ وقوع الاعتداء لرفع العدوان والغزو، وطرده مِنْ بقاع الإیمان مکانیّه کانت أو جغرافیّه أو غیرهما، وَهُوَ المعهود فی الأذهان والثقافه الفقهیّه.

القسم الثَّالث: الدِّفاع الاقتصاصی:

وَهَذا القسم غایته الردع عَنْ تکرّر العدوان، وَهُوَ مفاد قاعده: {وَلَکُمْ

۱- الأنفال: آیه ۶۰.

فِی الْقِصَاصِ حَیَاهٌ یَا أُولِی الأَلْبَابِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ}(۱). وَمِنْ الواضح أنَّ عِدَّه مضامین قرآنیه تصبُّ فی هَذا المفاد.

القسم الرَّابع: الجهاد الدفاعی الاستباقی:

اشاره

وَهُوَ یُقام به فی المورد الذی یُعلم بأنَّ العدو مُتربِّص لشنِّ عدوان قریب قدْ أخذ أُهبته فی ذلک، وبدت علامات ولوائح ذلک شاهره ظاهره، والقدر المُتیقّن مِنْ مشروعیّه هَذا القسم ما إذا کَانَ عدم الاستباق بالحرب والتوانی عَنْ المُبادره یستلزم عدم القُدره عَلَی الجهاد الدفاعی مِنْ القسم الثّانِی - وَهُوَ العلاجی- أو أنَّه سیکبّد المؤمنین والمسلمین خسائر کبیره فی الأرواح والثروات، ویشیر إلی ذلک قوله تعالی: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِیَانَهً فَانبِذْ إِلَیْهِمْ عَلَی سَوَاء إِنَّ الله لاَ یُحِبُّ الخَائِنِین}(۲).

ثمَّ إنَّ ها هُنا أقساماً أُخری مِنْ أقسام الدِّفاع وهی:

القسم الخامس والسادس: الجهاد الاستباقی والاقتصاصی للدفاع عن المقدَّسات:

وهذه الأقسام أعظم من الأقسام السابقه؛ لأنَّ هذهِ الأقسام للدفاع عَنْ الأراضی المُقدَّسه، أی: البلاد الَّتِی فیها مراقد المعصومین(علیهم السّلام) وفیها المساجد المشرَّفه، فالحرم المکّی أرض مُقدّسه والحرم المدنی کذلک، بلْ یشمل ما هُوَ أوسع مِنْ الحرم المکّی والمدنی فیشمل أرض الحجاز کُلّها، فهذهِ الأرض ینبغی تطهیرها مِنْ دنس المنتهِکین لقدسیتها وحرمتها، کذلک النجف وکربلاء والکاظمیّه وخراسان وسامراء، مدنٌ یجب الدِّفاع عنها وحمایتها وقطع أیدی

۱- البقره: آیه۱۷۹.

۲- الأنفال: آیه۵۸.

الباطل عنها إنْ كانت فی أیـدیهم، بلْ حمایه المقدَّسات توجب حمایه کُلّ أرض العراق، وَهَذا حال وحکم کُلّ البلدان الَّتِی فیها المقدَّسات، وَهَذا یشیر إلی أنَّ برنامج الثأر والثوره مُستمرّ.

القسم السابع: الجهاد تعصباً لأهل البیت(علیهم السّلام) :

بیت الَمقـدِس إنَّمـا صـار قبله وقُـدِّس لعبـاده الأنبیاء فیه ولقُدسـیتهم، کَمَا فی الروایه عَنْ ابن عباسt: «فسار بهم موسـی فانطلقوا یؤمّون الأرض المُقدَّسه وهی فلسـطین، وإنَّما قدَّسـها لأنَّ یعقوب(علیه السّلام) وُلِد بها، وکانت مسکنَ أبیه إسحاق(علیه السّلام)، ویوسف(علیه السّلام) ونُقلوا کلّهم بَعْدَ الموت إلی أرض فلسطین»(۱)، إذا کان الدفاع عن الأرض المقدَّسه أعظم من الدفاع عن بـاقی الأراضـی، فبالأـوْلی الـدفاع تعصـباً لـذات المعصوم(علیه السّـلام) یکون أعظم، فلیس التعصب مختصاً بحیاه المعصوم(علیه السّـلام)، بـلْ لمـا بَعْـدَ حیـاه الإمام المعصوم، کَمَا یظهر مِنْ قول السـجاد(علیه السّـلام): «لو أنَّ عبـداً زنجیاً تعصّب لنا أهل البیت لوجب علی الناس مؤازرته»(۲)، فیکون التعصب غَیر مقیّـد بزمـان أو مکان ما دام یصبّ فی نصـرتهم، ویُضاف نسـبته إلیهم وإذا کنّا نقول فی زیاره أبی الفضل(علیه السّلام): «انتُهکت بقتلک حرمهُ الإسلام»(۳).

۹۶. حرب بـارده وحرب سـاخنه: بعـد معرکـه الطـف یختـار الإمـام زین العابـدین(علیه السّـلام) الحرب البـارده، فی حین تختـار زینب(علیهاالسّلام) وهی العالمه غَیر المعلَّمه

۱- قطب الدین الراوندی، سعید بن هبه الله، قصص الأنبیاء: ص۱۷۶، ح ۲۰۰.

۲- الحلی، ابن نما، ذوب النضار: ص۹۷. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴۵، ص۳۶۵.

۳- المشهدی، محمّد بن جعفر، المزار: ص۳۹۱. الکفعمی، إبراهیم بن علیّ، المصباح: ص۵۵۱.

والفهمه غَير المفهمه - كَمَا وصفها الإمام زين العابدين(عليه السّلام)- نهجاً آخر، وهى لمْ تكن لتتصرف إلّا فيما يأمر به الشرع وتَحْتَ نظر الإمام(عليه السّلام)، فهُنا نهجان يسيران فى عرض بعضهما، وكلاهما تَحْتَ نظر ورعايه الإمام السجّاد(عليه السّلام).

٩٧. وَهَذَا بعينه موقف الزهراء(عليهاالسّلام) حين كَانَ أمير المؤمنين(عليه السّلام) فى حرب بارده وعدم مواجهه مَعَ الطرف الآخر، فى حين كانت الزهراء(عليهاالسّلام) تحرّض الأنصار عَلَى القتال، فقدْ روى فى الخبر مسنداً عَنْ مصعب بن عبد الله، قَالَ: «كانت زينب بنت عَلىّ وهى بالمدينه تؤلّب النَّاس عَلَى القيام بأخذ ثأر الحسين(عليه السّلام)»(١)، فبلغ ذلك عمر بن سعيد، فكتب إلى يزيد يُعلمه الخبر، فكتب إليه: أنْ فرّق بينها وبينهم، فأمر أنْ يُنادى عليها بالخروج مِنْ المدينه والإقامه حَيْثُ تشاء، فقالت: «قدْ علم الله ما صار إلينا، قد علم الله ما صار إلينا، قُتِل خيّرنا، وانسقنا كَمَا تُساق الأنعام، وحُملنا عَلَى الأقتاب، فو الله، لا خرجنا وإنْ أُهريقت دماؤنا...»(٢).

٩٨. استمرار الثأر والثوره: وَهَذا يشير إشاره قويّه إلى الثوره والثأر وضروره المطالبه بثأر الحسين(عليه السّلام) مِنْ أعدائه مهما كانت الظروف ومهما كلّف الأمر، كَمَا قدْ كلّف زينب الخروج مِنْ المدينه - نَعَمْ قدْ تختلف الآليات فمرّه تكون الآليه بارده ومرّه تكون ساخنه- بلْ إنَّه حسب ما تذكر نفس القصّه أنَّها رفضت الخروج لولا إلحاح الهاشميّات، قَالَ: «فأبت الخروج، ثمَّ اجتمع عليها نساء بنى هاشم وتلطفنَ معها فى الكلام، فاختارت مصر»(٣).

١- الطبرى، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص۴۶۵.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه.

۹۹. وفی هَذَا إشاره إلی أنَّ زینب(علیهاالسّلام) کانت مُصرّه عَلَی الاستمرار فِی الثوره لولا إلحاح الهاشمیّات، وکذلک یشیر إلی أنَّ حکومه بنی أُمیه لَمْ تستطع مواجهه الثوره الزینبیّه إلَّا بالأسالیب القذره فِی الضغط عَلَی بنی هاشم، وَهَذَا أمر بالغ الأهمّیه أغفله الکثیر.

۱۰۰. من أقسام الجهاد (الجهاد للمواساه): وهو یغایر الجهاد لأجل الدفاع أو للدعوه؛ حیث إن غایته لیس حصول الدفاع والنجاه ولا الدعوه واستجابه الطرف والخصم، بل مواساه المعصوم(علیه السّلام) فی القتل والقتال، وهو وإن کان یتّفق من حیث الموضوع مع القسم السابق إلّا أنّه قسم مستقل برأسه، وهو عباره عن الجهاد الذی یکون من أجل ذات المعصوم(علیه السّلام) فی حیاته بلا رجاء إنقاذ حیاته، بل للمواساه فقط.

وهذا القسم کان واضحاً فی الثقافه الإسلامیّه فی زمن المعصوم(علیه السّلام) وإن أغفلته ثقافتنا الیوم، وفی زیاره الناحیه المقدّسه یشیر الإمام(عجل الله تعالی فرجه الشریف) إلی هذا القسم:

۱۰۱. قال: «السلام علی مسلم بن عوسجه الأسدی، القائل للحسین - وقد أذِنَ له فی الانصراف-: أنحن نُخلی عنک؟! وبِمَ نعتذر عند الله من أداء حقّک؟... وکنت أول مَن شری نفسه وأول شهید شهد الله وقضی نحبه، ففزت وربّ الکعبه، شکر الله استقدامک ومواساتک إمامک...»(۱).

۱۰۲. وکذلک فی سلامه علی سعد t: «السلام علی سعد بن عبد الله الحنفی، القائل للحسین - وقد أذِنَ له فی الانصراف-: لا والله، لا نخلیک حتی یعلم الله أن قد حفظنا غیبه رسول الله(صلّی الله علیه و آله وسلّم)... ثَمَّ هی بعدها الکرامه التی

۱- المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار: ج۴۵، ص۶۹.

لا انقضاء لها أبداً، فقد لقيت حمامك وواسيت إمامك...»(۱).

۱۰۳. أعظم المواساه مواساه أبی الفضل(علیه السّلام): وبما تقدم تتّضح عظمه الشهاده بجهاد المواساه التی شهدها المعصوم(علیه السّلام) لأبی الفضل(علیه السّلام)، فقد ورد معنی المواساه فی زیاره أبی الفضل(علیه السّلام) التی رواها - بسند معتبر- أبو حمزه الثمالی عن الإمام الصادق(علیه السّلام)، قال: «...أشهد لک بالتسلیم والتصدیق والوفاء والنصیحه لخلف النبی(صلّی الله علیه و آله وسلّم)... أشهد لقد نصحت لله ولرسوله، فنِعمَ الأخ المواسی»(۲).

۱۰۴. سلاح للسَّلام لا للاستسلام:

إنَّ الآلیه الَّتِی اتّفق علیها جمیع الفُقهاء، ولم یشکک فیها أحد منهم هی قاعده (إعداد القوّه)، واستدلَّ لهذه القاعده مِنْ قوله تعالی: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ}(۳)، وَهَذا المُقدار المُتّفق عَلَیه دینیّاً وشرعیّاً وعقلائیاً، العدو یرفضه ویتهموننا بالأوباشیه، ویحاولون قصّ أظافرنا وأجنحتنا بحجّه أنَّها مخالب عدوانیّه، نقول لهم: إنَّها لیست للعدوان، بلْ للدفاع عَنْ أنفسنا، نُریدُ حمایه أنفسنا، لمْ ولَنْ نبدأ الآخرین بعدوان، هَذا هُوَ منطق دیننا ومنطق قادتنا المعصومین(علیهم السّلام) ، ولکن هم مَن بدأ الحرب وأجّج نار الفتنه فی مجتمعنا.

رکنیه الأراضی المُقدَّسه

۱۰۵. الدِّین مِنْ الأُمور ذات المراتب: فهُناک مرتبه العقائد وهی أعلی مراتب الدِّین، ثمَّ تأتی مرتبه الأخلاق، ثمَّ مرتبه فروع الدِّین، کما بیَّنها

۱- المصدر نفسه: ج۴۵، ص ۷۰.

۲- المفید، محمد بن محمد، المزار: ص ۱۲۱. المشهدی، محمد بن جعفر، المزار: ص ۳۹۱.

۳- الأنفال: آیه ۶۰.

الحديث النَّبوى الذى هُوَ مِنْ جوامع الكلم، فعن النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «العلم ثلاثه: آيه مُحكمه، أو فريضه عادله، أو سنّه قائمه»(۱). وَمِنْ الواضح أنَّ هذهِ المراتب رُتِّبت مِنْ حيث الأهمّيه؛ وبالتالى يكون الواجب فى كُلّ مرتبه أوجب مِنْ الواجب فى المرتبه الأُخرى، فمثلاً- الصَّلاه- ركن مِنْ أهمّ أركان فروع الدِّين، لكن لا تُقاس بواجب رُكنىّ اعتقادىّ رغم ركنيتها، فضلاً عَنْ أنْ تُقاس بأصل مِنْ أُصول الاعتقاد، كالولايه.

۱۰۶. لا- قيمه للصلاه بلا- ولا- يه: قوله تعالى: {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}(۲)، فالصَّلاه رغم عظمتها حالها بدون ولايه الله ورسوله وأُولى الأمر حركات ضوضائيه كالتصفيق والصفير، وهذهِ الصَّلاه مكاء وتصديه حتّى لو كانت بزعم ولايه الله؛ ولذلك رغم أنَّهم يؤمنون بالله، أى: يقرّون بالشهاده الأُولى، ولكن لعدم إقرارهم بالشهاده الثَّانيه للرسول(صلّى الله عليه و آله وسلّم) يعد ويعتبر اللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى طوافَهم وحجّهم وعبادتهم وتقربّهم إليه بُعداً عنه ونجاسه ينبغى إزالتها وإبعادها عَنْ المسجد الحرام، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ}(۳).

۱۰۷. الزياره أعظم: وَمِنْ العجيب أنَّ بعضاً مِنْ أوساطنا الشيعيّه يُقايس حجاب المرأه - مثلاً- بالزياره لأنَّها مستحبّه.

۱- المجلسى، محمد تقى، روضه المتقين: ج۱۲، ص۱۵۸. ابن قدامه، عبد الله بن أحمد، المغنى: ج۷، ص۲.

۲- الأنفال: آيه۳۵.

۳- التوبه: آيه۲۸.

وَهَـذا خلط وخبط وعـدم تمييز ومعرفه بمراتب الـدِّين، فأيُّهما هُوَ المُستحبّ؟ وأيُّهما هُوَ الواجب؟ فالزياره تتضـمَّن عِدَّه واجبات كفائيه وأُخرى عينيّه، مِنْها: ترويـج الدِّين وإرشاد وتعاهد المؤمن لولايه أهل البيت(عليهم السّـلام) وعماره المُقدَّسات وغيرها مِنْ العناوين الواجبه المُنطبقه.

١٠٨. لتركبن سُـنن مَن قبلكم: كذلك عَنْ حريز، عَنْ بعض أصـحابه، عَنْ أبى جعفر(عليه السّـلام) قال: «قال رسول الله(صـلّى الله عليه و آله وسـلّم): والـذى نفسـى بيـده، لتركبُن سُـنن مَن قبلكم حـذوا النعل بالنعل والقـذّه بالقذّه حتى لا تخطئون طريقهم ولا يخطئكم سـنّه بنى إسـرائيل، ثمَّ قـال أبو جعفر(عليه السّـلام): قـال: موسـى لقومه: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَـدَّسَهَ الَّتِى كَتَبَ الله لَكُمْ}، فردّوا عليه وكـانوا سـتمائه ألف {قالُوا يَا مُوسَـى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَـدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ*قَـالَ رَجُلَـانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا}، أحـدهما يوشع بن نون والآخر كالب بن يافنا، قال: وهما ابنا عمّه، فقالا: {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ}. إلى قوله: {إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}. قال: فعصـى أربعون ألف وسـلم هارون وابناه ويوشـع بن نون وكالب بن يافنا فسـمّاهم الله فاسقين، فقال: لا تأس على القوم الفاسقين، فتاهوا أربعين سنه؛ لأنّهم عصوا فكان حذو النعل بالنعل، إنّ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) لمّا قُبض لم يكن على أمر الله إلّا عليّ والحسن والحسين وسلمان والمقداد وأبو ذرّ، فمكثوا أربعين حتى قام عليّ(عليه السّلام) فقاتل مَن خالفه»(١).

١٠٩. أدخلوا الأرض المقـدَّسه: الإشارات القُرآنيه والروائيه واضـحه بضـروره دخول المؤمنين الأرض المُقدَّسه، وبالتالى ضـروره إخراج الكفّار

١- العياشى، محمّد بن مسعود، تفسير العياشى: ج١، ص٣٠٣.

والفُسّاق والمنحرفين منها وإلّا سيكون المؤمن الذى كتب الله له أنْ يدخُل الأرض هُوَ الفاسق؛ إذا امتنع عن الدخول، وسيشمله عنوان الفسق، فَهُوَ تَعَالَى: {يَمْحُو الله ما يشاء ويُثْبِتُ وعِندَهُ أُمُّ الْكِتَاب}، وَهُوَ تَعَالَى: {إنَّ الله لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْم حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}، فإنَّ الأرض المُقدَّسه كما يقول الإمام(عليه السّلام) فى الروايه الأخيره عَنْ مسعده بن صدقه: «كتبها الله لهم ثمَّ محاها عنهم، ثمَّ كتبها للأبناء فدخلوها». والروايه تُخبر أنّ الأُمّه ابتُليت بَعْدَ رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) بنصره البيوت المُقدَّسه، فلم يستجيبوا فتاهوا أربعين سنه، وسنُبتلى بمثلها إنْ تخاذلنا.

١١٠. التيه فى أُمّه مُحمَّد(صلّى الله عليه و آله وسلّم): دخول الأراضى المُقدَّسه فَرْضٌ عينٌ عَلَى كُلّ المؤمنين، وليست القضيه مختصّه بزمن النَّبى موسى(عليه السّلام) وَهَذا ما أراد الإمام الإشاره إليه حيث أورد حديث النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم): «لتركبُنّ سُنن مَنْ قبلكم حذوا النعل بالنعل والقذّه بالقذّه»، وطبقه عَلَى قول القُرآن: {ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَهَ}، وأكّد أنَّ الأُمّه تتخاذل عَنْ علىّ(عليه السّلام) ولا تنصره فيصيبها الله التيه أربعين سنه، وما دامت سنّه إلهيّه فى كُلّ الأُمم السابقه، فينبغى بنا أنْ نعى خطوره ما يجرى وعظم المسؤوليّه المُلقاه عَلَى عواتقنا، وإلّا فسوف نُبتلى بالتيه أربعين عاماً، ونكون مِنْ المؤخِرين للظهور وليسَ المُعجّلين.

باب حطّه

* قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَهَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّهٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ*فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}(١).

* وقوله تعالى: {وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَهَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ

١- البقره: آيه۵۸-۵۹.

وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ*فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِی قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ}(۱).

۱۱۱. قَدْ وَرَدَ مُستفيضاً لَدی الفريقين أنَّ باب حطّه فی هذهِ الأُمّه - كَمَا قَالَ النَّبی(صلّی الله عليه و آله وسلّم)- هُمْ أهل البيت(عليهم السّلام) بلْ إنَّ باب حطّه فی بنی إسرائيل كَانَ لأنَّ أسماء النَّبی وأهل بيته مكتوبه عليه استشفاعاً بهم، كَمَا وَرَدَ فی الروايه المتقدِّمه، وتفيد الآيتين حينئذٍ:

أ) افتراض دخول باب حطّه افتراض سُكنی القريه المُقدَّسه عماره وإحياءً لها.

ب) افتراض التوسُّل والاستشفاع لغفران الذُّنوب بباب حطّه فی الأراضی المُقدَّسه وهم أهل البيت(عليهم السّلام) .

ج) لزوم الخضوع والسجود لله تعالی فيها، والعباده له بالتوجّه بها إليه تعالی.

د) إنَّ الإعراض عَنْ التوجّه والتوسُّل بباب حطّه عقوبته دنيويّه عاجله قبل الأُخرويّه، وبنزول الرجز مِنْ السماء عَلَی العصاه لذلك.

كيف نُقدِّسهم

۱۱۲. حفظ الأمن فی البقاع المُقدَّسه وتأمينها واجب، كذلك تأمين الطريق للوصول إليها؛ لأنَّ (مقدِّمه الواجب واجبه)، كذلك ينبغی تسهيل أداء العباده فيها وإقامه الصَّلاه وكافه الممارسات الدينيّه كالشعائر وغيرها.

۱- الأعراف: آيه ۱۶۱-۱۶۲.

۱۱۳. عماره البیوت المقدَّسه: بما أنَّ عماره البیت الحرام متولِّده مِنْ وجوب زیارته، فإنَّ تعاهد المساجد المُکرَّمه والمشاهد المُشرّفه تتوّلد منه ضروره عمارتها، بلْ إنَّ عَلَی الوالی إجبارهم إذا ترکوا الحجّ، ففی صحیح الفضلاء، عَنْ أبی عبد الله(علیه السّلام) قال: «... ولو ترکوا زیاره النَّبی لکان عَلَی الوالی أنْ یجبرهم عَلَی ذلک، أو عَلَی المقام عنده، فإنْ لمْ یکن لهم أموال أُنفقت علیهم مِنْ بیت مال المُسْلمین»(۱).

۱۱۴. التشعیر والتقدیس: قوله تعالی: {فِی بُیُوتٍ أَذِنَ الله أَنْ تُرْفَعَ وَیُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}(۲).

إنَّ هذهِ البیوت رفعها الله وأوجب بذلک عَلَی المؤمنین رفعها، وأنْ یُذکر فیها اسمه، فهَذا تشعیر لها لجعلها مشاعر مقدَّسه، ثمَّ قَالَ بَعْدَ ذلک: یسبِّح له فیها، أی: التسبیح جاء بَعْدَ مفروغیّه رفعها (تشعیرها وتقدیسها)، وأنَّ لازم رفعها وتعظیمها القنوت والإخبات والضعه والتواضع فیها.

۱۱۵. الزیاره والجوار جهاد: کما فی روایه عَنْ الحسن بن العباس بن الجریش، عَنْ أبی جعفر الثّانِی(علیه السّلام) فی حدیث طویل فی شأن {إنّا أنْزَلنَاه}، قَالَ(علیه السّلام): «ولا أعلم فی هَذا الزمان جهاداً إلّا الحجّ والعمره والجوار»(۳)، ومفادها تنزیل الجوار للمشاهد المُشرّفه منزل الجهاد.

ولکن بنظره أُخری وبفهم أعمق؛ ولما قُرِّر فی العُلوم الروحیّه وعلوم

۱- الحر العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۱۱، ص۲۴.

۲- النور: آیه۳۶.

۳- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۱، ص۲۵۱. الحرّ العاملی، محمّد بن الحسن، وسائل الشیعه: ج۱۵، ص۴۷.

النفس والاجتماع مِنْ وجود الطاقات الغيبيّه الَّتِی تکون کأمواج روحیّه مرسله، وهی بحسب مَنْ أرسلت منه، فَإنْ کَانَ صالحاً کانت، وبالعکس إنْ کَانَ طالحاً، کَمَا أنَّ هُناک إشاره أُخری تشیر إلی المُعاناه الَّتِی یعانیها المجاور لهم والزائر مِنْ قِبَل الظالمین عَلَی مرَّ العصور، کَمَا أنَّ الزائر حین الزیاره یستلهم معانی الجهاد والأمر بالمعروف والنهی عَنْ المنکر، بلْ وَکُلّ العقائد الحقّه.

۱۱۶. الجهاد عماره للمقدَّسات: قال تعالی: {أَجَعَلْتُمْ سِقَایَهَ الْحَاجِّ وَعِمَارَهَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ کَمَنْ آمَنَ بِالله وَالْیَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِی سَبِیلِ الله لَا یَسْتَوُونَ عِنْدَ الله}(۱).

فی الآیه الکریمه إشاره إلی أنَّ عماره بیت الله الحرام سقایه (خدمه) زوّار بیت الله شیء عظیم، کذلک سقایه (خدمه) زوّار البیوت الَّتِی أذِن اللهُ أنْ تُرفع ویُذکر فیها اسمه وعمارتها شیء عظیم، ولکن الجهاد أعظم مِنْ سقایه وخدمه الحجّاج والزوّار، وکذلک أعظم مِنْ العماره، فیکون الجهاد فی الدِّفاع عَنْ المقدَّسات عظیماً وأعظم؛ لأنَّه یجمع بین عنوان الجهاد وعنوان العماره والسقایه، لأنَّه مُقدّمه لبقائها وعمارتها وخدمه الزائرین بها.

۱۱۷. أُسِّس علی التقوی: قال تعالی: {وَالَّذِینَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَکُفْراً وَتَفْرِیقاً بَیْنَ الْمُؤْمِنِینَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ الله وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَیَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَی وَالله یَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَکَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِیهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَی التَّقْوَی مِنْ أَوَّلِ یَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِیهِ فِیهِ رِجَالٌ یُحِبُّونَ أَنْ یَتَطَهَّرُوا وَالله یُحِبُّ الْمُطَّهِّرِینَ}(۲).

فی قصّه معروفه حاول فیها المنافقون احتواء الناس واحتواء القیاده

۱- التوبه: آیه۱۹.

۲- التوبه: آیه۱۰۷-۱۰۸.

الدينيّه؛ وذلك ببناء مسجد (ضرار) الذى وصفه القُرآن الكريم أنَّه كفر ورَصد ضد المؤمنين، فالقرآن يأمر بعدم الصَّلاه فيه أبداً ويطلب القيام فى مسجد له صفتان أنَّه أُسس عَلَى التقوى، وأنَّه فيه رجال يحبّون أنْ يتطهروا.

۱۱۸. معدن التقوى أعظم: فإذا كَانَ القُرآن يشيد بالتأسيس لذلك المسجد؛ لأنَّه أُسِّس عَلَى التقوى، سواء أسَّسه النَّبى أو أسَّسه المُسْلِمُون بأمر النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، فكيف بك ببيوت هى أعظم مِنْ المساجد؛ لأنَّ المؤسس لها هُوَ الله، لأنَّه رفعها وعظّمها، وإذا كَانَ المسجد عظيماً لأنَّه أُسِّس عَلَى التقوى، فكيف بنفس التقوى ومعدن التقوى!

۱۱۹. مشهور فُقهاء الإماميّه أنَّ المسافر يُخيَّر بين القصر والتمام فى أربعه أماكن: المسجد الحرام ومسجد النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) والحائر الحسينى ومسجد الكوفه. وذهب الكثير إلى أنَّ التخيير المذكور هُوَ فى مُدن تلك المقدَّسات عَلَى سعتها، وبعضهم قال بالتخيير فى كُلّ مراقد المعصومين(عليهم السّلام) ، وكأنَّ الشَّريعه حين شعّرت هذهِ الأماكن جعلتها بمثابه وطن عالمى لكلِّ النَّاس.

أخيراً هذا الكتاب

نحن لسنا فى صدد قدح أو مدح الكتاب، ولا فى صدد نقد أو تقيم الكتاب، فهذا أمر متروك للقارئ اللبيب وللباحث النَيقَد، وإنّما نحن فى صدد وصف للكتاب زياده فى تنوير القارئ الكريم إلى بعض ميزات هذا الكتاب حتى يسهل عليه خارطه السير فى قراءه وفهم الكتاب.

فمن حيث الصفات الفنيّه والصياغيّه:

أولاً: الميل غالباً إلى صياغه الموضوعات على شكل نقاط، فبدل أن يتمّ سرد الموضوع بالشكل المتعارف يسرد بشكل نقاط.

ثانياً: الميل غالباً إلى ذِكر أكثر من عنوان للموضوع الواحد وذلك لأسباب منها:

أ) إفهام القارئ أنّ للموضوع زوايا عديده يمكن أن يُقرأ من خلالها.

ب) إنّ كثره العناوين ليست كثره ترفيّه وبلا فائده، بل لها جُلّ الفائده فى وضع القارئ الكريم بالصوره المرجوه من البحث.

ج) أن كثره العناوين أحياناً تكون بسبب تعدد القراءات للعنوان الواحد، وكلّها تعبر عن نفس العنوان، وليست تُعبّر عن جانب من العنوان وزاويه منه.

ثالثاً: أحياناً يُذكر العنوان وتُذكر تحته كتابه بأسطر قليله قد تصل إلى خمسه أسطر وبشكل أنصاف سطور، تكون بمثابه مقدّمه تنويريّه كإضاءه

لعناوين الفصل إن كانت لعنوانه أو للموضوع كذلك.

رابعاً: إنّ العناوين المتعدّده هى قراءه علميّه عمليّه تجعل القارئ يقرأ الموضوع من خلال العنوان الأول، فيطبقه فى حياته اليوميّه حينما يكون ظرفه مناسباً ومتناسباً مع هذا العنوان، ويُقرأ الموضوع من خلال العنوان الثانى - كقراءه ثانيه- ليطبقه فى حياته اليوميّه حينما يكون الظرف مناسباً ومتناسباً مع القراءه الثانيه للموضوع، وهكذا لو كان هناك عنوان ثالث أو رابع.

وأما من حيث الماده العلميّه:

إنّ قراءه المشهد الحسينى كقراءه توحيديّه من خلال البَداء الذى ما عُظِمَ وما عُبد الله بمثله - كما فى الروايات- ليس هو محضاً فى القراءه العقديّه الفكريّه التى قد تكون فى أكثر أحيانها ترفيّه أو عمليّه ونافعه، ولكن لفئه محدوده من المثقفين أو الباحثين، ويبقى بالنسبه لعامّه المؤمنين أمراً مطلسماً ومرمّزاً؛ ولذلك أشرنا بين شارحتين تحت العنوان أنّها مباحث فى العقيده الفقهيّه، إشاره إلى الجانب العلمىّ والعملىّ فى حياه الأفراد كافه؛ لأنّ العقيده تمثِّل تصحيح الجانب الفكرىّ العقدىّ، والفقه يصحح المسار العملىّ فى الوظيفه العمليّه فى الحياه اليوميّه.

فإذن؛ نقرأ المشهد الحسينىّ لنصحح مشهدنا الحياتى، لأنّ مشهد الطفّ لم يقتصر على بُعد واحد، بل شمل كلّ أبعاد الحياه: سياسيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً وعسكريّاً، وهكذا.

ولذلك يرى القارئ الكريم فى طيات بحث التوحيد كلاماً عن حياه رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)، أو كلاماً عن حياه أمير المؤمنين(عليه السّلام) أو عن حياه الإمام الصادق(عليه السّلام)، وهكذا بقيّه المعصومين(عليهم السّلام) ؛ وذلك إشاره إلى:

إنّ المعصومين(عليهم السّلام) نور واحد، فكلّهم: (مهدى، وصادق، وباقر، ورضا، وكاظم، وجواد... وهكذا).

* إنّ الوقائع الجزئيّه الحياتيّه للمعصومين(عليهم السّلام) يمكن من خلالها أن نقرأ الطفّ، ويمكن من خلال الطفّ أن نقرأها، فأحدها يحكى الآخر، فمرّه نسير بطريق (الإن) - حكايةً- من خلال المفردات الجزئيّه الحياتيّه، التى تكون كمعلولات تشير إلى علّه واحده، وتُقرأ جزئيّه فارده، وأُخرى بالعكس نقرأ المعصومين(عليهم السّلام) من خلال المشهد الحسينىّ، أى: بطريق (اللّم) من العلّه إلى المعلول؛ وبالتالى تكون هكذا رؤيه متبادله متكامله، لأنّه ليس كلّ رؤيه متبادله هى متكامله.

* إنّ الكثير من المثقفين - بل المختصّين فى البحوث الفقهيّه أو العقائديّه- يرون أنّ من غير الصحيح عند البحث عن الإمام الحسين(عليه السّلام) - مثلاً- فى أىّ جانب من جوانب حياته المباركه جرجره البحث للكلام عن موضوع آخر، ولو كان هو الحديث عن رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) أو أحد المعصومين(عليهم السّلام) ؛ لأنّ ذلك يُبعِّد القارئ عن بوصله البحث الأساسيّه ويشتّت ذهنه. لكن نحن نقول: إن الأمر على العكس، فهو لا يُبعِد، بل يفصل، ولا يشتّت بل يوسّع؛ لأنّ البحوث الدقّيه المعمَّقه من الضرورى أن ترى النور بآليات عديده موسَّعه ومفصَّله، ومن الضرورى أن تكون تلك القراءه بآليات مناسبه، كأن يُقرأ الحسين(عليه السّلام) من خلال سيره النبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وصفاته، أو سيره أحد المعصومين(عليهم السّلام) .

*وهذا الأُسلوب وهذه الطريقه - المفصِّله الموسّعه بالآليات المناسبه- قد يُلحظ كطريقه من طرق القرآن الكريم، بل ومن طُرق أهل البيت(عليهم السّلام) ، وهذا واضح لمَن قرأ خُطب أمير المؤمنين(عليه السّلام)، فالقرآن عندما يتحدَّث فى

مبحث عقائـدی أو عن مبحث أخلاقی؛ فأنّه یأتی بمصـداق للصدق، کقوله تعالی: {وَاذْکُرْ فِی الْکِتَابِ إِسْـمَاعِیلَ إِنَّهُ کَانَ صَادِقَ الْوَعْـدِ وَکَانَ رَسُولاً نَبِیّاً}(۱) ومن جهه أُخری، نری الآیـات القرآنیّه تتحـدّث فی موضوع معین، ثمّ تنتقـل فجـأه وبلاـ سـابق إلی موضوع آخر کأنّه لا صـله له بالآیات السابقه، وأمّا الشواهد فی کلام المعصومین(علیهم السّلام) وأمیر المؤمنین(علیه السّلام) فی نهج البلاغه فکثیره لا حاجه لاستعرضها.

* تمّ استعراض وظائف أُخری عقائدیّه لم تُبسط فی أبحاث العقیده الفقهیّه، کالجبر والاختیار وغیرهما.

* إنّ هـذا الکتـاب یحتوی علی أکثر من سبعه قواعـد منهجیّه، وهـذه القواعـد السبعه هی: فی النشاط الـدینیّ الفقهیّ السیاسـیّ والاجتماعیّ، وهذا ما یعطی القاعده الواحده مرونه فی الاستعمال فی أکثر من مکان واحد.

* تمّ فی هـذا الکتـاب بحث بعض الوظـائف والواجبـات التی قلَّ البحث عنها فی الکتب التخصصیّه، أو بُحثت بشـکل مقتضـب وبسـیط، فمثلاً التقیّه وظیفه فقهیّه لها مستویات بحسب الأحکام الفقهیّه الخمسه - وقد بُحثت بشکل مفصَّل- ولکنّها لم تتناول إلّا الجـانب الفردی، أمّا بُعـدها الاجتماعی فلعلّه ینـدر البحث عنه، وأمّا فی هـذا الکتاب، فإنّ سـماحه الأُسـتاذ (دام ظلّه) تناول البُعد الفردیّ والاجتمـاعیّ والسیاسـیّ أیضـاً، بـل والاـستراتیجی، وبمعـالجه موضوعیّه میـدانیّه من خلال ذِکر مصادیق جلیَّه وواضـحه، مارسـها الأنبیاء والأئمّه ومارسها أصحابهم أیضاً، هذا مضافاً إلی تصحیح المسار الفکریّ الخاطئ فی فهم التقیّه؛ حیث کان یُفهم منها مجرّد

۱- مریم: آیه۵۴.

الإحجام والاحتياط والحذر بلا أن تكون برنامج عمل مختلف الأبعاد والمستويات. ونفس السير الفكرىّ الخاطئ ارتُكب فى فهم الجِلْس، فإنّ الحلس كما هو الظاهر أشدّ إيهاماً من التقيّه؛ لأنّه ظاهر فى ضروره السكون ومسك الأرض وعدم الحركه، والذى بدا لنا بعد التحقيق هو العكس تماماً.

* قد يصعب على الفهم أنّ المؤمن هل يمكن أن يناور؟ وأنه كيف يمكن المحافظه على المبادئ ورعايه الثوابت؟ وأنّه أساساً: هل يجوز للمؤمن ذلك؟ وكيف يمكن تصوره للمعصوم(عليه السّلام)؟ قاعده المرونه والمناوره فى المسير والمسار تجيب على ذلك بإجابه بسيطه، ولكنّها عميقه ودقيقه بفكرهِ جعلِ المرونه فى الآليات والقشور مع الحفاظ على اللّب الثابت، وتُبيِّن كيف أنّ الإمام الحسن(عليه السّلام) استطاع فى ذلك الظرف العصيب الجمع بين البراغماتيّه والمبدأيه كما تبيِّن بعض ما مارسه المعصومون(عليهم السّلام) .

* كذلك هناك تكاليف خاصّه فى أوقات معيَّنه من زوايا معيَّنه، ولكن خصوصيتها لا تعنى فرديتها، وهذا أمر بالغ الأهمّيه، فإنّ الكثير يتصور أنّ الخصوصيّه تعنى الفرديّه، والبُعد الفردى والتكليف على مستوى خاص وفردىّ، وهذه قراءه مغلوطه؛ لأنّ البُعد الفردى جانب متدنٍّ من المسؤوليّه. ومن تلك الأُمور الخاصّه بمسؤوليّات العصر الراهن - والتى كما بيَّنا لا تقتصر مسؤوليّتها على البُعد الفردىّ، بل على المستوى الاجتماعىّ والسياسىّ والاقتصادىّ والعسكرىّ وغيرها- هو تكليف المؤمنين فى عصر الغيبه، ومنها التكليف فى مواجهه حركات الانحراف، وخصوصاً حركه السفيانى، وأمّا كيفيّه المواجهه فنرى أنّها المواجهه التى تنعكس من سلوك الحسين(عليه السّلام) يوم الطفّ، فرغم ذلك الوعد الإلهى الجازم بشهاده الحسين(عليه السّلام) فقد كان يقوم

بواجبه قيام الواثق بالنصر والنجاه بنظرٍ إلى البَداء الأعظم والبَداء الإلهى.

فهل ينعكس ذلك على مواجهتنا لحركه السفيانى؟ التى قد وردت فيها روايات تشير بالصراحه أو بالمضمون إلى إمكان حصول البَداء. فإذا لم تكُ لدينا تلك القراءه للمشهد الحسينىّ، لم ينعكس على سلوكنا فى مواجهه السفيانى أمل ملؤه الرجاء بالنصر المتولِّد من معرفتنا بالبَداء.

والبَداء الذى نريده ليس البَداء التكوينىّ، فنحن لا نريد أن نبيِّن البَداء من الوجهه العقائديّه المحضه، أو قل: لا نريد بيان البَداء من جهه الربّ. بل نريد - وهو المهم- أن نبيِّن كيف مارس الحسين(عليه السّلام) البَداء كحقيقه عقائديّه وفكريّه فى سلوكه فى ساحه الطفّ، بل كيف مارس المعصومون(عليهم السّلام) ذلك فى ساحات طفوفهم، سواء مع الأباعد أو الأقارب، وكذلك نريد - وهو الأهم- أن نبيِّن كيف ينعكس ذلك كلّه على خارطه مسؤوليّات المؤمنين فى العصر الراهن كعقيده فقهيّه.

فإنّ الحسين(عليه السّلام) كان موعوداً بالشهاده، ومع ذلك كان ينظِّم معسكره، بل ويقاتل قتال مَن لا يقين له بالشهاده - رغم يقينه بالشهاده- ومقابل ذلك الإمام صاحب العصر(عجل الله تعالى فرجه الشريف) مهذّب خائف، رغم كونه موعوداً بالنصر، ورغم يقينه بالنصر، وهو خوف يوازن شدّه الرجاء التى يعيشها(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، كما أنّ تفاؤل رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وتفاؤل باقى أهل البيت(عليهم السّلام) سواء فى تجاربهم الحياتيّه أو ما تعكسه سلوكيّات الآخرين بالنسبه إليهم هو ترجمه للأمل الذى يقابل الحذر - الذى هو ترجمه للخوف الموازن للرجاء- فقد كان(صلّى الله عليه و آله وسلّم) أحذر الناس من الناس، فلم يأخذه التفاؤل إلى الإفراط، ولم يجرّه الحذر إلى الأحجام عن العطاء والدعوه إلى الخير، فلا إفراط تفاؤلى ولا تفريط حذرى، ولكن أمر بين أمرين.

* كذلك فى الفصل الثالث من القسم الثانى ثمانيه أقسام من أقسام الجهاد، وهذه الأقسام تبيِّن وظيفه المؤمن فى النشاط العسكرى ووظيفه تقديس المقدَّسات، ولم يخالف سماحه الشيخ (دام ظلّه) مشهور فقهاء الإماميّه فى مسأله الجهاد، ولكنّه فصَّل ما لم يفصِّله الآخرون بما لا يخرج عن ظهور عموم الآيات والروايات فى ذلك.

فإن الجهاد الدفاعى كما هو مقرّر يكون ردعاً للعدوان، ولكن آليه الجهاد الدفاعى لتحقيق ذلك الردع تختلف شدّه وضعفاً بشكل متناسب مع حجم وشدّه العدوان.

فالجهاد الدفاعى الوقائى يكون من باب الوقايه خير من العلاج، والجهاد الدفاعى العلاجى يكون من العلاج بعد وقوع الاعتداء وبقدر العدوان، فإنّ قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاهٌ}(1)، إشاره إلى أنّ القصاص لا يقتصر على البُعد الفردىّ، أو البُعد الاجتماعى، بل فى البُعد السياسى والعسكرى لأجل حياه الأُمّه وسعاده أُمّه الإيمان والإسلام، كما أنّ الجهاد دفاعاً عن المقدَّسات هو الآخر قسم برأسه، بل أقسام عديده تدور حول تقديس مَن قدَّسهم الله تعالى، فإنّ الدفاع عن بلدٍ فيه مقدَّسات أنبل وأشرف من الدفاع عن الأراضى التى لا مقدَّسات فيها.

وبما أنّ هذه الأراضى وبحسب الآيات والروايات قُدِّست لوجود المعصومين(عليهم السّلام) فيها؛ فيكون الدفاع عن ذات المعصوم(عليه السّلام) - نفسه- أعلى وأقدس وأشرف من الدفاع عن الأراضى المقدَّسه، وبذلك يتنقّح لنا القسم السابع من أقسام الجهاد، وهو الجهاد تعصُّباً لذات المعصوم(عليه السّلام) المقدّسه،

۱- البقره: آيه ۱۷۹.

والـذی یتفرّع علیـه جهـاد آخر - ولکنّـه قسـم مسـتقلّ برأسـه- وهـو الجهـاد المواسـاتی، والـذی یکـون فقـط مـن أجـل مواسـاه المعصوم(علیه السّلام).

* کما وتمّ فی هذا الکتاب تصـحیح بعض المسارات الخاطئه فی فهم کثیر من الألفاظ التی وردت فی الروایات، والتی لعلّه بُنیت علیها مناهج ومدارس معرفیّه، ومنها:

معنی (الحِلْس) الذی فُهم لدی الکثیرین بشـکل خاطئ ومخالف تماماً لما هو المراد فی الروایات، وکذلک معنی التقیّه وأبعادها وأقسامهـا المختلفـه وأنّ معنی التقیّه المعروف جزء من المعنی الصـحیح - الوسـیع- الـذی جُعـل دینـاً ومنهاجـاً حیاتیّـاً، کمـا فی الحـدیث الشـریف: «التقیّه من دینی ودین آبائی، ولا دین لمَن لا تقیّه له»(۱)، کـذلک اللّین والرفق والمرونه واللطف له الأهمّیه العظمی، ولکن فی أبوابه الصـحیحه، بل الوفاء الذی هو أشرف وأنبل من هذه المعانی له مواطن، ولا یصح فی کلّ المواطن، فإنّ الوفـاء مع أهـل الغـدر غـدر عنـد الله، کمـا یقول أمیر المؤمنین(علیه السّـلام) کما وقـد بیَّن الکتاب نظریّه تخادم العلوم التی تبیِّن أهمّیه العلاقه بین العلوم المختلفه، أهم جانب فی تطور وتکامل العلوم هو ذاک.

* والشـیء الأهمّ والحیویّ الأساسـی - المنهجی- فی هـذا الکتاب، هو وضع ضوابط ومناهـج لدراسه روایات زمن الغَیبه ورایات وأشـخاص هـذه الفتره الحسّـاسه والمهمّه فی حیـاه المؤمنین، وأنّ الـدراسات الکثیره فی هـذا الزمن - مع شدیـد الأسف- تُجعل محاورهـا الأساسـیه شخصـیات وشـخوص زمن الغَیبه وتحـاول معـالجه الروایـات علی أسـاس ذلک المحور، وهـذا مسار مغلوط یحرف

۱- الکلینی، محمد بن یعقوب، الکافی: ج۲، ص۲۲۴.

النظره المجموعيّه التى ترمى إليها تلك الروايات، وهـذا التأسيس - بحسب نظرى القاصر- فتح عظم وتشييد لمنهج جديد فى قراءه روايات زمن الغَيبه وسنه الظهور.

* وبعد ذلك كله ذكرنا مقاطع مختاره - مهمّه- من الكتاب لأجل أن تبقى فى الذاكره.

ص: ۴۶۶

فهرس الكتاب

مقدمه الطبعه الثانيه. ۳

مقدمه الطبعه الأُولى. ۷

مقدّمه المقرّر. ۹

تمهيد. ۱۵

القسم الأول

التوحيد فى المشهد الحسينى (مباحث فى العقيده)

وفيه ثلاثه فصول:

القضاء والقدر فى المشهد الحسينىّ. ۲۱

المدخل. ۲۱

الفصل الأوَّل

البَداء الأعظم

البَدَاءُ الأعْظَم. ۲۷

نتائج مُهمّه فى الجبر والاختيار. ۳۱

جدليّه العلاقه بين الإبرام والبَداء. ۳۳

قوم يونس... ۳۵

الفصل الثانِى

حتميّه القضاء والقدر فى مفهوم النهضه الحسينيّه

حتميّه القضاء والقدر فى مفهوم النهضه الحسينيّه ۴۱

حتميه البَداء. ۴۲

البَداء وليله القدر. ۴۳

صور البَداء فى القضيه الحُسيتيّه. ۴۶

إحسان التقدير وإحكام التدبير. ۴۹

أديب الله.. ۴۹

أدّبنى ربِّى.. ۵۰

سعه البَداء فى سلوك النَّبى(صلّى الله عليه و آله وسلّم)... ۵۱

الحُسينُ أُمَّهٌ. ۵۳

مطمئنهٌ بقدرك. ۵۳

إنَّها شقشقه. ۵۵

ضابطهٌ جعفريّهٌ فى القضاء والقدر. ۵۹

حربٌ باردهٌ لا تُنافى حتميّه القضاء. ۶۱

عِبَر ودروس مِنْ حياه الإمام الصادق(عليه السّلام)... ۶۲

تناسب التقدير بين الإنسان الصغير والكبير. ۶۹

مُهذّب خائف رغم حتميّه النصر... ۷۱

المُهذَّب الخائِف.. ۷۱

شجاعهُ التدبير لا تُنافى الحذرَ. ۷۴

خفاء التدبير بلا خفاء للمدبِّر. ۷۶

كمالُ التدبيرِ اليقظهُ والحذرُ. ۷۹

أحلاس البيوت.. ۷۹

الفصل الثَّالث لا حَسم سابق ولا حَتم فى التداعيات بدون إمكانيّه البَداء

لا حَسْم سابق ولا حَتم فى التداعيات بدون إمكانيّه البَداء. ٨٣

التفاؤل فى ميزان القضاء والقَدَر. ٨٥

تفاءلوا بالخير. ٨٥

تدبير الخير لمستقبل الأُمّه. ٨٦

قمّه النشاط مَعَ حتميّه الشهاده ٩٠

تفاؤل الحسين(عليه السّلام)... ٩٠

التفاؤل المعاكس (المذموم). ٩٢

معالم أُخرى للأمل فى تدبيره(عليه السّلام)... ٩٤

الإغراق فى لطافه وإتقان التدبير. ٩٤

تدبيره(صلّى الله عليه و آله وسلّم) الخير لأُمّته. ٩٧

المبالغه فى المداراه مَعَ قمّه الحذر واليقظه. ٩٨

لِنْتَ لَهُمْ. ٩٨

الانفتاح التفاعلى مَعَ المُجْتَمع مَعَ الحفاظ عَلَى سرِّيه الحقائق الخطيره ١٠٠

أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا ١٠٠

تبدُّل الهزيمه إلى نصر... ١٠٢

تدبيرٌ عظيمٌ فى ظرفٍ عسير. ١٠٦

المضائق. ١٠٦

مضائق عسيره ومواطن خطيره ١٠٨

يوم حُنَيْن.. ١١١

المَعْلَمُ الجبرى مِنْ جديد. ۱۱۳

غُلّت أيديهم. ۱۱۳

المسلك الجبرىّ أنواعٌ وأنماط.. ۱۱۶

الجَبريّه الصُوفيّه. ۱۱۶

المنطق الحُسينىّ يُحاكم الجَبريّه. ۱۱۷

مراتب النجاح فى الابتلاء الإلهى. ۱۱۸

النشاط والحركه الحُسينيّه. ۱۲۱

النشاط والحركه اليونسيّه. ۱۲۳

شجاعهُ إدارهِ الأزماتِ وإمامه الأُمّه. ۱۲۵

شجاعهُ التدبير. ۱۲۵

الغصّه والفرصه. ۱۲۶

حتميّه عدم النصر لا تنافى إمكانيه الفتح.. ۱۲۹

شهاده الفتح.. ۱۲۹

فتحُ الحسين أم حسينُ الفتح. ۱۳۱

القسم الثانى خارطه مسؤوليّات العصر الراهن

وفيه ثلاثه فصول:

الفصل الأوّل خارطه المسؤوليّات فى النشاط الوظيفىّ الدينىّ والسياسىّ والاجتماعىّ

سبع قواعد منهجيّه وخاتمه. ۱۳۹

مقدّمه. ۱۴۱

القاعده الأولى: (كُنْ حِلْسَاً) والأحلاس فِى البيوت.. ۱۴۲

(كُنْ حِلْسَاً مِنْ أحلاس بيتك). ۱۴۲

المعانى اللغويه للحِلْس.. ۱۴۴

نتائج مُهمّه مِنْ معنى الحِلْس... ۱۴۶

ما هُوَ معنى (البيت) الذى وَرَدَ فِى الروايه: ۱۴۷

موسى(عليه السّلام) حِلْس البيوت.. ۱۵۳

فهم جديد لمعنى (حين) التى وردت فى الزياره ۱۵۵

القضيه الحِيّه. ۱۵۵

الوسطيّه فى ميزان العمل. ۱۵۵

الدور المنقذ لتوازن سفينه المؤمنين والمسلمين عن الغرق المتطرِّف.. ۱۵۵

الوسطيّه فى قوام العمل حين عَجْز الأُمّه. ۱۵۶

المُعادِل الموضوعى. ۱۵۶

العامل المشترك الأكبر. ۱۵۶

الوسطيّه بمعنى (بيضه القبّان). ۱۵۶

أيُّها المؤمن. ۱۵۷

الصَبْر والتصبُّر. ۱۵۷

القاعده الثانيه: إعداد القوّه ۱۵۹

وأعدّوا... ۱۵۹

القاعده الثالثه: طَلَبُ العِلْمِ ونَشْرُه ۱۶۵

القاعده الرابعه: (كلُّكم راعٍ). ۱۶۶

القاعده الخامسه: التقيّه الذكيه وترقيه تنامى الحسّ الأمنى. ۱۶۸

ص: ۴۷۱

مقدّمه. ۱۶۸

الإعداد الأمنى. ۱۶۹

التقيّه والكتمان حارس الإعداد. ۱۷۰

تقيّه الكتمان مراتب ودرجات.. ۱۷۴

التقيّه من الجهلاء أشدّ من الأعداء. ۱۷۶

المذيع جاحد. ۱۷۸

الكتمان والإذاعه... المذيع سرّنا كقاتلنا عمداً ۱۸۰

الجندى الخفى (المجهول). ۱۸۳

يكتم إيمانه. ۱۸۳

أصحاب الكهف.. ۱۸۵

قاعده أُخرى (تقيّه الاصطناع) ملازمه لقاعده (التقيّه الذكيه). ۱۸۷

الخضر(عليه السّلام) والتقيّه الذكيه. ۱۸۸

المنهج أهمّ وأوْلى. ۱۸۹

خفاء أم اختفاء. ۱۹۰

التقيه الذكيه عند الإمام الصادق(عليه السّلام)... ۱۹۱

التقيّه الذكيه فى سلوك إبراهيم(عليه السّلام)... ۱۹۲

القرآن يكشف عن أربع مهام سرّيه لأهل الكهف(عليهم السّلام) ۱۹۳

أسرار (التقيّه التدبيريّه) فى سوره الكهف.. ۱۹۴

برنامج أمنى للإمام الصادق(عليه السّلام)... ۱۹۷

كيف يتعامل الإمام مع مَن يكشف الأسرار. ۱۹۷

دور المؤمن فی الحکومه الخَفیّه أعظم. ۲۰۱

ص: ۴۷۲

أَطروحه جديده فی معنی الظهور بعد الغَیْبَه. ۲۰۱

دوله الخفاء وخفاء الدوله. ۲۰۱

دوله الغَیْبَه وغَیْبَه الدوله. ۲۰۱

القاعده السادسه: المرونه والمناوره فی المسیر والمسار. ۲۰۸

سعه الحکمه فی صیرفه تدبیر وإداره الأُمُور. ۲۱۰

جدلیّه العلاقه بین البراغماتیّه والمبدأیّه. ۲۱۵

جدلیّه الثابت والمتغیِّر. ۲۱۵

تغییر الواقع بین الإفراط والتفریط.. ۲۱۵

جدلیّه حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغیِّر. ۲۱۵

المناوره بین الواقعیّه الراهنه والقیم الشعاریّه. ۲۱۵

الثابت النظامی والمتغیِّر الإصلاحی. ۲۱۶

للبیت ربٌّ یحمیه. ۲۱۷

دروس فِی مناوره عبد المطلب(علیه السّلام)... ۲۱۸

مناوره حُسینیّه فی قوالب زینبیّه. ۲۲۰

مناوره ومران الخیارات والأسالیب فی النهضه الحسینیّه فی موکب السَّبی... ۲۲۰

همزه الوصل. ۲۲۳

هَلْ الوسیله ثابته أم مُتغیِّره ۲۲۳

تصریف الکلام. ۲۲۵

وینتصر عَلیٌّ(علیه السّلام)... ۲۲۵

متانه الدِّین وسماحه الشَّریعه. ۲۲۶

الصُلح خَير. ٢٢٧

ص: ٤٧٣

تعدد الخيارات.. ۲۲۸

تعدد السيناريو. ۲۲۸

تصريف الكلام. ۲۲۹

تغيُّر اللفظ لا يعنى تبدُّل المعنى. ۲۲۹

الغايه لا تُبرِّر الوسيله. ۲۳۲

الوسيله لا تُصحِّح الغايه. ۲۳۲

المحجّه الصحيحه مراتب.. ۲۳۴

للوفاء مَوَاطن. ۲۳۵

هَلْ الحقيقه مُطلقه أم نسبيّه؟. ۲۳۷

القاعده السابعه. ۲۳۹

ضروره توازن القِوى مع العدو. ۲۳۹

خاتمه نفيسه فى تخادم العلوم. ۲۴۱

نظريه ترابط وتعاون وتخادّم العلوم. ۲۴۱

الفصل الثانى خارطه المسؤوليّات فى النشاط الوظيفىّ الدينىّ للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الدينىّ

مقدّمه. ۲۴۷

السفيانى بين الحَتم والبَداء. ۲۴۷

أهميه الموضوع. ۲۴۹

قبل البَدء: قاعده عَلويه بصياغه رَضويّه. ۲۵۲

قاعده منهجيّه فى المنهج.. ۲۵۲

مسالك الانتظار. ۲۵۴

الشجره الملعونه. ۲۵۷

خطوره المنهج.. ۲۵۹

النقطه الأُولى: (الشجره الخبيثه). ۲۵۹

النقطه الثَّانيه: (لا يذكرون الله). ۲۵۹

النقطه الثَّالثه: (بنو أُميّه نهج وسلوك). ۲۵۹

النقطه الرَّابعه: (سعد الخير). ۲۶۰

النقطه الخامسه: (اللَّعن للمؤسسين أشدّ). ۲۶۰

النقطه السَّادسه: (أخطر المناهج). ۲۶۲

النقطه السَّابعه: (إسلام وأصنام). ۲۶۲

النقطه الثامنه: (بنو العباس). ۲۶۲

مَن هو السُّفيانى؟. ۲۶۴

حادثه مُثيره ۲۶۸

معالم مشروع السُّفيانى.. ۲۷۲

السُّفيانى ويأجوج ومأجوج. ۲۷۵

الرجعه قُبَيل الظهور. ۲۸۲

هى محور أدوار مسرح أحداث الظهور. ۲۸۲

السُّفيانى بين المحتوم والموقوف.. ۲۸۷

دروس تربويّه فى البَداء. ۲۹۰

البَداء وإخفاق مشروع السُّفيانى.. ۲۹۳

ص: ۴۷۵

رجفه الشام. ۲۹۵

روایات (البَداء) بلسان أنَّ السُّفیانی نقمه للمؤمنین.. ۲۹۶

الإعلام المزیَّف للسُّفیانی.. ۲۹۷

الخسف عنوان للبَداء فی حرکه السُّفیانی. ۳۰۰

الوظیفه الأولیّه للمؤمنین هی المقاومه. ۳۰۳

البَداء فی خاتمه السُّفیانی.. ۳۱۳

أمرهم(علیهم السّلام) بالوجوب العینی والتعیُّنی. ۳۱۵

لتصدی شیعه العراق بالخصوص للسُّفیانی بقوّه وحزم. ۳۱۵

الشُّعوب کُلّها ضدّ السُّفیانی.. ۳۱۷

الرایات المُناهضه لمشروع السُّفیانی. ۳۲۰

القیام بالمسؤولیه. ۳۲۰

الرایات المُمهِّده للسُّفیانی.. ۳۲۲

الشیصبانی.. ۳۲۳

حکومه بنی العباس... ۳۲۳

شخصیّات فی مسرح الظهور. ۳۲۵

نفاق الإیمان (البتریه). ۳۲۵

علی طرفی نقیض... ۳۲۶

الغایه مِنْ استعراض روایات سنه الظهور. ۳۳۰

دور المؤمن فی عصر الفتن وخصوصاً فتنه السُّفیانی.. ۳۳۳

مقاطع مختاره ۳۳۷

خلاصه الفصل الثانی.. ۳۳۸

ص: ۴۷۶

الفصل الثالث خارطه المسؤوليات فی النشاط الوظیفی الدینی العسکری للمؤمنین ووظیفه تقدیس وحمایه المُقدّسات

قواعد أساسیه فی مراتب الجهاد الدفاعی. ۳۴۵

وظیفه تقدیس المُقدّسات.. ۳۴۵

مُقدّمه. ۳۴۷

الجهاد الدفاعی. ۳۴۸

قواعد أساسیه فی مراتب الجهاد الدفاعی. ۳۴۸

القسم الأوَّل: الدفاع الوقائی الرادع عَنْ عدوان المعتدی.. ۳۴۸

القسم الثانی: الدفاع العلاجی. ۳۴۸

القسم الثالث: الدفاع الاقتصاصی... ۳۴۹

القسم الرابع: الجهاد الدفاعی الاستباقی. ۳۵۲

قواعد لا محیص عنها فی الدفاع عَنْ المُقدّسات.. ۳۵۴

نظام تعدد مراتب الدفاع طولیاً متعاکساً مع قاعده الرفق المرن. ۳۵۴

القسم الخامس: الجهاد الاقتصاصی فی الدفاع عَنْ المقدّسات.. ۳۵۵

القسم السادس: الجهاد الدفاعی الاستباقی عَنْ المُقدّسات.. ۳۵۶

القسم السابع: الجهاد الاقتصاصی تعصباً لأهل البیت(علیه السّلام)... ۳۵۶

أهمیّه ذات المعصوم کرکن مِنْ أرکان الدین. ۳۵۷

بیت المقدس قُدِّس لوجود الأنبیاء فیه. ۳۶۱

المعصوم(علیه السّلام) مِنْ مُقدّسات الدِّین. ۳۶۴

سب المعصوم(علیه السّلام) ارتداد عَنْ الدین کما عَنْ جماعه مِنْ الأصحاب.. ۳۶۶

تعطيل الحدود يُؤثر فى التكوين والتشريع. ۳۶۷

موقف زينب العقيله(عليهاالسّلام) مِنْ وجوب أخذ الثأر. ۳۷۰

استمرار برنامج الثأر والثوره ۳۷۱

ما ورد فى الإذن والحثّ على الأخذ بثأر الحسين(عليه السّلام)... ۳۷۲

طلب الثأر لآل مُحمَّد(صلّى الله عليه و آله وسلّم)... ۳۷۴

القسم الثامن: الجهاد المواساتى.. ۳۷۵

أوَّلاً: التغاير الثبوتى (الماهوى). ۳۷۷

ثانياً: التغاير الإثباتى.. ۳۷۷

أعظم المواساه مواساه أبى الفضل(عليه السّلام)... ۳۸۰

المُقدّسات ركن الدين. ۳۸۲

جهاد بلا دم. ۳۸۲

سلاح السلام لا الاستسلام. ۳۸۳

الدفاع عَنْ المقدّسات واجب مِنْ أُصول الاعتقاد. ۳۸۵

وليس مِنْ مستحبات الشَّريعه ۳۸۵

بِشَارَةٌ وَنذارةٌ ۳۸۸

ركنيّه الأراضى المُقدَّسه. ۳۹۰

الأرض المُقدَّسه. ۳۹۰

نتائج مهمّه من الآيات المُتقدّمه. ۳۹۳

الدفاع عَنْ المُقدّسات بتعظيم باب حطّه. ۳۹۵

منهجيّه تربويه يرسمها رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم)... ۳۹۷

كيف نُقدِّسهم. ٣٩٩

ص: ٤٧٨

العناصر الكليّه لخارطه مسؤوليات العصر الراهن. ۴۰۹

قاعده: إعداد القوه ۴۰۹

قاعده: (كلّكم راعٍ) وعموم المسؤوليّه على الجميع. ۴۱۰

قاعده: الصبر لا يعنى الجمود. ۴۱۰

قاعده: للوفاء مواطن. ۴۱۰

قاعده: ضروره توازن القوى مع العدو. ۴۱۱

المعصوم لنا قدوه ۴۱۱

مقاطع مختاره

عقيده البَداء أهم مقوّمات النشاط الدينىّ والسياسىّ والاجتماعىّ للأئمّه ۴۱۷

الإيمان بالبَداء فى النتائج والتداعيات المُترتبه عَلَى الحدث.. ۴۲۰

التفاؤل رجاءٌ بسعه البَداء. ۴۲۱

الفتح الحسينى. ۴۲۲

فى معنى الحِلْس... ۴۲۴

قاعده إعداد القوّه ۴۲۶

برنامج التقيّه الأمنيّه والإعداد الخفىّ (الذكى). ۴۲۶

الحذر أنواع ومراتب.. ۴۲۷

جدليّه حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغيِّر. ۴۲۸

الوسطيه فى المسير والمسار. ۴۳۰

معنى نسبيّه الحقيقه. ۴۳۰

الوفاء مع أهل الغدرِ غدرٌ عند الله.. ۴۳۱

نظریه تخادم القواعد. ۴۳۱

ص: ۴۷۹

المعنى الصحيح لمفهوم الانتظار. ۴۳۲

إرهاصات الظهور. ۴۳۶

الرايات المُناهضه لمشروع السُّفيانى. ۴۳۶

(القيام بالمسؤوليّه). ۴۳۶

الرايات المُمهِّده للسُّفيانى.. ۴۳۷

الشيصبانى.. ۴۳۷

حكومه بنى العبّاس... ۴۳۷

السفيانى وداعش ويأجوج ومأجوج وجوه لعمله واحده ۴۳۸

شخصيّات فى مسرح الظهور نفاق الإيمان (البتريّه). ۴۴۰

عَلَى طرفى نقيض... ۴۴۰

صور عديده للبَداء فى مشروع السفيانى.. ۴۴۲

الجهاد الدفاعى. ۴۴۵

ركنيه الأراضى المُقدَّسه. ۴۵۰

باب حطّه. ۴۵۳

كيف نُقدِّسهم. ۴۵۴

أخيراً هذا الكتاب.. ۴۵۸

فهرس الكتاب.. ۴۶۷

ص: ۴۸۰

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹